

في هذا العدد

ادباؤنا

في

المعركة

عدد ممتاز

العددان ١١ و١٢

تشرين الثاني وكانون الاول

١٩٧٣

السنة الحادية والعشرون

الآداب

مجلة شهرية تعني بشؤون الفكر

AL - ADAB :

Revue mensuelle culturelle

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل ادريس

سكرتيرة التحرير

عايـدة مطرجي ادريس

الادارة

شارع سوريا ــ بناية درويش

ص.ب ٤١٢٣ • بيروت ــ لبنان

تلفون ٢٣٢٨٣٢ و ٣٠٢٩٨٦

العددان ١١ و ١٢ ــ تشرين ٢ وكانون ١ (نوفمبر وديسمبر) ١٩٧٣ ــ السنة ٢١

هذا العدد

لم تصدر « الآداب» في الشهر الماضي بسبب اندلاع حرب تشرين .

وها هي تختتم عامها الواحد والعشرين بعدد مزدوج (تزيد صفحاته عن ضعف العدد العادي) مخصص كله لاهم ما كتبه ادباؤنا ومفكرونا في المعركة .

وقد انبثقت هذه الفكرة عندنا من تحرقنا ، في اثناء الحرب ، الى قراءة ما يشارك به ادباؤنا على صعيد الوطن العربي كله ، ولكن ذلك كان شبه مستحيل لانقطاع البريد والمواصلات ، وخاصة مع بلاد المشرق ، وعلى رأسها الشقيقتان مصر وسوريا اللتان كان القتال يدور على ارضهما .

من هنا كان عزمنا على اتاحة هذه الفرصة امام القراء العرب للاطلاع على اسهام الاقلام الملتزمة بقضايا الامة العربية في هذه الحرب الفاصلة التي تظل ، مهما اختلفت الآراء فيها وفي مخططاتها وفي نتائجها ، بدء تاريخ جديد للانسان العربي .

وقد ابرقنا الى مراسلينا في البلاد العربية لموافاتنا بكل مادة كتبها الادباء والمفكرون في الصحف اليومية والاسبوعية ، خلال فترة الحرب وبعدها حتى آخر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، كما اتصلنا بالملحقين الصحفيين والثقافيين في السفارات العربية ببيروت ، فأسعفونا بما وصلهم من صحف بلادهم في تلك الفترة .

ولم يكن ممكنا ان نورد في هذا العدد الخاص كل ما كتبه جميع حملة الاقلام العرب ، فاخترنا نماذج معبرة من هذا النتاج ، ونحن نستأذن اصدقاءنا الادباء والمفكرين باعادة نشرها في هذا العدد الوثائقي الذي قصدنا الى جعله مرجعا هاما لمبادرات الكتاب العرب في مواجهة المعركة .

ولا بد من ان نوضح هنا ان « القيمة الفنية » لهذه المادة ستكون من غير شك موضع نقاش . فكثير منها أدخل في ادب الخواطر والتعليقات منه في النتاج الفني الناضج .. وهذا أمر طبيعي ، ولكن تبقى لهذا العطاء نقاوة الارض الاخلاص وبكارة الاحساس والانفعال . انه أشبه ب « طلقة » ، كما عبر سليمان فياض ، يشارك القلم العربي بها أخاه السلاح العربي ، فيكون تأثيرهما أعمق وافعل .

وايا ما كان ، ف « الآداب » تطرح امام قرائها هذه المادة ، تاركة لهم تقييمها في ظروفها ، وترحب بنشر آرائهم فيها .

« الآداب »

لبنان

سهيل ادريس

بيان للمثقفين

باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين وضع الدكتور سهيل ادريس نص البيان والبرقيات التالية التي وقعها المثقفون اللبنانيون والعرب المقيمون في لبنان في اجتماع عام عقد صباح الثامن من تشرين الاول في دار نقابة الصحافة اللبنانية :

« ان المثقفين اللبنانيين والمثقفين العرب المقيمين في لبنان ، المجتمعين في دار نقابة الصحافة اللبنانية بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين ، يحيون الجيوش العربية المصرية والسورية وسائر الفصائل العربية ورجال المقاومة الفلسطينية في حرب التحرير العربية التي ترد الى الانسان العربي ايمانه بمقدرته على النضال من اجل حقه في الحرية والكرامة .

ان الجندي العربي الذي يخوض الآن اشرف معركة في سيناء وعلى مرتفعات الجولان يجسد مطامح الانسان العربي كلها في التحرر من كل الوان الانسحاق التي مارستها عليه عهود متطاولة من الاستعمار والتخلف والاقطاع والرجعية ، ومن صنوف الارتهانات التي حالت دون انطلاق طاقاته الاصيلة لخلق المجتمع العربي الجديد الذي يستطيع المساهمة في الحضارة الانسانية الراهنة .

وان من شأن هذه المعركة ان تحشد كل طاقات هذا الانسان العربي ، على كل صعيد ، وهي فرصة قد لا تتيحها له في المستقبل ظروف الملابسات والمساومات الدولية . من هنا كان ايماننا بوجوب المضي في هذه المعركة حتى النهاية ، وعدم الخضوع لاية ضغوط سياسية عسكرية . ذلك ان الشعوب العربية لم تكن مستعدة مثلها هي اليوم لكل التضحيات التي تطلب منها ، كما انها لن تغفر لاية دولة عربية أي تخاذل او تراجع او احجام عن تقديم كل ما تملك من اجل المعركة .

لهذا يدعو المثقفون اللبنانيون والعرب الى :

١ ـ مشاركة كل الدول العربية بجيوشها وطاقاتها في المعركة وفي صورة خاصة الجيش الاردني لاهميته الاستراتيجية .

٢ ـ حماية المقاومة الفلسطينية وتمكينها من القيام بدورها الكبير على الحدود العربية وداخل الارض المحتلة .

٣ ـ قطع النفط عن اية دولة اجنبية لا تساند الحق العربي مساندة صريحة ، وتحديد موقف صريح من مصالح اية دولة اجنبية لا تؤيد المطالب العربية المشروعة .

والمجتمعون مؤمنون أعمق الايمان بدور الكلمة العربية المسؤولة في هذه المعركة ، وهم واثقون من ان الادباء والشعراء والصحافيين العرب سيضطلعون بمسؤوليتهم على اكمل وجه في مشاركة الجماهير في الدفاع عن الحقوق العربية وحث اصدقائهم من ادباء العالم الاحرار والمستشرفين على المشاركة في دحض زيف الدعاية الصهيونية وشرعية نضال الشعوب العربية وعلى رأسها الشعب الفلسطيني لاسترداد الارض المغتصبة .

ويعتبر المجتمعون انفسهم مجندين بكل طاقاتهم الفكرية الى جانب رفاق السلاح البواسل ، وسيظل اجتماعهم مفتوحا لتقديم كل ما يتطلبه الموقف المصيري » .

وقرر المجتمعون ارسال البرقيات الآتية :

« سيادة الرئيس أنور السادات :

المثقفون اللبنانيون والعرب المجتمعون في لبنان يهتفون تحية لكم في قيادتكم لمعركة الشرف والتحرير ويعلنون تجندهم لخدمة المعركة بسلاح الكلمة المناضلة الى جانب الجندي العربي المصري البطل الذي يشق طريق النصر العربي العظيم » .

« سيادة الرئيس حافظ الاسد :

المثقفون اللبنانيون والعرب المجتمعون في لبنان يهتفون تحية لكم في قيادتكم لمعركة الشرف والتحرير ويعلنون تجندهم لخدمة المعركة بسلاح الكلمة المناضلة الى جانب الجندي العربي السوري البطل الذي يشق طريق النصر العربي العظيم » .

« الاخ ابو عمار :

نحن المثقفين اللبنانيين والعرب المقيمين في لبنان رفاق كمال ناصر وغسان كنفاني وسائر شهداء الثورة الفلسطينية نحيي دور المقاومة في حرب التحرير ونجند طاقاتنا لمشاركة ابطال الفداء في معركة المصير الكبرى » .

« جلالة الملك حسين :

نناشدكم وضع كل امكاناتكم في المعركة التي تخوضها الجيوش العربية الباسلة » .

ووقع البيان والبرقيات السادة : سهيل ادريس ، ادونيس ، نزار قباني ، احمد ابو سعد ، ناجي علوش ، انطوان فرنسيس ، منير

بعلبكي ، غسان شرارة ، انصاف الاعـور ، هنري الكك ، عارف الريس ، سمير الصايغ ، محمد بنجك ، بلند الحيدري ، نزيه هاشم ، احمد بهاء الدين ، كامل زهيري ، رياض طه ، السيد الفضبان ، حبيب نحولي ، نسيب نمر ، راجي عشقوتي ، رشيد ياسين ، علي ابو حيدر ، جاد الحاج ، حسن الطاهر زروق ، محمد كشلي ، وصال خالد ، سفيان الرمحي ، زهير هواري ، بكر الشرقاوي ، معين احمد حمود ، سمير تنير ، محمد دكروب ، منير العكش ، طلال سلمان ، عبد الرحمن منيف ، مازن البندك ، محمد عودة ، حلمي التوني ، رجاء النقاش ، اميرة الزين ، سامي الجندي، كاظم حطيط ، شربل داغر ، أليس حنينة ، حسن زبيب ، رجاء نعمة ، ميشال سليمان ، ميشال عاصي ، غالي شكري ، عايدة ادريس .

* * *

وباسم اتحاد الكتاب اللبنانيين وجه الدكتور سهيل ادريس الى الرئيس العراقي احمد حسن البكر البرقية التالية صباح ١١ تشرين الاول :

« اتحاد الكتاب اللبنانيين والمثقفون العرب في لبنان يحيونكم بحرارة على مشاركة قواتكم الباسلة في حرب التحرير والشرف مؤمنين بدوركم الكبير في المعركة » .

انسان عربي جديد

عبور الجندي المصري لقناة السويس واقتحام الجندي السوري لمرتفعات الجولان سيولدان انسانا عربيا جديدا . لن يكون هذا الانسان ، طبعا ، منقطع الجذور بماضيه وتراثه . ولكنه سيكون صاحب رؤية مستقبلية جديدة تتكون اولا من الوان الآلام الكبيرة التي عاشها الوجدان العربي من هزائم ربع القرن الماضي ، وثانيا من آفاق الاسهام الحضاري الذي ما انفك هذا الانسان العربي مدعوا الى المشاركة فيه .

لقد كان الاحساس بالهزيمة المتطاولة يؤدي في ضمير المواطن العربي الى ما يشبه الانسحاق العاجز . وخطوة الجندي العربي الجديدة ، مدفوعة بنداء الجماهير العربية من مثقفين وعمال ، ترد لهذا الانسان ثقته بالطاقة التي يملكها لخلق مجتمع جديد . ولن يكون نضاله القادم هينا ، بل سيكون موازيا لكل قسوة تحقق له لونا من ألوان النصر ، بقدر ما سيكون نصره صعبا ، سيكون نضاله لتحقيق امكانياته الذاتية طويلا وقاسيا حتى يضمن مستقبلا جديرا بذلك النصر وهذه الطاقة .

والانسان العربي سيتطور ويعمق ويشارك في هذا النضال ، رغم كل المعوقات وأصناف القعود والتخاذل ، ليصبح نموذجا كاملا للانسان العربي ، لان مصيره مرتبط جذريا وعضويا بالامة العربية كلها .

الاخبار
١٣ تشرين الاول

انسان سليم معافى

أعتقد ان بدء تحرير الارض العربية في سيناء والجولان من الاحتلال الصهيوني يعني بدء تحرير الانسان العربي من احتلال التخلف والانسحاق وعقدة النقص التي حرمته طوال ربع قرن من استغلال طاقاته لتحقيق ذاته .

وليس مهما ان يحرز العرب في هذه المعركة كامل النصر ، أو حتى ان يتعرضوا فيها الى هزائم وانتكاسات ، بل المهم ان الخطوة التي قاموا بها قد حققت لهم القضاء على عقدة النقص وردت لهم الايمان بقدرتهم على مواصلة النضال بعد ان بلغوا مرحلة اليأس او ما يشبهها .

ان الانسان العربي يولد اليوم من جديد ، وهو يولد سليما معافى ، وقد كانت العافية الروحية هي التي يفتقر اليها ليضع اساسا متينا لمجتمع عربي جديد يتمتع بمزايا المجتمعات الانسانية الحضارية .

النهار
١٤ تشرين الاول

نداء الى المثقفين في العالم

وضع الدكتور سهيل ادريس ، باسم المثقفين اللبنانيين والعرب الموجودين في لبنان ، نداء باللغتين العربية والفرنسية الى المثقفين الفرنسيين والاوروبيين ، أرسل الى الصحف الفرنسية والاوروبية ومكاتب الجامعة العربية في أوروبا . وفيما يلي نص النداء واسماء الكتاب الموقعين عليه : (1)

ان المثقفين اللبنانيين والعرب الموقعين يهمهم ان يؤكدوا ، مرة اخرى ، للمثقفين الفرنسيين والاوروبيين ، ان الحرب التي يخوضها العرب اليوم ليست ولا يمكن ان تكون الا حرب تحرير . ذلك ان الدول والشعوب العربية قد استنفدت ، كما اصبح معروفا ، جميع الوسائل لانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، ولكن حكام اسرائيل الذين يمثل موشى دايان الى ابعد حد روح التوسع والصلف والسيطرة لديهم ، قد رفضوا جميع القرارات الدولية والحلول المقترحة وواصلوا الاعتداءات والاستفزازات ، بحيث لم يجد العرب امامهم ، بعد انتظار مرهق طويل ، الا طريق الحرب لاستعادة ترابهم المغتصب ، واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني المشرد .

وها هي اسرائيل تلجأ اليوم ، في هذه الحرب المفروضة على الضمير العربي ، الى ضرب الاهداف المدنية والمستشفيات والمراكز الثقافية ، حتى ان ممثليها في الاوساط الدولية يجدون أنفسهم مجبرين على الاعتذار عن ذلك ، وهو عذر غير مقبول ، لان هذه الاعتداءات تتكرر كل يوم تقريبا . وهذا دليل جديد على ان هذه الدولة تتحدى كل الشرائع الدولية والقوانين الانسانية تبريرا لاستمرار احتلالها بدعوى حقوق تاريخية مزعومة تهدف الى توطين جميع اليهود في أراض تمتد من النيل الى الفرات .

ان الحرب المستمرة في العالم العربي منذ ربع قرن ، بسبب الاحتلال الاسرائيلي وتشريد الشعب الفلسطيني ، تحول دون ان ينصرف العرب الى تطوير مجتمعهم وتنميته والقضاء على مظاهر التخلف فيه ، وهي كلها أهداف يسعى المثقفون العرب الى تحقيقها . وليس العرب هم المسؤولون عن هذا الوضع ، بل المسؤول عنه الدول التي تشجع اسرائيل على العدوان ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية . وان المثقفين الفرنسيين الذين يؤمنون بالعدل والمساواة ويدافعون عن المثل الحضارية العريقة مدعوون ، هم وسائر المثقفين في العالم ، ان يرفعوا اصواتهم لدعم العرب في نضالهم من اجل حريتهم وسيادتهم على ارضهم وسعيهم الى احلال السلام العادل

(١) نشرته عدة صحف فرنسية منها « لوموند » و « لومانيتيه » و « لاكروا » .

القائم على وجوب الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وصيانة حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية ، وهـــذه هي الوسيلة الوحيدة لعودة الامن والاستقرار الى هذه المنطقة الهامة مـن العالم .

ان المثقفين اللبنانيين والعرب يهيبون بادباء فرنسا واوروبـــا ومثقفيها ان يدعموا الشعوب العربية في نضالها لتحرير ارضها وان يشجبوا اعتداءات القوات الاسرائيلية على الاهداف المدنية والمنـــازل الآمنة التي تتسبب في قتل النساء والاطفال والشيوخ .

ان هذه مسؤولية تقع على عاتق المثقفين الفرنسيين والاوروبيين الـــــذين دعموا في السابق نضـــال الجزائريين والكوبييـــــن والفيتنامـــيين ، ونحن نامل ان يضطلعوا بهذه المسؤولية التاريخية .

التواقيع :

كمال جنبلاط ، سهيل ادريس ، ادونيس ، خليل حـــاوي ، نزار قباني ، كامل الزهيري ، ابراهيم عامر ، رجاء النقاش ، ميشال سليمان ، ميشال عاصي ، احمد سويد ، احمد ابو سعد ، فـــؤاد الخشن ، محمود درويش ، موريس صقر ، كلوفيس مقصود ، غــادة السمان ، بشير الداعوق ، عبد الوهاب الكيالي ، منير بعلبكـي ، عبد المجيد الرافعي ، فريد جبران ، زاهر الخطيب ، فايز القزي ، فؤاد طحيني ، رياض طه ، غسان شرارة ، جبران مجدلاني ، سامية توتنجي ، مروان حمادة ، سمير فرنجية ، كريم مروة ، بهيج عثمان ، نخلة مطران ، ديزي الامير ، حبيب صادق ، محسن ابراهيم ، عايدة ادريس ، محمد كشلي ، صادق جلال العظم ، فواز طرابلسي ، محمد عطا الله ، قسطنطين زريق ، ناجي علوش ، منح الصلح ، سميـــر صايغ ، عارف الريس ، عصام محفوظ ، انسي الحاج ، شوقـــي خير الله ، البير منصور ، عصام نعمان ، خالدة سعيد ، محمـــد عودة ، حلمي التوني ، جوزف مغيزل ، باسم الجسر ، واثق أديب ، نقولا الفرزلي ، حلـــيم جرداق ، منى سعـــودي ، بول خوري ، ريمون جبارة ، وليد غلمية ، برج فازليان ، بول غيراغوسيــــان ، رفيق شرف ، رياض فاخوري ، غالي شكري ، امين الحافظ ، ليلى عسيران ، اميلي نصر الله ، محمد دكروب ، ميشال اسمر ، حسني المجذوب ، الياس شاكر ، نزار مروة .

نضال المثقفين

الحقيقة ان الثقافة العربية المعاصرة ليست قاصرة الارتبـــاط بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ونتائجه وتفاعلاته ، بل هي مرتبطـــة بكل صراع عالمي وشديدة الاهتمام بجميع معارك التحرر في العـالم . ذلك ان صراع العرب مع اسرائيل ليس الا جزءا من معركة التحـرير العالمية ، هذه المعركة التي تتواجه فيها القوى النامية مـــع قـوى الاستعمار والاستغلال .

من هنا تاتي النظرة الشمولية للمثقف العربي ، ومن هنـــا كانت ثقافتنا المعاصرة تعبيرا عن نضال المثقفيـــــن ، على اختلاف الوانهم ، ضد الصهيونية والاستعمار ، وكذلك ضد الظلم والقهـــر والاقطاع والعبودية .

والسؤال المطروح هنا : هـــل ثمة واجبات تترتب على المثقف العربي في هذه المرحلة ؟

لسنا من المؤمنين بعبارة « واجبات المثقف » ، فهي توحـي بان هناك (الزاما له) بان يقوم بعمل ما ، او بنشاط معين . والحـــق ان الكاتب يفقد كل قيمته اذا فرض عليه توجيه ما من خارج ذاته . ان الكاتب الحقيقي « لا يلتزم » الا بضميره ووعيه . وهـــذا الضمير هو جزء من ضمير شعبه ، وجزء من وجدان الامة . فلئـن عاش الكاتب هذا الوجدان ، فان نتاجه سيكون حتما نابعا من الشعب ومنصبا فيه .

واذا كان الكاتب العربي الصادق قد التزم قضية شعبه منذ بدء الصراع كلها ، بمعنى ان الكاتب الملتزم لا يكون فحسب منفعلاً بالحدث من ان يظل على التزامه هذا في المرحلة الجديدة من هذا الصراع : ان انتاجه سلسلة متصلة تعبر عن تطور الوجدان الشعبي عبر مراحل الصراع كلها ، بمعنى ان الكاتب الملتزم لا يكون فحسب منفعلاً بالحدث الراهن من حيث التعبير والتصوير ، بل هو بوعيه العميق، يستشرف الآتي ويرهص بالمستقبل .

من هنا يكون عمل هذا الكاتب ، مهما تغيرت الاحداث في محيط مجتمعه وتناقضت ، كلا متكاملا مترابط الاجزاء ، معبرا عن الحـاضر والمستقبل معا .

من اجل ذلك نعتقد ان المثقفين العرب الذين اخذوا ، بعـــد هزيمة حزيران ، يصورون ازمة الانسانالعربي بانها ازمة «حضارية» ، يقفون اليوم في طريق مسدود ، لانهم لم يعوا وعيا عميقا حقيقـــة هذا الانسان العربي الذي يخرج اليوم ، في المعركة الناشئة ، انسانا سليما معافى لا يعاني اي تخلف حضاري .

هذا الانسان لم يكن في الحقيقة يعاني الا انسحاقا من ضغوط الاستعمار والقهر والرجعية ، وهي كلها طبقات خارجية لـــم تمس « روحه » باي اذى .

وفي الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ظلت هذه الروح نقيـــة غير ملوثة ، والمثقفون الحقيقيون هم الذين يدركون هذه الحقيقـة ، فيعبرون عنها في انتاجهم تعبيرا ينم عن ان « العربي » قد يصـــاب بالهزائم ولكنه لا يستسلم ، وقد يعاني الازمات ولكنه لا يخضع لهـا ولا يياس .

هؤلاء المثقفون يواصلون اليوم طريقهم في التعبير عن حقيقـــة الانسان العربي ، ولن يكون انتاجهم في تصوير انتصارات هـــذا الانسان ، في هذه المرحلة الجـــديدة من صراعنا مع الصهيونيـــة والاستعمار ، الا تتمة لانتاجهم السابق الذي كان يعبر عن ايمانهم بان هذا الانسان كان دائما « حضاريا » ، بالرغم من عصـــور التخلف والانحطاط ، وانه مدعو ابدا لان يلعب دوره الهام في الحضـــارة الانسانية الجديدة .

الانوار
٢٢ تشرين الاول

المقاتل يقرأ للمقاتلين

اجرت رنيه فرنكودس مـــع رئيس تحرير « الآداب » المقـــابلة التــالية :

☐ دكتور ادريس ، بصفتك امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين، هل لنا ان نعرف ما هو الدور الذي قام او يقوم به اتحاد الكتـــاب في الظروف الحالية ، وبالتالي ما هي الخطوات الفعلية ؟

● في العامين الماضيين كان اتحاد الكتاب اللبنانيين ذا حضور واضح في مختلف المناسبات الوطنية والقومية . وكان صوته مـــن الاصوات الرصينة الواعية في القوى الوطنية والتقدمية في لبنان والعالم العربي ، وقد اصدر كما هو معروف ، الكثير من البيـــانات التي تعبر عن رأيه في الاحداث تعبيرا ينسجم مع مطامح الجمـــاهير اللبنانية والعربية ، ولا شك في ان موقفه من حركة الطلاب والمثقفين والصحافيين المصريين جزء من اهتماماته بقضية المعركة التي تخوضها جميع القوى الواعية في الوطن العربي ، وحين اعلن الرئيس انـــور

السادات وقف المحاكمات عن الطلبة واعادة الصحافيين والكتاب المصروفين ارسل اتحاد الكتاب برقية يحيي فيها هذا الموقف الذي يتيح للمثقفين المصريين فرصة الاستمرار في المشاركة في المعركة . وكذلك فحين قامت الحرب الاخيرة في ٦ تشرين ١٩٦٣ بادر الاتحاد الى القيام بدوره وواجبه فدعا جميع المثقفين اللبنانيين والكتاب والصحافيين العرب المقيمين او الموجودين في لبنان الى لقاء عاجل ، حضره في دار نقابة الصحافيين زهاء مئة اديب وشاعر وصحفي . وعرضنا في هذا اللقاء رؤية سريعة لما يستطيع الكتاب القيام به في هذه المعركة ، وتقدمنا بجملة اقتراحات تنبع كلها من ايماننا بالتعبئة الفكرية والمعنوية والتهيئة النفسية لحرب التحرير ، وكان بياننا واضحا في هذا الاتجاه ، كما ان برقياتنا الى الرؤساء كانت هتاف تحية لخوضهم هذه المعركة التي يتشوق اليها الانسان العربي منذ ربع قرن ليستكمل تحقيق امكاناته .

□ ماذا تظنه يستطيع الاديب او الفنان ان يفعل في زمن الحرب ؟

● مهمة الكاتب في الدرجة الاولى هي ، حسب رأيي ، ان يكتب بوحي من ضميره عما توحيه له الاحداث وما يستشرفه من مستقبل ، وقد دعونا الى ان يجند الكتاب أنفسهم للكتابة والانتاج في هذا الاتجاه . والحقيقة انه ليس مهما ان ندعو ، فالكاتب الملتزم لا بد من ان يستجيب لنداء وجدانه اذا كان يعيش حقا قضية شعبه وأمته . وانما كان المقصود من دعوتنا ان نجمع جهودنا في الدعوة الى حشد القوى والطاقات المعنوية . وقد حدث ان ادرك الصديق غسان شرارة ما في هذه الدعوة من صدق وعمق وضرورة فأعلن استعداده لان يضع بتصرف واشراف اتحاد الكتاب اللبنانيين ملحقا يوميا عن « البلاغ » اقترحنا له عنوانا (جريدة المعركة) ونأمل ازالة العوائق التي قد تعترض تحقيق هذا المشروع الهام . وبهذا سيتاح للكتاب اللبنانيين واخوانهم العرب ان يقوموا بدور هام في هذا الميدان هو دور الحداء للمعركة ولابطالها من الجنود العرب .

□ كف يتبلور جهد الكتابة هذا ، وما هي الموضوعات التي يطرحها ؟

● هذا يتعلق بالرؤية الخاصة للمعركة لدى كل كاتب وفنان ، فهناك مثلا من يود التأكيد على أهمية البدء بهذه المعركة واعتبارها خطوة خلاص بالنسبة للانسان العربي ، بمعنى ان الاستمرار في المعركة هو الواجب الاكبر الذي يدعو اليه ، والداعي الى هذه الفكرة من الكتاب يتصور دون ريب الضغوط السياسية والعسكرية سواء تجلت في قرارات تتخذها الامم المتحدة او مجلس الامن ، او في تهديدات من قبل اساطيل الدول الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة .

انني شخصيا اعتقد ان الجندي العربي الذي عبر قناة السويس يؤمن أعمق الايمان بأنه لن يتراجع ولن يقف الا حين يبذل روحه ، وهو يبذلها لياتي بعده من يكمل مسيرته ، وهذه التضحية والفداء ليسا في التحليل الاخير الا رمزا لارادة التقدم ، فاذا تخيل الكاتب هذا البطل في ميدان المعركة فسيتبنى قضيته التي يدافع عنها بالسلاح والروح وسيدعو الكاتب الى الدفاع عنها بقلمه . وهنا تندمج البندقية بالقلم ويتجلى دور الكاتب الحقيقي . واعتقد انه في الاحداث والتفاصيل والصور التي تنشرها الصحف وتذيعها التقارير مادة غنية جدا يستطيع الكاتب او الشاعر ان يستوحيها للانتاج ! كأن يتناول كاتب او شاعر قصة بطولة في الميدان فيجسدها في عمل فني يشكل جزءا من ادب المعركة . وهكذا من جهة ثانية ، يكون دور الاديب هو انتاج وثيقة تاريخية او شهادة صادقة عن هذه المعركة وهذه الفترة من حياة الامة .

□ في الآداب العالمية نماذج لادب الحرب ، وكان احدثها أدب الحرب الفيتنامية .. في هذه الآداب يتوجه الادباء والفنانون الى جبهات القتال ليعيشوا ويكتبوا ويقدموا فنهم لجماهير الجنود . فهل ترى ان الادباء العرب يستطيعون القيام بهذا الدور ، خاصة وان ادب الحرب الجزائرية نموذج عربي تحقق بالفعل ، ام ان على الاديب ان يكتفي بما تنشره الجرائد والمجلات والاذاعات ؟

● هناك كثيرون من الادباء العالميين عاشوا في جبهات القتال وأنتجوا ادبا عظيما بوحي مما عاشوه ، مثلا همنغواي ، نيرودا ، ومالرو وسواهم ، ونعتقد ان فرصة الحرب الحقيقية التي يخوضها العرب اليوم هي فرصة ذهبية تتاح للكتاب العرب الملتزمين . ولا ريب في ان الكثيرين منهم يتمنون ان تتحقق لهم هذه الفرصة لكي يعيشوا فترة مع الجنود في الجبهات ، لا سيما وان هذه المعركة مدعوة الى ان تكون طويلة . وأسمح لنفسي هنا ان اذكر اني بايمان من هذه الفكرة سبق لي ان عشت بضعة ايام مع مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين في الاغوار وكتبت بعد ذلك مسرحيتي « زهرة من دم » ، اذكر ذلك لأؤكد بأن معايشة الاديب للمعركة امر لا غنى عنه حين يأخذ هذا الاديب على عاتقه ان يكون شاهدا صادقا لقضايا أمته .

□ هل ترى أن الادب العربي الحديث قد مهد الوجدان العربي لهذه الحرب ؟

● لا شك في ذلك مطلقا ، فان ما أنتجته هزيمة حزيران ٦٧ من أثر في النفس العربية عكسه أدبنا الحديث بصورة واسعة وعميقة ، ولقد صدرت آثار عديدة في القصة والرواية والشعر وكلها تنقل بصدق وعمق الحزن الذي خلفته الهزيمة ، وحين يكتب نزار قباني مثلا « هوامش على دفتر النكسة » او حين يكتب احمد عبد المعطي حجازي « مرثية للعمر الجميل » ويكتب محمود درويش « سرحان يشرب القهوة » وأدونيس « عن حرب الطوائف الجديدة » فانما يستلهمون جميعا موضوعاتهم من هزيمتنا ، وحين يقرأ العربي هذه الاعمال ويحزن لما صار اليه الانسان العربي من مذلة وهوان ، فان وجدانه يختزن ردا بالغا يتكون من الرفض لوضعه والتشوق الى عمل يزيل به شعور العار هذا او عقدة النقص . والجندي العربي قارىء من هؤلاء القراء ، ولا بد من ان يتاثر بالغ التأثر لهذه الصورة التي يقدمها الاديب ، وهكذا يكون التفاعل بين الكاتب والقارىء والجندي ، وفي الانتاج القصصي الذي كتبه كثيرون من القصاصين العرب بعد ٥ حزيران امثال : سليمان فياض ، زكريا تامر ، غادة السمان ، محمد خضير ، صلاح عيسى ، عبد السلام العجيلي وغيرهم تفريغ للذل وتفتيح للوعي والوجدان العربي ، ولا ننسى في هذه اليقظة الاعمال المسرحية التي شاهدناها في بيروت او دمشق او القاهرة او بغداد لكتاب مسرحيين امثال سعد الله ونوس ، علي سالم ، عصام محفوظ ، ومحمد الماغوط وسواهم .

□ في رأيك ، هل في تراثنا من ادب عربي ما يفيد في شحن الوجدان العربي اليوم وخاصة في الشعر ؟

● في تراثنا الادبي العربي صور كثيرة لاثر الحروب والحركات الثورية ، ولكن طبيعة المعارك القديمة قد لا تجعل هذه الآثار صالحة للاستيحاء ، وربما كان من الافضل لادبائنا المحدثين ان يستلهموا البطولات العربية القديمة كرمز لشجاعة المقاتل العربي وبسالته ، وتغير طبيعة المفهوم الادبي والتاثير الفني يجعل من الصعب ان نبحث او ان نلتمس في تلك الآثار الادبية القديمة ما يفيدنا اليوم ، فربما كانت همسة صغيرة عن حادث بطولي في احدى معاركنا اليوم اعمق تأثيرا في نفس القارىء من قصيدة تجلجل بها القوافي والابيات . اقصد الى القول ، ان مقومات الفن في الانتاج الحديث تختلف عنها

في الانتاج القديم من حيث الايحاء والتصوير والتقنية الفنية . على اننا لا ننسى هنا نتاج عدد من الشعراء المناضلين الذين كانوا رواد الشعر النضالي والمقاوم في القرن العشرين ، هؤلاء لا يمكننا ان ننسى اشعارهم التي ستبقى تبعث فينا الحب والحماسة والتمجيد .

□ دكتور ادريس ، كيف تتصور ان يكون الانتاج الادبي في اثناء هذه المعركة او بعدها ؟

● الواقع انه يصعب على الاديب او الفنان ان ينتج اثرا فنيا ناضجا ومتكاملا في اثناء المعركة ، وما قد ينتجه في هذه الفترة يكون اقرب الى الانطباعات منه الى العمل الفني الخالص ، والحقيقة ان معظم الآثار الادبية الناضجة انما تكتب بعد انقضاء الحدث ، على ان النضج الفني اذا اتيحت له فرصة زمنية ونفسية طويلة فانه سيتوفر في الانتاج الادبي المقبل ، لذلك نتوقع ان يشهد ادبنا العربي الحديث اثارا هامة بعد هذه المعركة المصيرية التي تخوضها الشعوب العربية لا سيما اذا طالت هذه الحرب .

البلاغ
٢٢ تشرين الاول

بيان حول الحرب ..

بعد وقف اطلاق النار وقبول مصر وسوريا به ، اشترك الدكتوران سهيل ادريس وأدونيس ومحمود درويش في وضع البيان التالي الذي وقعه عدد من الكتاب :

« نحن المثقفين اللبنانيين والعرب الموقعين ، نعبر عن تقديرنا العظيم للتضحيات البطولية التي قدمتها مصر وسوريا وجيشاهما الباسلان في هذه الحرب الهادفة الى تحرير الارض المغتصبة ونحيي الوحدة التي تجلت حول هذا الهدف بين العرب جميعا ، شعوبا وجيوشا . والواقع ان هذه الوحدة ، مدعومة بقوى التقدم والحرية والاشتراكية في العالم ، ادت الى اجبار اسرائيل على القبول بالانسحاب الى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، مع تحذيرنا بأن هذا القبول قد يبيت غدرا لم يكن العدو يوما بعيدا عنه . وقد كانت الشعلة الثورية التي تمثلها المقاومة في اصل تلك الوحدة .

ونحن اذ نعتبر ان المقياس الاول لسلامة اي عمل عربي في هذه الفترة بالذات هو تعزيز وحدة الارادة العربية ووحدة النضال العربي، وتجنب كل ما يمزق هذه الارادة وهذا النضال ، صادرين في ذلك عن ايماننا العميق بطاقة الشعوب العربية وقدرتها على مواصلة الكفاح الذي يصون سيادتها على ارضها ومصيرها ، نؤكد انه ليس في مقدور اية قوة او تسوية ان تمنع استمرار هذه الطاقة ونموها لتحقيق التحرر الكامل من الصهيونية والامبريالية ، او تخمد اللهب الذي اختزنته جماهير الامة العربية والشعب الفلسطيني طوال ربع قرن وأطلقته المقاومة » .

سهيل ادريس ، أدونيس ، منير بعلبكي ، خليل حاوي ، شفيق الحوت ، محمود درويش ، ابراهيم سلامة ، ميشال سليمان ، الياس شاكر ، موريس صقر ، منح الصلح ، رياض طه ، ميشال عاصي ، احسان عباس ، نزار قباني ، محمد كشلي ، كريم مروة ، جوزف مغيزل ، كلوفيس مقصود .

الكلمة في المعركة

أجرى عاصم الجندي ، المحرر الثقافي لمجلة « الدستور » اللبنانية اللقاء التالي مع الدكتور سهيل ادريس وبلند الحيدري :

كان موضوع الجلسة : هناك ثلاث مراحل : ما قبل المعركة ، واثناءها ، وما سيتلوها . فما هو دور الاديب والفنان في كل منها ، وخاصة على الصعيد المستقبلي ؟

وقد بدأ الحديث الشاعر الحيدري بقوله :

اعتقد بأن المثقف العربي ، والمتمثل في الدرجة الاولى بالشاعر والكاتب ، لم يلعب بصورة عامة دوره كما كان يجب ان يلعبه . وربما السبب الرئيسي في ذلك يعود الى ضيق ادراك الشاعر والكاتب للطبيعة السياسية القائمة وراء الاشياء . فمهمة الاديب في مرحلة كهذه ليست اثارة الحماسة . فكثيرا ما تكون الحماسة للقضية خالية منمواكبة حقيقية للفعل ، كما حدث في ادبنا قبل ٦٧ . وكان اثر ذلك سيئا جدا لاننا استعضنا عن ساحة القتال على الارض بساحة قتال تقوم على المفردة وبيت الشعر . ونمنا في هذه الساحة سنوات حتى كانت الـ ٦٧ .

وفي هذا العام حدث تحول معاكس . صار الادب ، كل الادب ، عبارة عن جلد ذاتي مبالغ فيه ، على مرأى من التاريخ والعصر . فنحن متهمون بالجبن تارة وبالخيانة تارة . ولم يوضح الاديب حقيقة التجربة التي مرت بها الامة ، حتى كدنا بالفعل نصل الى هذا الحس بالادانة والتهمة . وبأننا بالفعل أمة متخلفة . ولاسرائيل أن تعيش بما عكس علينا من ادعائية التقدم ، في الساعة التي يعرف الاديب جيدا بأن اسرائيل تقوم على عنصرية من القرن الحادي عشر .

وما نريده اليوم من الاديب هو ان يعيش واقعه سياسيا ، لا شاعرا تخدعه الصورة وتجره وراءها الكلمة الرنانة ، بل الوعي الكامل لكل جوانب المعركة . ولكي يدرك هذا الواقع ، عليه ان يعايشه معايشة أصيلة وبالتزام كامل . والا سنضخم النصر حتى يبتلعنا ، ولا يعود لنا وجه في نصر قادم ونصر بعده . انني اتهم كل أدبنا الماضي الذي خدعنا . لقد اوسعونا جلدا ، تحديث المستنقعات والجيف ، وصوروا شعبنا على انه دون الشعوب قاطبة ، وانه بلا حضارة . وأعتقد ان على الكثيرين ان يراجعوا حساباتهم من جديد ، وفي ضوء وعي وادراك سياسيين ضروريين .

وقال الدكتور ادريس :

أعتقد ان صديقي بلند الحيدري كان في رأيه حاسما وقاطعا اكثر مما ينبغي . وانا أصلا اؤمن بأن كل نتاج ادبي انما هو محصلة التأثير الاجتماعي على وجدان الكاتب . من هنا عدم استطاعتنا الحكم على انتاج ما بانه حتما مزيف او صادق . فاذا كانت نكسة ٦٧ قد أنتجت أدبا يتحدث عن انسحاق الانسان العربي او حتى عن اكتناف الشكوك للقدرة العربية أو حتى عن الارتياب بأن تكون هذه النكسة نتيجة أزمة حضارية يعانيها الانسان العربي ، كما كتب بعض الكتاب والشعراء ، فان كل هذه الآراء والافكار تندرج في الانتاج الادبي العام وتكون موضوعا للمناقشة وليس للادانة . على ان هناك كثيرا من الاصوات الادبية التي ارتفعت شعرا ونثرا وقصة ومسرحا ، للدفاع عن أصالة الانسان العربي وتبيان ان هذه النكسة التي أصيب بها ، قد لا تكون الا قشرة خارجية لم تمس نقاء نفسيته وبراءة روحه . ولست بحاجة الى ذكر أمثلة على هذا الانتاج . من هنا الاعتقاد بتكامل الازمنة الادبية وتسلسلها في تاريخ النتاج . ومن هنا ايضا عدم ايماننا بتقسيم الانتاج الادبي الى مراحل حاسمة تقوم بين الواحدة منها والاخرى سدود قاطعة . ولذلك نستبعد ادانة فترة معينة من الفترات الادبية ، او انتاج معين ، حين يوصف بانه تعبير لا واع عن مرحلة نفسية معينة .

وعبارات مهمة الاديب وواجب الاديب ، أصبحت عبارات لا تصور حقيقة مطامحه . فاذا كان الاديب عائشا قضية مجتمعه فانه سيعرف دوره تماما ، وسيلتزم بقضاياه من غير ان ينتظر من يدله على دوره ،

او يلزمه بواجبات معينة . ولذلك فاننا نعتبر الانتاج المقبل الذي ستشهده الفترات المستقبلية تتمة للانتاج السابق وجزءا مكملا من كل تام ، يشكل تيار الادب العربي كله .

ورد بلند الحيدري قائلا :

على الرغم من أن الدكتور الصديق سهيل ادريس وضعني في كلمته في الجهة التي بدت وكأنها متناقضة معه ، فانني أرى ثمة اتفاقا قائما بيننا . وعلى الاخص عندما نخص بمقطعه الاخير مهمة هذا الاديب الذي يحمل هموم أمته . وهذه هي النقطة التي أكدت عليها . فالادب في نظري لا بد من ان يقوم على اساسين : الاول منهما هو هذه المعايشة اليومية الحياتية لهموم الناس . والاساس الثاني هو تطلع الامة في الهدف . وما لم يكن هذا التطلع يحضر حضورا كاملا ، يقع الادب في شرعة المبادرة الهشة وتغيب عنه أبعاد القضية ككل . ولا شك ان الكثيرين من ادبائنا وقعوا في هذا الاشكال ، والذي دفع بهم حينا الى الايغال في الادب العدائي للانسان - وهو الادب التجريدي - والذي يقول عنه المصنفون الاوروبيون بانه ضد الطبيعة الانسانية ، وانه نوع من السقوط في الداخل ، عبر هذيان متواصل يفترض الفهم وسيلة عتيقة للاتصال بالناس .

وقد طفت الى حد ما موجة هذا الادب ، وتسطحت على مجالات كثيرة . جانب ادب آخر ، هو الادب الذي ينقل الواقع الفعلي للحياة ويعكس هموم الناس ، ولكن لا يملك الكفاءة الواعية لان يخرج بهذه الهموم الى غدها الاكبر . ان الشاعر الفيتنامي ، بقدر ما يصور مأساة الامة الفيتنامية ، تكبر قصيدته في التطلع الى الهدف . ومن هنا قام أدب يتمثل فيه جانبا القضية : كفاح الشعب لتغيير واقعه ، والهدف من هذا التغيير . هذا الادب لم نجده الا في قلة من الادباء المدركين واقعهم الاجتماعي والسياسي ادراكا شاملا ، وعلى رأسهم الدكتور سهيل ، الذي بشر بهذا الادب ، وأوقف كل فترات حياته الاخيرة ليتنادى الى تأكيده .

الدكتور ادريس :

أعود الى التركيز على نقطة واحدة . وهي ان التاريخ او التاريخ الحقيقي للادب ، التاريخ الصادق ، لا يستطيع ان يهمل اي تيار من التيارات الادبية التي تطبع فترة ما . ولذلك فنحن نستقبل جميع هذه التيارات دون ان يكون من اللازم حتما قبولها . هناك محك أول، ومرجع أساسي لاهمية هذا الانتاج وهو القارىء . فاذا كان هناك كتاب او شعراء تجريديون يبعدون القضايا العامة عن اطار انتاجهم ، فان القارىء هو الذي سيبعدهم من اطار اهتمامه . ويقبل بالتالي على ذلك الكاتب او الشاعر الذي يعبر عن همومه الحقيقية ، ويحاول ان يلتمس لها منافذ . واخشى ما يخشاه الادب الاصيل ان يجد الكاتب نفسه ملزما بان يتكلم فقط عن هموم قد لا يحسها في اعماق ذاته .

اننا نريد أدبا أصيلا يجمع الى صدق التجربة الانسانية صدق التجربة الفنية . واذا كنا ناخذ على بعض ألوان من الادب التجريدي مآخذ كثيرة ، فاننا ناخذ مثلها على بعض الادب الملتزم ، الذي يضحي احيانا بالمطلب الفني من اجل التعبير المباشر ، الذي لا يبقى طويلا في النفس . أريد ان اعرج على اشارة الاستاذ بلند ، فيما يتعلق بادب النضال او ادب القتال في الانتاج الفيتنامي . فاذا كان هذا الادب قد اثبت وجوده ، وذلك على أهميته في الانتاج الحديث ، كأدب قتال ونضال ، فلانه كان هناك قتال ونضال .

ان الاديب الفيتنامي قد استطاع ان يصور البطولات عبر الفواجع والمآسي الفيتنامية ، لانه قد عاش هذه البطولات وشاهدها . ولعله قد شارك في بعضها . اما نحن فنستطيع ان نؤكد ان الانسان العربي حتى ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ لم يقاتل بعد . (يعلق بلند بقوله : وان كان قد كافح من اجل القتال) ، لم ينصهر بنار المعركة ، لم يقتل كما يجب ان يقتل البطل ، لانه لم يتح له ان يخوض حربا حقيقية . من هنا ايماننا بان هذا القتال ، اذا استمر فترة كافية من الزمن ، ونحن نامل املا عميقا بان يطول هذا القتال ولا ينقطع بفعل التسويات الدولية ، فانه حين يخلق انسانا عربيا جديدا ، يخلق ادبا عربيا جديدا .

☐ القتال ، الكلمة المقاتلة ، ما هي امكانية الاديب للزج بها أو بنفسه في غمار المعركة ؟

فاجاب بلند الحيدري :

أعتقد أن الكاتب العربي والشاعر العربي هما بالاصل جزء من كيان الامة . ويترتب عليه ما يترتب على اي مواطن آخر ، بالمشاركة الى أقصى ما يستطيع أن يشارك . فان سمحت له سنه بأن يرفع السلاح فليرفعه ، الى جانب القصيدة التي يحملها في جيبه . وبلا شك ان هذه العلاقة القائمة بين البندقية والكلمة مستمدة بجهد رائع لخلق ادب عاش التجربة من كل ابعادها . واذا لم تسمح له سنه وظروفه بذلك ، فليفتح كل مجال ، فأمامه للمشاركة العظيمة في ما يطور هذه المعركة لصالح الامة . ولنا من كلمة توفيق الحكيم الاخيرة قدوة حسنة في هذا المجال . اذ انها تفسح في امكانات مجالات اخرى للتعبير عن رغبة في تطوير المعركة واسنادها ..

وعلق الدكتور ادريس بقوله :

الواقع ان كلمة توفيق الحكيم ، على احترامنا الكبير لهذا الكاتب المبدع ، هي أقرب الى اللطف واللباقة منها الى المعالجة العميقة . لاننا اذا تعمقناها فقد نستنتج منها تقليلا من شان الكلمة المناضلة . ونحن نعتقد بأن الكلمة المناضلة اذا استطاع صاحبها ان يحملها شحنة الصدق والعمق ، فانها لا تقل أهمية وتأثيرا عن الرصاصة الفاعلة . والكاتب ليس من الضروري ان يعيش حالة المقاتل ليعبر عن بطولات المقاتل . انه بنفاذ بصيرته وعمق وعيه ، يستطيع ان يجسد القتال في تعبيره وكلمته تجسيدا عظيما يوحي بأنه هو نفسه قد عاش حالة القتال هذه .

هذا لا يعني طبعا اننا ننكر اهمية التجربة الحية اذا أتيح للكاتب ان يقوم بها . ولكن هناك كثيرا من الشعراء والكتاب الذين ناضلوا بادبهم دون ان يشاركوا بعمل قتالي محسوس .

قال الشاعر الحيدري :

لولا استدراك الدكتور ادريس الذي ختم به كلامه الاخير ، لذهبت غير مذهبه . فكل الغاية التي رمى اليها توفيق الحكيم ، هي تأكيد هذه المعايشة ، والتي بلا شك ستمد ادبه بدم جديد ، أكثر زرقة من دم تخيلاته للاشياء . وقد علمتنا المعاناة دائما ان نتلمس هذا الجرح الذي تفتحه في عمق الانسان . ولنا من أدب المقاومة أمثلة عدة . فما اكثر ادبائنا الذين تشبهوا بادباء المقاومة ونسجوا على منوال قصائدهم وقصصهم ، وسقط أغلبها . لان المعاناة الحقيقية لم تكن متوفرة كما كانت عند الشاعر المقاوم والاديب المقاوم . وظل لمحمود درويش ما يميزه في هذا المجال عن الكثيرين ، ومنهم أنا ، بعمق احساسه وبعد كلمته والجرح الذي يخضبها . وربما ينعكس هذا الامر حتى على محمود درويش نفسه ، رغم ايمانه بأن تجاربه الاخيرة اكبر واوسع . ولكنها دون ما قاله ايام معاناته الحقيقية في هذا المجال . وما زلت أهتز لتلك المواقف المنبثقة في قصائده السابقة اكثر مما انسجم مع محاولاته الاخيرة .

وقال الدكتور ادريس :

المهم ان تكون هناك معاناة . والمعاناة ليست بالضرورة في موضوعنا هذا معاناة العمل القتالي . لان المعاناة النفسية التي تعبر عميق التعبير وأصيله عن وضع المقاتل ، هي ايضا اصيلة وعظيمة .

قد يكون هناك مقاتل يعاني ولكنه يفشل في التعبير عن معاناته . وقد يكون هناك أديب لا يعاني العمل القتالي بذاته ، ولكنه ينجح في التعبير عن معاناة المقاتل . الاصل اذن صدق المعاناة واصالتها وعمقها .

بلند الحيدري :

انا مع الدكتور الا في شيء واحد . وهو انه وزع التجربة على اديبين مختلفين في المستوى ، بينما انطلقت في تحليلي الى اديب واحد بالذات . وأشرت اليه باصبعي . فبالنسبة الى هذا الاديب والى كل اديب على مستواه ، لا شك بأن المعاناة الحقيقية للتجربة ستزيدها عمقا . اذ يبقى دائما ثمة فاصل ما بين تصور الشيء وما بين تحسسه . فانا مهما تخيلت ألم الجرح الذي في يدي ، تحده الرأفة الداخلية على نفسي من المبالغة في أله . بينما الواقع ليس كذلك .

سهيل ادريس :

خذ الروائي المبدع الاصيل مثلا . انه يستطيع ان يعيش كل تجارب أبطاله ، حتى ولو لم يعش احداث هؤلاء الابطال . هنا تكمن أهميته وأهمية الادب الذي يستطيع أن يخلق ابطالا واقعيين اكثر من الواقع ، وصادقين اكثر من الصدق اذا كان يملك بالفعل اداة الخيال المجنح والحس الانساني العميق .

بلند الحيدري :

أيضا — وكمسالم — أتفق مع الدكتور سهيل . ولكنني أذكر بأن همنغواي ، كان يحمل نفسه من تجربة الى اخرى ليزداد بها عمقا .

☐ لنعد الى المعركة .. أعرف ان اتحاد الكتاب اللبنانيين ، قام بعدة نشاطات حتى الآن ، وهو يخطط لغيرها . فما هي رؤيتكما للمقبل القريب ؟

سهيل ادريس :

في الواقع ان كثيرين من الكتاب والشعراء ، قد تجندوا في هذه الفترة لمسايرة المعركة الشريفة التي يخوضها العرب ، بانتاج يراوح بين العمق والسرعة . ولكنه دليل احساس صادق ووعي صادق ايضا بأهمية هذه المعركة في تاريخنا . على ان الانتاج الحقيقي ، ذا القيمة الباقية في التعبير عن هذه المعركة ، لن يأتي الا بعد فترة ينضج فيها الاحساس بقدر ما ينضج التعبير . واذ ذاك يكون هذا الأثر هو الشهادة الصادقة ، والوثيقة الموثوقة عن مشاركة الفكر والادب بمعركتنا الحالية .

بلند الحيدري :

بنظري ، وانطلاقا من مفهوم يؤكده علماء النفس في كون الاديب يكتب لقارىء يحمله في ذهنه ، فهذا القارىء عبر المنعطفات الخطرة ، وساعات القتال ، يتبلور في شخصية الفرد البسيط المقاتل المتحمس لقضيته . وهذه المخاطبة ، بلا شك ، غيرت لغة الكثيرين من ادبائنا . فبعد ان كان هم بعضهم مخاطبة أنفسهم . صار همهم يحمل رغبة في الايصال والتعبير . وهو تحول كبير عند هؤلاء الادباء الكبار . ان طبيعة ايام الحروب هي في امكانيتها على كسر القشرة التي يغلف الاديب احيانا نفسه بها كما يقول بليخانوف . فتندفع به الى الخروج من ذاتيته الخاصة الى ذاتيته العامة ، المتمثلة بوعيه ذاته وامته ومصيره . هذا الادب أحس بأنه يولد وان مخاضه على كثير من الجدية والصدق .

سهيل ادريس :

سيعمق انتاج الاديب العربي ، ويسجل صفحة رائعة من تاريخنا الادبي ، بقدر ما يطول قتال الجندي العربي ، ويسجل في ساحة القتال المزيد من الانتصارات .

* * *

ورغم ان القتال لم يستمر ، بعد ان خضعت اسرائيل للقدرة القتالية العربية ، وأسرعت للقبول بوقف اطلاق النار ، لكن موضوع « الاديب والمعركة » ليس بالموضوع الطارىء ، ويجب ان تستمر مناقشته ومعايشته من زوايا هذه المعركة والمعارك الاخرى التي يعيشها الناس كل يوم .

الدستور
٢٩ تشرين الاول

احتفال باكتوبرين *

تحية من اكتوبر العربي المجيد ، الى اكتوبر السوفياتي العظيم !

أجل أيها السيدات والسادة ! اسمحوا لنا اليوم ان نحتفل باكتوبرين ، كلاهما عزيز على قلوبنا ، رفيع المنزلة في نفوسنا !

كم هي متينة علاقة اكتوبر العربي باكتوبر السوفياتي ! يكفي انها قبل كل شيء علاقة ثورة بثورة !

ذلك ان ٦ اكتوبر العربي هو ايضا في اعتقادنا ثورة ! فان العبور الذي تم في ذلك اليوم ، انما هو في المقام الاول عبور من الذل الى الثورة ! من الذل الذي تجاوز ربع قرن من الزمن الى ثورة عربية عارمة انفجرت في السادس من اكتوبر على شاطىء السويس وعند مرتفعات الجولان وانتشرت شرارتها الى كل نقطة ماء وكل حبة تراب في وطننا العربي كله !

وفي هذه الثورة العربية المحررة والمطهرة ، كم دعمت الشعوب السوفياتية الشعوب العربية ، كم دافعت عن حقوقها ، كم ناصرتها بكل وسيلة وأمدتها بكل مساعدة ، بل كم بذلت لها من التضحيات على حساب رفاهيتها في كثير من الاحيان !

ومهما حاول المزيفون والمزورون ، فانهم لن يستطيعوا ان ينسوا الجندي العربي البطل ان يده القوية التي تقاتل انما كانت تحمل سلاحا قدمته له يد المواطن السوفياتي الشريف ! .

يد العربي وسلاح السوفياتي ، وحين التقت اليدان تفجر النصر !

وكان يكفي ان يقرر الانسان العربي ان يبدأ المسيرة وان يقتحم أبواب التحرر حتى يجد الانسان السوفياتي الاشتراكي الى جانبه يكاتفه ويعاضده ، لانه مؤمن بأن قضيته قضية حق ، وان مطلبه مطلب عدل ، وان معركته معركة شرف !

وقد يجد هذا الانسان العربي في طريقه بعض العقبات ، بل قد تتعثر مسيرته حينا من الزمن بسبب من مؤامرات الصهيونية او مطامع الامبريالية او تخاذل الرجعية العربية ، ولكنه مؤمن أبدا بأن الدرب الذي سلكه هو درب اللارجوع ، درب النضال المستمر ضد الاعداء الخارجيين والاعداء الداخليين على حد سواء !

أجل أيها الاصدقاء ! ان وقف اطلاق النار على الجبهات العسكرية ، ومفاوضات الهدنة واتفاقيات السلام ، كل ذلك لن يوقف نضال الشعوب العربية ، لايمانها بأن هذه الثورة التي تعيشها الآن هي بدء نهضتها الحقيقية وبدء تحقيق مطامحها في اقامة المجتمع التحرري الاشتراكي الجديد !

لقد انطلق الركب ، والرؤية المستقبلية واضحة امامه ، فلن توقف مسيرته نظرة محدودة ، او سياسة متحفظة ، او حرص على المصالح الخاصة لدى بعض الحكام ، او خوف من انتصار المطالب

(*) كلمة ألقاها رئيس تحرير « الآداب » في مهرجان أقامته أوائل هذا الشهر في بيروت جمعية الصداقة اللبنانية السوفياتية بمناسبة الذكرى السادسة والخمسين لثورة اوكتوبر الاشتراكية .

الشعبية على الاحتكارات الاقطاعية والترسبات الرجعية ...

انها الثورة بكل معناها ، الثورة المرجوة المنتظرة التي نقضت الخلافات وأطاحت بالسدود ، وادخلت كل الناس وكل الاشياء في أتونها الملتهب ، ولن يكون ثمة بعد اليوم توقف او تخاذل او نكول . سيكون لكل مواطن عربي دوره الذي لم يتح له ان ينهض به على وجهه الاكمل ...

واسمحوا لي هنا ، أيها السيدات والسادة ، أن أتحدث قليلا عما نستطيع نحن المثقفين والكتاب ان نقوم به من دور في ثورتنا العربية الجديدة هذه .

اننا نعتقد ان بوسعنا ان نستلهم دروسا هامة من ثورة اكتوبر الاشتراكية على صعيد الثقافة والفن .

لقد كان للكتاب والشعراء الروس دور هام في الارهاص بالثورة والتمهيد لها قبل ان تقوم ، ثم كان لهم دور أهم بعد قيامها ، اذ كان كل اديب ، شاعرا كان ام روائيا ام ناقدا ، شاهدا في انتاجه على الجهد والانجازات التي تحققها الثورة . وقد اختار الكتاب بعد الثورة وفي اثنائها الورش والمصانع والحقول ليمجدوا ما يحققه البناة على كل صعيد . وهكذا كانت آثارهم ذات أهمية وثائقية كبيرة وذات قيمة فنية رفيعة ، وكلها شاهد على التزام الادباء بقضايا شعبهم . وهي مهمة الاديب الرئيسية . لقد كانت الاحداث الاجتماعية والخطط البنائية مصدر الهام غزير للادباء . ولا نزال نذكر روايات شولوخوف وفادييف وكتابات اهرنبورغ وغلادكوف ودودنتسيف وسواهم ممن عايشوا نضال الشعب السوفياتي ومجدوا ملامحه . ونحن نطمع بأن تنتج لنا ثورتنا الجديدة التي بدأتها حرب اكتوبر شعراء وكتابا أمثال غوركي وايسنين وماياكوفسكي وباسترناك واخماتوفا ... لكم كانوا عديدين أولئك الشعراء والقصاصون والروائيون العرب الذين تمنوا لو أتيح لهم ان يرافقوا الجنود المصريين الابطال في عبور القناة واقتحام خط بارليف او ان يرافقوا الجنود السوريين المغاوير في الزحف على مرتفعات الجولان ومشاهدة مآثرهم ومآثر سائر الجنود العرب المشاركين ... كم كنا نتمنى ذلك ، لو طال القتال ، لتتاح لنا فرصة ان ننتج ملاحم البطولة التي أنتج أمثالها اهرنبورغ صاحب « اليوم الثاني » و « سقوط باريس » وشولوخوف صاحب « الدون الهادىء » و « حاربوا من اجل الوطن » وسيمونوف الذي كان مراسلا حربيا لجريدة « النجم الاحمر » في أثناء الغزو الالماني فكتب واحدة من اجمل روايات العصر : « النهارات والليالي » التي مجد فيها المقاتلين ، فكان حاديهم ومسجل بطولاتهم ..

ولكننا مع ذلك نعتقد بأن « العبور » سيكون موضوعا غنيا جدا امام الشعراء والروائيين العرب اذا التقوا بأبطاله وعاشوا تلك الايام العظيمة التي واجهوا فيها الموت ودافعوا بشجاعة عن ارضهم ومستقبلهم ، وكانت الاحلام تملأ صدورهم بأن يواصلوا الزحف ويتابعوا تحرير كامل الارض المغتصبة ... على اننا امامنا بعد ، جميع مآثر الفدائيين الفلسطينيين ، هؤلاء الذين أبقوا شعلة الثورة مضيئة فاتاحوا للجندي العربي ان يتابع بها المسيرة ... ولن يمنع الفدائي الفلسطيني شيء عن مواصلة رسالته الثورية لاسترجاع ترابه الوطني برمته ...

ان ادبنا العربي الحديث سيشهد منذ اليوم فترة ازدهار وانتاج خصبة ، وسيكون شاهدا صادقا على هذه المرحلة العظيمة من تاريخنا الحديث ، مشاركا بابداعاته في تكوين المجتمع العربي الجديد الذي لا بد ان يلعب دورا بارزا في مستقبل الحضارة العالمية .

تحية من المثقفين اللبنانيين والعرب الى شعوب الاتحاد السوفياتي الصديق في ذكرى ثورته الكبرى ، وتحية مرة اخرى من اكتوبر العربي المجيد الى اكتوبر السوفياتي العظيم !

ادونيس

مهد آخر لولادة ثانية

العالم جزء من كتاب فلسطين (*)

١ ـ مجابهة شاملة للخطر الشامل

حتى الآن ، لم يخض العرب الحرب الا بجـــزء بسيط مـن طاقاتهم . واستطاعوا بهـــذا الجزء البسيط ان يواجهوا الجيش الاسرائيلي وهو من اكثر قـــوى الاستعمار ، في العصر الحديث ، شراسة وغطرسة وحداثة . ويعني هذا ، ببساطة ووضوح ، انالعرب ليسوا قادرين ، فيما اذا استخدموا جميع طاقاتهم ، على مواجهـة العدو وحلفائه وحسب ، بل يعني ايضا أنهم قادرون على تحقيـــق النصر الذي يشاؤون ، ساعة يشاؤون .

ويدرك العرب جميعا ان الخطر الـــذي تمثله اسرائيل لا يقتصر على كونه خطر مصلحة اقتصادية او منافسة استراتيجية وتجـارية وسيـــاسية ، وانما هو قبل ذلك خطر مصيري يتهدد الشخصيـــة العربية ذاتها ، والوجود العربي ذاته .

المسألة اذن هي : لماذا يتردد العرب في استخدام جميعطاقاتهم، المادية والبشرية ، للقضاء على عدو يهدد وجـــودهم ، خصوصا اذا كانت هذه الطاقات تؤثر على مستوى العالم كله ؟

هذا التردد يعني أحد أمرين : اما « ارجاء » المعركة ، وامـــا « الاقتناع » بوجود اسرائيل . والموقف في الحالتين ليس خذلانـــا للجزء المحارب وحسب ، وانما هو ، قبل ذلك ، شكل آخر لدعـم اسرائيل ودفعها الى مزيد من السيطرة والتوسع .

ان الخطر الذي يهدد مصير وطن بكامله لا تمكن مجابهتـــه الا مصيريا ، بكل ذرة يختزنها من الطاقات المادية ، وبكل نبضة حيـاة فيه . فلا قضـــــاء على الخطر الاسرائيلي الشامل ، الا بالمجابهـة الشـــاملة .

(*) يوميات نشرت في جريدة « المحرر » بدءا من ١٥ تشرين الاول (أوكتوبر) ١٩٧٣ ، حتى ٢٢ منه ، تاريخ وقف اطلاق النار .

٢ ـ طريق دمشق ، طريق سيناء

دائما ، كانت طريق دمشق رمزا للانسان الذي يعانق مصيره ، انحدارا او انتصارا ، ضلالا او اهتداء . ودائما كانت مفتـوحة .. لكن ، كما تنفتح الصاعقة ، وكما ينفتح الطوفان .

وفي الصاعقة والطوفان النور الكاشف والماء الطيب ، وفيهمـا كذلك هجمة النار وضربة الابادة .

وكما « أبرق بغتة نور من السماء » على بولس الرسول « فيمـا هو منطلق وقد قرب من دمشق » ، فهداه الى الحياة الحقة ، فان النور الذي يبرق الآن على « طريق دمشق » يضيء للعرب المستقبـل ويهديهم الى الحياة الحقة .

... ليس لان التاريخ يتكرر . لا يتكرر غير الموت ، والتـاريخ حياة ، والحياة جديدة ابدا ، بل لان لهب الحاضر لا يندلع الا من الماضي الذي يكتنز الجمر .

واليوم ، على طريق دمشق ، يتفجر الجمر المخزون . يتفجـر ليصعق ويهدي . واذا كانت هذه الطريق هي التي تصعق دايـــان وجيشه ، فلأنها هي التي يسلكها العرب ، فيرون فيها الحيـــاة الحقيقية ، ويعانقون المجد .

... ولانها كذلك طريق سيناء .

٣ ـ الى المؤتمرين في الكويت

الصحافة الغربية الموالية لاسرائيل تطالب الولايات المتحـدة ، فيما يتعلق بالحرب العربية ـ الاسرائيلية ، بدور تحدده لهـــا في النقاط الآتية :

أولا ـ عدم السماح بأي انكسار اسرائيلي ، ودعم اسرائيل دعما كليا ، على جميع المستويات .

ثانيا ـ استخدام جميع وسائلها لتوسيع الخلافات العربيـــة أو خلق خـــلافات جديدة بحيث تحول دون تماسكهـــا الفعال ، وتحـول بالتالي ، دون تعبئة طاقاتها لمـــواجهة اسرائيل ، ودون الوصول ، على الاخص ، الى اتخاذ قرار باستخدام النفط العربـي كسلاح في المعركة الدائرة .

ثالثا ـ استمرار وجودها العسكري المتفوق في البحر المتوسط .

وتعمل الولايات المتحدة ، من جهتها ، كل ما يفرضه هذا الدور. وليس تصريح نيكسون الاخير ، وارسال الفي بحار اميركي للالتحـاق

بالاسطول السادس ، ومد جسور جوية وبحرية لنقل الاسلحة بمختلف انواعها الى اسرائيل ، الا اعمالا تؤكد هذا الدور .

وهكذا لا يكتفي نيكسون باقامة « سلامه الحقيقي » على جثث آبائنا وامهاتنا ، اخوتنا وابنائنا ، وانما يحتقر للعرب ، الامهم وآمالهم ، حاضرهم ومستقبلهم ، ويحتقر وجودهم بكامله .

ان الشعوب العربية تطالب قادتها ، باسم حريتها وكرامتها ، ان يعلنوا انفصالهم الكامل عن سياسة الولايات المتحدة ، ونضالهم الكامل ضد هذه السياسة . وليس قطع النفط عن الولايات المتحدة وجميع الدول التي تنهج نهجها السياسي الا الخطوة الاولية البديهية في هذا المجال . فمثل هذا العمل يؤكد ، في المرحلة الراهنة ، على وعي العرب لوجودهم وشخصيتهم ودورهم ، ويرتفع بهم الى مستوى الرؤيا التاريخية التي تستشرف المستقبل . ويكون العرب امناء لتاريخهم : بالامس شاركوا في فتح نوافذ النور الذي يضيء العالم ، واليوم يشاركون في اغلاق منافذ الوباء الذي يخنق العالم .

٤ ـ أرض جديدة فوق الارض

« نحارب من اجل السلام » ، يقول العرب .

« شرط السلام تدمير العرب » ، تقول اسرائيل .

وبين السلام والتدمير ، ينفتح كتاب فلسطين على الافق .

لا افق المدينة ، بل الارض . لا افق اللحظة ، بل افق الازمنة .

والورق جسد ، ونبض الجسد الحبر .

وينطلق العربي في بهاء لحظة تنغرس في التاريخ كالجذر . يحتضن السهل الجبل ، الماء والهواء ، الغبار والشمس . وفي مدى سيناء والجولان ، الجليل وغزة ، وفي لهب النهار والليل ، يبسط ارضا جديدة فوق الارض . انها كروم التاريخ الناشيء ـ المستمر . وها هي باكورة العناقيد الناضجة .

وبين العنقود وأخيه ، يتأسس عناق آخر مع الارض الحبيبة ، ويكون رقص فرح بعمق الموت وموت بعمق الفرح . يكون رقص يتداخل فيه الحجر والحديد ، الزمن والجسد . كل جسد درج يصعد عليه التاريخ : الصدر بيت للشمس ، والوجه اول الافق .

٥ ـ لا أحد يولد الا من رماده

ما من عاشق لبلاده يكتفي ان يحب ارضها بفكره وحسب ، بقلبه وعينيه وحسب . انه يحبها كذلك بجسده . في هذا الحب الجسدي وحده امتحان الانسان ، لانه وحده الاخير الحاسم . وها هو الثائر الفلسطيني يسكن طليعة الارض : الصخر والريح . وها هو يتقدم صوب العتبة . ألح ناره تتشابك مع التراب وتصقل معدن تاريخه . اسمع صخبا ينفر من احشائه ويصير الغيم والبرق .

تتلألأ بين يديه اسلحته ، ويتحد في بريقها الفضاء ووجهه . وحين يرى الى وحدته التي ينسجها الصخر والريح ، ويرى الى طموحه الذي يقتلع قشرة العالم ، يتيقن ان الشجر ظل جسده ، وان موته يترسب في قرارة ارضه ـ الام .

وان الينابيع تنبجس الآن .

لا احد يولد الا من رماده .

« الجسد عار ، لكن خطواتي غابات يكتسي بها عري الارض .

الصوت مجروح ، لكنني اتسرب في حنجرة الشمس شرارة شرارة .

وبدءا من ظلمة الشلل ، اخلق التوهج والحركة » .

كان يتحدث مع صورته الثانية : جبل الشيخ ،

ويفرش صدره على سفوحه ...

لا احد يولد الا من رماده .

٦ ـ نحن الذين نتجرجر على الارصفة

للذين يفتحون دروبهم في الجولان وسيناء ، يفتح لهم المستقبل دروبه . وتحت اجسادهم المنذورة للوطن والحرية ، يتقدم نحوهم فجر الازمنة .

حتى نحن الذين لا نعرف كيف نسدد الرصاصة ونجهل ، في مجابهة العدو ، نشوة الرصد ،

حتى نحن الذين نتجرجر على الارصفة وافكارنا تتهدل حولنا كالخرق ،

حتى نحن الذين نحيا في هذا الموت اليومي الحي ،

نستطيع الآن ان نرى بعيني سيناء الخيط الذي يصل بين القصيدة والرصاصة ، بين الوجه والشمس .

ونستطيع الآن ان نرى الى هذا الزمن الآخر في الجولان كيف يمحو الحرب بالحرب ، ويخلق الحياة في شرفات الموت ،

وتؤخذ أجسادنا برجة الفرح ، وتركض قلوبنا للدخول في دورة جديدة لدم جديد .

ونستطيع ان نرى الى دمشق كيف تتهدم ولا تشكو : ليست مشغولة بما يسقط ، بل بما ينهض . ونستطيع ان نرى تتابع الابطال درعا درعا ، شهادة شهادة ، على ضفاف السويس وفي سيناء ، وليس في الضفاف وسيناء ما يشكو : ليست مشغولة بآلامها ، لكنها مشغولة بضرب عقدة الشر في العالم ، بحرق ظلام العالم ـ فالعالم هو أيضا هم عربي . العالم هو ايضا جزء من كتاب فلسطين .

وباسم الذين يفتحون دروبهم في الجولان وسيناء ، ويفتح لهم المستقبل دروبه ، نستطيع الان ان نستشرف سنوات المنفى ، وأبدية الحرية ، ونحدق ، ونهتف : سلاما يا طفولة الوطن ، سلاما يا جسد الحرية ، وداعا أيها المنفى ...

٧ ـ « الآلة قبل اليدين ، والاسنان قبل الرأس »

تقول سيمون دو بوفوار في بيان وقعته مع كتاب فرنسيين آخرين ، ان الحرب التي يخوضها العرب ليست « حرب تحرير » ، بل حرب ابادة للشعب اليهودي ! (لوموند ، ١٩ تشرين الاول) .

ماذا نقول لسيمون دو بوفوار ؟ نقول أولا ان هذا البيان لم يوقعه كاتب فرنسي واحد يمكن اعتباره عظيما . وهذه ظاهرة تكشف بذاتها عن ان الوعي الابداعي في فرنسا بدأ يغتسل من الوحل الصهيوني .

ونقول ثانيا ما يقوله الوار ، شاعر فرنسا ، ان العالم بالنسبة الى سيمون دو بوفوار ما يزال يسير بشكل معكوس : الآلة قبل اليدين ، والاسنان قبل الرأس ! فهي وصحبها لا يمثلون من فرنسا غير التعفن والانحلال .

وانتم أيها الكتاب الفرنسيون الشرفاء ، لكم تحيتنا . ليس لانكم تقفون معنا ، أو لا تقفون مع عدونا ، بل لانكم تنقذون شرف شعبكم وشرف الكتابة .

ان الكتاب العرب ـ اليوم ـ يعيشون فيما يشبه المراحل التي عشتموها ، زمن النازية . لذلك تفهموننا وتتعاطفون معنا .

تعرفون أن الفضاء حين ينكسر فوق جباهنا ، ويصبح الشجر كله بلون الورد ، فلأن عمالنا وفلاحينا وفقراءنا جميعا يغسلون ايامنا من الوحل ، ويعطونها لون الحرية ...

وتعرفون ان التاريخ العربي يولد الآن في الحوانيت والازقة والاكواخ ، كما يولد في الجولان وسيناء ، لان حياتنا لم تعد كلاما يتعفن على الشفاه ، ولان قبضات شعوبنا تاخذ مكانها في دفة العصر .

وتعرفون لذلك اننا واياكم جبهة واحدة ومصير واحد ...

بليونا دولار اميركي تدعم الصهيونيــة ، لابادة البشر الابرياء ! ليجيء بشر اخرون يلبسون القنبلة ويمتدون وطنا مسنونا كالانياب . يكتبون التاريخ بالوحشية التي تسمى القوة ، وبالابادة التي يقــال عنها انها حق الحياة .

انت الاقوى يا اميركا نيكسون ، لكنك الاصغر . انت الاغنى ، لكنك لست اكثر من جيفة مدهونة بالذهب . وأنت العارية الفقيـرة حتى الى رقعة صغيرة من الشرف .

قيدك يضغط علي ، أنا الفلسطيني العربي . حربتك تـلامس عنقي . ظلامك يطوقني . لكنني لست مغلوبا ولا مقهورا . يحملنـي ضوء الحرية . والقيود التي تحاصرني أجنحة ثانية ، وفضــاء اكثر اتساعـــا .

وليست فلسطين لي وحدي . انها رمز البراءة والعدالة ، وهي لذلك وطن لكل بريء عادل . ولهذا يقف معي كل بريء وعــادل في العالم . ها هو كفاحي اكبر مني . انه اوسع من ان تحده ســاحة الحرب بينك وبيني . انه كذلك وقود فريد في الغضب البشري النبيل الــــذي يهز أسس الارض ، ليطهر الارض ، منك اولا يا اميركــا نيكســون ..

ولهذا الكفاح ، اليوم ، حدان : حد يضرب الصهيونية ويضربك ، ويفتح في تاريخك ثقوبا ستظل الى الابد تنزف الخزي والعار ...

وحد يهيىء للتاريخ العربي مهدا آخر لولادة ثانية وها هــــو المخاض ... لا النهار يتباطأ ، ولا الليل يعرج ...

الظاهرة والدلالة

ـ ١ ـ

« تواق الى المشاركة بعمل ما في معركة الشرف اكثر من مجرد كلمات على الورق ، فقد اجتاز وطننا الكلام الى الفعل » : بهــذا خاطب توفيق الحكيم السلطة المصرية ، طالبا عملا يدويا « يتناسب سنه (٧٥ سنة) وصحته في مصنع امــدادات او معلبات » . ولا يقدر الانسان ان يستقبل ، على الصعيد الاخلاقي ، مثل هذا الكلام يقوله كاتب كبير الا باعجاب كبير .

لكن ، في هذا الكلام ، من الناحية الادبية ــ الفنية ، ما يشير الى الفكرة الرائجة من ان الكلام لا يجدي ــ اي ان الكتابة لا تجدي. وربما أمكن فهم هذا الموقف ضمن حدود كونه رد فعل على وضــع اجتماعي ــ ثقافي سيطر فيه الشلل ، واخذ الناس يعوضون عمــا يفرزه من العجز العملي ، بالتشدق اللفظي . صاروا يستبدلــون ممارسة السيطرة على الواقع وتحويله ، بممارسة السيطرة عــلى الالفاظ وتركيبها . وصار الواقع سرادقا كبيرا من الالفاظ التــي تتدافع في جمل وصيغ يتخيل قائلها انها حشد من الايدي العاملة والخطوات المتقدمة . وهو الوضع الذي يعيشه المجتمــع العربي ، بعامة ، منذ اكثر من ألف سنة .

ضمن هذا المنظور يمكن القول ان الالحاح على العمل اجــدى وأفضل . لكن لا بمعنى ان العمل بذاته افضل من الكلمة بذاتها ، بل بمعنى أن الممارسة العملية تكون هنا بمثابة انقاذ للكلمة من هاويــة الهذر الذي سقطت فيه ، فلم تقتل العمل وحده ، وانما قتلت ايضا اللغة ذاتها . والحقيقــة ان العرب لم يكونوا ، على الصعيــد الابداعي ، طوال القرون العشرة الماضية ، يتكلمون وانما كانــوا يصدرون اصواتا تنتظم في ألفاظ فقدت وجهها الآخر ، أي جذرهــا الآخر : الواقع او الحياة . فالكلمة هي الوجه الآخر للواقع ــ العمل، وأن لا نرى الصلة بين الوجهين ، يعني اننا لا نرى الواقع ولا اللغة . ومن هنا ندرك كيف ان الادب العربي طوال هذه القرون والادب الحاضر المرتبط به ، ليست له أية قيمة فنية او فكرية ، ذلك انه لا يتكلم ، وانما يرتب أصواتا ــ ألفاظا في أنساق وأنماط بيانية . وعلى هــذا يكون كل ما يربط الحياة العربية بالممارسة العملية احياء للعمــل وللكلام في آن . فليست المسألة اذن ان نفاضل بين العمل والكلام ، وانما هي ان نخلق التكامل الجدلي فيما بينهما .

ـ ٢ ـ

في هذا الاتجاه الذي يرتبط به كلام توفيق الحكيم ، نقرأ اليوم آراء لكثيرين من الكتاب والشعراء العرب والعاملين في الحقــول الفنية والادبية ، تجمع على ان النتاج الادبي والفني ، منذ هزيمــة ١٩٦٧ ، قد سقط وعلى ان الاحداث تجاوزته . ومثل هذا الكلام يطرح سؤالا أساسيا هو : هل سقط هذا النتاج (لنسلم ، موقتا ، بصحة هذا الزعم) لمجرد استلهامه الهزيمة وصدوره عنهـا حقا ، أم لانه بذاته لا يحمل قيمة فنية ؟ والغاية من السؤال هي التشديد على ان الوعي الصحيح للظاهرة يستلزم او ، بالاحرى ، يتضمــن وعي دلالتها . وليس في هذه الآراء ما يشير الى وعي هذه الدلالة ، بل ان كل ما فيها يشير ، على العكس ، الى ان على الكاتب العربــي ان يباشر اليوم الارتباط بالواقع الجديد : الانتصار القائم او المقبل . انها آراء تقفز بنا من الارتباط الآلي بالهزيمة ، الى الارتباط الآلــي بالانتصار ، كأن مجرد الارتباط بالانتصار ينتج الادب العظيــم . والواقع ان الموقف الثاني ليس الا الشكل الآخر للمــوقف الاول . وهذه القصائد التي أخذ بعضهم يكتبها اليوم ليعكس بها الانتصــار ليست الا الصورة الثانية للقصائد التي كان قد كتبها بعضهم ليعكس بها الهزيمه . والسقوط هنا وهناك لا ينتج بالضرورة عــن مجرد استلهام الهزيمة او النصر ، وانما يصدر عن الارتباط الآلي بالحدث او بالواقع . يصدر بتعبير آخر عن فقر الرؤيا الفنيــة ، هنــا وهنــاك .

ان كل نتاج أدبي أو فني يصدر عن مثل هذا الارتباط انما هــو نتاج ساقط ، حتما ، سواء أعكس الهزيمة أم عكس النصر .

ـ ٣ ـ

قلت ان الكلمة هي الوجه الآخر للواقع ــ العمل ، واعني بذلك أمرين : الاول هو ان الكلمة ليست شيئا تاليا تجيء بعد العمــل ، وانما هي العمل نفسه ، مشروعا او مبادرة استباق ورؤيا . فحيــن لا تكون الكلمة الا أمرا تاليا يكون ثمة قبول مسبق بان العمل أفضــل وأكثر أهمية ، وان دور الكلمة هو ان تمدحه وتبرزه ، فهي ليســت الا وسيلة . كل شيء ، في المنظور العام ، وسيلة لتقدم الانســان وسعادته . العمل نفسه ، الواقع نفسه ، الطبيعة نفسها ، الوجود بكامله ... كل ذلك وسيلة للغاية : الانسان . لكن لا يجوز هنــا ان نمزج بين الوجود بذاته والجمال بذاته . ففــي مسالة التعبيــر جماليا عن هذه الغاية ، ينقلب التعبير نفسه الى غاية ، من حيــث انه معادل باللغة لهذه الغاية . فهو يقدم وجهها او شكلها الجمالي . والوسيلة هنا لا تقتل اللغة وحسب . وانما تقتل الجمال ايضا . انها تشوه الوحدة بين معاناة الوجود والتعبير عنه .

والامر الثاني هو ان الكلمة لا ترتبط بالواقــع ارتباط واصف بموصوف ، أو تابع بمتحول ارتباطا آليا ، وانما الحركة التي تنتظم فيها العلاقة بين اللغة (الذات) والواقع (الموضوع) انما هي حركة جدلية ، تجعل كلا منهما يرتبط بالآخر ارتباطا جدليا . وهكذا لا تعود المسألة ان نفاضل بين العمل والكتابة ، او نتخلى عن أحدهما فـي سبيل الآخر ، فهذا موقف يفصل بين الكلام والواقع ، عدا انــه يتضمن مفاضلة تناقض التكامل الجدلي بين الكتابة والعمل .

تصبح المسألة ان نعيد النظر في مفاهيمنا السائدة عن الكتابة وعن العلاقة بينها وبين الواقع . وتقدم لنا هزيمة ٦٧ ، والاحــداث التي تلتها حتى ٦ تشرين الاول ، والاحداث التي جرت بدءا منــه ، مادة فريدة للتأمل والتقويم . وحين نعيد النظر بدقة وعمق ، نتبين الحقائق التالية :

أولا ـ ليس النتاج الفكري والادبي والفني بعد هزيمة ٦٧ ، واحدا . ان مستوياته متباينة جدا ، وهو لذلك متفــاوت القيمة ، جــدا .

ثانيا ـ ان ما سقط منه لم يسقط لمجرد انــه عكس الهزيمة ، واستسلم لها . وما نجا من هذا السقوط لم ينج لانه ظل آمــلا ورفض الهزيمة . فلم يكن السقوط او عـدمه تابعا لمجرد المـوقف ، وانما كان تابعا لدرجة الفنى والشمول في الرؤيا الفكرية او الادبية او الفنية .

ثالثا ـ ان في هذا النتاج ما استلهم الهزيمة وعكس أبعادهـا الحضارية ، ومع ذلك ظل ويظل نتاجا عظيما . فلقد كان نوعا مــن الحركة التي صنعت من الهزيمة حصارا على الوعي العربي والحاسة العربية ، يستحيل التفلت منه الا بفعل يعاكس الهزيمة : حركـــة الانتصار . كان ، بتعبير آخر ، مواجهة في المستوى التراجيدي ، للانهيار الذي ولدته الهزيمة . ولهذا كان بمثابة الطرف الاقصــى للظلام الذي يلتصق بالطرف الآخر : النور . ومن هنا كان يشيــر الى اللهب فيما يعانق الرماد . وفي هذا لعب دورا أساسيا فيشحذ الطاقة العربية وشحنها بحيث شارك في تعميق لحظتها التراجيدية : اما المزيد من السقوط ، واما المزيد من التحرك فـي اتجاه يتجاوز السقوط .

ذلك هو دور الفن : ان يريك في أتون الحياة لحظة يحدثك عن الموت . او يكشف لك عن واقع أفضل وأبهى ، فيما يحدثك عــن الواقع الاليف . لا دوره وحسب ، بل سره ايضا ـ السر الــذي يميز الاعمال الادبية والفنية العظيمة ، ويطبعها . وهذا هو معنــى الارتباط الجدلي بالواقع . فالقصيدة ، مثلا ، لا تتشبه بالواقــع ، سواء كان ظلاما او نورا ، أي انها لا ترتبط به آليا ، وانما تأخـذه ككل ، وتنفذ في معانيه ودلالاته وأبعاده ، حيث يتشابك السقـوط والنهوض ، العتمة والبريق ، الجمود والخلخلة ، في حركة دائمة من التحول الدائم باتجاه المزيد من سيطرة الانسان على مصيــره وعلى الكون .

الاخبار

٢٧ تشرين الاول

ميشال عاصي

سلاح المثقفين في معركة التحريــر

الثقافة بما هي فعل معرفة والتزام تدخل على هذا الاساس كعامل رئيسي وحاسم في ورشة التقدم الاجتماعي ، وكعامل رئيسي ايضا من عوامل النصر والهزيمة في المعارك التي تخوضها الشعوب من اجــل استكمال تقدمها وتطورها .

واليوم اذ تخوض جيوش من البلدان العربية معركـــة الشرف والتحرير فان على المثقفين العرب المسؤولين ان يجندوا اقلامهم فـورا للاسهام في هذه المعركة بالتعبئة النفسية اللازمة ، لدعم جبهــات القتال على مختلف المستويات وبكل الوسائل التي يملكونها .

والمثقف العربي الملتزم يعرف تماما ان دوره لا يقف عند حــدود الدعم المعنوي والفكري للمعركة ، فهذا اول واجباته ، وانمــا يــدرك استنادا الى التزامه بالمسؤولية الفكرية والتاريخية انه مدعو ايضا ، وبالقدر نفسه ، الى استشراف آفاق المعركة القتالية الآنية وابعادهــا السياسية ومؤثراتها الايجابية والسلبية في هذا الاتجاه او ذاك ، وتحليل تطوراتها العسكرية والمواقف السياسية التي تتخذها الحكومات المعنية نتيجة لتطور القتال وتقدير موازين القوى والظروف الدولية والعالميــة .

من هنا ، ان دور المثقف اليوم ، ومهمــة الثقافة العربيــة ، همـا دور ومهمة تاريخيان بالنسبة الى سير المعركة من جهة ، وبالنسبة الى تقدير ملابساتها السياسية والدبلوماسية ، ونتائجها في اطار حركـة التحرر العربية واهدافها العامة في بناء المجتمع العربي الحديث ، وفي اطار حركة التحرر العالمية وغاياتها الانسانية الكبيرة .

ومهما يكن ، فأن التشديد على استمرار القتال ، وحشد كـل الطاقات العربية في خدمة المعركة ومواصلتها بأي ثمن لدحر العـدوان الصهيوني وحلفائه ، والتأكيد على ان اي تخاذل واي رضوخ لتهديـد الاعداء ولجم انطلاقة الجندي العربي الباسل ، والتفريط بحق الشعب الفلسطيني ، وحق الشعوب العربية بالحرية والنصر هو خيانة قومية بحق شهداء هذه الامة وجريمة تاريخية لا تغتفر .

ان الثقافة العربية الطليعية ثقافة مسؤولة وملتزمة ، وفي ساحتها ايضا جنود لن يلقوا السلاح مهما تكن النتائج والتضحيات . فليطمئن اخواننا في الجبهة ، اننا الى جانبهم في معركة الشرف والتحرير من اجل النصر او الموت .

الانــوار

٢٢ تشرين الاول

غادة السمّان

عودة بشعة للاميركي «الجميل» !

الليلة ، شعرت للمرة الاولى ، وأنا اشاهد فيلما ، بالحاجة الى الصفير واطلاق بعض العيارات النارية على الشاشة من مسدس غير المرخص ، بل حمل مقص أطعن به صور الممثلين ، والقاء بعض قنابل الروائح الكريهة في صالة السينما ، لان اية رائحة لن تكون أشد قبحا من رائحة الفيلم المعروض !

ف « الزعرنة » السينمائية السياسية تحرض الانسان أحيانا على معاملتها بالمثل !.. وتزييف التاريخ وتمجيد « فضائل واخلاق » بعض الشعوب الاستعمارية على حساب الشعوب الطيبة النامية أمر أشد فظاعة ، في نظري ، من الافلام الجنسية التي تسارع رقابتنا الى منعها ، بغض النظر عن قيمتها الفنية ، كما لو ان جسد امرأة عارية أشد خطرا على أمتنا من الافكار السياسية الهدامة !

اسم هذا الفيلم الذي عرضته احدى صالات بيروت ، خلال اسبوعين متواصلين ، « الشارة ٣٧٣ » .

وهو يروي حكاية ضابط شرطة اميركي ، يلاحق مدمني المخدرات القادمين من بورتوريكو . والبورتوريكيون في اميركا هم من البروليتاريا والاقليات البائسة ، ويلقون ــ كزنوجها ــ معاملة غير انسانية ! وفي احدى هذه الجولات البوليسية يحاول مدمن بورتوريكي الهرب فيلقي بنفسه من على السطح فيقتل ، ويعتبر الشرطي الاميركي « البريء » ، ذو الرقم ٣٧٣ ، مسؤولا عن قتله . وتتدخل « العدالة » الاميركية ، ويتم توقيف الشرطي عن عمله ريثما تشكل لجنة تحقيق تبت في امره ، خصوصا وان هياج البورتوريكيين بلغ ذروته . وبعدها بأيام يجدون صديق الشرطي (وهو ايضا من رجال الشرطة البيض) مذبوحا بوحشية . وهنا يثور الشرطي ٣٧٣ ويعمل لكشف الجريمة رغم كونه خارج سلك الشرطة . ورغم كل ما يتعرض له من ضرب وتعذيب على يد الاقلية البورتوريكية « المنحطة » ، نجده ينتصر في النهاية ويكشف « مؤامرة » ضد اميركا ، وصفقة سلاح يحاولون شحنها الى بلادهم في بورتوريكو للقيام بالثورة وتحرير الارض . الفيلم يرسم لنا صورة الشرطي الاميركي النزيه الاخلاقي في مواجهة « الثوار البورتوريكيين » الذين يقدمهم لنا في ابشع صورة . ففي هذا الفيلم نجد الثائر « مجنون عظمة » ورفاقه مهووسين بالجنس والمخدرات وفكرة الثورة « صبيانية » ، وهو يصور عذاباتهم بصورة كاريكاتورية ساخرة ...

وعلى طريقة افلام الهنود الحمر ورعاة البقر ، نجد الآن راعي البقر الاميركي متقمصا صورة عصرية هي الشرطي النيويوركي ، ونجد « الهنود الحمر » الاقلية ، في صورة الاقلية البورتوريكية ، وطبعا يتم حصدهم بالرشاشات على يد الشرطي المغوار كما لو كانوا سربا من الذباب . تماما كما كانت تتم ابادة الهنود الحمر في الافلام التقليدية العتيقة !..

جميع السود في الفيلم اشرار . وجميع البيض في الفيلم ابطال يتمتعون بكل مزايا اسطورة عبقرية الفرد الاميركي وتفوقه على شعوب الارض كلها !.. حتى رجل الشرطة الاسود ، ذو الاصل البورتوريكي ، يجعل منه الفيلم قاتلا حتى لصديقه رجل الشرطة الابيض . هذا التمييز الهتلري العنصري نجده حتى على صعيد الفواني ! فالاميركية البيضاء نجدها في الفيلم تتحول الى سيدة فاضلة تستشهد دفاعا عن اميركا « العظيمة » ، اما المومس التي تموت غارقة في أفيونها وعارها فهي سمراء ملونة من اصل غير جرماني ! كل البيض في الفيلم نبلاء يحبون اولادهم ويحرصون على سعادتهم ، وحتى الابيض الوحيد في الفيلم الذي « يزل » ويغرر به السود ، انما يفعل ذلك من اجل اعالة اسرته ، ويدفع حياته ثمنا لخطيئته الزوجية والمسلكية (وربما يفعل ذلك لانقاذ ما يمكن انقاذه من تحامل الفيلم على السود !) . ولكن الفيلم لا يفسر لنا سبب ضائقته المالية ، خصوصا وان زميله الشرطي (من المفروض ان راتبهما واحد) يمتلك سيارة اميركية فخمة هائلة الضخامة حرص المخرج على استعراضها في كل لقطات الفيلم دلالة على « عظمة » الصناعة الاميركية ايضا !..

منذ اعوام أغرقتنا السينما الاميركية بافلام تتحدث عن المجد الاميركي ، العظمة الاميركية ، التفوق .... الخ ، الاسطوانة اياها في اطار افلام « الهنود الحمر » ، وتبرر الابادة الجماعية لذلك الشعب الآمن ... وتربينا ونحن نشاهد هذه الافلام المزورة للتاريخ ، واليوم تبدأ اميركا باصدار دفعة جديدة عصرية من الافلام تؤدي اللعبة القديمة نفسها . ولان لعبة الهندي الاحمر « البشع » انكشفت للعالم ، لجأت هوليوود الى لعبة جديدة تتلاءم واحداث العصر ، فعادت تعرض لنا صورة « الاميركي الجميل » الذي يحارب « الثوار

البشعين » وشعوب العالم النامية ، وينتصر عليهم ويبيدهم ، مصورة هذه الابادة كما لو كانت عملا اخلاقيا له مبرراته « الانسانية » ، وذلك في سلسلة افلام جديدة شاهدت بعضها مؤخرا ـ وكلها يسخر من ثورات العالم الثالث وثواره ـ وكثرتها تدل على ان الامر قد لا يكون مصادفة وانما نتيجة سياسة اعلامية مدبرة ... واذا كان اختراع السينما انتصارا علميا كبيرا ، فانه من المؤسف توظيف الحضارة في خدمة الحقارة ، وفي محاولة لتبرير اضطهاد اميركا للاقليات ، والسخرية من الثورة والثوار والحرية وحق الناس في ارضهم ...

لقد كنت دائما ضد فكرة « منع » اي فيلم او كتاب او منشور.. كنت دوما اؤمن بأن مساوىء اطلاق الحرية اقل من مساوىء كبتها ولجمها ...

ولكنني اقترح « مقاطعة » هذا النوع من الافلام الاميركية ، وان يتم ذلك بناء على موقف واع للمستوردين ولو كلفهم الامر بعض الخسارة المادية ، لان عرض هذه الافلام الدعائية الاعلامية المضللة جزء من الحرب ضدنا ، وبالتالي فان في عرضها خدمة لاميركا ، ولانه في حال تحقيق هذه المطامع لن يبقى لاحد منا ارض او نقود ... ولاننا جميعا المرشحون ـ مع شعب فلسطين ـ لنكون « الهنود الحمر » في الارض العربية !..

الاسبوع العربي
٥ تشرين الاول

« عيد الغفران » العربي !

عيد الغفران ...

تقول غولدا مائير اننا هاجمناهم يوم عيد الغفران ، « عندما تكرس اسرائيل يومها للصلاة والصيام » ، على حد زعمها .

والمدهش ان يكون لاسرائيل عيد واحد من هذا النوع كل عام !..

فحينما ينزلق في عيوننا شريط انتهاكات اسرائيل لكل الشرائع الانسانية والاخلاقية ومذابحها ، نشعر بأن عليها تكريس كل أعوامها الباقية ، للصلاة من اجل الغفران ، وان عليها ان تتحدث عن « أعوام الغفران » لا عن « يوم الغفران » .

وحينما تصف غولدا مائير الهجوم العربي الصاعق بانه لم يراع التقاليد الاخلاقية (!) نشعر بحاجة الى الانفجار في الضحك والغضب معا ، تماما كما قد نشعر امام مومس تحاضر عن الفضيلة في جمعية « الدفاع عن مكارم الاخلاق » ! (التقاليد الاخلاقية الاسرائيلية العريقة (!) كانت وراء ضرب المدنيين العزل في دمشق وحمص واللاذقية) .

عيد الغفران ...

كان يوم ٦ اكتوبر يوم عيد الغفران الاسرائيلي . فصار يوم عيد الغفران العربي .

انه عيد غفراننا لانفسنا خطيئة ما بعد ٥ حزيران ، وعيد غفران التاريخ لنا ...

عيد الغفران العربي في ٦ اكتوبر هو عيدنا القومي الحقيقي ...

الالعاب النارية فيه كانت قذائف الطائرات ...

واضاحي هذا العيد كانت أجساد المقاتلين العرب الذين نحروا انفسهم على مذبح التاريخ ليمنحهم التاريخ الغفران ... صوت الرصاص كان أغنية العيد ... والطائرات اراجيحه ... والنصر حلواه ...

لقد سقطنا بعد هزيمة ٥ حزيران في هوة الحزن والياس والعار، وحملنا الهزيمة مثل حجر القبر فوق صدورنا . رزحنا تحت وطأة الشعور بالذنب . وكما يقول الدكتور يوسف ادريس : « في البداية ، كنت مثل أغلب زملائي شديد القهر للنفس والتبكيت لها والمعاتبة والاحساس بانني أحد اسباب الهزيمة . ثم بدأت اكتشف ان الهزيمة الحقيقية هي ان نقف هذا الموقف المكسور » ...

« الموقف المكسور » كان من بعضه ان انسقنا الى تمجيد قوة عدونا لنبرر امام أنفسنا هزيمتنا ... ووجدت اسطورة اسرائيل التي لا تقهر أرضا خصبة في نفوسنا المكسورة ... ونسينا طرح قضية احتمالات الحرب ، وتوقفنا عند الحديث عن حالة « اللاسلم ـ اللاحرب » التي توهمنا ان اسرائيل فرضتها وكرستها ولا راد لقضائها !

الى ان كان يوم ٦ اكتوبر ... يوم عيد الغفران العربي ... يوم استعدنا الامكانية الاشرف والقدرة الانبل : القدرة على الحرب .

نصر ؟ هزيمة ؟.. لا يهم ! فالحرب جولات ... المهم اننا انتصرنا على « موقفنا المكسور » ...

وكان عيد غفراننا لانفسنا ...

* * *

● حينما تنفجر الحرب ، أية حرب ، تصير « الكلمة » للبندقية ، ويصير « السيف أصدق أنباء من الكتب » ، ويقرر زند المقاتل مصير الامة . ولذا يشعر الفنانون ـ بصورة عامة ـ بشيء من الخجل الضمني ، ويقفون حائرين ، ويغمى على الكلمات فوق شفاههم . يصيبهم احساس الاخ الصغير الذي يرقب صراع أخيه مع عدو لا يرحم ، ويرى الدم يسيل ولكنه لا يملك الا الصمت او نظم قصيدة مدح في شقيقه أو تطيير برقية تأييد له ووعده بشرح عدالة قضيته للعالم ... وفي ٥ حزيران كف الفنان العربي بالقلم ، فلغة البندقية في زمن الحرب هي لغة الحوار الوحيدة الممكنة ... وكثيرون أعلنوا في نتاجتلك المرحلة عن أسفهم لان مهنتهم غير مجدية لامة مكتوب عليها ان تحمل السلاح لتحيا ...

ولكن ما مدى صحة هذا الشعور الآني ، الموجع ، باللاجدوى ؟

لقد أصاب بايرون ذات يوم مثل هذا الشعور ، فكسر قلمه والتحق بالثورة اليونانية عام ١٨٢٢ لانه آمن بها . كان شاعرا عظيما ومقاتلا سيئا ، ومات بعد التحاقه بالثورة بعامين اثر مرض عضال ونوبات صرع ، فجسده الهش لم يقو على ضريبة الدم في الحرب ... ولكنه لو عاش لاستطاع ان يمنحضريبة الفن ، ولغنى الثورة والثوار، ولخلدها كما فعل بيتهوفن الذي كان اكثر وعيا بحقيقة مهمته كفنان في زمن الحرب . بيتهوفن كان معجبا بنابليون ، ولكنه لم يقدم طلبا للانضمام الى صفوف الحرب وانما انزوى في غرفته ليقوم بمهمته الحقيقية التي أهلته الطبيعة لها ، وهي العطاء الفني. وكتب بيتهوفن واحدة من اجمل سيمفونياته الخالدة هي السيمفونية الثالثة وأهداها الى نابليون (ثم عاد وحرمه منها لان نابليون تحول في نظره من بطل للشعب الى عدو للشعوب المسالمة حين شن عدوانه التوسعي على الاقطار المحيطة به وزحف على المانيا) . فعاد واسمى سيمفونيته تلك سيمفونية البطولة (لا نابليون) . واليوم ، حينما يستمع الثوار في كل مكان الى سيمفونية البطولة ، يشعرون بان بيتهوفن كان يغنيهم جميعا . لقد خرج بيتهوفن بتجربته من حدود بطولة فرد وشعب الى البطولة الانسانية وصراع الشعوب المناضلة كلها من اجل الكرامة والعدالة ... ولو ذهب بيتهوفن الى القتال لكان مقاتلا آخر سيئا كبايرون ، ولخسر العالم كنزا من العطاء هو موسيقى ذلك المبدع الكبير ... الفن والحرب معا على طريقة ابي فراس الحمداني ؟ ربما ، ولكنني أذكر بالمقابل همنغواي الذي التحق بالحرب الاسبانية فكان نصف مقاتل ونصف مبدع ولم يرق

قط الى مرتبة بيتهوفن الابداعية .

ربما كنت أخط هذه السطور لاقنع بها نفسي ، قبل ان اقنع العالم ، لانني ، وانا جالسة في مقعدي اخط هذه السطور - الان الساعة الثانية من يوم الاربعاء ١٠ اكتوبر - أرى عبر النافذة معركة جوية بين طائرات العدو وأخرى سورية . ها هي طائرة تهوي الى البحر .. تهوي .. تهوي به وانا مسترخية في مقعدي (يا لخجلتي !) ويهوي القلم من يدي .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

جائزة نوبل للسلام لطائرة فانتوم العدوان

بينما كانت مئات الطائرات الاميركية تنقل أسلحة الموت والدمار الى اسرائيل كي تتابع افتراسها للشعوب العربية ، وبينما كان الرئيس نيكسون يعلن الحرب على العرب بلغة دبلوماسية تكتفي مفرداتها بالتحدث عن حماية اسرائيل التي « وجدت لتبقى » ... الى آخر المعزوفة الاميركية العدوانية ، وبينما شعوب العالم الحر تستنكر ذلك كله ، وبينما الاميركيون المقيمون في الشرق الاوسط ينطلقون صوب سفاراتهم في بيروت في مسيرة رفض لسياسة جلادي بلادهم ، وقد حملوا اللافتات :« واشنطن ، لقد ابتاعك الاسرائيليون » - « هنري كسينجر ، مارس الحب لا الحرب » - « العرب لهم الحق في ارضهم » ... وبينما الحرب العدوانية التوسعية الاسرائيلاميركية تقوم بمزيد من غارات اغتيال الطفولة والانسانية والعدالة ، بينما ذلك كله يدور على مرأى ومسمع من العالم ، طلعت علينا وكالات الانباء بالخبر التالي : منح الدكتور هنري كسينجر وزير الخارجية الاميركية جائزة نوبل للسلام !!! أجل للسلام !!!

للوهلة الاولى يبدو الخبر شبيها بنكتة سمجة على الطريقة الاميركية (براكتيكل جوك) ... نكتة ؟ بل مهزلة ! انها لمهزلة ان تمنح جائزة نوبل للسلام الى برميل من البارود !! فالمعروف ان العالم نوبل ، الذي اخترع البارود ذات يوم ، قرر ان يكرس كل ما يملك تكفيرا عن خطيئة امكانية استعمال البارود ضد الانسانية ... وقرر انفاق كل الاموال التي كسبها من اختراع البارود على كل ما من شأنه تعزيز السلام والعدالة ، ومن هنا كانت جائزة نوبل للسلام . وبعد حرب حزيران بأشهر ، تم منح جائزة نوبل للكاتب الاسرائيلي اجنون ! وكانت صدمة للعالم الحر ، فقد كانت لجائزة نوبل يومئذ هالتها كقيمة انسانية ... وطرحت يومها تساؤلات كثيرة عن الاعتبارات (غير الانسانية) التي لعبت دورها كي تمنح جائزة نوبل لبرميل من البارود !!!

وظلت هناك فئة من حسني النية أشادت « بالاسلوب الادبي الجميل » لاجنون ، ورغم يقيننا بأن الاسلوب امتداد للفكر ووعاء له ، وبالتالي ليس هنالك أسلوب جميل اذا كان المضمون عدوانيا ولاانسانيا ، مع ذلك سكتنا ، بل كدنا ننسى لاننا بدلا من مقاطعة جائزة نوبل عدنا نتحدث منذ أشهر عن ترشيح كتاب عرب « للفوز » بها ...

اما الآن ، فما هو المبرر لمنح وزير خارجية اميركا ، أي المنفذ لسياستها العدوانية المغتصبة ، جائزة السلام ؟

صحيح ان الجائزة منحت مناصفة بينه وبين لي دوك ثو ، الثوري المناضل المقاتل الذي أجرى واياه محادثات أدت الى اقرار السلام في فيتنام ، ولكن هل يشفع ذلك لكيسنجر الذي اغلق فيتناما ليفتح في أرضنا فيتناما اخرى ؟ كسينجر يصافح لي دوك ثو بيد ويعطي الاشارة للطائرات الاميركية الالف ، المحملة بالموت ، للطيران الى شرقنا الاوسط والبدء بحرب عدوانية جديدة ! انه دكتور جيكل ومستر هايد السياسة الاميركية ، في يده غصن الزيتون ، وفي الاخرى خنجر يقطر بدم العرب ، فكيف يمنح جائزة نوبل للسلام في اليوم ذاته الذي يبدأ فيه مذبحة « ماي فير » جديدة ؟!

لو قدم كيسنجر استقالته احتجاجا على شحن الاسلحة الى اسرائيل لاستطعنا ان نفهم مبررا لمنحه جائزة السلام ... ولكن !

ولكن ، أين تعيش اللجنة القيمة على جائزة نوبل ؟! هل تعيش في محجر فكري ولا تعرف شيئا عما يدور على وجه الكرة الارضية ، الذي جرحته عدوانية اميركا في اكثر من موضع ، وتركت فيه ندبا لا تندمل آثارها أبدا ؟!

ألا يقرأ افرادها الصحف ؟ ألا يستمعون الى الاذاعات ؟ ألم يشاهد احدهم قط صورة طفل أحرقه النابالم الاميركي في فيتنام او فلسطين او سورية او مصر ؟ هل يظنون ان كيسنجر يشحن على الطائرات الشوكولاته و « البونبون » والدمى لاطفال الشرق الاوسط ، والحمام الابيض وغرسات الزيتون لاهلها ؟! - بلى ... كان يشحن لنا الدمى : اميركا تصنع لاسرائيل قنابل على شكل دمى الاطفال ، ترمي بها طائراتهم ويحترق بها أطفالنا حين يحاولون اللعب بها - (معلومات من تقرير الاطباء الموفدين الى سورية) .

اذا كان التقمص واقعا ، فانأي انسان مجهول ، من الآلاف الذين ينتحرون كل يوم ، أطلق على نفسه الرصاص لحظة اعلان منح جائزة « السلام » لرجل « العدوان » ، هذا الانسان هو المتقمص لروح نوبل ... وسوف يطلق على نفسه الرصاص او يفجر بها برميل بارود كل مرة تمنح فيها جائزته لرائد من رواد الحرب !

* * *

● في نطاق أسبوع الاغتراب اللبناني تنظم جامعة اللبنانيين في العالم مهرجانا لالقاء الشعر بين الثانويين والجامعيين . نعم ! مهرجانا لالقاء الشعر !.. كأن ما يدور بيننا وبين اسرائيل هو « مساجلة شعرية » لا حرب بـ « الفانتوم » ! كأننا في سوق عكاظ لا في ساحة حرب ! هذا بينما ينشط يهود العالم لجمع التبرعات ، وقد جمعوا مئات ملايين الدولارات في أيام ، وأيام اخرى وتتحول الملايين الى طائرات وقنابل تمطر فوق سمائنا ، وقد تسقط واحدة منها فوق مهرجان الخطباء ! ما أشد أغتراب المغتربين عن لبنان ! بل ما أشد اغتراب بعض اللبنانيين عن لبنان !

فبينما كان بعضهم مشغولا في بيروت بانتخاب اجمل كلب وارشق كلب ، كان عشرات اللبنانيين على بعد كيلومترات عديدة منهم يحصدون في جنوبي لبنان بمنجل القنابل والموت والدمار ... وينامون وملء أفواههم الدماء .

المهم ان اجمل كلب نام ليلتها وفمه ملآن بالحلوى !..

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

٠٠ ونسوا انهم عبروا النهر ليلة الميلاد !

● غريب أمر هذا العالم !

فجأة صار بعض الصحافيين الاميركيين والغربيين عاطفيين اكثر من روميو ، رقيقين اكثر من سيرانو دي برجراك ، متمسكين باخلاقيات المبارزة اكثر من الكونت دي مونت كريستو !..

ففي اكثر الصحف والمجلات الغربية التي طالعتها في الآونة الاخيرة ، لاحظت ان الكتاب يركزون على ان مصر هاجمت اسرائيل يوم الغفران المقدس ... وان عبورها للقنال واليهود مشغولون بشعائرهم الدينية عمل غير أخلاقي .

من الضروري تذكير اولئك السادة بأن بطلهم جورج واشنطن سبق له ان عبر نهر بوتوماك (نهر اميركي) بجنوده ليلة عيد الميلاد كي يفاجىء الجنود البريطانيين ، وانه أغار عليهم بينما كانوا مشغولين بتناول عشاء « الكريسماس » . وهم يدرسون هذه الواقعة في كتبهم المدرسية بكل فخر ، ويعتبرون هذا العمل من دلائل ذكاء بطلهم القومي !..

* * *

● اليزابيت تايلور رعت حفلا في روما لتأييد حرب اسرائيل وجمع التبرعات لها ، وكانت الامبراطورة السابقة ثريا تمنح الحفل « بركتها » !

ليزا مانيللي الموهوبة ، التي أحببناها في فيلم « كاباريه » ، تصل قريبا الى اسرائيل « لترفه » عن الجنود هناك .. الاميركي داني كاي وصل وباشر نشاطه « الترفيهي » !

انريكو ماسياس ، لينونار كوهين ، توبول ، وغيرهم من الفنانين جددوا ولاءهم لوطن اللاولاء للانسانية !

الامبراطورة ثريا هي مجرد امرأة عادية عاثرة الحظ ، وممثلة فاشلة ، وليس لانحيازها لاسرائيل أي مدلول فكري . ربما كانت ضجرة تلك الليلة فذهبت الى أول حفل دعيت اليه !

ولكن ماذا عن بقية الفنانين الذين لا يخلو بعضهم من الموهبة ؟ يمكننا القول ببساطة : اكثرهم او كلهم من اصل يهودي ، ولذا انحازوا الى اسرائيل . ولكن هذا التفسير يصلح للحديث عن الناس العاديين ، حيث الولاء العشائري فوق الولاء الفكري ، ولكن ماذا عن المبدعين ؟ أليس من المفروض ان ولاء المبدع الوحيد هو للحقيقة وللعدالة ، اي للجمال وللحب ولكل ما هو انساني في هذه الحياة ؟ ان الانسان لا يستطيع أن يكون فنانا مبدعا الا اذا كان يحمل البراءة والعدل الى العالم ، وكان ولاؤه الوحيد هو للحقيقة قبل رابطة الدم او الدين . الفنان هو الذي انعتق من تدجيل الولاءات العادية ليصير جنديا في معركة الحقيقة والصدق والانسانية ، فكيف يمكن لمن هو كذلك ان يصير مرفها عن جيش مكرس للعدوان والاغتصاب ولتدمير العدالة والفرح والحب ؟!

من هنا ان اي فنان حقيقي هو حكما عدو لاسرائيل ما دامت اسرائيل عدوة لكل المثل والقيم التي يحيا الفنان ويموت لاجلها ...

ولكن يبدو أن الشخصية اليهودية ما تزال بدائية الولاء والانتماءات ، حتى لدى مفكريها وفنانيها (الا في ما ندر ، مثل المستشار كرايسكي الذي كان ولاؤه للنمسا لا لاصله اليهودي) .

فاذا كان هذا حال مبدعيها ، فعلى أية درجة من التخلف العشائري نجد بقية افرادها ؟! ان تيه بني اسرائيل ، الذين يغربون في الارض ، ينبع من داخلهم ، من حسهم الموهوم بالتفوق الى حد ولائهم لشهواتهم بدلا من ولائهم للانسانية والعدالة ... ولن يكون هنالك سلام لا لهم ولا لنا قبل ان يطوروا حسهم الانساني بقدر ما طوروا حسهم التجاري . ومجيء فنانين من اصل يهودي الى اسرائيل للرقص في وليمة العدوان هو ادانة اضافية للشعب اليهودي ، واثبات على ان العشائرية لا العقل تتحكم بسلوك حتى فنانيه ومبدعيه ؟

مبدعيه ؟

عفو الكلمة ! فالابداع سلوكية كونية راقية لا يعرفونها .

* * *

● « عندما يقضي « الجيتان » في الحرب ، يحتفل ذووه بموته فيقيمون الولائم . اما عندما يولد لهم طفل ، فانهم ينتحبون لدخوله هذه الدنيا حيث سيلاقي العذاب ، لا مناص » (من كتاب « الحقيقة ولدت في المنفى » لفانتيلا هوريا) .

وعندما كان الاسبارطيون يذهبون الى الحرب ، كانت الام تقول لابنها : « ارجع بدرعك او محمولا عليه » .

وحينما قامت حرب التحرير في اوكرانيا ، بقي بين الستش المقاتلين اربعة كبار في السن . فلم يكن ممكنا ان تجد بينهم اناسا طاعنين في السن ، اذ لا رجل من زابورجي مات ابدا ميتة طبيعية . كلهم يموت في الحرب فقط !

من زمان كان العرب يبعثون بأولادهم الى البادية كي يتعلموا الشعر والفروسية . اليوم ، ابعثوا بأولادكم ايها العرب الى سورية وربوهم هناك ، ففي سورية بدأت تتكون أخلاقيات عربية حربية جديدة معاصرة ... وستكون لنا حكايانا التي نمنحها للتاريخ بعد طول غياب ...

* * *

● في ٥ حزيران اعتنقنا الحزن .

في ٦ تشرين اعتنقنا الفرح .

متى نعتنق الحقيقة ؟

أرسطو قال : « الجاهل يؤكد . العالم يشك . والعاقل يتروى » .

متى نتروى في الحزن والفرح ؟

الاسبوع العربي

٢٩ تشرين الاول

عرس الدم في دمشق

حينما اغمض عيني ، تندلع الحرائق فيهما . ففي عيني اختزنتك يا دمشق ، حملتك عاما بعد عام ودرت بك الدنيا ، ودارت بي الدنيا وكنت ابدا ملجأي ومبكاي ومبخرتي وبوصلتي ، وتعويذتي التي بها أطرد شرور العالم ... وكنت الجزيرة الوحيدة المخضرة في بحار الذاكرة الدامية .

مثل زهرة دوار الشمس كنت أدير وجهي ملاحقة رقصة العصر المسعورة ، ولكن جذوري كانت ابدا مغروسة في « قاسيونك » ونسغك يصب في شراييني ، وكانت الغربة عنك مزيدا من الالتصاق برحم تاريخك ...

دمشق ، يا العريقة كسنديانة الاساطير ! طيورك المهاجرة تقطنك اينما كانت ، تحترق أجنحتها اذا مرت بصمودك صاعقة ... دمشق ، يا لؤلؤة الزمن ! ليست صدفة ان تضربك اسرائيل ، فانت أقدم

مدينة في التاريخ ، وفي مجرد وجودك تحد لكل ما يفتقد الى العراقة والاصالة والعظمة الانسانية . لقد كنت دوما مقبرة الغزاة ، وكل هجمة بربرية « تيمورلنكية » كانت تتكسر عند اقدامك ... وهذه ليست أول مرة تحاول فيها فئات مقاتلة هجينة تطويعك ، ففي لوائحك السريانية والارامية وفي لوائحك المكتوبة بأول أبجدية اخترعها العالم ، حكايات دفاعك عن الانسانية والاصالة ، وخابية الفرح المعتقة في أرضك ... ولبني اسرائيل مطامح فيك منذ عهد داود الذي هزمك الى حين ، كما هزمت في ١٩٦٧ الى حين .

* * *

هل هي صدفة ان الغارة الاسرائيلية الاخيرة اصابت ، فيما أصابت ، ما يلي : مستشفى الشرق الاوسط ، المركز الثقافي السوفياتي ، دار المعلمين والمعلمات ، نقابة الاطباء ، مبنى الاذاعة والتلفزيون ، بيوت المدنيين ؟

أي انها ضربت ما يلي : مستشفى ، مدرسة ، مركز ثقافي ، مركز اعلامي ، أبرياء عزل ؟!

ألا تختزل اسرائيل بهذه الغارة وحدها كل ما تمثله ، وتكتب صيغتها بكلمة حروفها القنابل ، تقول ببساطة : « انا ضد الثقافة المثلة بالمركز الثقافي . ضد الانسانية المثلة بالاطباء والمستشفيات . ضد الطفولة والبراءة الممثلة بالاهلين العزل . ضد الحضارة واللغة المثلة بمركز اعلامي ؟ » . وهل كانت صدفة ان تضرب اسرائيل شارع السفارات لتعلن عن عدائها الشامل لشعوب العالم كله ، وهل هي صدفة ان قتل وجرح في الغارات رجال ونساء من الامم المتحدة يحملون جنسيات الدول الآتية :

هولندا ، بولندا ، فرنسا ، باكستان ، ايرلندا ، النروج ، الهند ، روسيا ؟

هل هي صدفة ، أم هو بيان لخطة عمل اسرائيل ، وبرقية مكتوبة بالصواريخ تحمل اعترافات اسرائيل بنواياها وتهديداتها للعالم المتمدن بأكمله ؟!

وحين فقد العدو أعصابه أمام هزائمه في الجولان ، وانطلق يضرب على غير هدى ، ألم يكن عقله الباطن هو الذي يحدد أهداف العدوان ، فكان الهدف ممثلي العالم في شارع السفارات في دمشق ؟

عشرات الطائرات حملت الجحيم وركضت به فوق وجه دمشق الناصع ، جرحته ولكن ما ظفرت بدمعة ، زرعت فيه الحرائق ، اشعلت مدرستي وبيتي وشارعي واسرتي وقبر أبي ... ولكن ما هم ! دمشق الحرائق تضيء .. وكالفينيق تولد من الرماد . وككل الامم المقاتلة من أجل الحق والانسانية ، ينبت ثوارها من حطام البيوت ، ويخرجون من الزجاج المحطم ، كما تشق الكماة موت الصحراء وتخرج من العدم حين يمر بها طائر الرعد .

* * *

يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر ، الساعة ١٢ ظهرا ، بدأ عرس الدم في دمشق . أمطرت السماء نارا وزجاجا مسحوقا وحديدا وأجسادا ممزقة . ونبتت أنياب دمشق وأظافرها ، وولدت هانوي العربية ، وصارت شوارعها أنهار مقاتلين ، ولم يهرب المواطنون الى الملاجىء ، بل وقف اكثرهم يتأمل ما يدور كما يخرج الناس من بيوتهم الى الحقول حين يهطل المطر للمرة الاولى مع الخريف ...

مطر القتال ، مطر الدم ، مطر النار كان بردا وسلاما على قلوبهم التي قتلها القهر طيلة أعوام ستة تساقط خلالها ثلج الذل باستمرار ، بصمت ، بهدوء ، وكاد صقيعه يطمر النفوس ويحجر الآمال ببعث جديد لامتنا ... حتى وكالة الانباء الفرنسية لاحظت ان ردة فعل المواطنين في دمشق على الغارة لم تكن عادية ، ففسرت ذلك بقولها ان « الغارة أثارت الفضول في شوارع دمشق اكثر مما اثارت الفزع » ! اذ لم يعد لدى المواطن العربي فزع يكبر فزعه من الاستسلام لحالة « اللاسلم ـ اللاحرب » على الطريقة الاسرائيلية .

* * *

دمشق ، هانوي العرب ... فصحيح ان عشرات البيوت تهدمت فوق رؤوس اصحابها ، والسيارات انفجرت بأهلها ، واغصان الاشجار في الشوارع حملت ثمار الحرب البشرية الممزقة الدامية ، المعمدة بعرس الدم ، الا ان الشمس عادت تشرق من جديد في عيون أهلها . ففي كل شارع ، وكل زقاق ، وعلى سطوح المنازل ، وفي شقوق الارض المحفورة بالقنابل ، وفي مسام التراب يفور المقاتلون الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ سنة و ٦٠ سنة : الرشاش في كتف ، وسلة الاكل في الكتف الاخرى ، والكمامات على وسطهم . الحياة العادية تتسلل من جديد الى قلب المدينة ، والطائرات الاسرائيلية تتابع تسللها الى سماء المدينة ، وفي أية لحظة قد تطلق صفارات الانذار زغرودة جديدة في عرس الدم . انها الحرب ، وها هو انسان عربي مقاتل يعي موقعه الحقيقي ، ولم يحدث أبدا ان أطلق أحد رشاشه حزنا على فقيد تحت الانقاض او احتفالا بنصر (كما يحدث في أقطار عربية اخرى ما زال السلاح لديها من لوازم الافراح ودفن الموتى فقط لا غير !) فالسلاح لصدر العدو ، والعدو فقط .

* * *

دمشق الحرائق تضيء منارة في ليل ذلنا الطويل ...

وعرس الدم في دمشق لا يمكن ان يخلو من نغمة باكية أسيانة ، فالحرب هي الحرب ، والطبيعة البشرية لا تتبدل ، لكن النغمة الغالبة في سيمفونية الحرب السورية هي الوعي الجماعي بانه لا مفر من دفع ضريبة الدم من أجل الحياة بكرامة ، وذلك يتم بقبول واع رزين اكثر من « يوفوريا » خطابية ...

في دمشق ، حمص ، اللاذقية ، بانياس ، وكل المدن السورية الصامدة ، يواجه المواطنون الحرب بنضج عربي تتكشف عنه نفوسهم يوما بعد يوم . انها الحرب تكشف معدن الشعوب كما النار تكشف الذهب .

المهم ان خرافة الطيران الاسرائيلي الذي لا يقهر ، كما لو كان سربا من طيور الاساطير ، هذه الخرافة سقطت في دمشق ، وخلفت في شوارعها حطام الطائرات منحوتات وأنصاب مجد ...

والمهم انك تجد اليوم في شوارعها « معرض دمشق الدولي لجثث الطيران الاسرائيلي » . والطائرات الاسرائيلية ، التي كانت شيئا خارقا ، بدأ الناس يمرون بحطامها بشيء من الاعتياد كما لو كانت من معالم دمشق .

* * *

دمشق الحرائق ، يا مدينتي الملتهبة ، المضيئة ، أنت اليوم بحق جمرة آمالنا المتوقدة ، وعروس المجد في عرس الدم ! وأينما كنا ، فكل رصاصة تنطلق عليك تستقر في صدورنا ...

الاسبوع العربي
١٢ تشرين الاول

ميشال سليمان

مسائيات جندي في الجولان

« ... فيما الاعصار يقلب أوراق الفصل الآخر
من سفر الدم
وتموت الاعشاب فلا يرثيها اللون الاخضر
حملت أجفـان الريـح
رقيما مكتوبا بالدم ... »

٧ تشرين الاول

وقعت شمس على سبابتي ، فبدأت أكتب ، بل أرسم :
شجرا ، أرضا ضاعت حدودها
ربما فقدت سبب وجودهـا على خريطتي الذائبة كالملح
ورحت أدب فوق ما رسمت
كأن الحياة قد انشلت حولي
وكأن الخريطة مقبرة حبلى بالحرائق
لكن العربة التي أقلتني كانت الدليل على اني فعلا
في محطة من خريطتي التي بارحها الجميع فتوقف قلبها
وخيل لي ان الدرب التي رسمت على خريطتي
حية تحملني صوب العدم في دهشتي الصامتة .
هل أنا الرجل الوحيد الباقي في هذا المدى الغريب ؟
أأنا الطفل المحاول اللعب بالتراب المشتعل ؟
ولم أنا هنا ، بعيدا عن أرض جذوري ؟
روحي تشتعل ...

٨ تشرين الاول

مزقت الصمت طلقة .
العشب لا يرى اخضراره يحترق .
رأيت الطريق التي رسمت
تمشي في الظلمة عبر الموت اليومي
ورأيت دبابات العدو تسد مجراها
صعدت دمائي الى رأسي . وحين اخذت قنبلة من وسطي ،
ورفعت رأسي لارى مسراها ، أبصرت سيلا
من القنابل تنطلق من حولي .
انعقد الغبار حزما كثيفة متداخلة . سمعت صياحا
مذعورا يبتعد حتى يبتلعه الصدى ، وصليلا مجنونا يخـــرج
من أشداق شياطين الارض
هل أتقدم ؟
تقدمت شاعرا بفقدان وزني ، عبر الضباب الجائع لطعم الدم .
عضلاتي لم تتشنج . قدمي تدق ابواب الجدار الضبابي من حولي .
قشرة الليل تتفصد من ضغط الجو .
وأمد يدي للظلمة
أهجم
أتردد
أتوقف
اتابع هجومي كأني اسمّر الليل بجلد النجوم الشفاف
لم أتراجع
كانت أقدام رفاقي
توقظ
تفتح ثغرات
في صدر الضباب الجائع لطعم الدم ... وفي صدر الاعداء ...

٩ تشرين الاول

حتى الآن لم أنم
فيما كان الصباح منشغلا بطرح شباك أشعته
رأيت العدو في البعيد مهتما بجمع شتاته ووحداته
طويت الطريق ورائي مسرعا
نحن في أرضنا . أجل في أرضنا .
ارضنا هذه . وجدتها وكانت ضائعة . كانت سليبا .
الحب لا يكفي لكي أسميها ، وادفعها في صورة الحلم البعيد .
رأيتك يا ارضنا الطيبة . نتوء جبينك
تخرج من قاعدتها الجامدة . تخرج من رتابة النعاس اليومي .
تعانق الايدي الباحثة عنك .
لن أبارحك بعد اليوم . سوف تكونين جلدي

الذي غادرني في زمن اليباس والاغتراب . الماء عزيز في هذه اللحظة . ولكن
لا باس ... جرعة تكفي . واحتفظ بالباقي .
قلبي يهفو على بردى .

١٠ تشرين الاول

ها نحن . وها انت في عناق الدم والصدور .
الحب أعظم صوت ساعة يتعانق الانسان وأرضه
تحت الشمس ، ليخلقا حياة تبسم فيها الاغنية ،
ويقهقه الخبز ، وترقص الارجل .
مرت فوقي نحله .
أز جناحاها
خلتهما طياره
قلت في سري : ترى هل هي تسعى الى رزقها ؟
أم هي مثلي في معركة مع العدو الذي حرق أزهارها
وحرمها الرحيق ؟ ليتها كذلك .
ولكن ، مالي وللنحل .
عيني اليمنى تؤلمني
اقتحمها غبار اليوم . وهي بلا نوم .
حان الوقت . فلنتقدم .

١١ تشرين الاول

جرح في كفي اليسرى
شددت عليه بأسناني حتى اندمل
القمر الليلة يبدو تعبا مثلي
هو فوقي
لم يسبقني
كم تبدو ارضنا جميلة رغم الجراح التي في وجهها
أرضنا
عبر الجلد الذي يشكل جزءا من وجهك
وأثلام الضوء المنسابة في جسدك
وخلال جذورك المشدودة الى أعماقك
ترتسم لي صورتك المتعددة بالامس ، الموحدة اليوم
ويجري في عناقيد غضبك خمر ابنائي الذين لم يولدوا .
اليوم عرفت كيف يكون قرع الحديد بالحديد .
عرفت ايضا كيف يكون الانتصار .
رأيت مدرعاتنا تطحن بنيرانها عتاد العدو . فيشتعل
بركانا . ويتعانق الغبار مع النار .
وفوق حطام الغزاة حيث انا الآن ، أحاول ان أستجمع صورة
تتراءى لي من خلال ألسنة اللهب
رأيت احدى قرانا يعاد بناؤها ، والفجر الطالع
يذهّب سقوف منازلها المتواضعة
والسنونو الذي لا يغرد
يغرد وتلتمع في عيونه فرحة سحرية .
ورأيت حياتي في ولد يلعب خلال لحظة صمت تستريح .

١٢ تشرين الاول

اليوم ...
ثلاث مرات دفنت . وكنت في كل مرة أنهض من القبر .
صاروخ جوي ، في المرة الاولى ، فجر الارض حولي وغمرني بالتراب والدخان . فقدت وعيي . وعندما فتحت عيني ، خيل لي انني أرى الارض لاول مرة . في المرة الثانية ، لزمت حفرة لاتقي نار العدو ، وأرصده .
كان على مقربة من مواقعنا . قنبلتي انطلقت من يدي . تبعتها يدي . سبقتها لكي لا تخيب . أتبعها رفاقي برشاش . رد العدو بكثافة . فدفنتني ناره بجرف ترابي . لم يغم علي . لكنني شعرت بخيوط عضلاتي تنحل . انبطحت في حفرة قذيفة ، لافيق مذعورا ، على خيالات ووقع اقدام رفاقي تدق الارض من حولي .
نهضت ، ومشيت .
يظهر ان العدو خارت قواه . لا رصاص من صوبه . هل ولى الادبار ؟ هل أبيد ؟... أحد أمرين .
اني وأنا أكتب في أعلى هضبة
أرى جسد الجولان مثل البحر الذي ابتعد عنه لازوره .
وارى وجهه مكللا بالخبز والغضب
مدرعا بعظام الشهداء
مسورا بالبيارق ، بأسماء المواليد القادمين ، بضجيج العجلات والمدافع الداخلة في حلمه ، والتي ترفع نجومه الخفية ، وترفع تماثيله المتحركة ، وبصمات الاكف التي ترويه بالعرق والدم
وتمحو آثار الجوع عن احلامه الحلى بالبروق والمطر ...

١٣ تشرين الاول

لن أكتب شيئا هذا اليوم
يبدو الامر كذلك .
لكن ....
(طائرة عدوة قطعت حبل ذاكرتي) زحفت في خندق
توقفت اثناء الزحف مرارا ، لارفع قنابلي من ان تدق الارض
(طائرة عدوة تئز فوقي مسرعة) دوت قذائف برقية .
ارتسمت في الجو دوائر دخان اسود . تمددت . تشابكت . وانقشعت . وسمعت على مقربة مني ضجة تتقلب على الارض . وسمعت تأوها . رفعت رأسي . رأيت رفيقي يتقلب على التراب . يا الله . رأيت روحه تخرج من فمه زاعقة . اجبرتهاعلىالخروجشظية . هل ابكي ؟ هل انتحب ؟ كان قريبا لروحي . كنا ننام في مهجع واحد . آه . مسكين. قص علي ذات ليلة قصة عينين سوداوين ، وخصر ، وحبتي كرز سماوي . حبه الوحيد . عيناه تحدقان بي . تقولان : خذني . لا تتركني وحيدا . اني أقاتل معكم . لم يكن لي وقت لابكيه . قبلته من شفتيه .علق على شفتي دم تدفق منهما . أخذت بندقيته . ومشيت . وظل يقاتل مينا ، بيدي ...

١٤ تشرين الاول

وجه أمي ... وجه أمتي
تراءى لي في هذه اللحظات . عند الغياب . الشمس أراها من مكمني بين الادغال والصخور ، رغيفا احمر هاربا وراء الشفق الليلكي . اطلقت عيني في اثره تلتقطه . تعيده الينا خبزا كثيرا .
خبزا ؟
قلت : قنابل . قلت : رصاص . قلت : حجار .
ليس بالخبز وحده ... بل الرصاص هو الخبز الاكبر اليوم .
نعجنه ، ونطعمه للعدو . نعيش على عجنه واطعامه .
كم الساعة الآن ؟

كان عقرب الدقائق في ساعتي متوقفا . فيما عقرب الساعات يشير الى السابعة مساء .
ترى اختل جهاز ساعتي ؟
أم المدى اختصر الوقت ؟
أم هذا على الافل ما تؤكده قدماي المنهوكتان من القفز والانبطاح ثم الركض ؟
ومسحت الغبار عن جفوني . ونمت . او هكذا خيل لي . لان خيوط الدم المتدفق من فم رفيقي بالامس شد جفوني ... يدعوني ...
أفقت مذعورا على الدوي والازيز من جديد ...
عيني تحتضن قاسيون !

١٥ تشرين الاول

هناك أيام طويلة ، يحس فيها المرء كأنه يخون نداء الصباح . ومع ذلك ، أفقت لارى الفجر الطالع في اثر الليل . وأرى أرضنا بما فيها ، تشد ازره . ووجدتني طواعية أندمج في موكب النور .
قلت : سلام يا صخرا من صدورنا صلابته وثباته .
سلام يا قبرة تغرد ، وتذهّب جناحها بخيوط الفجر
لتحجب من الشمس قدر حجمها عن العدو .
سلام يا عقبانا تشحذ مناقيدها على حطام الفانتوم .
سلام يا نبالا رأسها في صدور الاعداء وعقبها في أيدينا.
سلام يا رفاق المعركة في كل معركة ، وبكل خندق ،
وعلى كل قمة ، وفي كل ساح .
سلام يا كل حبة رمل تشتعل حريقة تحت قدم عدو
سلام يا ارض اصابعنا المغروزة فيها حتى العظم
سلام يا سنابل القمح المحروقة بدم الغزاة .
اليوم ، حقا ، رفعت رأسي فوق الغبار المتصاعد من أرضنا ، يسد على الاعداء وجوه الآفاق . قلت لرصاص العدو : هنا انتحر (في صدري) . وقلت للعدو المتسربل باكفان الهزيمة والعار :
ـ قف . اسمع . مع كل ضوء الشرف المتمرد الذي لن يركع سوف ترى نجمتك مصنوعة بحجم الهزيمة .
كل ترابة في عالمك ستكون حائط مبكى ، وصرير أسنان . وأنين الخزي الابدي .
وغدا ... لن تكون اليوم الذي يلي لحظة انغرازعيني في عينيك.
قد تكون كل العمر الذي نريده بناية للقيمة العليا : حريتنا !

* * *

« ... حملت أجفان الريح
رقيما مكتوبا بالدم
فيما الاعصار يقلب
آخر فصل في سفر الدم
والشجر المحروق
يجن غصونا
حبلى باللون الاخضر » .

البلاغ ٢٢ تشرين الاول

عدسة الاديب وعدسة الواقع

عندما تمتحن مراحل التاريخ ، أمة ما ، بالبلاء ، تلقي على طبقاتها وحكوماتها وجماهيرها مسؤوليات ومهمات جساما ، بمقدار ما لهذه الطبقات والحكومات والجماهير من علاقة مباشرة بعوامل التحولات الاجتماعية ، وبمبادىء صيرورتها الواعية واللاواعية على السواء .

وانما تكون المحن على قدر الهمم ، فان نهضت بها ، حملتها على العمل لصالحها . قلت : لصالح الجماهير الناهدة الى غد افضل . ومهما يكن من امر التحول هذا ، فانه لا بد سائر صعدا ، وان بنسبة قليلة . الا انها درجة في السلم المفضي الى الغاية المنشودة .

من هنا تبدو خطورة مسؤوليات العاملين على جبهة الادب والفكر والفن . خاصة عندما يكون شعبهم امتهم تخوض غمار حرب مصيرية ، كالتي نخوضها اليوم ، ضد عدو شرس متغطرس يشكل جزءا من الامبريالية العالمية التي تسعى جهدها في الكيد والتآمر على الشعوب المناضلة من اجل حريتها وسيادتها وتقرير مصيرها بذاتها .

ومن عجب ان ينطرح السؤال عن مهمة الاديب ، كلما عصفت بمجتمعنا عاصفة سياسية ، او طلعت ظاهرة اجتماعية . كانما الاديب، في اذهان الناس ، يعيش بالضرورة خارج نطاق الواقع ، او على مدرجة منه في ادنى احتمال .

وعندي ، ان الاديب والشاعر والفنان ، لا مناص لهم وهم العدسة التي ترصد الواقع وترافق حركاته ، من ان يكونوا في قلب كل حدث ، وان يعبروا عنه . انما يكون وعيهم ومعاناتهم بمقدار ما يختزنون من عوامل التعبير التي تغني بالممارسة والتعمق في درس جزئيات الواقع الاجتماعي وكلياته .

وتزيد مسؤولية هؤلاء الذين أوتوا من رهافة الحس مبلغا يجعلهم يرتعشون لادنى هزة تحصل ، في الظروف العصيبة التي يمر بها شعبهم ووطنهم وأمتهم ، بحيث يترتب عليهم ان يكونوا جزءا مندغما بتراب الوطن وبدم شعبه ولحمه . كما يترتب عليهم ان يكونوا ، بالتالي ، التمثل الاتم لما يقوم به الشعب من اعمال ، وما يعتلج في صدره من آمال وتطلعات .

ولهذا فان الاديب العربي مسؤول بالدرجة الاولى اليوم ، فيما الجيش والشعب العربي في كل من سورية ومصر والعراق وسواها يقف هذه الوقفة البطولية لاعادة الكرامة العربية التي أهينت . وقد عادت فعلا بفعل الصمود والتضحية .

وتكمن مسؤوليته في وجوب قيامه بالخطوة « الاولى الى الامام » بحيث يضع كل مواهبه في خدمة القضية التي يناضل الشعب من اجلها . وبحكم انتمائه لهذا الشعب عليه ان يساعده في مسيرته الدامية ، على الرؤية الواضحة ، ودعوته الى العمل ، واستخلاص التجارب من هذا النشاط كله ، بحيث تصبح بين الاديب وبين الشعب وحدة تامة ، فيأخذ الادب والفن مركزا قتاليا في النضال الدائر بين الشعب وبين اعدائه .

لقد استطاعت الصهيونية ، بما لها من سيطرة على العديد من مراكز الاعلام العالمية ، وما لها من نفوذ مالي واقتصادي ، ان تضلل الكثير من الاوساط السياسية والثقافية ، لتكسب عطفها ومساندتها .

ومن واجبات الاديب العربي في هذه الظروف الحرجة ان ينتبه الى هذه العملية البالغة الخطورة التي طالت ، وان يفضح مراميها، ويكشف اهدافها العدوانية والاجرامية ، وينقذ تلك الاوساط من شبكة الزيف والعهر السياسي ، ويجعلها بالتالي مساندة لنا في نضالنا من اجل استعادة الارض والكرامة ، وانقاذ الحرية المهانة .

فاذا ما نهض الاديب العربي اليوم لهذه المهمات وقام بها ، يكون قد اسهم فعلا ، مع المقاتلين في جبهات القتال ، في التمهيد للنصر واحرازه . ويكون بالتالي قد بدأ يعجن الخمير الذي يبشر بالغد المرتجى .

الانوار
٢ تشرين الثاني

أعمدة عواصم الغضب

الى الصامدين في خطوط النار

في ساعات الغبار والدم
في رحلة المصير التي يفقد فيها الموت جبينه ويده
نسمع دقات الساعـــة تتوالى ، متدافعة ، كأنها الشلال في انصبابه
وفي لحظات العبور المطبقة على العزلة
نبصر ارواح الشهداء ، عيونا تزرع السنان في الحراب
نحن الذين في هذه الفترة ، حيث يجري الوقت سائلا كعرق جباهكم
لا نستطيع ان نتشبث بصور الوردة التي رسمناها ذات يوم
لانها تداعت . لاننا رغبنا عنها .
ولان تويجات زهرة النـــار
المتفتحة بين ايديكم
وتحت أرجلكم
هي التي تشرئب من الارض وحيدة .
لكنها ليست وحدها
كما انكم لستم وحدكم
ومعكم قلوب الذين لم يحملوا السلاح بعد
وأمنيات الجرحى
وأغاني الاطفال الذين ترتفع أناملهم فوق هدير الطائرات
ومناديل الفتيات اللواتي لم تدنسهن روائح السلاح الذهبي
والوطن الكبير بأسره معكم .
معكم القمح الشامخ برغم الرياح السموم
معكم الجداول التي غليانها من حرارة عروقكم
معكم النخيل ، سعفا ، سيوفـا ملّت الركون الى اغمادها
معكم عقبان القمم ، أعداء الافاعي
معكم الدروب التي تنام في عيون الاطفال ، وتركض نحوكـم أسرع من الحلم .
وفيما انتم تقفون امام سجلات الخضوع والعار وتمزقونها
نرى أجسادكم كيف تنزلق فــي الضباب الاحمر ، في بحـر النار والبارود
نرى أجسادكم في وحل الظلمات ، أمواج غضب ، تكنس الهزيمه
نرى أجسادكم في الفجر ، طلائع أشعة تدمر ليلا خيل انـه لن ينتهي .
تراكم سكـان الضجة التي حسبها الناس سوالف زمـن ارتفــاع الاسعار وانخفاضها
فيما أنتم ، الآن ، تتكلمون عن حرقتنا اليومية بلغة الرصـاص وبكم يتعلق كل شي
من مثل الاطفال الذين ينبجسون الليلة ، طرايا ، من بطـون أمهاتهم
من مثل البسمات التي لم تنعم ببكارة المحبة
من مثل عمارات الفجر ، المقدودة احجارها مـن مقالع العـرق الخـلاق
من كبرياء الانسان ...
انساننا الباحث عن كلمة جديدة لا ينتهي عملها
عن عظمة ضوء القناديل
كي لا يتسرب الظل كالمهربين الطامعين بثروة وقتية
من عظمة محطة اقلاعكم
صوب الحسرات المحترفة صناعة الحلم الثوري .
وأنتم ، بعد ، أعمدة عواصم الخبز المقاتل ، والحرف الجارح
وأنتم أسوار عواصم الغضب والثورة .

البلاغ
٥ تشرين الثاني

فؤاد الخشن

نذور لوردة الرمل

قطعت اليك نهر العصف واللهب !..
ركبت الهول كي ألقاك يا مسبية الجسد
بحصن شاده « خيبر »
وأيقن ان قلعته التي التفَت
بسور الرمل والفولاذ لا تقهر !
وبعد عبوريَ العجبِ
على الجسر الذي اقحمتَ ...
عبر تدفق الحمم
وقفت وشمس تشرينِ
تلولب في شراييني !
ويلهث وهجها اللفّاح في الانفاس
وقلت : اماميَ الاعداء
الى محبوبتي السمراء
وخلفي الماء ...

●

سعير الشوق بعد سقوطيَ المخزيّ ما هجعا
وارثي من لظى العنقاء ظل شراره يرشفْ
لابعث بعد هذا الموت تحت رماد أكفاني
فعدت الآن فارسك الذي يعشق
وقد رجعا
اليّ جبينيَ الاسمر
نفياً من وحول العار ...
وقد كادت به الاجراس
لطول الصمت أن تصدأ !

●

رجعت اليك في دوّامة الغضبِ
لالثم وجهك المهتز خلف الحزنِ والعتب
أنوّر ثغرك المطفأ
وأفنى فيك حين تغيب عن أشكالها الاشياء
تزول صفاتها العرضية الناسوت والاسماء
ويمسي العاشق المسلوب من حسه
– بشطح تهافت ينهار
لفضّ براعم الاسرار –
فراش النار !
يصير الضوء والشمعه
اذا ما غاب عن نفسه
وحلّ ... وذاب في الشعله !..

... عرفت مكانك المرصود ... لم أسأل
عن الاطياب ... دلّتني
الى بوابة الصحراء
زنابق من دم الاهلِ
وباسمك سرت ، باسم سنائك المعبود ، لا أرتدْ
وسال الرمل بالنيران ...
أنبت فطره الاسود
مكان المنّ في سيناء
وصار معابر الفولاذ نحو « الطور » ...
صار صواعقاً تمحو الذي خطّت
قديما من وصايا الله في صخرية القممِ !

●

وعدتُ قبيلتي امسِ
بمهر من نياق الجنّ يا عبله !
ووعدي دين
فجئت اليوم للايفاء
لاجلك أنت يا ليلية العينين
وللدمع الذي حفرا
بخدّيك
وليس لاجل شَداد وما همست بنو عبسٍ !
ومهما كانْ
مصيري الآن ...
مهما شوّهوا الصورا ...
فيكفيني
باني جئت
واني شئت
عذاب الطير في الاودية السبعه
لتدرك منبع الانوار
وانك انتِ كنت الذات ...
والمرآة ...
وكنتِ وردة الرمل التي يُنذرْ
لها سكب الدم القاني
وان جمالك الابدي أنساني
طلاء الزهد والايمان ...
يسقط كلما زعموا
بأن صلاتهم كانت
تقام لاجل عينيك !

خليل تقي الدين

استيقظ المارد العربي

هزيمة ٥ حزيران لسعت المارد العربي النائم فتنبه ، وتمطى ، وتثاءب ست سنوات ــ هنيهة في عمر الزمان ــ ثم هب كالاعصار في ٦ اكتوبر وانتصب بجبروته وقوته يحطم العدو ويدمره ولا يترك له مجالا لالتقاط أنفاسه .

خرافة الجيش الذي لا يقهر ، ولها اكثر من سابقة في التاريخ ، قضى عليها ابطال العرب الذين عبروا القناة ، وتوغلوا في سيناء ، وشقوا طريقهم بالصدور والحديد والنار في مرتفعات الجولان .

ونسور العرب جعلوا من السماء ميدانا للبطولات ، يتبارى مع ميدان الارض في البسالة ، والاستهتار بالموت ، والتصميم على النصر ومحو العار .

ست سنوات تمادت خلالها اسرائيل في جنون العظمة ، وعنفوان النصر لتقتل في نفوس العرب كل أمل بالانبعاث .

الحرب النفسية التي شنها العدو على العرب كانت أقسى ، وأشد هولا من حرب المدافع ، والقنابل والطائرات .

أرادت اسرائيل ان تقنعنا بأن لا أمل لنا بمقاتلتها ولا باستعادة الارض المغتصبة ، وان كل آمالنا تنحصر في ان لا نفقد أرضا جديدة، وبلدانا اخرى .

فجاء ٦ اكتوبر يحمل الى العرب مع الانتصار الذي فاجأ العدو ما قد يكون أهم من الانتصار نفسه . حمل هذا اليوم المبارك ثقة النفوس العربية من المحيط الى الخليج بانفسهم ، وبقادتهم ، وبالمقاتلين الابطال الذين يقاتلون بضراوة ، وشجاعة ، وتصميم فرضت اعجاب العالم كله واحترامه الذي يتردد صداه من قطر الى قطر .

وانهارت خرافة اسرائيل . حتى ومن وراء اسرائيل من دول كبيرة وصغيرة . وأدرك العالم ان العرب يحاربون ، وانهم يقاتلون . يموتون ويميتون . لقد حلت الافعال محل الاقوال . وغطى ضجيج المعارك ، واصوات انفجار المدافع والقنابل الاهازيج ، والاناشيد ، والاغاني التي كانت كل سلاحنا ، وكل شغلنا ، وكل حربنا .

واليوم تعرف الجيوش التي تخوض المعارك ان الشعوب تساندها وتدعمها دعما كاملا لا نقص فيه ولا تردد .

ولعل هذا العامل النفسي أهم ما في هذه الحرب .

وسيكون هو الحاسم في تحقيق النصر !

الانوار ١٠ تشرين الاول

على نفسها جنت !..

اسرائيل هي التي عبأت العرب ، وشحنت رؤوسهم ، وصدورهم بالكراهية والبغضاء . بالحقد الاسود . بالتصميم الصخري الاصم على غسل الاهانة ، ومحو العار ، واسترجاع المنهوب والمسروق من أراضيهم ، واعادة الحرمات الى أماكنهم المقدسة التي حولها العدو الى خمارات ، ومرابع ليلية ، ومراقص لشبابها المستهتر وغانياتها المرفهات عن الشباب .

اسرائيل ، بعد ٥ حزيران ، هي التي نشرت ، وقالت ، واذاعت انها مرغت جبين العرب بالتراب ، وانها بلد العلم ، والعقل ، والتقنية ، البلد المتمدن الوحيد في منطقة الجهل ، والابل ، والتخلف !

اسرائيل هي التي كذبت على العالم بأبواقها المستأجرة ، وصحافتها المشتراة واذاعاتهم العميلة ، وتصريحات قادتها وحكامها حين زعمت انها دولة مسالمة ، وانها حمل وديع محاط بالذئاب ، في الوقت الذي كانت طائراتها الحربية تسقط طائرات العرب المدنية وتقتل المسافرين الابرياء . في الوقت الذي كانت تتوغل داخل مصر وتقصف المستشفيات والمدارس التي تعج بالطلاب . وها هي تعيد الجريمة الهمجية وتكررها في دمشق ، فسقط المدنيون الابرياء ضحايا قصف جوي وحشي لا مبرر له .

قال وزير خارجية فرنسا امس للصحفيين الذين كانوا يسألونه رأيه في الحرب : ان العرب لا يحاربون للحصول على مكاسب ، بل لاستعادة ما أخذ منهم بالقوة . وأضاف : هل يعتبر عدوانا ان يعود كل منكم الى بيته ؟

لقد فجرت غطرسة اسرائيل السدود النفسية التي احتوت العرب طوال ست سنوات ، بل طوال ربع قرن .

وتدفق السيل . وكلما مر يوم ، بل انقضت ساعة ، تفجرت سدود جديدة كانت تختزن الطاقات في الارض العربية ، وفي الصدور العربية ، وازداد السيل قوة واندفاعا وجرف في طريقه كل عقبة ، ودمر كل قلعة من قلاع العدو .

لقد جنت اسرائيل على نفسها بعد أن مارست طويلا مهنة الجناية على الآخرين .

وكثيرا ما يبالغ المجرم في التلهي بالقنبلة التي يعدها لعدوه ، وفي تقليبها ، والمفاخرة والتباهي بها ، فتنفجر بين يديه وتمزقه تمزيقا !!

الانوار ١١ تشرين الاول

حرب ((الغفران)) !

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ((طحلونا)) بحرب الايام الستة .

أطلقوا عليها هذا الاسم مدفوعين بالغطرسة التي درجوا عليها ، للدلالة على السرعة التي الحقوا فيها الهزيمة بالعرب .

أبطال مصر ، وأبطال سوريا ، وكل مقاتل عربي يقاتل معهم اليوم ، غسلوا عار الايام الستة في مياه القناة ، ودفنوه في مرتفعات الجولان .

وها هي حرب العرب ، حربنا ، تطوي يومها السادس وتنساه لان جنود العرب لا ينظرون الى الوراء ، بل يتطلعون اليوم الى الامام، والى العلاء .

الى الامام . الى ارضهم المنهوبة ، المغتصبة يحررونها شبرا شبرا مهما طال أمد التحرير .

الى العلاء حيث نسور العرب يحطمون طائرات العدو فتتساقط كالذباب .

هل أنا الذي يقول هذا ؟ كلا . كلا . هذا الكلام ورد في الصحيفة الفرنسية الكبرى ((لوموند)) ، اذ قال معلقها العسكري في عدد أمس بالحرف الواحد : ((ان أجهزة الصواريخ والمدفعية الثقيلة العربية تبدو وكأنها حاجز من لهب ترتطم به الطائرات الاسرائيلية وتسقط كالفراشات حول المصابيح)) .

وأشارت ((لوموند)) الى قول الخبراء العسكريين : ((ان اختراق

هذا الحاجز يعني التضحية بسبع طائرات قبل ان تصل الثامنـــة الى هدفها » ..

أول من أمس صاح « تكواه » مندوب اسرائيل في مجلس الامن : « لقد هاجمنا العرب في يوم عيدنا المقدس ، عيد الغفران » .

ومنذ تلك الدقيقة بدأت صحف العالم تسمي الحرب الدائرة رحاها اليوم « حرب الغفران » . الغفران الذي تستجديه اسرائيل من الله .

وبيـن حرب الايام الستة وحرب الغفران فرق كبير .

لان الاسرائيليين لو ظلوا يستغفرون الله طول حياتهم لما غفر لهم جرائمهم ، واعتداءاتهم ، وتقتيلهم النساء ، والعجزة ، والاطفال الابرياء دون ما سبب او مبرر كما جرى ويجري في بور سعيد ودمشق وحمص وطرطوس اليوم وما قبل ذلك منذ ثلاثين سنة الى الآن وفي كل مكـان من الارض العربية .

الانوار ١٣ تشرين الاول

... وسـلاح النفط أيضا

أطلقت الرصاصة الاولى في معركة النفط العربي فانفجر صداها في أرجاء العالم كله ، وكان دويها عظيما .

ويمكنني الآن ، دون ان أنكث بوعد أو أخون عهدا قطعته عـلى نفسي ، أن أذيع سرا اؤتمنت عليه ، وكتمته مدة سبعة وثمانين يومـا ، منذ ١٩ تموز الماضي الى هذه الدقيقة التي أكتب فيها هذه السطور .

ففي ذلك اليوم ــ ١٩ تموز ١٩٧٣ ــ كنت في الطائف ، المقـر الصيفي للملك وحكومته ، في فندق « العزيزية » . وكنت أعرف انني سأتشرف بمقابلة الملك في الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم، فقد أبلغتني الموعد « التشريفات الملكية » .

وعند الفجر استيقظت على صوت المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر ! فنهضت ولبست ثيابي ، ونزلت الى بهو الفندق . فرأيت أحمـد ، سائق السيارة الرسمية الموضوعة تحت تصرفي ، يصلي مع رجليـن آخرين . فلم أعكر عليهم صفو الصلاة . حتى اذا فرغوا أشرت عـلى أحمد أن يتبعني الى السيارة . وصعد اليها وصعدت . ثم قلت له : تذهب مسافة ساعة الى الصحراء ، على طريق « الرياض » .

وفي الصحراء ترجلت ورحت أمشي واملأ صدري بهوائها النقـي المنعش . وأدير نظري في هذا المنبسط من الارض الذي يبدو وكأنـه لا نهايـة له ، كالسماء التي تعلوه والتي لا نهايـة لها .

وصار رأسي نهبا للافكار ، وصدري خلية للمشاعر .

لكن فكرة واحدة طغت علي ، وملكت لبي .

من هذه البطاح خرج النبي العربي الكريم .

لقد اخترقت السيارة بي عشية أمس ، وانا في طريقي من جـدة الى الطائف ، مكة المكرمة .

لم اتبرك بزيارة الكعبة المشرفة هذه المرة. لكـن قلبي هفـا اليها واشتد خفقانه حين كان السائق احمد يقول لي ، وهو يحسب اننـي لا اعرف : هذه « منى » ، وهذه عرفات ، وهذا ... وهذا ...

من هذه الارض المقدسة انتشر الاسلام ، وحقق المعجزات ، وأبدع الفنون ، واستوى على ذروة الفكر والفلسفة ، وكان هديا للمهتدين ، ومثلا في السماح ، والحق ، والعدالة ، والخير .

من هنا ... الى أبواب الصين !

وبعد أربعة عشر قرنا تهزم هذه الامة العربية عصابة من شـذاذ الارض وفدوا الى فلسطين من كل قطر على مراكب من حقد ، وسفـن من طغيان ، وطائرات من كراهية وبغضاء .

كيف حدث ذلك ؟ وكيف يمكن ان يكون ما حدث حقيقة لا وهمـا من الاوهام ؟

كلما اسعدني الحظ ومثلت في مجلس الملك فيصل تهيبت ، وتملكني شعـور قوي هو مزيج من الرهبة والاحترام والغبطة والاعتزاز .

لا أدري كيف قلت له : ان حديث جلالتك للصحافة الاميركية عن تمادي اميركا في مساعدة اسرائيل وانها اذا استمرت في سياستهـا هذه فستعيد النظر في سياستك البترولية ، ان هذا الحديث كان لـه في العالم دوي عظيم .

استوى فيصل في مجلسه وقال :

أمس أدليت بحديث الى محطة « ن. بي. سي. » التلفزيونيـة الاميركية عن البترول . لقد انتقلنا الى التحذير . وسننتقل من التحذير الى الانذار .

وأضاف الملك وأنا أسمع بأذني وعيني وقلبي وكياني جميعا كـل كلمة من كلماته : ان اسرائيل قد طغت وبغت وتكبرت وتجبرت . انهـا انتهكت أرضنا ، ودنست مقدساتنا ، وقتلت ، وجنت ، والعالم يتفرج عليها ولا يقول شيئا . واميركا تساعدها . ان الله سبحانه وتعـالى قد أمرنا بالجهاد في سبيله جل جلاله . ونحن مؤتمنون على الاماكـن الاسلامية المقدسة .

وصمت الملك قليلا ، ثم ارتفع صوته ، لكنه لم يخرج عن هدوئه ووقاره الشهيرين وقال : لقد عيل صبرنا ..

وأنهى كلامه بقوله : واذا عزمتم فتوكلوا ..

* * *

أدركت ، منذ تلك الساعة ، ان في الجو شيئا . انتابني احساس عجيب يشبه حدس النساء ، او الشعـــور بأمر آت لا ريب فيـه . واقسمت بيني وبين نفسي على أن لا ابوح بشيء .

وصعد فيصل تحذيره ، الى انذار بقطع العلاقات مع الدولة التي تساعد اسرائيل على تقتيل العرب .

ثم تتالت الاحداث ، سريعة ، قاطعة حاسمة . فتصالح العـرب بعضهم مع بعض .

وما كان حلما اصبح حقيقة . ورؤوسنا التي كانت مطأطئة رفعها الى السماء أبطال العرب المقاتلون في سيناء ، وفي الجولان .

هذه الحرب هي حرب كل العرب . لن يبقى عربي خارج المعركة . لان هذه ، لا غيرها ، هي معركة الحياة والموت .

وغدا ، حين يجتمع في الكويت ممثلو بلدان النفط العربـي ، سيضيفون باذن الله الى الاسلحة الماضية التي يحارب بها العـرب عدوهم سلاح النفط ، وهو لا يقل مضاء وأهميـة وفتكا عن المدفع ، والطائرة والصاروخ .

الانوار ١٦ تشرين الأول

تواضع المنتصر

أصغيت بكل جوارحي الى خطبة القائد الرئيس أنور السادات ، وكنت أمام زوجتي وخادمة البيت أهلل مع المهللين ، وأصفـق مـع المصفقيـن .

تيار عجيب وصلني بقاعة مجلس الامة في القاهرة ، وجدتنـي ، والراديو في حضني ، متمسكا به ، أخاف عليه ، بل على نفسـي ، ان يفلت مني ، او يصاب بسوء فيسكت ، وتفلت مني كلمـة مـن كلمات الرئيس .

الرئيس الذي وهبني الله ما حرم منه الكثيرين : شرف معرفته ، والتقرب منه ، والاستماع الى حديثه ، والتحدث اليه مدى ثـلاث سنوات ، مرة او مرتين في الشهر على الاقـل ، يوم كنت أعمـل في مصر .

أمس واليوم ، بل منذ اللحظة التي أنهى فيها الرئيس السادات خطابه ، أصبح الخطاب شغل العالم الشاغل . طغى صوت القـائد المنتصر حتى على أصوات المعارك في سيناء ، وفي الجولان .

رأى الناس فيه شيئا جديدا. لم يألفوه ، ولم يروا مثله من قبل .

رآوا وسمعوا قائدا بطلا منتصرا تسير قواته الباسلة ، وقـوات حليفه ورفيقه البطل الاسد ، من نصر الى نصر ، رأوه وسمعوه يتكلم من مركز القوة ، وذروة الانتصار ، بلغة لا عهد لهم بها على لسان الاقوياء ، لغة التواضع والابتعاد عن المفاخرة والكبرياء ، لغة الانسان المؤمن بربه ، الواثق من نفسه ، ومن ابنائه المقاتلين ، ومن شعبه .

بل اكثر من ذلك ، اني أعرف منذ الآن انه سيراق حبر كثير ، وتكتب مقالات ، وتؤلف مجلدات حول اسم أنور السادات ، المارد العربي الذي أطلعته أرض مصر الخالدة ، والارض العربية المعطـاء ، والذي عاهد الله ، وعاهد أمته على ان يرد للعرب كرامتهم ، ويرفـع رؤوسهم ، ويجعل راياتهم المنكسة شامخة الهامات ، خفاقة فيالسماء . وقد فعل .

سيكتب الكثيرون عن الرئيس ، والزعيم ، والمخطط ، والقائد .

سيروون قصة العذاب النفسي الذي تحمله صابرا ، راضيـا ، طوال ثلاث سنوات . وفضل ، كما قال علي أمين أمس ، احتمال الظلم على ان يكشف أوراقه للعدو .

أما أنا فأريد ان أقول بضع كلمات عن أنور السادات الانسـان ، كما شاءت العناية الالهية لي ، وشاء حظي ، ان اعرفه .

لعل أولى صفاته ، وهي كثيرة جدا ، ايمانه بالله ، ايمان عميق ، صادق ، حار ، ايمان الورع ، الناسك ، المتعبد ، المتوجه دائمـا وأبدا اليه تعالى بقلبه وعاطفته وعقله واتكاله .

في خطبته الرائعة ظهر الثلاثاء كان الرئيس السادات ينهي اكثر مقاطع الخطبة بقوله : « وأحمد الله » .

وتذكرت وأنا أسمعه . تذكرت زيارات الناس له في داره فـي القاهرة عشية كل يوم . وكنت اكثر الاحيان بين الزائرين ، وبينما هو جالس في صدر البهو والزائرون حوله وبين يديه ، يرتشفون بآذانهـم وعقولهم ، وقلوبهم ، كلامه الهادىء الرصين ، اذا به يسكت ونسكت جميعا . لقد ارتفع من احدى زوايا البهو صوت قارىء رخيم يرتـل آيات الله البينات . انه شيخ زائر وجد نفسه في بيت أنور السادات فعمل بما يرضي صاحب البيت ويطيب له .

كان ذلك يجري عفوا . وكان الناس يعرفون ان بيت انور السادات هو أحد بيوت الله التي لا عد لها ولا حصر . وفي بيـوت الله تتلى الآيـات .

وبعض صفاته التواضع . أنور السادات كاتب كبير واديب ينهل من ينبوع علم ومعرفة لا ينضب . وهو سهل العبارة ، يؤثر السهـل المتين على الزخرف المنمق . ولست اشك في ان سهولة عباراته ، على قوتها ، نابعة من تواضعه . لقد سمعته الملايين يتحدث عن تحقيـق المعجزات متواريا وراءها ، مجردا ألفاظه من كل تفخيم ، مرسلا شكره ، وشكر الامة الى جميع من استحقوا الشكر ، ناسيا نفسه .

ان العظيم هو الذي لا يحتاج الى الكلمات لتسجيل عظمته ، لان أفعاله تقوم مقامها ، وتنوب عنها .

وبعض صفاته ... رباه ! كيف لي أن أقول في سطور كل ما أعرفه عما انطوت عليه نفس القائد الرئيس وعقله ، وصدره ، من وطنية ، وحكمة ، وشجاعة ، وتسامح ، وكرم ، وجلد ، وصبر ، وفروسية .

كيف لهذا القلم ان يصف في كلمات قليلة قلعة انسانية اسمهـا أنور السادات ؟!

الانوار — ١٨ تشرين الاول

الكلمة والرصاصة

الكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم ، أحد أكبر عباقرة الفكـر العربي في كل عصر ومصر ، طلب من حكومته « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي .

واسمح لنفسي ، وليسمح لي أستاذنا الكبير ، بأن أخالفـه في الرأي .

المعركة هي كل يتألف من أجزاء تختلف أهميتها ، وفعاليتها .

المعركة مقاتل وسلاح . تخطيط وتنفيذ . استبسال وشجـاعة واستهتار بالموت .

المعركة قيادة حكيمة . تزن . وتتحسب . تأمر بالهجـوم ، وبالانسحاب . وقد يكون في الانسحاب أحيانا من الروعة والعبقريـة العسكرية ما في الهجوم والاقتحام .

وللمعركة اكثر من ميدان . ميدانها الاول الجبهة .

ومن ميادينهـا المؤخرة العسكرية . ومؤخرة المؤخـرة ، وهـي الشعب .

الشعب الصامد وراء أبطاله . الشعب الذي يسعد ببعض الحرمان، بل بكل حرمان ، ليوفر للابطال كل راحة ، وكل حاجة .

ومن ميادينها السماء . تتلاحق فيها الطائرات ، وتتصـارع وتتهاوى . وقد رأينا طائرات العدو تتحطم وتنفجر تحت ضربـات الطيارين العرب ، وتتساقط كالفراشات على حد تعبير المعلقين الاجانب.

ومن ميادينها الماء من بحور وأنهار وأقنية .

وقد دخلت قناة السويس وعملية عبورها المذهلة ، منذ اليـوم ، كتب الاكاديميات العسكرية واحتلت مكانها في تاريخ الحروب بجـانب اوسترليتز ، وستالينغراد ، والعلمين .

وكما تكثر ميادين المعركة وتختلف ، تكثر أسلحتها وتختلف .

البنادق ، والمدافع ، والدبابات ، والصواريخ ، كلها أسلحة .

ويظل الجندي المقاتل ، يظل الانسان هو السلاح الاعظم ، لانـه يحملها ، ويستخدمها ، ويوجهها وينتصر معها ، وبها ، ويحطم عدوه . أو يمـوت .

الحرب « كل » يتألف من أجزاء . والكلمـة جـزء من هـذه الاجزاء . سلاح من الاسلحة .

هذا الـ « كل » الضخم ، الهائل ، المخيف الذي يملك هـذه الميادين ، وهذه الاسلحة يملك ميدانا آخر ، وسلاحا اخر .

يملك الكلمة ، من نثر وشعر . وللكلمة ميدان فسيح هو عقول العالم ، وقلوبهم ، ومشاعرهم في انحاء العالم كله .

وقد اتسع الميدان بعد أن عمت الصحف ، والراديو ، والتلفزيون العالم ، ودخلت كل بيت ، وطرقت كل اذن ، وظهرت امام كل عين .

والكلمة ، تخرج من شق كاتب مبدع من طراز توفيق الحكيم ، هي سلاح ماض ، وأي مضاء !

في موسكو ، عندما ذهبت اليها في العام ١٩٤٦ ، على اثر الحرب العالمية الثانية ، سمعت ستالين في الاذاعة يقول عن الكاتب الكبيـر ايليا اهرنبورغ ، انه أسهم في ربح الحرب وسحق العدو . واهرنبورغ لم يحمل البندقية ولا أطلق رصاصة . بل شرع وعبأ شعبه بشحنـات هائلة من الكراهية والحقد على العدو المغتصب ، المعتدي . وقـاتل بمقالاته ، وقصصه ، واخبار المعارك ، بمثل الضراوة التي كان يقاتل بها جنود بلاده الغازي البغيض .

فيا سيدي توفيق الحكيم .

أنت لا تقل عبقرية عن أي كاتب غربي ، وشرقي . فلا يحزنك ان سنك لم تعد تسمح لك بحمل البندقيـة واطلاق الرصـاص علـى العـدو .

سلاحك القلم . وميدانك رحب ، فسيح . ميدانك العالم وعقول الناس وقلوبهم . فانزل الى الساحة .

وغدا ، عندما يتحقق النصر ، وقد بدت تباشيره ، سيقول عنك بطل مصر ، الرئيس انور السادات ، ما قاله ستالين عن اهرنبورغ .

الانوار — ٢٤ تشرين الاول

ليلى بعلبكي

حضرت ولادة الفجر

في البدء كان الوجه .

وغطست في حلم لذيذ .

صرت معلقة في الفضاء الرمادي . ولم أعد اعرف ولا أحس طعم الغبار على فمي . صقيع نائم سكن رؤوس أصابع القدمين واليدين ولم أعد أطأ البلاط ولا الاسفلت ولا التراب ، صرت سحابة .

والوجه الذي كان في البدء يطفو على وجهي استطعت ان اشاهد فيه شروق العينين : نبعان من الضوء يتدفقان .

آه .

لا تستفهموا مني عما أتحدث .

امنحوني نعمة الهذيان .

احاول ، أحاول ان ادلي بشهادتي .

بصعوبة قاسية ، انسلخنا هذا اليوم ككل يوم عن مضاجعنا . وسحبنا أجسادنا في الطرقات نفتش عن مأكل لنا ومشرب ، ودخلنا المراحيض وتدشانا ، وتبضعنا أحذية جديدة . وليبرهن الرجل منا على انه رجل ، حلق باتقان شعر ذقنه . وكشفت النساء عن أثدائهن وكدسن أطنان الاحمر اكثر واكثر على الفم والافخاذ والاظافر .

أحاول ان اشرح :

اننا ، وفي السادس من شهر تشرين الاول ، وكان اليوم يوم سبت ، والوقت بعد الظهر ، وبهاتين اليدين والعينين حضرت ولادة فجر .

آه .

كانت هذه الارض تغرق في الظلمة والجفاف . وكان سكانها مجموعة من جذوع اشجار التين التسوس المهترىء وكان المحصول فيها على مدار السنة ، كان المحصول دوما ، الذل والقهر والخسارة والانكسار .

واهتزت الارض قليلا . لم تمطر . وهاجرت الينا من جوانب العالم نسمات منعشة باردة ، وحده الفليان كان في صدغي .

أجل ، أنقل اليكم ما رأيت . اكتموا انفاسكم ، نادوا على كتاب الملاحم :

من جوف الاضطهاد والتعذيب ، من سواد الظلم ، شق مارد عربي اسمر رحم الارض ومشى . نعم بهذه الحنجرة ، بحنجرتي العاجزة عن الصراخ ، شاهدته هكذا :

يولد ويمشي .

هكذا بأعجوبة ينقل قدما . يتوجه الى الامام ، يرفع القدم الاخرى ويمشي . هكذا يتقدم الى الامام .

اسألوا الوجه الذي كان يطفو فوق وجهي فوق الغمامة ، فهو الشهيد وهو الشاهد .

فشهقت .

لا .

أسمعوا غيري نشرات الاخبار ونتائج المعارك والتحاليل العسكرية .

الوجه يكبر . صرت أرى الرقبة والصدر عاليا يغرق في بركة الدم ، وتعرفت اليه تعرفت اليه . في هذا الشارع حدثت جريمة ، من الخلف اغتالوه . قطعوا البحر ، نزلوا الشاطىء ، تغلغلوا في الزواريب الوسخة ، صعدوا السلالم ، دقوا جرس البيت وذبحوه ، وعيون سكان المدينة حجارة رملية تنهار ، يسجدون لمعبودهم الخوف .

فرجاء .

رجاء الى الذين يشعلون الآن الحرائق المقدسة في كل شبر في هذه الارض العطشى الى الشجاعة والفداء والكرامة ،

الى الابطال الذين يتقدمون في الوديان والتلال والصحارى ،

الى الرجال الذين عادوا الينا بعد زمن طويل بعيد من شتيمة الذل والمهانة ،

اليهم أطلب ،

اليهم رجاء ،

ان يرفعوا فوق جسد كمال ناصر قطعة من سلاحهم بهدوء وخشوع وشجاعة ، فتنبت فوق جسد الشهيد حقول الازهار ، ونعود فنشم في البراري رائحة الغار ، ويعود وينمو لنا فوق جبل الكرمل شجر الزيتون .

الدستور

١٥ تشرين الاول

على وجه الماء مشى حبيبي

أيها الحبيب ،

الذي أنت تقاتل ، الآن ، في أرضك الفسيحة الطيبة ، أنت في شرايين الجسد وفي مآقي العيون .

لاني متهوسة ..

لاني متهورة ..

لان فرحي بك صار جنونا ، دعني أركض اليك ، فانا ايضا صرت أتحرك وأنت تعلم اني ولدت كسيحة من أم كسيحة وأب كسيح .

دعني أخترق جدار الصوت . أعبر الفضاء البعيد . أخترق أفواه الصواريخ المسننة . ألف بجسمي جسم الطائرات الصقع ، أحط في فوهة بندقيتك ، أتسلق سيفك المشحوذ ، أمسح حبات العرق عن جبينك وأصير لك حديقة مفروسة باشجار التفاح والدوالي ، يعبر الليل فيها بطيئا ويطلع باكرا ضوء القمر وأصير أنا نبيذك والفيء .

أيها المارد .

أيها الرائع .

انتظرتك عند شواطىء البحار على رأس صخرة . حدقت لحظة بالبحر ، وحلفت أن أراك تشق مياه البحر بسلاحك وتمشي على وجه الماء ، فاذا بك فعلا امامي تظهر علىوجه الماء تمشي .

من أين تفجر الصوت فيّ ؟

كيف استطعت أن تزيل أنت عن وجهي الركام والعفن ؟

كيف استطعت أن تعيد اليّ نظري ؟

ها أنا أبصرك آتيا والبحر الابيض المتوسط يعجّ بالغواصات ، بالمدرعات ، بحاملات الطائرات ، بالسفن التجارية ، بالاسماك ، بالصيادين ، بالاصداف ، بالحشائش الناعمة ، بالشفق ، وأنت هو النسيم عابر المسافات والمخاطر رأيتك آتيا .

أشعر ببرد المفاجأة اللذيذ وقبلان أنسى ، اوصتني العجائز ان أنقل اليك دعاءهن وانهن يحكن لك جوارب الصوف لايام الشتاء القاسية .

ثم دعني أخبرك أيضا اننا نذكرك هنا ولا زلنا نطبخ ، ونأكل ، نقشر الثوم والبصل ، نغسل أقدام الاطفال ونشرب ، وبحماس أكثر نندفع الى اعمالنا ، نسكر لماذانسكر ، نبكي ونحسّ الوجع بك نقفز طربا وبكل الوقاحة نظهر بين الناس بعد ان خلعنا عنا ثياب التحفظ ، ولا يخجلنا أبدا ان نستمر في روتين حياتنا ، فحياتنا هذه هي عظام ظهرك ، نحن الرحم الذي تنمو أنت فيه وتتوالد .

اصغ اليّ

يوم حملت بطني ، بعد حرب الانكسار المشؤومة ، حملت بطني المتورم ودخلت باب دمشق ، يومها مات حبيبي .

فتشت عن حبيبي الميت في الوجوه المحروقة بالنابالم ، فيالعيون المتوجعة . فتشت عن حبيبي في ثياب القادة . فتشت عنه فياعلانات الصحف اليومية المبوبة . فتشت عنه في الكلام الكاذب . فتشت عنه في الخطابات . في روائح الخيانات والجبن . فتشت عنه في عيون الاطفال . وجدته في عيون الاطفال مدفونا .

فكيف استطعت أيها الساحر أن تبعث حيا هكذا حبيبي ؟

مدّ لي أيها الرجل ذراعك لاتسلل في جرحك واتفجر .

الدستور

٢٢ تشرين الاول

أيتها الدبلوماسية : نارنا لا تطفئيها

أسمع لغطا .

أسمع قدوم خطوات الدبلوماسية .

فايتها الدبلوماسية التي أنت في الضفة الاخرى من العالم ، أشعلنا النار .

لان السلام الذي قبلناه مرارا ، فادخلناه صدورنا وأسكناه النخاع وبؤبؤ العين ومزجناه في ملح الطعام في الماء ، هذا السلام خدعنا .

معبودك السلام هذا ، أيتها الدبلوماسية المتربعة على عرش العالم ، من شدة ما التصقنا به ، وآمنا ، صار السلام مرضا خبيثا تشعب في الاطراف والعظام والشرايين والمسام ، وصار يغتالنا على مهل في صمت رهيب . وصرنا نهترىء ، نسقط جثثا تتصاعد منا روائح الانخذال ، ويتلذذ العالم في المشي في بطوننا والبصق ، ويتفنن في اختراع الشتائم الموجهة لنا والاهانات ، مشجعا اسرائيل على التنكيل بنا وتعذيبنا وقتلنا والابناء . حتى صار السلام عارا نحمله على جباهنا نحني من ثقله رقابنا ، يعاقبنا العالم ، لاننا قبلناه ، بضرب متواصل على قفانا .

النار .

النار ، النار ،

فجرناها النار وتفجرنا فيها ، لان الوجع لم يعد يحتمل ، ولان الغضب وصل فينا الى ذروة الجنون ، وحين أعلن نبأ اطلاق النار ، لم نصدق آذاننا ، هكذا جمدنا قليلا ، ثم ذهلنا ، ثم تلفتنا حولنا حذرا ، ووصلت الى أنوفنا روائح الاحتفالات المقدسة ، ولفح وجهنا ريح ملتهب ، فصرخنا وقفزنا في الهواء ، صرخنا ان النار صارت ملموسة ، صارت غير مستحيلة ، ورمينا جميع الاشياء في النار ، ونفخنا فيها فازدهرت ، وأطعمناها اثاث المنزل وغصون الاشجار ولعب الاطفال وباقات الزهر ، وحملنا بعضنا بعضا وتقدمنا ننحني ، نرمي بعضنا بعضا في اللهب ، نترنح طربا نزغرد نرفع الذبائح في الهواء ، نرمي اغلى الرجال واحلى العرائس ، ثم نعود نرقص رقصة الموت الرهيب ، ونسجد للدار نطعمها ذريتنا والعشب ، نحلم اخيرا بالخلاص ، نحلم بالخلاص ، بخيمة وحيدة في الصحراء مع الكرامة وضوء القمر .

أيتها الدبلوماسية ،

نخاطب قفازاتك البيضاء ، نخاطب قبعتك الرزينة ، مفروس على حافتها ريش النعام ، نخاطب القمصان البيضاء المنشاة ، نخاطب الاحذية النظيفة اللماعة ، نخاطب كلامك المنمق ، نخاطب افكارك الباردة ، نخاطب ما تدعين من ايمان بالسلام ، هذا السلام الذي كان بالامس جرثومة وخديعة ، أيتها الدبلوماسية المهذبة .

لا تقربي نارنا ، لا تطفئيها ، لا تدنسيها ، فهي مطهرنا والخلاص . وزمن القلوب الطيبة حتى الغباء قد ولى .

اكشفي لنا ، أيتها الدبلوماسية العريقة ، اكشفي عن وجهك .

فنحن نخاف ان يكون خلف الحجاب الرقيق المسدل وقارا على وجهك ، ان يكون وجهك وجه غولدا مائير ،

واغفري لنا ايتها السيدة الفاضلة عدم الثقة .

الدستور

٢٩ تشرين الاول

منير البعلبكي

صلاة السادس من تشرين الاول

تبارك اليوم السادس من تشرين الاول وتمجد اسمه بين الايام!
الا وتقدست المخيلات التي نسجت خيوطه ، والعزائم التي نفذت تخطيطه ، وكل يد بشرية او الة ميكانيكية اسهمت فيه !

ربنا زده من لدنك شرفا على شرف ، وفضلا على فضل ، وانزله في ميزان القيمة عندك منزلة يوم بدر ، وليلة القدر ، وموسم النحر !

ربنا واسلكه في عداد اللحظات القدسية التي نذرت لطاعتك ، وكرست لعبادتك ، وتاق فيها الاولياء والقديسون الى ان يكحلوا العين باجتلاء طلعتك !

الا وتقبله منا شهادة ايمان ، وفعل ندامة ، واية تكفير عن كل ما فرط منا طوال خمس وعشرين سنة من تقصير في حقك ، وتقاعس عن نصرتك !

ربنا واحفظه لنا من ختل الخاتلين ، وكيد الكائدين ، وغدر الغادرين ، واجعله في حساب الايام كألف سنة مما يعدون ..

فهو يوم ولادتنا الجديدة ، وانا بيوم ولادتنا الجديدة لضنينون ... –

فيه انبعثنا من المحنة كما ينبعث طائر الفينيكس من الرماد وهو اتم ما يكون شبابا ، وانضر ما يكون اهابا ، منسلخين من ماضينا القريب الذي جعل منا امة تضحك من جهلها الامم ، وتنافس عير الحي والوتد في الذلة والمسكنة وقبول المهانة .

وصل ، يا رب ، وملائكتك الابرار على هذا اليوم المجيد وسلم تسليما كثيرا .

ففيه عدنا رجالا نغزو حين نغزى ، ونغير حين يغار علينا ، ونثأر للشرف والكرامة كما يثأر الابطال ، ونموت في ميدان الشهادة كما يموت الرجال .. وكنا الى ايام خلت اشباه رجال ولا رجال .. مجرد غرض ، وهدف تسدد اليه النبال يغار علينا فلا نغير ،ويغزونا العدو في عقر دارنا فلا نغزوه، وتسرق اوطاننا كل يوم ، وتدنس مقدساتنا كل ساعة فنكتفي من النضال بان نوسع الصهاينة سبا ، ونكتفي من الجهاد بالتسكع في اروقة الامم المتحدة ، وكواليس مجلس الامن ، ثم نقنع من الغنيمة بالايام !

الا واحمل ، يا بديع السموات ، نبأه العظيم الى ارواح مناضلي الارض جميعا ، بيضا كانوا ام سودا ، وعلى ثرى الشرق سقطوا ام على ثرى الغرب !

ففيه اصبح عندنا بنادق تطلق النار ، وطائرات تمحو العار ، ودبابات مشوقة الى ان تكلل هاماتها بالغار ، وكانت كل بنادقنا من قبل عصيا خرساء ، وجميع طائراتنا دمى بلهاء ، ومختلف دباباتنا من ورق مقوى !

الا ولتفرح به قلوب شهدائنا في دير ياسين ، وكفر قاسم ،وبحر البقر ، ففيه انتقمنا لهم جميعا ، مستعيدين امجادنا في القادسية وحطين ، واليرموك وعين جالوت ، وفيه محونا خزي الخامس من حزيران وخزي كل حزيران تلاه ، وكأنما السادس من تشرين الاول ما جاء – سادسا – الا لنسخ – الخامس – من حزيران ، مثلما نسخ ضياء الفجر حلكة الليل البهيم !

الا واسبغ عليه ، يا ذا الاكرام ، جلالا من جلالك ، وجمالا من جمالك ، فهو بهذا كله حقيق وبه جدير !

ففيه جبلنا كل حبة من تراب الوطن السليب بدم الشهداء من ابناء العروبة ، على تنائي الديار وتباعد الاقطار ، فانتصرنا على انفسنا ولم يبق الا ان ننتصر على الاعداء ، وما اهون الانتصار على العدو باذاء الانتصار على الذات !

المحرر ١٥ تشرين الاول

في اليوم الثامن عشر

لو اراد مؤرخ غربي منصف – ولنفترض انه ارنولد توينبي مثلا – ان يتحدث اليوم عن الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة ، مستبقا نتائجها النهائية ، لكان من المحتمل ان يقول اي شيء يخطر في البال ،او ان يغفل اي شيء يخطر في البال ، ولكن حديثه لن يخلو في اية حال من التوكيد على الحقائق الاتية :

اولا : ان الانسان العربي ولد من جديد في اليوم السادس من تشرين الاول : انتصر على الهزيمة ، وحطم اسطورة « الاسرائيلي الذي لا يقهر » ، وطلع على الدنيا بوجهه الاصيل : الوجه الذي كان عقبة وطارق وصلاح الدين نماذج خالدة له .

ثانيا : ان الانسان العربي اعاد الى المؤرخين ايمانهم بنواميس التاريخ ، ومن ابرزها ان الامر الواقع لا يمكن ان يكون بديلا عن الحق ، وان الظلم المدجج بالسلاح اضعف من العدالة العزلاء الا من الايمان ، وان ارادة الشعوب في الحياة الحرة الكريمة قادرة على اجتراح المعجزات ، حتى بعد انقضاء عصر المعجزات .

ثالثا : ان العرب دافعوا عن ترابهم وشرفهم ومستقبل اولادهم كما يدافع الرجال ، وخاضوا (للمرة الاولى) المعركة المفروضة عليهم صفا واحدا ، وبذلك جسدوا الوحدة التي طالما حلموا بها تجسيدا عمليا ، وعمدوها بالدم والنار . ولو فعلوا ذلك من قبل لما عرف التاريخ يوما اسمه اليوم الخامس من حزيران .

رابعا : ان سلاح النفط الذي طالما لوّح اصحاب النفط بوضعه في خدمة المعركة قد وضع ، وللمرة الاولى ، في خدمتها ، فلم يبق على دهاقنة السياسة الاميركية الذين زعموا ان العرب لا يستطيعون ان يشربوا نفطهم وان الدولارات اغلى عندهم من تراب الوطن الا ان يعترفوا بانهم كانوا اكثر حمقا من ناطح الصخر واشد غباء من القابض على الريح (وبين هلالين : لو ان العرب استخدموا هذا السلاح من قبل لما كان الفلسطينيون شعبا بلاوطن، شعبا يعيش في المنفى مشتتا في « دياسبورا » دونها تلك «الديوسبورا» التي عرفها الشعب اليهودي منذ اقدم العصور) .

خامسا : ان العالم كله يقف اليوم في صف العرب ، باستثناء دولتين اثنتين : الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية جنوب افريقيا . واذا جاز لجمهورية جنوب افريقيا العنصرية ن تنحاز الى اسرائيل ، لانهما من معدن واحد ، فان المؤرخ لا يستطيع ان يفهم كيف تستطيع دولة عظمى مفروض فيها الدفاع عن القيم الانسانية وميثاق الامم المتحدة ان تنحاز الى من داس كل القيم الانسانية وكل قرارات الامم المتحدة ، وان تلقي بثقلها كله في الميزان، لنصرة قوى الظلام والعنصرية والعدوان . (ترى الا تزال كتب التاريخ المدرسية الاميركية تتحدث عن اباء الاستقلال الاميركي من امثال واشنطن وجيفرسون وعن نظرياتهم في الحق والعدالة والحرية وتقرير المصير ، وباية لغة تتحدث ؟) .

سادسا : ان الدول الاسلامية لم تقدم حتى الان شيئا اكثر من الدعم الكلامي للامة العربية . ولو انها انصفت نفسها ، قبل ان تنصف العرب ، لكان لها موقف اخر .. الم يكن في مستطاع ايران – مثلا – ان توقف ضخ النفط الى اسرائيل ، كما اوقف العرب ضخ النفط الى الولايات المتحدة الاميركية ، وعندئذ تتعطل آلة الحرب الاسرائيلية وتصبح في ميسور المؤرخ ان يسجل ان الحرب العربية – الاسرائيلية استمرت ثمانية عشر يوما فقط ..

النهار ٢٥ تشرين الاول

حسين حيدر

عين اطفالك شاشات الرادار

— ١ —

صاموا ، حبة رمل من سينا للافطار
وانهار جــدار
صارت جدران الرعب شريط غسيل للثوار
ها هم يأتون ...
جسر أم وهم ممدود ، وجنود جمال
جاءوا يلقون على ضفتها الاخرى وجه جمال
ها هم يأتون ...
سكتت كل اللحظات
واطل الزمن الاخر من ابراج الدبابات

* * *

— ٢ —

كان الغفران
مرساة الاثم الى قاع النسيان
صار الغفران
كفارة يوم من رمضان

* * *

— ٣ —

قرأوا تاريخ العدأدات
لكن الحرب لديهم ما زالت ترتيل صلاة .
ها هم يأتون ...
عقبة يتألق ثانية بين الفرسان
ومراكب طارق نار في بحر الجولان
ها هم يأتون ...
معتصم يحمل ماء فرات
يسقي اغراس الوحدة في اثلام المرتفعات

* * *

— ٤ —

أعين اطفالك شاشات الرادار
وعلى اطراف اصابعهم خيط اغبر
يرسم في اوراق النار
الاء تلهب الاصفر
ونسورك في قلب الاعصار
كانوا من احلامك اخطر
بردى ، قبلها ، قبلها اكثر
فدمشق عروس ذاهبة للفرح الاكبر .

منح الصلح

نهايـة استعمـاريـن

عام ١٩٥٦ ، وجه النضال العربي ضربة قاسية للاستعمار الاوروبي القديم . فعلى اثر العدوان الفرنسي البريطاني على السويس ،وجدت الامبراطوريتان الاوروبيتان نفسيهما في عزلة عن العالم . وكانت نتيجة هذه العزلة التي فرضها صمود مصر والعرب ان الاستعمار القديم لفظ اخر انفاسه ، وانتهى عصر الامبراطوريات .

عام ١٩٧٣ ، تقف الولايات المتحدة في نفس المكان الذي كانت تقف فيه فرنسا وبريطانيا ، وتعاني ، دوليا ، العزلة اياها . فليس وراء الولايات المتحدة من يشدها في موقفها من اسرائيل الا دولة واحدة هي « جنوب افريقيا » التي صرح وزير خارجيتها بانها تؤازر اسرائيل لانها في افريقيا ما هي اسرائيل في اسيا ؟

وهذه العزلة الدولية التي تجد اميركا ذاتها فيها هي من صنع النضال العربي ، ومن صنع المعركة الاخيرة بنوع خاص ،التي سيكون اثرها في تصفية الاستعمار الجديد مشابها لاثر معركة السويس الاولى في تصفية النفوذين الفرنسي والبريطاني .

فكأن التاريخ يشاء ان تقترب الامبراطوريات الاستعمارية من نهايتها ، حين تبلغ ذروة الظلم للحق بتحالفها الاكمل مع اسرائيل ، اوضح كيان استعماري في العالم .

وهكذا يكون النضال العربي قد لعب الدور المميز في تحرير الانسان من الاستعمارين القديم والجديد معا .

ان اميركا تستسلم في موقفها الحالي للعمى المطلق . فهي لم تعتبر بما جلبه على فرنسا وانكلترا اشتراكهما عام ١٩٥٦ في حرب واحدة الى جانب اسرائيل ضد العرب .

لقد قام في انكلترا وفرنسا من حاسب ايدن وغي موليه على عدوان السويس وكان المأخذ الرئيسي عليهما ، والذي كان مقتلهما السياسي ، توحيد قضيتهما مع قضية بن غوريون ، وخوضهما معه الحرب ضد منطقة باسرها من العالم ، قوية وعريقة وذات امكانات لا تحد .

واليوم تقترب في اميركا الساعة التي سينهض فيها من الاميركيين من يحاسب نيكسون على بقاء دولته دون دول العالم جمعاء في صف واحد مع اسرائيل . ان اقتراح مانسفيلد زعيم الاغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ الاميركي بعقد مؤتمر قمة دولي لمواجهة قضية الشرق الاوسط يحضره الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا واليابان هو صرخة الم من العزلة الراهنة التي تعيش فيها اميركا، وهو بداية التخلي الشعبي والرسمي الاميركي عن سياسة نيكسون الانفرادية الخرقاء في دعم اسرائيل .

ان اميركا تستفيق حاليا على حقائق جديدة في البلدان العربية، وبالتالي في العالم كله ، انها تفاجأ بانها عاجزة عن ان تفرض حتى على اصدقائها من الحكام العرب الخروج من انتمائهم العربي . انها تفاجأ بمواقف فيصل والحسن والسالم ، وكل من وضعته في السابق في جيبها من الاصدقاء ، وقد وجدتهم يختارون واقع امتهم على الرباط مع الاجنبي . فلا مكان في ارض العرب ، وخصوصا في لحظة التحدي الذي تحدث عنها الرئيس السادات — الا الاوفياء للمصير العربي .

ان المفاجأة الاميركية هذه ستستمر وستتضخم مع استمرار المعركة ، الى ان تتحقق اميركا نهائيا من ان كل طاقة عربية وكل ثروة عربية وكل كيان عربي اصبحت بكليتها في صميم المعركة .. عندئذ ستندم اميركا على تخلفها عن فهم الامة العربية وادراك القوانين الثابتة التي تحكم التاريخ .

اما العرب فهم واثقون بانفسهم ، معتزون لا بالنصر وحده بل بكونهم يعملون من خلال نضالهم على ايجاد عالم اشد صلة بالحق والعدل واكثر تحكيما للعقل وارتباطا بالحضارة .

وكما كان تحرير فرنسا وانكلترا من نزعة الاستعمار القديم في مصلحة الشعبين الفرنسي والانكليزي ومصلحة الانسانية ، كذلك سيكون تحرير اميركا من نزعة الاستعمار الجديد في مصلحة شعب اميركا .

وسينظر كل اميركي في المستقبل بخجل الى اليوم الذي كانت فيه اميركا تحارب الى جانب اسرائيل ، ضد امة هي من جميع الوجوه محور العالم الثالث كله .

المحرر

١٨ تشرين الاول

النصر ليس مفـاجـأة

لم يستطع احد في الغرب ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، ان ينكر على العرب هذه المرة حقهم في مباشرة الحرب ضد اسرائيل. ذلك ان اسرائيل ذهبت في اعتداءاتها وعنجهيتها الى ابعد مما يطيق حتى اصدقاؤها . وكانت الحركة الديبلوماسية التي مهدت بها مصر للمعركة في عواصم العالم موفقة جدا ، ومن النوع المرن الذي تتوافر فيه عناصر المخاطبة العقلانية الناجحة للرأي العام العالمي. وركزت هذه الحركة جهدها على ابراز استخفاف اسرائيل بقرارات الامم المتحدة ، وعلى تأكيد حق العرب في القيام بمبادرة يحررون بها ارضهم . وحرصت القيادة العربية ، من جهة ثانية ، على ان لا تخوض المعركة الا وقلوب العرب جميعا الى جانبها . فجاءت المصالحات العربية التي سبقت الحرب تنشر بين العرب شعوبا وحكاما جو الولاء للهدف القومي الكبير ، او على الاقل ، حس الواجب بمؤازرة المعركة التي تصدت لها مصر وسورية .

وكانت البراعة الكبرى في النشاط السياسي المهد للمعركة هي الايحاء للانظمة جمعاء بان انتصار مصر او سورية على اسرائيل ليس انتصارا على العدو ، وحده ، وانه ليس لحاكم عربي او فرد في طبقة ان يعتبر نفسه مهزوما بتحقق نصر عربي .

من هنا جاءت المعركة العسكرية التي تعاهدت على خوضها

سورية ومصر في افضل الظروف الدولية والعربية للنصر .فالعرب جميعا مندفعون فيها ، والرأي العام الدولي مقتنع بسلامةاهدافها.

لقد كان سر النصر الاول الامانة الكاملة التي التزمت بها القيادة العربية في دراسة تجربة ٥ حزيران وتلافي الاخطار والنقائص التي انطوت عليها . فالرئيس السادات الذي شارك الرئيس عبدالناصر الحكم كان خير من يستطيع الافادة من التجربة الغنية الماضية ، وكان خير من يؤمن للمعركة شروط نجاحها .

والحق ان المرحلة السابقة لمجيء السادات الى الرئاسة كانت مرحلة تاريخية حافلة بالانجازات الوطنية والاجتماعية . ولكن جانب تأجيج الثورة السياسية والاقتصادية كان اغلب من جانب الاعداد للحرب ، وكأن الثورة كانت في غنى عنه ، او كانت مغنية عنه . وبسبب طبيعة المرحلة الماضية كمرحلة توعية وتحريك سياسي، كثر ، احيانا ، الكلام على حساب الفعل ، واصطبغ بطابع الاستفزاز والمبالغة الضارين على الصعيدين الدولي والعربي معا ،وحصل غلو في التشكك في صدق وطنية بعض العرب انفسهم ، حتى من غير ذوي المصالح ، ولم يعط الجميع فرصة المشاركة في النهوض بأعباء الدفاع عن المصير .

وقد سلك السادات منذ الساعة الاولى لوصوله الى السلطة العليا خط التعبئة الوطنية داخل مصر ، فحد من تسلط الاجهزة على الناس ، ورفع الضغط عن بعض الفئات الاجتماعية ، وخارج مصر، اقام علاقات مع العرب الاخرين متسمة بقدر كبير من الانفتاح والديموقراطية ، وعلى الساحة الدولية تعامل مع العالم ككل ، ولم يدخل في اسر احد ، ولم يسمح لاحد ان يلونه بلونه الخاص .

وكان في ذلك كله محققا ما كان الرئيس عبدالناصر قد بدأ يفكر به بعد الحرب بل يطبقه ، وسط حديث المراقبين بان عبد الناصر قد خرج من المعركة انضج مما دخلها .

ان النصر الذي حققه العرب حتى اليوم هو، فيبعض جوانبه شهادة على ما يمكن ان تفعله الارادة الوطنية المنبثقة من التراث الوطني والمستفيدة من دروسه وعبره . فلولا الماضي ومعرفته معرفة حقيقية ، بحسناته ونواقصه ، لاستحالت على العرب وثبتهم الحالية.

ولقد انتصرالسادات لانه كان عبدالناصر ولم يكنه في الوقتنفسه.

والنصر هذا الذي تم لم يكن مفاجأة ، كما تردد . فليس بكثير على الامة العربية وطاقاتها وعظمتها ماضيا وحاضرا وعمق احساسها بأصالتها ورسالتها ان تحارب مثلما حاربت ، شرط ان تعيش بقلب دافيء وعقل مفتوح تراثها الوطني وتنكب على التجارب التي مرت بها لتأخذ منها ما تأخذ وتترك منها ما تترك .

ولعل اهم ما قدمته هزيمة حزيران للامة العربية تلك العين الواقعية التي ترى وتحلل وتعتبر ، فلا تقع اليوم في اخطاء الامس، وتلك الرغبة القومية العارمة لوضع كل ذرة من قوة العرب وطاقاتهم في خدمة المعركة ، فلا يكون غير الولاء للمعركة مقياسا لابعاد عربي وتقريب عربي ، واخيرا ذلك الدرس الاكبر ، وهو ان لا توسط في مركز العرب الدولي ، فهم اما مهزومون ومهانون كما لم ينزل هوان بأمة ، واما منتصرون ، وآخذون بالضرورة مكانا مرموقا في العالم . ولعل مصيرهم يختلف في ذلك عن مصير كثير من الامم التي تمكنها ظروفها من هوان اقل اذا انهزمت ، ومن تألق اذا انتصرت .

١٨ تشرين الاول — م الصياد

أميركا والكبرياء العربية

لم يكن صعبا على الولايات المتحدة ،في وقت من الاوقات ، ان تدرك ضخامة مصالحها الاقتصادية وغير الاقتصادية في البلاد العربية . ولا هي بحاجة الى جهد كبير لتقدر احتمال خسارتها لهذه المصالح من جراء اصطدامها مع ارادة التحرر العربية .

وانما كان الصعب على الولايات المتحدة ان تجد تلك الصيغة من التعامل مع العرب التي تتفق مع نظرة العربي الى نفسه والى وزن امته في العالم .

فاميركا عاجزة عن فهم سر الكبرياء القومية التي لم تتخل عنها هذه الامة في احلك مراحل حياتها .

وبعض الاميركيين — من المسؤولين والمفكرين — يسردون بدهشة تجاربهم الفاشلة في التقرب من بعض الدول العربية ، وعلى الاخص تجربة بالذات هي محاولتهم في مطلع عهد ثورة يوليو للتقرب منمصر، ويبدون الاستغراب من ان هذه المحاولة لم تثمر على الرغم من سخاء العروض التي قدموها يومذاك !

واليوم ، وقد شاء الرئيس السادات ان يحاور اميركا من مركز القوة ، تسنح الفرصة لتحليل سبب فشل هذه المحاولة ، لا تفاؤلا بموقف ممكن للولايات المتحدة ، بل تصويرا لقضية هذه الامة ، في ابعادها النهائية ، مع اميركا وغير اميركا من دول العالم ، ومع نفسها وتاريخها وقيمها اولا ..

وعندما قام عبدالناصر والسادات ورفاقهما من الضباط الاحرار، كانوا جميعا — وخصوصا عبدالناصر والسادات — من المعجبين بشخصية المصلح التركي الكبير مصطفى كمال ، وكانوا شديدي التقدير لتجربته الاصلاحية التي كانت تعتبر في زمن ما نموذج التجربة الاصلاحية الناجحة في بلاد الشرق . فقد حقق مصطفى كمال لامته في فترة تاريخية قصيرة قفزة واسعة على طريق التقدم والاخذ بمقومات الحياة العصرية . وكانت صداقة السادات لعزيز علي المصري وهوالبطل العربي لاكثر من انقلاب اصلاحي في زمن الدولة العثمانية ، تجعله على اتم اطلاع على الجذور الحقيقية للحركة الكمالية وعلى اهدافها الوطنية التقدمية .

كانت نظرة الثورة المصرية هي هذه الى مصطفى كمال وانجازاته ، عندما تقدم الاميركيون من الثوار المصريين يعرضون عليهم ، بشكل مفاجيء ، ان يكونوا مصطفى كمال مصر ، وان تكون الدولة التيينشئون نسخة اخرى عن الدولة التركية ، وهم بالمقابل — اي الاميركيون — مستعدون لكل مساعدة !

وكمن تعرض عليه على غير توقع اضخم الاغراءات ، كان رد فعل عبدالناصر ورفاقه الذين كانوا يومذاك في اول عهدهم بالسلطة ولم يتكون لهم بعد رصيد من الانجازات ، ان ارتابوا بالعرض السريع السخي وخرجوا بالقناعة الثابتة انه لو لم يكن مقدرا لثورة مصر أن تلعب دورا في المنطقة اعمق وأوسع من دور مصطفى كمال ، ولو لم تكن تناديهم ، في مصر والبلاد العربيه ، قضية اضخم من قضيته، لما جاءتهم اميركا وفي يدها كل هذه العروض ..

وهكذا رفض عبدالناصر ورفاقه التلويح الاميركي بالمساعدة علىاقامة دولة عصرية ، في المنطقة ، ولكن محدودة الاثر في محيطها ،وثانوية في الحساب النهائي ، وآثروا المصير الاخر ، مصير الارتباط بحلم الدولة العربية ، الكاملة الكبرياء القومية والمنتشرة الاشعاع الانساني ، الدولة الكبيرة الشريكة في تقرير مصير العالم .

هذا هو السر الاعمق للخلاف الاميركي العربي . اميركا ، في اقرب حالاتها الى التعاطف مع العرب ، لم تستطع ان تفهم عن العرب انهم اكثر من دويلات متخلفة خليقة بان تتجاوب مع اول تلويح لها بالمساعدة ، كائنة ما كانت هذه المساعدة ... مفروض في الدول العربية في زعم اميركا ، ان تقبل ما تعرضه عليها ، وان ترحب به، لان البديل الوحيد عنه هو الحرمان ..

اما العرب فهم ينظرون الى انفسهم بمنظار اخر ، هم امة عريقة ووطن ضخم كبير . هم وجود غير قابل لان يعيش في ظل وجودآخر، سواء اكان اميركيا ام اسرائيليا ام غيرهما ، يحاول ان يكون وصيا علىدرجة نموهم وتقدمهم وقوتهم ، ويعتبر نفسه مسؤولا عن تقنين التطور العربي في كل المجالات ، وفقا لمبدأ ان استمرار حياة المستقل شرط لاستمرار استقلاله !

اميركا لم تفهم اختلاف الامة العربية النوعي عن الكثير من الامم التي نجحت فيها ، ولو الى امد ، السياسة الاميركية ساعدت

في ابقاء الدول والشعوب في اطار تقدم محدود ومضبوط ، حيث استحال ابقاؤها في حالة التخلف الكامل .

اميركا لم تفهم مثلا تجربة بريطانيا الاستعمارية .. استطاعت بريطانيا ان تدخل الهند ونهرو الى الكومنولث ، ان تجعل من امة تعد ٥٠٠ مليون تقبل بتاج الملكة تاجا لها ، وان تدخل جنوب افريقيا والجنرال سمطس برضاهما تحت ظل التاج البريطاني ، وان تجر كندا الى عضوية الكيان الدولي الكبير ، ولكن بريطانيا لم تستطع ان تقنع شيخا عربيا واحدا في اقصى منطقة عربية ، سلطانا من عشرات السلاطين ، اصدقاءها بل محبيها ، بتقبيل فكرة الانضمام الى هذا الكومنولث .. ذلك انه كان من المستحيل على اي عربي تصور عزته مرتبطة بعزة التاج البريطاني ، وكيانه القومي ذائبا في كيان آخر ..

واميركا اليوم تستمر في عدم الفهم .. لانها تتحدث عن المفاجأة في التحرك المصري والسوري ، وفي الارادة العربية للقتال . .

اي مفاجأة ؟

ابن المفاجأة في نهوض امة عريقة وعميقة الحس باصالتها وتراثها ومليئة بالكفاءات والطاقات لتحقيق جزء بسيط من حقوقها ؟

انتم امام امة مفروس في ذاتها الايمان المطلق بنبلها ، والحرص الكامل على شخصيتها ، وتستكثرون عليها ان تندفع من اجل الحفاظ على وجودها !

انتم امام امة كل عرق فيها يرفض الا ان تصنف في طليعة الامم وترفضون ان تسلموا لها حتى بازالة اثار العدوان !

انتم امام امة لكم ولغيركم من المستعمرين تجارب معها ، وهذه التجارب تدل ، لو أمعنتم في فهمها ، انها لا تستطيع ان تتقبل اي فكرة تريد ان تجعل من العرب دولا عادية فكيف بجعلهم في مستوى اقل من الدول العادية .

لقد رفضت الثورة المصرية ان يعاملها الغرب بمثل ما عامل به حركة مصطفى كمال الاصلاحية . وكان المغزى الاصرار على الدور التاريخي المرموق لا لمصر وحدها بل للامة العربية كلها .. هذا هو الشعور الداخلي الثابت عند كل عربي حتى وهو يعاني الوهن والضعف في واقعه لانه ينظر اليهما على انهما حالة موقتة طارئة على جوهر امته . وهذه هي الحقيقة العميقة التي لا بد ان يتعامل معها اولا كل من يريد التعامل مع العرب .

الانوار ٢٠ تشرين الاول

خطوة الى الامام

زمن المعركة ، تظهر صورة الامة العربية على حقيقتها ، وتتجلى المكانة الفريدة التي لقضيتنا في العالم . ويجب أن لا نترك الايام تطمس هذه الصورة ، وتعود بنا الى الشك بقدراتنا .

لقد أصبح الموقف من العرب ، كما أكدت فترة المعركة ، ومن قضية فلسطين بنوع خاص ـ من اسباب العظمة او التردي ، النجاح او الفشل ، في حكم أي حاكم من حكام العالم ، حتى أولئك الذين لا تبدو العلاقة واضحة بين أوضاع بلادهم الداخلية والاوضاع العربية .

وقد كان من أسرار عظمة الجنرال ديغول ، ومن العوامل التي مكنته من تحقيق الوثبة المعاصرة في فرنسا ، الفكرة التي يحملها عن العرب وطاقاتهم ووزنهم في العالم .

ولو لم يكن ديغول يحمل تلك الفكرة ، لما انطلق في دوره التجديدي التاريخي من حل القضية الجزائرية ومد اليد الى العرب والبقاء على صداقته لهم وتأييده لحقوقهم حتى ما بعد هزيمة حزيران . ويصعب الآن ان نتصور انه كان امام فرنسا غير ذلك الطريق الى بعث ذاتها .

وهكذا ، فبموقف ايجابي من العرب شق ديغول الطريق لنفسه ولوطنه ، بعد ان حارت الطبقة السياسية الحاكمة في الاهتداء اليه .

وبالنسبة الى الاتحاد السوفياتي نفسه ، لعب التمسك بصداقة العرب دورا مشابها . فلو سيطر على قادة الاتحاد السوفياتي اليأس من قدرة العرب على النصر ـ كما كانت تريد بعض الاوساط داخل الاتحاد السوفياتي ـ لضعفوا على الساحة الدولية ، وخسروا جزءا كبيرا من تألقهم في العالم ، خصوصا بعدما آل اليه الامر في الصين ، وبعد أن نشأت في دول اوروبا الشرقية المشاكل التي نشأت .

لكن سلامة الفكرة عند قادة الاتحاد السوفياتي عن العرب وامكاناتهم ودورهم كانت تمد الاتحاد السوفياتي بقدرة دائمة على لعب الادوار العالمية والبقاء في المرتبة الاولى من دول العالم .

ومع ان فضل السوفيات كبير بل اكبر من كبير على النضال العربي ، الا ان السوفيات اخذوا ، بالمقابل ، الشيء الكثير من سياسة اليد الممدودة الى العرب .

بالنسبة الى الولايات المتحدة ، فان النظرة السلبية التي ينظر بها قادتها الى العرب وقضاياهم كانت دائما من امارات الضياع والتخلف والفساد في السياسة الاميركية .

ولا نغالي اذا قلنا ان من أبرز الادلة التي يمكن ان تساق على نوعية الحكم السائد في الولايات المتحدة طريقته في التصرف نحو العرب .

وعندما كانت تتوالى في الفترة الاخيرة اخبار عزل نيكسون للقضاة الاميركيين اصحاب المواقف المبدئية في قضية ووترغيت ، جنبا الى جنب مع اخبار المساعدات بالبليارات لاسرائيل المدانة من العالم اجمع ، كان كل عاقل يستمع ويحلل ويستنتج كم اصبحت الولايات المتحدة بحاجة الى نهضة ترد حكامها الى أبسط القواعد العقلية والاخلاقية في سياسة الحكم .

فالوضع في الولايات المتحدة متخلف فعلا ، سياسيا ، لا عن الدول المختلفة عنها في نظامها السياسي ، بل عن الدول الآخذة بنظامها نفسه .

وقد عرفت فرنسا ، في الفترة الاخيرة من حياتها ، على يد ديغول وبومبيدو ، نهضة وضعتها على طريق داخلي ودولي معقول .

وعرفت المانيا ، على يد برانت ، شيئا من الارتداد الى خط موزون في العلاقات الدولية .

واغلب الدول الراسمالية ـ فضلا عن الاشتراكية ـ جددت من عقليتها واساليبها ونظرتها الى العالم بشكل آخر .

... الا اميركا ، فان كل ما فيها ينادي بحاجتها الماسة الى نهضة من هذا النوع ، وأبرز سمات هذه النهضة وصول درجة معينة من فهم العالم الثالث ، وخصوصا فهم الامة العربية ، الى عقلية حكامها .

فبدون فهم العرب ، يستحيل على اميركا ان تصوغ تلك السياسة الدولية المتمدنة غير القائمة على الفرض ، التي تدرك كيف تتعامل مع الشعوب ، وتعرف كيف تخلق مصالح مشتركة بينها وبين غيرها من البلدان والقارات .

ولا شك انه لو دامت الحرب اكثر مما دامت ، فاستمرت الظواهر الاميركية غير المحدودة في دعم اسرائيل ، لاحس كل أميركي بعمق حاجة بلده الى نهضة عاجلة تضع شيئا من العقل والضمير في تصرفات حكامه ، ولخرجت التظاهرات في نيويورك وواشنطن وسان فرنسيسكو تطالب بقطع المساعدات عن اسرائيل ، ووضع حد للحلف العدواني بين اميركا واسرائيل . وكان ذلك من شأنه ان يكمل في الولايات المتحدة الوعي الذي خلقته فيتنام ، ويجدد الولايات المتحدة سياسيا ، ويزيحها ، لمصلحة شعبها ومصلحة شعوب العالم ، من طريق تحرر الشعوب ، ويعطي الفضل التاريخي للامة العربية بانها بنضالها قد ساهمت وهي تعمل لتحررها في نقل العالم خطوة جديدة الى أمام .

وهكذا ففي وسعنا القول ان الثقة بقدرات الامة العربية قد تعدت بعد اليوم ان تكون فرضا على كل حاكم عربي يستحق هذا الاسم ، لتصبح فرضا على كل حاكم في العالم ، يريد ان يحكم في بلاده نفسها بعيون مبصرة .

الصياد ٢٥ تشرين الاول

انسي الحاج

مفكرة حـــرب السلام

٦ تشرين الاول

في آخر الليل وصلنا نداء حافظ الاسد الى السوريين . وأنـــا اقرأه ، نسيت أخبار المعارك . انتشلني من غمرة التفاصيل . جعلني أرى أبعد من اليوم ، من المعركة ، من نتائج المعركة . انه خطاب يعتذر عن القتل الذي ستسببه الحرب . لم يقلها ، ولكنه روح الكـــلام ، روح الرجل وراء الكلام : « لسنا هواة قتل وتدمير ... نحن طـــلاب حق وعدل ... نحن نرد عنا القتـــل والتدمير ... نحن نعشـــق السلام ... نحن نعشق الحرية ... »

هؤلاء هم العرب الحقيقيون . العرب الانسانيون ، عرب الســلم والمحبة والتسامح . ونداء الاسد الى شعبه كان يمكن ان يقوله كـــل عربي حقيقي .

فالحرب بالنسبة الينا ليست سكرة دم من أجل مجـــد القوة . انها حرب اليأس من الوسائل الاخرى كلها . انها حرب الابرياء الذين يكرهون الحرب ، ومع هذا يخوضونها لان العالم ، العالم الذي يعرف ولا يريد ان يعرف ، دفعنا دفعا الى الانفجار .

قرأت نداء حافظ الاسد وتمنيت لو يسمعه العالم بكل لغاته .

العرب الرحماء ، حتى الحرب لن تعمي انسانيتهم .

وكم يبدو غيرنا حتى في السلم ، من أقصى العالـــم « المتحضر » الى اقصاه ، متوحشا تحت قناع الحضارة .

٧ تشرين الاول

مدبرة ... ليست مدبرة ...

مدعومة ... ليست مدعومة ...

ملغومة ... ليست ملغومة ...

لماذا اشتعلت هذه الجبهة ولم تشتعل تلك ؟ لماذا قالوا كذا ولـــم يقولوا كذا ؟ ما تراه يكون وراء الظواهر ؟

وتكرّ السلسلة . تساؤلات تستلذ الغموض وغموض يستلـــــذ التساؤلات وثرثرة فوق الدم .

وعلى الجبهات جنود يموتون وجنود سوف يموتون .

ما أثقل النفوس المعقدة !

وما أطيب النفوس البسيطة ! وما أسعدها !

البسطاء يقولون : حرب .

والحرب هي الحرب في نظر البسطاء ، لا تعقيد ولا فلسفة .

البسطاء يعرفون انها الحرب ، وهذا يكفي .

ويصلون .

والله يسمع صلاتهم .

٨ تشرين الاول

اذا اعتبرنا الوجود قوسا طرف منه الحياة والطرف الآخر هـــو التاريخ ، فاللحظات التي نعيشها ترخي طرف الحياة لتوصل التوتـر في طرف التاريخ الى ذروته . التاريخ يسحبنا الآن مـــن الحيـــاة ويحتل الساحة .

من يصنع التاريخ ؟

غالبا ما نعلمنا ان التاريخ يصنعه المتمردون علىالحياة ، المغامرون بها ، المؤمنون بالتاريخ ايمان الموحدين بالله . وهكذا يصبح التـاريخ نوعا من الديانة ، تراوح طقوسها بين العبقرية والارهاب والحرب .

وفي هذا التصنيف لصانعي التاريخ ، غالبا ما أبقي العربخارجا. اعتبرناهم كلنا على وشك الانقراض لان التاريخ يصنع من دونهم .

اليوم تمرد العرب على التاريخ .

تمردوا على التاريخ الذي يصنعونه لهم دون ارادتهـــم وبرغـم ارادتهـــم .

وأجمل صفحات التاريخ لم يكتبها « صانعو التاريخ » المؤلهون له والشغوفون به كأنما هو الله ، بل كتبها المتمردون على التاريخ .

وكتبوها كرامة للانسان وتمجيـــدا للخير الذي فيه وانقـــاذا للجزء اللازمني منه ، للجزء الذي لم يستطع ان يسحقه التاريخ .

وهذه هي حقيقة مفاجأة العرب في هذه الحرب . ومفاجأتهـــم لانفسهم قبل سواهم .

مفاجأتهم هي انهم تمردوا على تاريخ يصنعه لهم العالم كله ليفرضه عليهم . هـــذا التمرد هو الانتصار الحقيقي . بل هـــو الجـواب الحقيقـــي .

وحياله تأخذ الانتصارات العسكرية حجم الشكل امام الجوهر .

٩ تشرين الاول

أمس قصفوا بور سعيد واليوم دمشق وحمص .

البعض يقول : هذه هي الحرب لا فرق بين مدني وعسكري .

سقى الله أيام زمان كانت الحرب أنبل . كان فيها قوانين شرف

يخجل المتحاربون من مخالفتها .

ألهذا تقدمت البشرية ؟

ألكي تلغي التمييز بين الاعزل والمسلح ؟ بين العاجز والقادر ؟ ألكي تهدم حدود الاخلاق ؟

هل طوت البشرية كل هذه العصور لتطور أساليب الدمار فقط وتترك وراءها مبادىء الشرف ؟

لا نصدق .

البشرية قطعت مسافات الزمان كي تزيد من اقترابها بعضها من بعض ، كي نعمق تشابك أيديها ، كي تعزز اتحادها وتضامنها لتكسر طوق عزلتها في الكون . من أجل هذا كان التقدم وبسببه . وهذا هو ما سوف يكون .

أما الجنون فموجات وتمضي .

١٠ تشرين الاول

لعل اكثر ما يؤثر في نشوة المصريين بما حققوه خلال قتال الايام الخمسة هذه ، انها نشوة أمة تقول للامم : نريد النصر من اجل حياتنا لا من اجل موت الآخرين . نريد النصر لمجد الحرية لا لفرض الاستعباد.

أليس المصريون أعرق الشعوب في حب الحياة والفرح بها ؟

الحرب المغسولة بالنيل يصبح وجهها أقل بشاعة من أي حرب .

ونكاد نطير منها حمامات سلام من أجل الغد .

١١ تشرين الاول

ترى ، ماذا يحدث من اليوم الى الاحد ؟

هل سيموت رجال كثيرون ؟ هل تكبر الحرب أم ينزل العدل فجاة بعد طول انتظار ؟

« حرب السلام » ، هكذا سماها رفيق شرف .

كان يقال ، من باب الاتهام ، ان الحرب لا تليق بالعرب .

في خمسة أيام صار يقال : والله العرب يحاربون !

وفي الغد ، وقد نلنا استحقاق الحرب ، نريد ان يعود العالم فيقول عنا : كم هم مسالمون هؤلاء العرب .

لانها حقا حرب السلام . لانها انفجار المسالمين في وجه من يرفضون السلام . لانها الحرب على الحرب .

السلام عليك أيتها الحرب ...

ملحق النهار

١٤ تشرين الاول

لا ضحايا ولا جلادون ، بل أحرار

شباك على الهواء

حماستنا هي حماسة ناس طيبين . انها حماسة من اجل الحياة. والحرب ، هنا ، شباك انفتح فجاة على الهواء بعدما كاد البيت يختنق. الدمشقيون الذين صعدوا الى السطوح يستقبلون بالمناديل طائراتهم العائدة لم يفعلوا ذلك بنشوة الغزو ، بل بنشوة الانفراج .

لقد كانت اللاحرب سدا يمنعنا من الحياة ولم تكن سدا يمنعنا من الغزو . نحن لسنا توسعيين ولا استعماريين . نحن شعب له جذور في الحياة ، وله عبقرية في الحياة ، وله شغف بالحياة يرقى الى عهود لم تكن شعوب كثيرة اليوم موجودة بعد فيها على الارض . ثم توالت علينا الشدائد والاعداء والطامعون وكسرونا .

ماذا نريد ؟ الثار ؟ كلا . أخطأ من سماها حرب الثار . نحن أرسخ من ان نكون مجرد جزر لمد او مد لجزر .

ما نريده أبسط بكثير وأجمل بكثير واصعب بكثير : انه العدل . نريد ان نحيا . نريد ان نحيا دون تأجيل ودون خوف ودون ذل . لا أن نكون ضحايا ولا ان نكون جلادين : بل أحرار .

وحماستنا هي حماسة مساجين أخذوا يبصرون تباشير الضوء يطلع من الساحات الحمراء .

فهل تفتح الحرب لنا ابواب السجن ؟

أيها العالم نرفض « احترامك »

« كنا في أوروبا ... للمرة الاولى شعرنا باعتزاز لكوننا عربا . تغيرت نظرتهم الينا . صاروا يحترموننا » .

من منا لم يسمع صديقه العائد من سفر يخبره كلاما كهذا منذ بدأت الحرب ؟

ولماذا تغيرت نظرة « العالم » الينا ؟ لاننا أثبتنا اننا « أقوياء » . وصار « يحترمنا » ..

... يوم كنا نضع ثقتنا في الامم المتحدة والقوانين والضمير العالمي ، ساعين الى حل سياسي من غير اراقة دماء ، كان « العالم » يحتقرنا .

ويوم نزعنا ثقتنا من « العالم » وتجاهلنا ضميره الكاذب ، رفعلنا قبعته وانحنى اجلالا .

أي عالم هو هذا « العالم » ؟

ألم يجد فينا ما « يحترمه » غير السلاح والحرب ؟ أهذه كل فضائلنا ؟

وتسامحنا ؟ وانسانيتنا ؟ وتاريخنا ؟ وحضارتنا ؟ وكل ما في انساننا من خير ومحبة وطيبة ؟ وحقوقنا العادلة الواضحة البديهية الصارخة ؟ أهذه كلها كان يحتقرها « العالم » ، كان يحتقرها الغرب ، لاننا لم نثبت قدرتنا الحربية ؟

سلام عليك أيها الشرق ! سلام على نومك وكسلك ! سلام على « انحطاطك » و « انهيارك » و « تخلفك » !

فالنهضة في نظر العقل الغربي هي العنف ، والتقدم هو التنكر للاخلاق ، والمدنية هي البطش ، والحق هو القوة المادية ، والتفوق هو انعدام الرحمة ، والنجاح هو غاية الغايات ، و « الاحترام » هو لمن ينتصر لا لصاحب الحق والقضية العادلة .

لقد كنا أصحاب حق وقضية عادلة ولم « ننتصر » بالمفهوم الغربي البربري ، ففقدنا « احترام » الغرب .

والآن يبدو اننا نستعيد « احترام » الغرب لا لانه اقتنع باننا أصحاب حق وقضية عادلة ، بل لاننا « أعجبناه » كمحاربين !

« احترام » كهذا من يرضاه ؟

« احترام » لا يعبأ بفضائله الانسانية الجوهرية بل تستوقفه المظاهر وحدها ، من يرضاه ؟

« احترام » يتجاهلنا كشعوب و « يحترمنا » كجيوش فقط وشرط أن تنتصر الجيوش ، من يرضاه ؟

في مملكة الوحوش لا بد ان يكون مقياس « الاحترام » أكثر نبلا من هذا .

« احترام » كهذا هو في الواقع اهانة . واننا نرفضه .

ان لهذه الحرب شفاعتين :

الاولى انها حرب أصدقاء السلام .

والاخرى انها حرب الذين خيب « العالم المتحضر » كل آمالهم ، فاضطروا ان يخاطبوه باللغة الوحيدة التي يفهمها .

وها هو بدأ يفهمها .

واذا كانت هذه الحرب شهادة للعرب فهي في الوقت نفسه شهادة

ضد « العالم المتحضر » .

وبنسبة ما « يحترمنا » « العالم المتحضر » على هذه الحرب ، بنسبة ما يدين نفسه . فبسببه وحده وقعت .

وهو الآن « يحترمنا » لاننا خضناها .

وها نحن نحتقره على هذا « الاحترام » .

ففي « احترامه » هذا فضيحته كلها .

الفعل ، الفن ، أيهما ؟

توفيق الحكيم يطلب « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي الآن .

وبالامس ، شيخ آخر هو اندريه مالرو ، شيخ كلمة وشيخ عمر ، عرض هو ايضا ان يحمل السلاح .

لماذا يتاثر الناس بنوع خاص حين تصدر بادرة كهذه عن فنان ؟ لان الفن هو ، بالضبط ، عكس الحرب . فالاول يحيي والاخرى تميت ، والاول فعل حب والاخرى اما ان تكون فعل يأس او تكون فعل جنون .

ولان الفن هو نقيض الحرب ، فعندما يقدم الفنان نفسه هدية في ساحة المعركة ويطلب ان يحمل السلاح كالجنود ، أو ان يقوم بعمل « يدوي » نافع نفعا مباشرا وسريعا ، فانما يعطي الحرب وجها انسانيا يرقى بها الى مستوى الجهاد المقدس في سبيل مثل عليا طاهرة .

يعطيها « ضميرا » ، يعطيها شفاعة عند الروح .

وهكذا يتعطل الفن ، تتعطل الكلمة حين يعمل المدفع .

وقبل ذلك قال نزار قباني ، عندما سئل كلمة في المعركة : الكلمة الآن للمعركة .

وأمس قال لي مسرحيان صديقان : أوقفنا مسرحية كنا نعدها ، ولا نعرف ان كنا سنعمل غيرها ، فلا نشعر ان هناك الآن ما نستطيع ان نقوله ..

لماذا ؟ لماذا يتعطل الفن في الحرب ؟ ربما لان الفن تأمل والحرب حركة ، ولان الحركة تنسف التأمل . ربما . وربما لان الفن حلم يخترق الحياة ، ولان الحرب يقظة تجتاح التاريخ .

ربما .

لكن أيبقى الفنان مشلولا امام طغيان التاريخ ؟ ام يتخطاه برؤياه ، بحدسه ، بالجزء اللازمني فيه ؟

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

لكن الفنان ، اذا فضل الفعل في لحظات استثنائية من التاريخ كاللحظات التي نعيشها ، فانما يفعل ذلك عطاء منه « فوق » عطائه الاصلي . يفعل ذلك ليعطي مثلا وليس يفعله ليسحب الثقة من الفن .

فالفن هو ذاته يتضمن الفعل . يتضمنه ويبدعه ويسبقه ، ويبقى بعده .

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

ويتردد الفنان احيانا ، وقد يتردد طويلا قبل ان يجيب . لكنه في النهاية يجيب : الفن .

لكل جبهته .

ولكل سلاحه على جبهته .

ولكل استشهاده ...

ملحق النهار
٢١ تشرين الاول

الياس لحود

مدافـع اعمـاق الجولان

تصحو أشواق سفوحك .. تخضر العتمات ..
تدوّن ايقاعات الوثبة في أجنحة الزمن
الصاعد من حفر التاريخ ، وطائرة
تنقضّ على طائرة تسقطها في الصخب ،
تعود الى الاجواء العربية .. بالامس
رأينا عملاق الاسطورة ينزل عن صهوات
الآلهة ليصبح في اسر الاحزان بقايا
انسان مشدود الاذنين ..

* * *

وتصدح في الاحداق مدافع اعماق الجولان
كأن الوتر السادس في القيثارة يعزف وحده ..
اعرفكم تنتظرون ، على جثث الايام ، الفرحة
اعرفكم تصبون وفي الاعماق اجيج الالحان
الخامدة يطأطىء مضغوطا .. اعرفكم في
الاودية وفي القمم الغاضبة .. مدافع
اعماق الجولان .. كأن الوتر السادس ،
طائرة تصعد في العصب الذابل ...
ينتفض الشريان العصب ، يطير
النسر تنوح الدبابات الاخرى ،
طائرة تسقط اسطوره ..
تلتطم الجهة الاخرى بالتاريخ يفيض
اللحن ويفرق آخر ضوء ، ينزل علم
عن صهوة قمه ..
يتدحرج يأس آخر ،

* * *

مدافع اعماق الجولان
وكان الفجر ينادي المرتفعات الوسطى
كانت الحان القيثارة من كل مكان تبدو
حتى من سيناء ..
مدافع اعماق الجولان
وصواريخ الليل ، انا في ليلة عرس اكبر

(بيروت ــ مرجعيون)

مصر

توفيق الحكيم

عبرنا الهزيمة

عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء ... ومهما تكن نتيجة المعارك فان الاهم الوثبة .. فيها المعنى ان مصر هي دائما مصر .. تحسبها الدنيا قد نامت ، ولكن روحها لا تنام . واذا هجعت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام . وقد هبت مصر قليلا وزمجرت ، ليدرك العالم ما تستطيع ان تفعل في لحظة من اللحظات ، فلا ينخدع أحد في هدوئها وسكونها . وكانت يدها التي بدرت منها حركة اليقظة هي جيشها المقدام بصيحة رئيسها الوطني بالقيام . سوف تذكر مصر في تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر .

الاهرام
٩ تشرين الاول

عبرنا الهزيمة في روحنا

نعم . عبرنا الهزيمة في الروح . وشعرنا انه قد حدث ويحدث في داخلنا شيء . لقد كان جو الهزيمة جو سجن واختناق . والآن نحن نتنفس هواء نقيا . هواء الحرية والانطلاق . وهذا هو المعنى الحقيقي للانتصار . انه ليس في مجرد كسب المعركة الحربية . بل هو فيما يحدث في النفوس بعدها ونتيجة لها .

ان الكسب الحقيقي للمعارك الحربية انما هو في نوع الجهاد ودرجة البسالة وروح البطولة .

وليس في مجرد الكسب المادي المعتمد على المعدات والآلات ... وكسبنا الباقي لنا دائما بعد اليوم هو في الروح التي انطلقت من سجن الاحساس بالهزيمة .

هزيمة النفس التي لم تقاوم ولم تجاهد ... روحنا المنطلقة اليوم بعد جهادها البطولي هي التي سوف تتجلى غدا في الاعمال الرائعة التي ينتجها الفكر المصري في مجالاته العديدة من علم وأدب وفن ...

ان تاريخ فكرنا الجديد المعبر عن روحنا الجديدة يكتب منذ الآن في سكون بمداد عظيم من دم شهدائنا الابطال .

ملحق « الثقافة »

يوسف السباعي

دور الاديب في المعركة

لم تكن المعركة قد اشتعلت بعد ، وأنا أكتب افتتاحية العدد الاول من الثقافة أحدد فيها دور المثقف والاديب في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا ، وقد طالبت الاديب المثقف بأن يعمل على :

● اضاءة وجدان المواطن بالفن المبدع والفكر الخلاق ، لتمكينه من مطاردة الظلام الذي تسرب الى النفوس بعد نكسة طارئة ، ولا شك ان الفكر والفن من أخطر الاسلحة التي سنهزم بهما اليأس والتمزق .

● وقلت ان المثقفين مطالبون في تلك الفترة بصياغة العقل العربي الذي يرفض التخلف ، والارادة العربية التي تستعلي على الهزيمة ، والضمير العربي الذي يتأبى على التبعية والتلاشي .

ومنذ السادس من اكتوبر ، تغير ايقاع الحياة ونبضها من حولنا بعد ان عبرت قواتنا المسلحة الى سيناء . لقد عبرت الى آفاق المستقبل ، وخلفت وراءها كل ظلام اليأس والتمزق والهزيمة وراحت ترسم خريطة جديدة للتاريخ العربي الحديث .

ولا أظن ان الادباء والمثقفين في حاجة الى من يذكرهم بدورهم في تلك اللحظات التي جاش فيها كل شيء في الامة العربية بالامل والحياة . فهم عقل الامة المفكر وضميرها المرهف ، وهم يؤدون دورهم الفكري والفني في الحرب والسلم على السواء .

ولا شك انهم سيقومون بدورهم كمواطنين اولا في تلك المعركة ملتزمين بكل ما يلتزم به المواطن العادي في خدمة الجنود وعائلاتهم وتحصين الجبهة الداخلية ، والوقوف وراء المقاتلين في يقظة واستعداد .

وهم بحكم تكوينهم الروحي والفكري والفني سيسارعون الى تسجيل ما يدور الآن من معارك الشرف المقدسة في أعمال فنية وسيسهمون مع أجهزة الاعلام المختلفة في كل عمليات التوعية والتثقيف والتبصير وحماية المواطنين من حرب الشائعات والتخاذل .

وهم مستعدون في أية لحظة ان يتحولوا الى كتائب مقاتلة تحمل السلاح وتخوض معارك القتال الى جوار اخوانهم الجنود على خط النار حتى نحقق لامتنا المجد والانتصار .

ملحق « الثقافة »

لطفي الخولي

الانسان .. هو المعجزة

عبور الجنود للقناة ، أخيرا ، في ست ساعات ، هو الخطوة الاولى في معركة تحرير الارض التي احتلت خلال ستة ايام من عام ١٩٦٧ .

الخطوة الاولى دائما أخطر حركة في المسيرة . هذه المرة صاحب خطوتنا ذكاء وكتمان ودفء شجاعة المبادرة .

هل نحن ـ كما يتصور البعض ـ امام معجزة ؟

العبور ـ في حجمه المادي ـ اجتياز ناجح لمانع مائي يرافقه اختراق ساحق لخط بارليف المنيع . غير انه يعني ـ بوزنه المعنوي والسياسي ـ عبور الانسان المصري ، في لحظة من لحظات الصحوة التاريخية ، مسافة امتدت لاكثر من ست سنوات ظل خلالها ـ بصور وأعماق متعددة ـ يصارع الهزيمة والمهانة ، تحت جلده وفي أحشاء مجتمعه ووطنه .

مضت سنوات الصراع الذاتي والموضوعي ، رهيبة في مرارتها واضطرابها ، بدا فيها الانسان المصري ـ حينا ـ كما لو كان يعشق ادارة جولات لا تنتهي من الملاكمة مع ذاته وواقعه وقومه وعدوه معا . وبدا .. حينا آخر كما لو كان قاصرا عن ان يفتح عينه لمواجهة التحديات التي تلطم كيانه بعنف صباح مساء ، غير قادر على رد اية ضربة من الضربات المتوالية ولو بخرطوشة ظفر .

لكن ما أن انتصف اليوم السادس من اكتوبر حتى انطلق هذا الانسان المصري من أتون الصراع ، يعبر القناة والهزيمة وخط بارليف ويرفع رايته فوق سيناء .

نفس الرحلة .. من الهزيمة الى الصراع الى انطلاقة التحرير .. خاضها الانسان السوري ، وبميعاد موقوت .

هذا الانسان ، في مصر وسوريا ، هو ذاته الذي صارع الهزيمة سنوات ستا ، بيد انه كان في نفس الوقت ـ لحظة ـ العبور ـ انسانا جديدا : صهره الصراع . تطهر مما كشفه تحت جلده وفي مواقعه من سلبيات . واستولد كل ما ورثه واكتسبه من ايجابيات . وما تعلمه بتواضع من خبرات تجاربه وتجارب الآخرين : أصدقاء وأعداء .

أين تكمن المعجزة اذن ؟

ليست المعجزة في العبور واجتياز الخطوة الاولى بنجاح . كل ذلك نتائج لا مصدر أسباب . المعجزة كل المعجزة في هذا الانسان البسيط .. عندما وجد نفسه وعرف طريقه . وهي معجزة انسانية تتفجر ، دوما وبلا انقطاع ، في كل شعب تظل جذوة رفض الهزيمة مشتعلة في ذلك الركن الدفين غير المرئي منه .

سلام على من قرر العبور وخطط له .

وطوبى لمن عبر ورفع الراية وما برح يواصل المسيرة ..

والخلود حق لكل من يسقط شهيدا على الطريق ..

الاهرام ١٧ تشرين الاول

نجيب محفوظ

عودة الروح

ردت الروح بعد معاناة طعم الموت ست سنوات ، رأيت المصري خلالها يسير في الاسواق مرتدياً قناع الذل ، يثرثر ولا يتكلم ، يقطب بلا كبرياء ، يضحك بلا سرور ، يتعامل مع المكان وهو غريب ، ويساير الزمان بلا مستقبل ، من حـــوله عرب متقاربون وقلوبهم شتى ، واصدقاء من العالم يعطفون عليه باشفاق لا يخلو من زراية ، وعدونا يعربد ، يأسرنا في السماء ، يتحدانا في الارض ، ضربة في سوريا ، لطمة في لبنان . واسأل النفس الحزينة ما العمل ، ما المصيـــر ؟ القتال منا يقال محال ، والاستسلام محال ، والاستنزاف لا يتوقف . ثم ردت الروح بعد معاناة الموت ست سنوات ، روح مصر تنطلق بـلا توقع ، تتعملق ونحلق بلا مقدمات ، تتجسد في الجنود ، بعـد ان تجسدت في قلب ابن من أبر ابنائها ، تقمص في لحظة من الزمـــان عصارة ارواح الشهداء العظام من زعمائها ، واتخذ قراره ، ووجـه ضربتـــه .

ووقعت المعجزة .

انتقل الجيش من الغرب الى الشرق .

بادر العرب الى العروة الوثقى .

ذهل الاصدقاء والاعداء .

استرد المواطن عهود مجده وكبريائه .

سارت مصر من عصر الى عصر ، ومن عهد الى عهد ، ومن موت الى خلود .

أيها الزعيم .

لقد وفرت السلاح ، ولعلمك بأن الانسان لا يحارب بالســـلاح وحده سلحت شعبك قبل ذلك بالقانون والديمقراطية والحوار الحر .

فالى الامام . ومهما نكن العواقب فقد ردت الينا الروح والعصر والمستقبل .

الاهرام
١٠ تشرين الاول

ثورة ٦ اكتوبر

انها ثورة وليست معركة فحسب . المعركة صراع بشري ينتهي بالنصر او بغيره ، اما الثورة فوثبة روحية تمتد في المكان والزمان حتى تحقق حضارة . وهي ثورة لانها لم تكن مجرد تدبير محكم وتنفيذ متقن ، ولكنها رمز لثورة الانسان على نفسه وتجاوزه لواقعه وتحديه لمخاوفه ومواجهته لاشد قوى الشر عنفا وتسلطا . والثورة قد تتعثر ولكن جذوة روحها لا تنطفىء ، فثورة ١٩١٩ كفت عن القتال المـادي بعد عامين من قيامها ولكن روحها ظلت تناضل وتبدع في مجـــالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة . لذلك اقول ان ٦ اكتوبر ثورة وليس معركة فحسب ، فتحت لنا طريقا بلا نهاية ، ليستمعركة التحرير الا اول دقة على بابه ، وليس العبور الا اول قفزة في تيار تحدياته ، وليس النصر الا اول نصر على عقبة من عقباته . وهـــو طريق يصادف الماضي فيه النجاح والفشل ، والنصر والهزيمـــة ، والتقدم والتقهقر ، ولكن كل اولئك مواقع وعلامات ، نمر بها ونتعلم منها ، ولا نتوقف عن التقدم ابدا .

هذه هي ثورة ٦ اكتوبر ، ثورة بطل تحرير مصر الحديثة ، ثورة الارادة والعقل والروح .

الاهرام
١٩ تشرين الاول

الدرس الاول

الدرس الاول المستخلص من ٦ اكتوبر هو الدور الذي لعبـــه الايمان في الصراع . الايمان عنصر جوهري فيروح الامة العربية . انها تستيقظ وتنام ، تأكل وتشرب ، تجتهد وتجاهد ، تتحدى وتقـــاتل ، تخاصم وتهادن ، باسم الله ، بمناجاة الله ، وفي سبيل الله . لذلك فان مسؤوليتها حيال هذا الايمان خطيرة باعتباره جزءا لا يتجزأ مـــن شخصيتها .

عليها ان تدعمه ، ان نقيمه على أسس راسخة مضيئة ، عليهـا ان تنقيه من الخرافات ، وتصونه مـن الانحرافات ، وتسمو به الى الدرجات العليا من الصفاء والنقاء .

الايمان رسالتها الذاتية في وطنها الذي كان اول وطن يدعـى فيه الى عبادة الواحد الاحد منذ عهد اخناتون . وطنها الذي كـان بعد ذلك مهد الرسالات السماوية ، وميدان جهاد الانبياء والمرسلين. فرسالتها هي رسالة الحب والاخاء لجميع عباد الله ، لا تفرق فـي ذلك بين اغلبية واقلية ، ولا تعيش فيها الاقلية بفضل حماية الاغلبية وتسامحها ولكن بصفتهم اعضاء متساوين في الحقوق والواجبات فـي وطن مقدس واحد ، وحد اهله حب الارض والشوق الى ذي الجلال ، جميعهم مواطنون مؤمنون من درجة واحدة ، لا تمييز بينهم الا بالكفاءة والخلـق .

بذلك تتحدد رسالة العالم العربي الانسانية الاخلاقية في هـذا العصر ، يضرب بها المثل الاعلى للمنصريين في جنـوب افريقيا ، ومضطهدي الزنوج في الولايات المتحدة ، والمتعصبين في ايرلنـدا والفليبين واسرائيل . هذا ما يطالبنا به الايمان . وهذا ما تطالبنا به ارواح الشهداء .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

الدرس الثاني

الدرس الثاني هو الدرس المستخلص من الانتفاع الذكي مـن العلم على جميع المستويات . القيادة السياسية تعمل بتخطيط منهجي دقيق وحكيم ، غزت به حصونا منيعة كانت تقف حتى الامس القريب مع العدو ، والفت بين قلوب عربية شتتها نزاع هوائي واهي الاسـاس فتحقق بذلك انجاز هام مهد الارض لمعركة مصير .

القيادة العسكرية كما ثبت من انتصاراتها ، وكما شهد به الاعداء قبل الاصدقاء من قوة تاكتيكاتها ، آية على الكفاءة العسكرية العلمية التي أهلتها لمعركة عصرية معقدة. والجنود الابطال لم يهجموا ويصمدوا بقوة الارادة والروح وحدها ولكن باستيعاب جيد للاسلحة الحديثة .

نستخلص من ذلك انه لا نجاح في حرب او سلم في هذا العصر بغير العلم ، انه الباب الشامخ الذي لا دخول الى العصر الا مـن خلاله . والعلم استيعاب ودراسة من ناحية وخلق وابداع من ناحية اخرى . ونحن نستوعب بدرجة محمودة ولكن يجب ان لا نقتنع بذلك، لا بد من تهيئة المواهب والمناخ وتشجيع البحوث التي تنقلنا مـن مستوى الدرس والاستيعاب الى مستوى الخلق والابداع . وليس الهدف من ذلك اثبات الذات فحسب ، ولكنه ضرورة حيوية للتعامل الحقيقي مع العصر ، بل هو السبيل الوحيد للاستقلال الذي نضحي بارواحنا في سبيله . أجل لم يعد الاستقلال حماية للحدود وحفاظا على الارض فحسب ، ولا هو حتى الاستقلال الاقتصادي مضـافا للاستقلال السياسي ، اذ انه ما دامت توجد اوطان مبدعة خلاقة في العلم واخرى متلقية مستوعبة ، فلا مفر من ان يكون الخلاق متبوعـا والآخر تابعا ولو استقل بارضه واقتصاده وثقافته ، سيجد نفسـه في حاجة متواصلة الى استيراد الخبرة والجهاز والسلاح والدواء ، سيجد نفسه عند الشدة تحت رحمة الآخرين ، ولن يكون له وجـود كريم الا اذا اسهم في الابداع وشارك في العطاء .

ولقد انهزمت المانيا هزيمة ساحقة في الحرب العظمى الثانية ، وقد انتصرت فيتنام في حرب التحرير انتصارا بطوليا أسطوريا ، ولكن لان المانيا أمة علمية فما لبثت ان وثبت الى مركز القيادة الحضارية الجدير بها . اما فيتنام العظيمة فلن تغنيها بطولتها عن طلب الخبرة والعلم من اعداء الامس .

فلنعط العلم بلا حساب وبلا حدود .
هذا ما يطالبنا به العصر .
وهذا ما تطالبنا به ارواح الشهداء .

الاهرام
٢٧ تشرين الاول

صلاح عبد الصبور

رســـالتــان

□ الى أول جندي رفع العلم في سيناء

تمليناك حين أهلّ فوق الشاشة البيضاء ،
وجهـــك يلثم العلمـــا
وترفعه يداك لكي يحلق في مدار الشمس ،
حر الخفق مقتحما
وكان الوجه مبتسما
ولكن كان هذا الوجه يظهر ثم يستخفي
ولم ألمح سوى بسمتك الزهراء ، والعينين
ولم تعلن لنا الشاشـــة نعتا لك أو اسمـــا
ولكن ، كيف كان يسعك اســم يحتـويك ،
وانت في لحظتك العظمى
تحولت الى معنى ، كمعنى الخير ،
معنى الحب ، معنى المجد ، معنى النور
معنى القدرة الاسمى

●

تراك ، وأنت في ساح الخلود ،
وبين ظل الله والاملاك
تراك وأنت تصنع آية ، وتخطّ تاريخا
تراك ، وأنت أقرب ما تكون الى مدار الشمس والافلاك
تراك ، ذكرتني ، وذكرت أمثالي من الفانين والبسطاء
وكان عذابهم هو حب هذا العلم الهائم في الانـــواء
وخوف ان يمر العمر ، لـــم يرجـــع الـــى وكره
وها هو عاد يخفق في مدى الاجواء

●

فهل باسمي وباسمهم لثمت النسج محتشدا
وهل باسمي وباسمهم مددت الى الخيوط يدا
وهل باسمي وباسمهم ارتعشت بهزة الفرح
وانت تراه يعلو الافق متئدا
وهل باسمي وباسمهم همست بسورة الفتح
وأجنحة الملائك حوله ، لم تحصها عـــددا
وانت ترده للشمس خدنـــا باقيا أبـــدا

●

هنيهات من التحديق ، حالت صورة الاشياء في العينين
واضحى ظلك المرسوم منبهما
رأيتك جذع جميز على ترعه
رأيتك قطعة من صخرة الاهرام منتزعه
رأيتك جانبا من حائط القلعه
رأيتك دفقة من ماء نهر النيل
وقد وقفت على قدمين
لترفع في المدى علما

□ الى أول مقاتل قبل تراب سيناء

ترى ، ارتجفت شفاهك ،
عندما أحسست طعم الرمل والحصباء
بطعم الدم مبلولا
وماذا استطعمت شفتاك عند القبلة الاولى
وماذا قلت للرمل الذي ثرثر في خديك او كفيك ،
حين انهرت تسبيحا وتقبيلا
وحين أراق في عينيك شوقا كان مغلولا
ومدّ لعشقك المشبوب ثوب الرمل محلولا

●

وبعد ان ارتوت شفتاك
تراك كشفت صدرك عاريا بالجرح مطلولا
دما ومسحته في صدرها العريان
وكان الدمع والضحكات مجنونين في سيماك
وكنت تبث ، ثم تعيد لفظ الحب مذهولا

●

ترى ، أم كنت مقتصدا كأنك عابد متبتل يستقبـــل النفحات
ويبقي السر طيّ القلب مسدولا
ترى ، أم كنت ترخي في حبال الصبر ،
حتى تسعد الاوقات ،
حين تطول كفك كل ما امتدت عليه الشمس والامداء
وتأتي أمسيات الصفو والصبوات
يكون الحب فيها كاملا ، والود مبذولا
تنام هناك بين ضلوعها ، ويـــذوب فيك الصمـــت والاصداء
ويبدو جسمها الذهبي متكئا على الصحـــراء
يكـــون الشاهـــدان عليكما : النجم والانداء
ويبقى الحبـــل للاباد موصولا

الاهرام ١٩ تشرين الاول

يوسف ادريس

الخــــلاص

بضربة ارادة واحدة تمت المعجزة .

تحولنــا من كائنات لا كرامة لهــا ، كائنات كالسائمة او الحيوان الى بشر ذوي كرامــة .

بضربة ارادة واحدة ردت الينا كرامتنا وعادت انسانيتنا .

لم اكن قبــلا اؤمن كثيرا بدور الفرد في التاريخ .

لم اكن اعلم ان الفرد باستطاعته حين يجمع ارادتــه ان يحتــوي فيهــا ارادة امة وتاريخ شعب وقدرة حضارة .

ولكن البطل انور السادات غيّر من مفهومي .

سحق الهزيمة الكامنــة في كل منــا حين قرر العبور .

فبقراره لم يعبر جيشنا القناة فقط .

ولكن شعبنــا عبر معه فيافي الذلة والمسكنة ، عبر الصغائــــــر والحقارات ، عبر الالام التي لا يطيقها بشر ، آلام العجز ، عبر الحياة .

كيفمــا اتفق الى الحياة كما يجب ان تكون .

كان العبور هو الخلاص .

يا لسعادتي وانا اسمع اسرائيل تتحدث عن (العدوان) المصري ،

يا لوقع الكلمة الحبيبة في اذني اننا اخيرا اصبحنا معتدين .

نحن اصحاب حق ولا يستعيد الحق الا اصحاب معتدون .

اكاد لا اصدق كل ما يحدث .

احقا اصبحنا نقاتل لاستخلاص ارضنا وكرامتنا ؟

احقا ثبت لنــا اننا لا عيب فينا وانمــا العيب دائما في الظروف؟

احقا عبرنا القناة ونحـــررسيناء ونحطم المدرعات ونسقط الطائرات ونأسر منهــم مئــات ؟

احقا يحدث هذا كله ؟

بأيدي مصريين مثلي ومثلك ؟

ألم اقل انهــا المعجزة ؟

معجزة ارادة الامة حين تحتويها ارادة بطل .

فبهذا ، وبهذا وحده تتحقق المعجزات .

الاهرام
١٢ تشرين الاول

يميـــن الســـلام

لم يكن عبور قواتنا المسلحة القناة واقتحام خط بارليفوتحرير شرق سيناء عمــلا بطوليــا في حد ذاته ، لقد كــان واجبا . امــا البطولة الحقة ، امــا الملحمــة التي ستظل اجيال كثيرة ، واجيــال تتحدث عنها فهي الطريقــة التي ادت بهــا قواتنا هذا الواجب المقدس.

والبطولة كلمة ـ في رأيي ـ مبهمة ، ان هاملت شكسبير بطــل وعطيل بطل ومحسن « عودة الروح » بطل ، ولكن البطولة هنــا هــي ما تكشف عن انسانــنــا المصري العادي من قوى خارقــة لم تكــن قبلا ملحوظــة فيه . ان المقاتليــن المصريين كانوا اولئك الشبان الذيــن كنت تراهم ولا تزال تراهم في شوارع القاهرة كائنات بشرية شابــة مبتسمــة طيبة مسالمة ولكن ، كان لا بــد ان تشهــد هؤلاء وقد واجهوا العدو ، انشبوا اظافرهم فيه ، لترى الى اي آماد خارقــة تفتق عن هذا الانسان المصري العادي كائنــا لم نعرفه ابدا ولم نكــن نتصور وجوده. ولقد اتيح لي ان ازور قريبا لــي جاء جريحا من الجبهــة مصابــا برصاصة في كفه . كنت اعرفه وكان يأتينا قبل الحرب شابا ظريفــا حاضر النكتة احيانــا يحدثني عن اشتياقه للقتال وظمئه ان نخــوض الحرب وكأنه يتحدث عــن شغفه برؤية فيلم جديد . في المستشفــى وجدته كائنا اخر ، انسانا تكشفت عنه الغشاوات تماما ، ثاقب النظرة ثاقب الفكر ، جريئا وكأن الخطر عبث ، وكان يصرخ طالبا ان يفــك عنه حصار المستشفى وان يعود لرفاقه في الميدان .

كان سعار حرب التحرير قد اصابه وحوله من المصري كما يحيــا ويوجــد الى المصري كما يجب ان يكون . وحدثني طبيب المستشفــى عن الحكيمة المسئولة عن العنبر ان زوجها واخاها وزوج اختها يقاتلــون

في سيناء وهي تعمل طوال الاربع والعشرين ساعة بلا كلل وانما بابتسامة غريبة كأنما تفتقت عنها ابواب السماء تحتل وجهها تزيل عنها وعن الاخرين التعب وتبث روح القتال وتبعث الامل . والظاهرة ليست افرادا مبعثرين ، انها كل من لمستهم نار الحرب المقدسة ، كل من اطلق طلقة ، كل من عبر ولم يعبر ، كل من صاح وهو يهجم على الوكر اليهودي مسددا سلاحه صائحا : الله اكبر .

هذه الظواهر دفعتني للتفكير ، منذ مائة عام ، منذ احقاب طويلة واحقاب وشعبنا يتحرق شوقا لمواجهة عدوه . العدو الغامض المستتر دائما خلف لافتات او ادعاءات او احلاف . والعدو الذي لم يتح لنا ابدا قتاله منذ موقعة رشيد ، الانجليزي مرة والاميركي مرة والصهيوني مرة . العدو الذي واصل خنقنا باصابع من فولاذ لا ترى ، الذي كان يكبل تقدمنا بقيود بالغة العنف . العدو الذي حرص دائما وابدا على ان لا يدع لشعبنا مطلقا فرصة قتاله او القيام بثورة شعبية مسلحة ضده . كنا ما تكاد تتكامل اسباب الثورة وظروفها وما تكاد تحين لحظة الالتحام حتى يجهض المعركة فينسحب مرة الى فايد وصحراء السويس ، او يخلق الظروف التي تجبرنا على ايقاف القتال واطلاق النار ، دائما ينأى عن اظافر الشعب ان تشرع وعن انيابه ان تظل فهو يعلم العلم اليقين ان لو حدث مرة واتيح لشعبنا ان يخوض معركته المسلحة فان الشعب لن ينتصر فقط وانما ستذوب في نار الحرب التي يخوضها الشعب كل ادران الماضي وصغاراته ، ستنفك القيود ، سينطلق الانسان المصري جديدا كما لم يعرفه العالم منذ زمن طويل ، يبني مصر الجديدة العملاقة ، رافعا راسه الى اعلى والى الابد ، وهو ما خشيه دائما اعداؤه الفرنسيون والانجليز والاميركان والصهيونيون . ان حروب التحرير لا تخرب البيوت . انما تعمر البيوت ، ولا تقتل الرجال ، انما تبني الرجال وتستنبت الرجولة في الرجال . انها تحيل الانسان الصاغر من عبد الى حر يملك قدره ويصنع مصيره ويملي على الحياة ارادته .

وهكذا فان الثورة الرابعة التي قادها العظيم انور السادات بعد ثورات ٨٢ ، ١٩ ، ٥٢ كانت اول حرب تحرير حقيقية نخوضها شعبا وقوات مسلحة ، امة وافرادا ، زعيما وقاعدة . ومنها سننطلق ، ولن يكون هناك حد لانطلاقنا . سنبني حضارتنا الحديثة التي طال الحديث عنها ، نحرر انساننا ويتحرر ويسبق وينبني ويبتكر ويخلق .

وهكذا ايها الابطال الذين صنعتم لنا المجد ، ايها الابطال الذين استشهدتم والذين جرحتم والذين سلمتم . ان كل نقطة دم نزفت من شهيد او من حي لن تذهب عبثا . ستظل عبر الاجيال تحفظ لها الجميل ، سنظل باعيننا نراها ونرعاها ونشمها ونستوحيها ، فمن نقط دمائنا الغالية التي بعثرت على رمال سيناء سننسج خيوط المستقبل ومن رائحة الدم سنسكب ملء البحر عرقا وسنبذل كل ما نملك من دم ودموع .

وعلى هذا نقسم ، والله سبحانه على ما نقول شهيد .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

بداية ثورة رابعة

ان ما حدث في مصر ولمصر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، لا يمكن ان نسميه بداية حرب تحرير فقط ، لان في هذا غبنا له اي غبن ، انه في الواقع بداية للثورة الرابعة للشعب المصري ، تلك الثورات التي بدأت بثورة احمد عرابي ١٨٨٢ ، ثم ثورة ١٩ ، ثم ثورة ٥٢ ، ثم ثورة ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، بل اكاد اقول انها اعظم هذه الثورات جميعا ، لانها بدأت والشعب المصري في اعمق اعماق الهزيمة ، بدأت والشعب في حالة من الاحباط ، وفي حالة من فقدان الشخصية ، وفي حالة من اليأس ، وفي حالة من التردي في مغارات الحرمان ، وانتفضت به من هذه الاعماق كلها ، الى قمة الثورة . وقمة الثورات في رأيي ، هي الثورة الشعبية المسلحة ، تلك التي يمسك فيها الشعب بسلاحه ، ويدافع به عن وطنه ، ويواجه عدوه وجها لوجه ، وبندقية لبندقية ، ودبابة لدبابة . وهذا هو ما حدث يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لقد قادنا انور السادات في هذه الثورة الشعبية المسلحة قيادة لا اقول انها قيادة شخص عادي ، لكنها قيادة بطل تحسس نبض الشعب ، وادرك انه يختزن في اعماقه طاقة وقوة ، قادرين على كبح جماح العدو ، فأعطى اشارة البدء بالمعركة ، كانت ضربة ارادة قوية اهتزت لها اعماق الشعب ، وتكشفت عنها بطولاته ، وما نسمعه الان من هذه البطولات الخارقة ليس جديدا ، وما سنسمعه عنها لن يكون جديدا ، لان هذا الشعب يحتوي بين صدوره كل مقومات البطولة ولكن وكأنها كانت هناك مؤامرة من الاستعمار العالمي ، والقوى الرجعية ، والحكام الطغاة ، على كبح جماح هذه البطولة ، وعلى دفنها وعلى افقاد الشعب لشخصيته . كان الاستعمار طوال الوقت يتحاشى الالتحام مع الشعب او يتحاشى بمعنى ادق ان يحمل الشعب سلاحه دفاعا عن حقه في الثورة ، وحقه في التحرير ، ولهذا حين قامت المظاهرات سنة ١٩٤٦ ، واحس الانجليز ان الشعب على وشك الفليان ، جلا الانجليز الى منطقتي فايد والسويس ، وحين حدث عدوان ١٩٥٦ ، ما كاد العدوان يبدأ حتى فوجئنا بايقاف اطلاق النار . وهذا هو ما حدث سنة ١٩٦٧ ، فما كادت الحرب تبدأ حتى انتهت دون ان يتمكن الشعب من ان يدافع عن نفسه ، ومن مواجهة عدوه ، ومن حمل السلاح دفاعا عن حريته ، ولهذا فنحن الان في فترة من اعظم فترات هذا الشعب ، انني امشي في الشوارع واصافح الوجوه بناظري ، فاذا بها حافلة بالبشر ، واذا بالامل يتفتح ، ولم يحدث اي تغيير يذكر في حياتنا ، لم يحدث سوى ان هذا الشعب احس انه لاول مرة يحمل السلاح دفاعا عن نفسه ومواجهته لعدوه ، انها ثورة . ثورة بالمعنى الكامل للثورة ، وكل ما أتمناه ان تمضي هذه الثورة قدما ، لتخلق مصر الجديدة ، مصر التي بشرنا بها ، والتي آمنا بها . والتي تفاءلنا بوجودها ، ان تخلق هذه المرة ذلك الخلق السوي الذي انتظرناه لها جميعا ، ذلك الذي حلم به عرابي ، ذلك الذي بشر به سعد زغلول ، ذلك الذي كافح من اجله جمال عبدالناصر ، نريد لكل هذا ان يتحقق على يد انور السادات ، وعلى يد الشعب المصري ، المتحرر ، الحر ، المدافع عن نفسه ، عن امجاده وعن تراثه ، وعن تاريخه .. المعيد الى الاذهان كل بطولاته السابقة من ايام احمس .. الى قطز .. الى انور السادات . اني لشديد التفاؤل ، وعظيم الامل ، في ان كل ما حلمنا به ، وما ضيعنا العمر من اجله ، سيتحقق في هذه الثورة الرابعة من ثورات الشعب المصري .

الطليعة
عدد تشرين الثاني

احمد عبد المعطي حجازي

ثلاث أغنيات للوطـــن

تهليلة

انه وطن .
لست أنت ، ولست أنا
انه وطن .
شجر ، ودم ، ونجوم ،
وروح يفكر في ذاته
وطن ظل في صمته
في جلال تواضعه
ظلّ منتظرا في غيوم كآبته
حاملا جرحه المتفتح
عاما ، وعاما ، وعاما
ونحن نحدّث عنه
ونهرب من وجهه المتسامح
حتى أتت ساعة ،
فرأيناه قام بمفرده
عابرا برزخ الموت
ينفض عن كتفيه الصواعق
مبتسما للمصير الذي يتراءى له
ويكلمه بلسان عجيب
ونحن نتابعه ذاهلين
لقد قام !
كيف تقوم الحقــول بمفردها !
وتقــوم القــرى وحــدها !
ويقـــوم اليتـــامى المذلون !
قولوا اذن تلك معجزة
لا ! ولكنه وطن
وطن لم نكن نحن نعرفه
وطن كان مختبئا في الدماء البعيدة
في جسد الارض ،
في الكلمات التي هجرت زمن الفزع
قولوا له هللويا
وعودوا الى دمه بضعة منه
وانطلقوا معه للعلا !
هللويا هلا !
هللويا هلا !

□

الحديد والجسد

انه العصر
هذا الحديد الذي يتطاير ملتهبا
هذا الحديد الذي يتطاير ملتهبا
في الهواء الذي كان يحمل ريش اليمام
وخضرة ضوء القمر
انه العصر
هذا الحديد وهذا الشرر
فاحتضنه ،
ودع جسمه يخترق جسمك الحي
يا وطني المتخلف ،
كي تتحضر !

هأنذا ليلة الحرب أبلو جنون السهر
كلما صفرت طلقة ،
أتحسس وجه المدى
ماسحا دمه بيدي
قائلا لجذوع الشجر
اصبري !
يا جذوع الشجر !

العلم الذي عاد يرفرف

كل راياتنا قطع من قماش

وأنت العلم
مصر أنجبت الناس زوجين زوجين
والحب أنجب أبناءهم
واصطفى المجد أجملهم
واهبا لك أرواحهم يا علم
كلما نقلوا في الطريق اليك قدم
نسجوا فيك خيطا
ومن كل قطرة دم
رسموا فيك لونا
فهم أنت
ما برحوا ينقصون وتزداد
ينحدرون وتعلو
لقد قسموا فيك أنفسهم
جسدا ضاربا جذره في الرمال ،
وروحا مرفرفة في القمم

قل لنا يا علم
افتدوني
نجبك نعم !
ونجبك نعم !
ونجبك نعم !

روز اليوسف
١٥ تشرين الاول

اغنية لدمشق

بأي شيء تدفع العروس عن خبائها
جحافل التتر
تحصبهم بالنسب الشامخ ،
أم بالزهر الطالع من ردائها
أم بحجارة النجوم والقمر !

□

رقيقة أنت أمام كل هذا الموت
يا دمشق !
مثل زهرة في الثلج
لكن ما الذي يفعله الموت العكر
لقطرة من الدم البري ،
صارت جمرة مشبوبة في الرمل ؟
ماذا يفعل الموت
لهذا الفرح المولود كل لحظة
من قلب احجارك
من ضلوع أنهارك ،
ماذا يفعل الموت
لاطفال يردون عليه بالاغاني
ويزيدون التصاقا بالتي تكشف عن جمالها الرائع
ساعة الخطر !

□

هذا هو الوادي أراه الآن يزداد اخضرارا ،
رغم انه الخريف ،
وأرى المنازل العتيقة البيضاء تزداد التصاقا
والعصافير تهز الضوء في أفيائها
وتفصح النوافذ الآن عن النساء والورد ،
وعن مخادع الدار ، وعن أشيائها
وهؤلاء عصبة الفتاك من رفاق عمري
يرجعون للصبا
ويملأون عتمة الليل الجهادي حنينا وسفر !

□

من هذه العروس في الحرب ،
تصول وتجول في المدى الساطع من بهائها
غزالة أم فرس ،
ترقص ، أم تضرب بالسيف ،
تغني ، أم تنادي الصيد من آبائها !

□

وهل لديك غير هذا الحسن تدفعينهم به ،
لكن للجمال وجهه البطولي ،
ألم ننهل من العشق
بما يكفي مؤونة السهر ؟
بلى !
وقد لجت بنا النشوة حتى رؤية الموت ،
وقد لجت بنا حتى ازدراء الموت ،
ها أنت انتشيت يا دمشق
وتخضبت بأسماء المطر
ثم خرجت للتتر

روز اليوسف
٢٩ تشرين الاول

لويس عوض

الادب والمعركـــة

تنظم قيادة الجيش للصحفيين زيارة الجبهة للوقوف على حقائــق القتال في سيناء ونقل هذه الحقائق اولا باول الى القراء عن طريــق صحفهم ومجلاتهم من خلال التحقيقات الصحفيـة والاحاديث والصور والانطباعات . ولا شك ان هذا عمل هام وعاجل لربط الجبهـة المدنية بجبهة القتال بصفة مستمرة .

وفي تقديري ان هناك تنظيمـا اخر ينبغي التفكيـر فيه وهوتنظيم زيارات لمن يريد من الادباء لجبهة القتال لمعايشة ابطالنـا المقاتليــن ومعايشة تجربة القتال عامة وتجربة القتال من اجل تحرير الوطن بصفة خاصة . فالادباء ، ولا سيمـا الشعراء وكتاب المسرح وكتاب القصـة والروايـة هم الذيـن سوف يدونـون في ادبهم ملحمة التحرير عندما ينتهي القتال وربمـا تصدوا لوصفه او استلهامه وهـو لا يزال دائرا.

فاكثر الادباء لا يعرفـون تجربـة الحرب او معارك التحرير معرفة مباشرة ، وانمـا يعرفونها من خلال قراءاتهم لاداب القدمـاء والمحدثين، ويعرفونها كما يعرفهـا احاد الناس من خلال الصحف وما تسمعه الاذن او تراه العين من صور ، وليس من رأى كمن سمع ، وليس مـن رأى الاصل كمـن رأى الصورة . هم يقرأون عن الدم وعـن الموت وعـن الجراح وعن النزع الاخير وعـن الرصاص وعن البارود وعـن نار الله الموقدة حيـن تزمجر المدافع او تنفجر الالغام والصواريخ . وهم يقرأون عن الاستشهاد وعن البطولة وعن الجبـن وعن الضعـف الانساني وعن التماسك الانساني . وهم يكتبـون عن كل ذلك في شعرهم وفي نثرهم بقوة الخيال وليس بلمس الحقيقـة .

ولست اقصد ان الاديب لا يمكنه ان يكتب عن الموت الا اذا ذاق تجربة الموت . وانمـا اقصد ان معايشة التجربة الحية تقرب الكاتب من الواقع درجة او درجات وربمـا الهمته بمعان او فجرت فيه تصورات ومشاعر لا يعرفهـا المكتفي بالنقل ورواية الرواة .. رب شاعـر او مسرحي او قصصي وصف المشاعر والاحداث والشخصيات بقوة الابداع والتصور خيرا ممن خبرهـا خبرة مباشرة . ولكـن الذي لا شك فيه ان التجربة الحيـة تفيـد بعض المواهب في جمع خامات الحياة .

وهذا الكلام لا ينصرف الى الادباء وحدهم ولكنه ينصرف الـى الفنانيـن كذلك : التشكيليين ومؤلفي الموسيقى فربمـا الهمت المعايشة بعضهم بأروع الالحـان وبأعظم الخطوط والالوان.

ولا ينبغي ان ننتظـر من الاديب او الفنان الخالق ان يعبر عـن نفسه او ان يبلور تجربته في الان والساعة كما يفعـل الصحفي او مراسل الاخبار . فقـد لا يظهـر اثر لما جمع من خامـات ملحمة الحياة والتحريـر الا بعـد اعوام واعوام بجملة موسيقيـة او بتكوين تشكيلي او بعقدة مسرحيـة او بموقف قصصي او بلحظة شعريـة تختمر فـي نفسه شهورا او سنوات حتى نجـد الشكل الكامل للتعبير عنها . المهم الان هـو المشاركة والمعايشـة .

الاهرام
١٩ تشرين الاول

هذا الشعب سليم في جوهـــره

اول كلام ينبغي ان يقال عن المعركـة هو الدروس المستفادة منها ، اول درس في اعتقادي هـو ان النجاح المصري في عبور القناة ، وتحطيم خط بارليف ، والتوغل في سيناء ، وتثبيت القواعد ، انمـا دل على ان القوة الذاتيـة للشعب المصري لم تتكسر برغم الهزيمة المريرة ،التي لاقتها مصر فـي حرب ٦٧ . وقد كـان عند اكثر المواطنيـن اعتقاد جازم انهم لا يهابون المواجهة مع الجيوش الاسرائيلية . وهذا لا يمنــع ان بعض المواطنيــن من فرط الحذر ـ كانوا يعتقدون انه لا بـد من ارجاء المعركـة حتى تستكمل استعداداتنا ، ولكـن الجسم الاكبر من الشعب كـان يعتقـد انه لم يمتحن في حرب ٥ يونيو ، وانمـا حدثت اخطاء هي التي ادت الى الهزيمة ، وانه بالتالي اذا اعطي فرصة اخرى فانه سيثبـت وسيتقـدم .

اذن وبالرغم من ست سنوات من التمزق والالم والمرارة التــي كادت ـ في بعض الاحيان ـ ان تصل مبلغ اليأس . اثبتت معركـة ٦ اكتوبر ان الشعب المصري سليم في جوهره . امـا الدرس الثـانـي ـ وهو لا يقل أهمية عن الدرس الاول ـ وهو أن غسل عار الهزيمـــة بقوة السلاح قد رد الثقـة بالنفس للمصرييـن نهائيا ، ولو كنـــا وفقنـا في ان نستخلص حقوقنـا عن طريق الحل السلمي وتجمع المجتمع الدولي لتطبيق القرار ٢٤٢ ، وانه لم تكـن هناك عقبات ، او صلف اسرائيلي ، او اي شيء من هذا النوع : لظلت هناك دائما علامـــة استفهام بالنسبة للشعب المصري ، وللجيش المصري، هل هـو قادر ، او غير قادر ، وفي اعتقادي ان خوض المعركـة الاولى بيننا وبيــن اسرائيل التي نجحنا فيها في تحقيق ما كان يوصف بانه مستحيل ، هذا النجاح قد رد للشعب المصري وللجيش المصري ثقته وايمانه بنفسه ، بحيث انه ايـا كانت نتائج هذه المعركـة ، سواء حلت بقية قضيتنـــا بالمبادرة السلميـة او ايـا كانت النتائج ، فاننـا خرجنـا بنتيجـــة واضحة ، وهي اننـا لـم نعـد نهاب القوى الاسرائيلية التي صورتها الحرب النفسية ، واكاد اقول المؤامرة الدوليـة علينا ، بانهـا قوى لا تقهر !! ، وللاسف انهـا وجدت بين أبنائنا من يستمع الى هـــذه الاصوات الغريبة ، والان نستطيع ان نطمئن الى ان ـ حاليـا وفـي المستقبل ـ اسطورة ان هناك اعداء لا يقهرون قد تبددت الى الابد

الطليعـة
عدد تشرين الثاني

محمود امين العالم

معركة تاريخية فاصلة

لقد بدأت معركة التحرير العربية مرحلة جديدة من مراحلها ، واستطاعت ان تحقق مع بداية هذه المرحلة خطوات رائعة حقا في الطريق الطويل الصعب لاستعادة الارض العربية المحتلة ، والثقة العربية المهتزة والكرامة العربية المهدرة .

ان هذه المرحلة هي بغير شك تتويج للمراحل النضالية السابقة قبل هزيمة عام ٦٧ وللمعارك الصغيرة التي خاضتها أمتنا العربية بعد هذه الهزيمة ، معارك رأس العش وايلات والكرامة وعمليات المقاومة في الاغوار وجنوب لبنان واخيرا حرب الاستنزاف . وهي كذلك تتويج لجهود سياسية ودبلوماسية على المستوى العربي والعالمي ، وهي استفادة ذكية لاوضاع عالمية ملائمة ، وهي استجابة ثورية لارادة أمتنا العربية التي عبرت عن نفسها بمختلف وسائل التعبير السياسي والثقافي والاجتماعي .

لم يكن امام أمتنا العربية من سبيل غير المعركة ، لانتزاع ارضنا المحتلة من براثن العدوان الاسرائيلي بحد السلاح ، وقهر المخطط الصهيوني الاميركي ضد الامة العربية بحد السلاح ، السلاح العسكري ، والسلاح الاقتصادي ، والسلاح السياسي والدبلوماسي ثم السلاح القومي الذي يتمثل في وحدة العمل العربي على المستوى الرسمي والجماهيري والاقتصادي والعسكري .

وبخوض معركة التحرير العربية الشاملة ، تتحرر الامة العربية مما يعوق حركتها التاريخية نحو تأكيد ذاتها ، وتجديد حياتها ، والارتفاع الى مستوى عصرها تفاعلا خلاقا ، وفعلا خلاقا كذلك .

لهذا كان ٦ اكتوبر بداية مرحلة جديدة في معركة التحرير والتحضير العربية .

ولهذا كذلك لا ينبغي ان تتوقف هذه المعركة دون تحقيق هدفها الاخير .

لقد عبر الانسان العربي منذ الايام الاولى للمعركة أسوار القلق والانتظار المض واليأس ، واقتحم أحاسيس الهزيمة وانطلق من مرحلة اجترار الاحزان المرة الى مرحلة الفعل الخلاق المظفر ، وصادم بجسارة واقتدار قوى العدوان الاسرائيلي الصهيوني الاميركي ، واستعاد ثقته وثقة شعوب العالم في كنوز طاقاته النضالية الكامنة .

على انه في مرحلة الاندفاع البطولي نحو تحقيق هدف قومي تاريخي كبير ، يكون التوقف خطيئة لا تغتفر ان لم يكن استعدادا لمواصلة اندفاع اكبر نحو هذا الهدف .

ان وقف اطلاق النار ليس نهاية للمعركة ، ولا ينبغي ان يكون . بل هو مجرد منحنى من منحنيات الحركة النضالية في طريقها الصاعد . وهذا ما ينبغي ان يكون .

انه ليس وقفا لاطلاق النار على غرار ما تحقق عقب انكسار الجيوش العربية عام ٦٧ واجتياح الغزاة الاسرائيليين للاراضي العربية في الجولان والضفة الغربية للاردن وسيناء . انه مجرد لحظة سكون مؤقتة مشحونة بالتوتر وأقصى درجات الاستعداد في غمرة معركة لم تحسم بعد برغم ما حققته من انتصارات عسكرية وسياسية ومعنوية .

ونتساءل : هل من سبيل لحسم هذه المعركة بغير جولة اخرى ، بغير مواصلة النضال ؟ ما أظن ذلك .

ان الجرح النازف من جسد الوحش الاسرائيلي سيزيده توحشا وشراسة . لقد أصيب الوحش الاسرائيلي ، لا في غروره وغطرسته فحسب ، بل في فلسفته التي يقيم عليها كيانه العدواني كله . ولقد أصيب في مؤسسته العسكرية الحاكمة ، وأصيب في استقرار اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية الداخلية ، واصيب في قوته الجاذبة لآلاف المهاجرين اليه من يهود العالم ، وأصيب في علاقاته الدولية ، لا من الدول الافريقية التي يتوالى قطع علاقاتها به وحسب ، بل من دول اوروبية كانت تسانده ، أو تعطف عليه ، وأصيب كذلك بانفجار تناقض سوف يتسع داخل الولايات المتحدة الاميركية نفسها سنده الاساسي في العدوان والتوسع بل الوجود .

ان الوحش الاسرائيلي لا يلعق اليوم جراحه فحسب ، وانما هو يتأهب كذلك لاستعادة كيانه العدواني الاصيل بعدوان غادر شرس جديد علينا . انه يدرك ان انتصار الامة العربية عليه — حتى في

حدود استرجاع ما احتله من اراضيها منذ عام ٦٧ ـ هو بداية النهاية لكيانه العنصري الصهيوني العدواني كله ، ولهذا فان معركته هي معركة الحياة والموت لهذا الكيان .

ووهم كبير أن نتوقع ضغطا اميركيا عليه يعيده الى حدود عام ٦٧ ، أو اتفاقا سوفياتيا اميركيا مشتركا يعيده الى هذه الحدود. ان أميركا ـ نيكسون فضلا عن طبيعتها الاحتكارية المندمجة المصالح مع العدوانية الاسرائيلية الصهيونية التي تغذيها الصهيونية ، أبعد من ان تقوم بهذا الضغط ، بل أعجز عنه ، في هذه الايام بالذات بسبب فضيحة ووترغيت ، برغم ما أصاب مصالحها في الشرق العربي من أضرار ، وما تتعرض له علاقاتها بحلفائها الغربيين من أخطار . ولهذا تقوم اميركا اليوم بلعبة الديبلوماسية المزدوجة . وجه ديبلوماسي ترفع فيه راية السلام والدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيليه الى حدود ٦٧ واحترام الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، ووجه عملي آخر تدعم به العدوان لاسرائيلي وتتآمر به ومعه سعيا وراء اجهاض الاندفاع التحريري العربي بالتخدير والتضليل والمناورات الخبيثة المطلة . ان اميركا تتحرك بين عدة محاذير : حرصها على استمرار الانفراج الدولي بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، وحرصها على استعادة مكانتها بين حلفائها الغربيين ، وحرصها على حماية مصالحها البترولية والاستغلالية عامة في الشرق العربي ، ودعم علاقاتها بدوله بل استعادة نفوذها فيها ، وحرصها على حماية الكيان الاسرائيلي الصهيوني العدواني كلب حراستها لهذه المصالح وأداتها لضرب حركة التحرر والتقدم والوحدة العربية ، بل سمسارها في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، وفضلا عن هذا كله ، حرصها على ضرب التحالف المتصاعد بين حركة التحرر العربي ومنظومة البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي .

لهذا كله تلعب اميركا لعبتها المزدوجة في معركتنا التحررية . ديبلوماسية سلام وواقع عدوان وتآمر ومناورة .

لهذا لا ينبغي ان نتوقع من اميركا غير الكلمات والوعود ومحاولات الدوران والمماطلة في متاهات اللقاءات والمباحثات المجدبة البليدة . ولكن ... ألا تستطيع مرحلة الانفراج الدولي التي يعيشها عالم اليوم ، ألا تستطيع علاقات اميركا الجديدة مع الاتحاد السوفياتي أن تفرض عليها موقفا آخر من اسرائيل ؟ ان الانفراج الدولي أرضية ملائمة بغير شك لتحقيق الانتصار على قوى العدوان الاسرائيلي الاميركي . وهو بغير شك كذلك عامل حاسم من عوامل ما نراه من تناقض وتفكك بين البلاد الاوروبية الغربية في الموقف من اسرائيل ، بل ومن التصرف المستقل عن اميركا ، وعزلتها ، وهو كذلك عامل من عوامل هذا الموقف المزدوج الذي تتخذه اميركا من قضيتنا . فلاول مرة تعترف بقرار مجلس الامن الصادر عام ٦٧ وتؤكد على ضرورة تنفيذه ، وعلى ضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط عام ٦٧ ، وان تكن في الوقت نفسه تواصل مساندتها لاسرائيل وتآمرها معها . على ان الانفراج الدولي لن يكون وحده العامل الحاسم في حل قضيتنا حلا عادلا نهائيا . ذلك ان الانفراج الدولي لا يلغي الصراع بين أطرافه ، انه بغير شك يحد من تفاقم الصراع حتى يبلغ ذروة صدام دولي مسلح ، ولكنه لا يوقف تدفق الاسلحة الاميركية الى اسرائيل وتدفق الاسلحة السوفياتية الى العرب . ولهذا فان العامل الحاسم في معركتنا هو نحن . هو اصرارنا على التمسك بحقنا في مواصلة معركتنا حتى تحقيق هدفنا التحرري ، هو وعينا بهدفنا وعيا موضوعيا صحيحا ، وهو حسن تخطيطنا العلمي لنضالنا على المستوى العسكري والشعبي والدولي ، على المستوى السياسي والاقتصادي والبشري ، هو عمق وعينا بحقيقة الاوضاع العالمية ، وقدرتنا على حسن الاستفادة منها ، هو اقتدارنا على تعميق وتوسيع تحالفاتنا المبدئية مع أصدقائنا ، وعزل أعدائنا .

ان الانفراج الدولي أرضية ملائمة لمعركتنا ، ولكن العامل الحاسم فيها هو نضالنا نحن .

انها معركتنا من أجل تحرير الارض المحتلة ، واقرار الحقوق المشروعة العادلة للشعب العربي الفلسطيني ، وهي معركتنا من أجل اطلاق الطاقات العربية في طريق الازدهار الاجتماعي والثقافي ، والوحدة القومية والاضافة الحضارية الخلاقة .

ان وحدة العمل العربي في هذه المعركة ، هذا التنسيق الرائع ، والمشاركه الايجابيه في تهديد المصالح الامبريالية للدول التي تساند اسرائيل ، وهذا الاسهام الايجابي المتنوع الابعاد في عبء المعركة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، هو في الحقيقة أرض الاختبار والاختمار للمنهج الموضوعي لتحقيق الوحدة القومية الشاملة ، فضلا عن انه ايقاظ وحفز لكل قوى النضال من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية في وطننا العربي الكبير .

وان تحالفنا المبدئي مع القوى الاشتراكية والديمقراطية والسلام في العالم هو دعم وتنميه لنضالنا التحريري والتقدمي والقومي ، وهو دعم كذلك للنضال الانساني كله من أجل الحرية والتقدم والسلام .

هذا هو معنى معركتنا التحريرية . وهذا هو معنى ضرورة الانتصار فيها ، من اجل مستقبلنا الحضاري ومن اجل مستقبل الحضارة الانسانية كلها .

انها معركة تاريخية فاصلة ، وانتصار تاريخي فاصل . واذا كنا قد حققنا في الجولة الاولى لهذه المعركة انتصارات رائعة للانسان العربي في طريق هدفه الكبير ، بعبور القناة وتدمير خط بارليف والاندفاع في سيناء والجولان ووحدة العمل العربي وعزلة اسرائيل واميركا دوليا ، فلا ينبغي أن نغالي في تقدير هذه الانتصارات الا بمقدار ما تدفعنا الى مزيد من المواصلة حتى يتحقق الهدف التحريري الكبير .

كما لا ينبغي ان نغالي في تقدير ما تحققه اسرائيل من تسلل مضاد في أرضنا في الضفة الغربية للقناة أو نتهاون كذلك في هذا التسلل . انها لا تستطيع بهذا التسلل ان تشرخ ما حققناه من انتصار ، بشرط ان نواصل معركتنا لتحرير ضفتنا الغربية منها ، وتعقبها في اصرار واقتدار حتى يتحقق لنا النصر .

ولا ينبغي ان نستنيم الى وعود اميركا ، في وقت تواصل فيه دعمها للعدوان وتآمرها معه لاخراجه من محنته ، واستعادة سيطرته على كيانه المهتز المأزوم .

ان معركتنا ليست معركة محلية محدودة بين الثورة العربية وبين الصهيونية العالمية ، بل هي معركة تاريخية بيننا وبين الصهيونية العالمية والامبريالية الاميركية . وهي معركة طويلة وشاقة ومعقدة ، ومتعددة المراحل والجولات .

واذا كنا نرفع شعار السلام القائم على العدل ، واذا كنا نحترم المواثيق الدولية ونتحرك في اطار المشروعية الدولية ، فينبغي ان ندرك كذلك ان لا سبيل الى تحقيق هذا الا بقوة النضال وفاعليته

وحسن تخطيطه وتنفيذه .

فهذا هو المنهج الوحيد الذي يتحقق به العدل والسلام لنا وللعالم . ذلك ان الانفراج الدولي ليس كما يزعم البعض تواطؤا بين دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي واميركا ، وليس علاقة تكتيكية بينهما ، بل هو واقع أملته ظروف موضوعية متعددة ، لعل في مقدمتها قوة النظام الاشتراكي العالمي العسكرية والاقتصادية ونموه المطرد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، ونمو تحالفه الموضوعي مع ثورات التحرر الوطني في العالم . ولهذا فان انتصارنا في معركتنا التحريرية - وان يكن الانفراج الدولي أرضية ملائمة لها - فان هذا الانتصار نفسه هو انتصار للانفراج الدولي نفسه ، بل هو عامل من عوامل دعمه وتثبيت مبادئه . ان انتصارنا ليس مجرد اختبار لهذا الانفراج بل هو دعم وتنمية له . ذلك لان انتصارنا هو انتصار للحرية والعدل والسلام في العالم أجمع وليس انتصارا لقضيتنا التحريرية وحدها . ان انتصارنا على العنصرية الصهيونية وعلى المساندة الاميركية لها هو دعم لقوى التحرر والتقدم والديمقراطية والسلام في العالم . فالصهيونية التي تتجسد في اسرائيل ليست حربا علينا فحسب بل هي حرب كذلك على قوى التحرر والديمقراطية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، بل هي قوة تآمرية ضد النظم الاشتراكية والتقدمية في العالم .

ولهذا فان المعركة التي تخوضها أمتنا العربية هي معركتنا وهي معركة العصر كله كذلك .

ولهذا فلا بد من الانتصار فيها . انه انتصار ممكن ، وهو انتصار ضروري كذلك .

ان تجدد الصدام بيننا وبين العدوان الاسرائيلي هو الاحتمال الاكبر ، بل هو فيما يبدو السبيل الوحيد لتحقيق السلام العادل في الشرق العربي . ان موائد المباحثات لن تتحرك حركة نشطة فعالة الا على صوت المدافع . حقا ، ان الحرب ليست ارادتنا الوحيدة . فارادتنا هي السلام العادل ، ارادتنا هي تحرير أرضنا المحتلة واقرار الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . الا ان الحرب هي الضرورة التي يمليها علينا العدوان الاسرائيلي والمساندة الاميركية له.

وان حرصنا على السلام لا يتناقض مع خوضنا المعركة حتى النهاية . فمعارك التحرير في ذاتها هي معارك سلام . وان حرصنا على المشروعية الدولية لا يتعارض مع مبادراتنا بمواصلة تحرير ارضنا بحد السلاح واحقاق حقنا بالقوة المسلحة . فالمشروعية الدولية معنا ، وانتصارنا هو تدعيم لها ، لانه هزيمة للعدوان الاسرائيلي والاميركي على هذه المشروعية . وان حرصنا على مواصلة الجهود الديبلوماسية سعيا وراء استكمال تحقيق هدفنا التحريري بالعمل السياسي لا يتناقض مع حرصنا على التأهب والحذر ، ومواصلة المعركة دعما للعمل السياسي نفسه وتحقيقا لارادة الحرية والعدل والسلام لنا وللعالم أجمع . ولنحذر كل محاولة استعمارية صهيونية للغدر او المناورة او التآمر لاجهاض معركتنا واحباط اندفاعنا النضالي .

ان معركتنا مستمرة ما دام العدوان الاسرائيلي قائما متصلا . ولن تتوقف المعركة دون ان يتحقق لها الانتصار الكامل لقضيتنا العادلة .

على انه اذا كانت معركتنا تتحرك باستراتيجية عسكرية وسياسية موحدة على المستوى العربي والعالمي ، فما أشد حاجتها كذلك الى بعد استراتيجي ثقافي على المستوى العربي والعالمي كذلك . بل لعل الاستراتيجية الثقافية ان تكون عاملا رئيسيا من عوامل الانتصار لاستراتيجيتنا العسكرية والسياسية . ذلك ان الاستراتيجية الثقافية تعني مواصلة تعبئة قواتنا المسلحة بالوعي الصحيح بحقيقة قضيتنا ونضالنا ، وبالعقلانية العلمية الموضوعية بأساليب النضال ، وبروح اليقظة والاندفاع الواعي الجسور . والاستراتيجية الثقافية تعني مواصلة حشد كل الطاقات البشرية في أمتنا العربية حشدا خلاقا ، في مختلف مجالات الخدمة والانتاج والمقاومة المسلحة والمساندة الفعالة لقواتنا العسكرية . والاستراتيجية الثقافية تعني التحرك في العالم أجمع بوجهنا الحضاري ، بقضيتنا العادلة ، بمختلف وسائل التعبير الادبي والفني ، لمساندة استراتيجيتنا السياسية والديبلوماسية وكسب المزيد من الاصدقاء لقضية نضالنا العادل . ان الصهيونية تسيطر على أغلب وسائل الاعلام في العالم الغربي ، على ان حركتنا الثقافية النشطة تستطيع ان تقوم بدور مؤثر في جماهير العالم ، عن طريق الكتاب والفيلم والمعرض الفني ، والفنون الشعبية وغير ذلك من وسائل التعبير الثقافي .

ان حاجتنا الى وضع استراتيجية ثقافية عربية منسقة موحدة شاملة نتحرك بها على مختلف مستويات النضال ومجالاته ، واجب أساسي ، بل بعد أساسي من أبعاد نضالنا ، وركن أساسي من اركان الانتصار فيها . ولن تكون استراتيجيتنا الثقافية مجرد سلاح من أسلحة النصر ، بل ستكون بمشاركتها الفعالة في هذه المعركة معنى من معاني الانتصار فيها ، وثمرة كذلك من ثمراته . بهذه المشاركة ، وبهذا الانتصار ستتجدد الثقافة شكلا ومضمونا وسيتحقق لها أرفع مستوى من النضج والتألق لا بالتعبير فحسب عن معاناة النضال وتضحياته وبطولاته ، ولا بالتعبير فحسب عن جوهر الانسان العربي المناضل من أجل أشرف القيم الانسانية ، ولا بالمواصلة الخلاقة فحسب لارفع ما في تراثنا العربي المجيد من كنوز فكرية وفنية ، بل بارساء قيم وكنوز انسانية جديدة في مجتمعنا وانساننا العربي الجديد المنتصر . ان انتصارها بالمعركة وفي المعركة ، سيكون دعما لوحدتنا القومية وانتصارا وازدهارا لانسانيتنا العربية ، ولانسانية الانسان في عصرنا ، وسيكون اضافة حضارية جادة . ولهذا فما أجدر المثقفين العرب ان يتنادوا اليوم لعمل ثقافي عربي مشترك يسهمون به في تغذية المعركة وانتصارها .

تحية للقائدين المناضلين أنور السادات وحافظ الاسد اللذين اتخذا القرار الحاسم ببدء المعركة .

وتحية لوحدة النضال العربي .

وتحية لقواتنا المسلحة الباسلة وللمقاومة الفلسطينية المجيدة . وتحية لوحدة النضال البشري من اجل الحرية والعدل والسلام. والنصر للنضال العادل لامتنا العربية .

القاهرة — محمود امين العالم

زكي نجيب محمود

يومهم السابع

كانت حرب ٦٧ حربا مدتها في حساب الاعداء ستة ايام ، ظنوا ان سيأتي لهم بعدها سبت الراحة ، لكن دقتهم في حساب أموال الناس قد أخطأتهم في حساب الايام والحوادث ، توقعوا بعد نهاية الايام الستة يوما سابعا يستريحون فيه الى الابد ، واذا بالايام السابع والثامن والتاسع وما تلاها ، واذا بالسنوات الاولى والثانية والثالثة والى ان استأنف القتال حدته هي كلها يوم سادس مكرر ، واذا بحرب الايام الستة في حسابهم ، تصبح حرب الاعوام الستة في حساب الفلك ، وسوف يكون سابعها لا سبت الراحة لهم كما توقعوه ، بل سيكون عليهم يوم الثأر والعذاب ، جزاء ما غدروا وما استكبروا عن صلف مجنون ، فللبحر الساكن غضبة اذا ما عصفت الريح ، وللعدل والحق عند الله ميزان ، وانكم أنتم يا أبناءنا على أرض سيناء وفي سمائها وفوق بحرها ، لموكلون بمشيئة الله ان تردوا لنا الارض السليبة والكرامة المهدرة ، والنصر حليفكم بعون الله .

الاهرام
١١ تشرين الاول

هذه بعض سماتنا

عندما تزهر الشجرة او تثمر ، فان لحظة ازهارها أو اثمارها لا تكون كسائر اللحظات في حياتها ، لانها لحظة اكثر أصلا وهدفا ، فشجرة القطن لا تصبح تعبيرا من سواها عن طبيعة تلك الشجرة شجرة قطن بكامل معناها الا عند تفتق الزهرة وظهور الثمرة آخر الامر ، وأما قبل ذلك فهي في طريق الاعداد للهدف ، فاما حققته فحققت طبيعتها ووجودها ، وأما أخفقت فكانت الى حطب الحريق أقرب منها الى شجرة القطن : ولقد أتصور الشجرة ساعة ازهارها او اثمارها ، تستجمع كل كيانها في فعل واحد ، هو فعل الولادة للكائن الجديد ، وربما حدث لاجزائها نوع من التوتر ، لينفرج لخروج الزهرة او الشجرة من عالم الخفاء الى عالم الشهادة .

وقد يكون هذا نفسه هو ما يحدث فيحالة الابداع الفني ، فهنالك ارهاصات مبهمة تسبق ذلك الابداع ، وتشيع في كيان الفنان شيئا من القلق الغامض ، ثم ما هو الا أن تجيء اللمعة فيتحدد الهدف والطريق ، هكذا يكون الكائن الفرد في حياته ، وهكذا ايضا تكون الامة ، فلكل أمة لحظاتها الفريدة التي تتبلور فيها أخص خصائصها لا لانها خصائص تظهر فجأة من عدم ، بل لانها كائنة هناك ، تنتظر اللحظة ـ لحظة الازمات ـ فتتجمع بعد تشتت ، وتتبدى بعد غموض واختفاء ، وفي لحظة كهذه تتقاطع كل الخطوط لتلتقي في نقطة واحدة ، لو احسنا تحليلها ورؤيتها ، كشفت لنا عن غوامض النفس وخوافيها .

وأعتقد ان الامة العربية اليوم تعيش لحظة من هذه اللحظات الكاشفة ، فلكم سأل منا كاتب : من نحن ؟ ما حقيقتنا وأين نكون ؟ لكم قال فينا قائل : اننا في هذه المرحلة المرتجة من تاريخ العالم ، نريد البحث عن هويتنا حتى لانذوب وننمحي في هويات الاخرين ؟ وها هي لحظة مخبارية نجتازها ، قد تهدينا الى بعض الاجابات عن أسئلة الكاتبين وأقوال القائلين ، فماذا نرى في لحظتنا الراهنة على سبيل الاجمال ، الى ان يتاح لنا سبيل البحث المفصل المستفيض ؟

نرى أول ما نرى أمة تتحقق وحدتها بفعل موحد مشترك ، فلقد قالها الامام ابن تيمية منذ زمن بعيد ، حين قال ان فكرة « الامة » لا تتحقق لمجموعة من الناس الا اذا اشتركوا في « فعل » واحد ، ان فكرة الامة لا تتحقق ـ عند ابن تيمية ـ لمجرد ان يعيش افراد المجموعة على رقعة جغرافية واحدة ، ولا لانهم يشتركون في تاريخ واحد ، ولا لانهم يتكلمون لغة واحدة ، بل تتحقق فكرة « الامة » في حالة واحدة وبشرط واحد ، هوان تلتقي فاعلياتهم في فعل موحد يستهدف هدفا واحدا ، وذلك لانه بالفعل المشترك يجاوز كل فرد حدود نفسه لينفتح على الآخرين الذين يشاركونه في اداء ذلك الفعل. ان التجاوز المكاني وحده لا يكفي في ايجاد الرابطة الحيوية العضوية التي تجعل من الامة أمة واحدة ، فالمتفرجون في دار السينما يتراصون متجاورين على مقاعدهم، بل وتتجه انظارهم الى شاشة واحدة ، ويتتبعون قصة واحدة ، ومع ذلك فلا شأن للواحد منهم بمن يجلس على يمينه او على يساره ، دع عنك من يجلسون وبينهم وبينه صفوف ، لكن ما هكذا الحال في فريق الكرة ، فها هنا يتفرق اللاعبون على أرض اللعب ، لكنهم يترابطون معا برباط الفاعلية الواحدة المشتركة المنبثقة من الداخل ، فالكسب لهم جميعا والخسارة

عليهم جميعا ، وضربات الكرة باقدام اللاعبين تأتي متكاملة يعاون بعضها بعضا على اصابة الهدف المشترك .

هنالك مجموعات بشرية تجمع أفراد المجموعة الواحدة منها « دولة » واحدة ، لكنك لا تشعر بين أفرادها بمثل هذا الرباط العضوي الذي أشرنا اليه ، فسكان الولايات المتحدة لم ينصهروا بعد في « أمة » واحدة ، ولا يصعب على الزائر ان يرى بين الافراد مثل الرابطة التي يترابط بها الشركاء في عمل تجاري واحد او في ادارة مصنع واحد ، هي ما تزال رابطة المصلحة ـ والمصلحة المادية فوق كل شيء ـ ولا غرابة ان يكون أول ما تسمعه ممن تلاقيهم من أفراد ، هو ان يذكر لك المتحدث اليك اصله الاوروبي او غير الاوروبي الذي ينتمي اليه اول الامر . فيقول لك : أنا الماني ، او انا ايطالي وهكذا ، ولقد لحظت أثناء اقامتي هناك فترة ، بعض الجهود التي يبذلها كتابهم نحو « أمركة » الاميركيين في « أمة » ، وليس ذلك بغريب عنا نحن العرب ، وقد رأينا كيف ينتمي الاميركي اليهودي الى ما يتصل بيهوديته قبل ان ينتمي الى وطنه الاميركي .

اذن فمن أبرز سماتنا هذا الرباط الاسري الذي يجعل العلاقة بين افرادنا تجاوز حدود المصلحة الى ما هو اهم من ذلك واعمق ، وهي علاقة قد تخفى عن الرائي في فترات الحياة العادية ، لكنها تشتد ظهورا في لحظات التأزم كاللحظة التي نعيشها اليوم ، ولا يجوز ان نخلط بين مثل هذه العلاقة « الاخوية » التي لا تكون الا بين ابناء الاسرة الواحدة ، وبين تلاحم الافراد الذين جمعتهم المصادفات ساعة الخطر ، كأن تشرف سفينة على الغرق فتظهر بين ركابها روابط لم تكن قبل وقوع الخطر ولن تكون بعد زواله .

سمة أخرى نتميز بها اكثر مما تتميز بها امة اخرى فيما اعتقد ، وتلك هي الحاسة المرهفة التي نتميز بها بين ما يستحق الاهتمام الجاد وما لا يستحقه ، اننا أمة قطعت على طريق الزمن اكثر من ستة آلاف عام وحملت على كتفيها أربع حضارات متعاقبة ، وهي الآن تدخل في الخامسة ، ومحال ان يكون وراءها هذا الرصيد الضخم من خبرات متراكمة دون ان يترك على وجهة نظرها اثرا باقيا يشبه ما تتركه الاعوام في حياة الفرد الواحد . فعلى خلاف الحدث الغر ، ترى من أثقلته السنون بخبراتها بطيء الانفعال أمام الحوادث . فلا يستثيره منها الا ما يمس صميم الحياة . لقد طبع ليوناردو دافنشي ابتسامة ماكرة على شفتي مونا ليزا ، فلبث النقاد يعلقون ويشرحون لعلهم يكشفون الغطاء عن سر تلك الابتسامة الغامضة ، وفي عقيدتي ان مئات التماثيل التي نحتها الفنان المصري القديم ، بادئا من ابي الهول فصاعدا مع تاريخ الفن عند أجدادنا أسرة بعد أسرة ، تحمل ابتسامة أشد ألغازا وأعمق غورا ، هي ابتسامة من خبر الحياة وسرها ، فأخذ يسخر سخرية ممتزجة بالاشفاق ممن تهزهم صغائرها وعوابر أحداثها . لكنه اذا جد من الامر ما يعلم انه جد ، نفرت همته ونشطت جوارحه الى ان تتحقق على يديه المعجزات ، وتلك هي صورة المصري الى يومنا هذا ، انني كثيرا ما ألتمس ملامح الفلاح المصري ، وهو ما يزال في بقاء الريف ، خصوصا من تقدمت به السن ، فأجد على وجهه وفي نظرات عينيه تلك الرصانة الرزينة ، والحكمة الهادئة ، مع صمت لا يلغو ولا يثرثر ، التي يراها الرائي في تماثيل الاقدمين ... انها فزارة ثقافية صقلت الطبائع وحدت من نزوات الرعونة .. لقد قرأت عبارة تنسب لرجل من رجال الدين المسيحي في أوروبا ابان العصور الوسطى ، وقفت عندها لما فيها من غزارة المعنى ، وهي عبارة يبتهل بها قائلها الى ربه ما معناه : اللهم اعطني الصبر امام ما ليس في وسعي ان اغيره ، واعطني الشجاعة لاغير ما يمكن تغييره ، ثم اعطني اللهم حكمة أميز بها ما يمكن تغييره من الامور وما ليس يمكن ... وتلك الصفات الثلاث التي يبتهل بها هذا الداعي ان يمده الله بها ، هي من سمات المصري بحكم تاريخه وثقافته . فهو يصبر امام ما يتطلب الصبر ، وهو يهم بالتغيير اذا دعت الدواعي ، ثم هو بحكمته يفرق بين ما يستحق ان يتغير وما لا يستحق .

والمصري ، بل العربي بصفة عامة ، متفائل بطبعه ، فهو مهما ضاقت عليه الدوائر ، آمن بكل كيانه ان بعد العسر يسرا ، ولا يجيء تفاؤله هذا عن سطحية النظر كالتفاؤل الذي أجاد تصويره تشارلز ديكنز في شخصية مكوبر ، بل هو تفاؤل صاحب النظرة العميقة التي تعلم ان في الكون تدبيرا يكفل ان يعتدل الميزان ، فلا يكون نقص هنا ولا اجحاف هناك الا ابتغاء تكامل أسمى ، لا يترك مثقال ذرة من الخير او من الشر الا ان يعقب عليه بما يوازنه .

وانظر بعد هذا الى اي مواطن عربي عابر في الطريق ، كيف يقابل اللحظة التي نجتازها ، تجد خصائصه الكامنة في طبعه قد وضحت أمام الابصار : فهو لكل مواطن عربي آخر أخ تجمعهما أسرة واحدة ، وهو على وعي كامل بما تلقيه الظروف عليه من تبعات ، حتى ولو لم يكن ابان الحياة العادية ممن يطيقون تحمل التبعات . وهو هادىء ، متفائل ، يعلم في يقين ان الامور صائرة آخر الامر بارادة الله ـ متمثلة في ارادته ـ الى خير .

الاهرام
١٢ تشرين الاول

ليت عدونا يعرف

ليت عدونا يعلم ماذا يعني التراب المصري للمصري ، ليته يعلم ان المصري تملكه أرضه اكثر مما يملك هو تلك الارض ! يسافر المصري الى غير بلاده او يهاجر ، لكنه اينما حل وحيثما ارتحل يشم عبير مصر . دع الدنيا بأسرها تقل عن سيناء أنها كثبان من الرمل وراءها كثبان ، فرمالها في عين المصري ليست كأي رمال ، لرمالها في بصره ألق وفي أنفه شذى ، قد يكون معنى سيناء عند العدو ان جوفها ممتلىء بالمعدن ، او انها هامش لامن بلاده ، ولكنها عند المصري سيناء وكفى ، سواء أكان في جوفها معدن أم كان ذلك الجوف خاويا . هي ليست عند المصري هامشا للامان بل انه ليحميها بروحه كي تنعم هي بالامان . قد يتصور العدو ان تشطر سيناء شطرين : شطرا له وشطرا لنا ، على غرار ما تصور جده شايلوك ان يقتطع له من جسم تاجر البندقية رطلا من اللحم وفاء لدينه ، لكن سيناء في قلب المصري كيان واحد حي يؤلمه ان تقتلع منه قلامة ظفر .

كنت في انكلترا أيام الحرب العالمية الثانية ، وقالت لي ربة البيت الذي جعلت منه مسكني : ان الموت يتربص بنا جميعا لحظة لحظة ، فبماذا توصي لانقل وصيتك اذا ما جاءتك اصابة الموت ؟ قلت لها : وصيتي الوحيدة هي ان يدفن جثماني في أرض مصر .. سالتني متعجبة : أليست الارض كلها سواء بالنسبة الى الموتى ؟ أجبتها : انك لا تدركين علاقة المصري بأرضه ، ولو قلت هذا لمصري لفهم مني ما أريد .

الجنسية عند عدونا كالرداء يلبسه او يخلعه على هواه ، فليس

يرى غرابة في ان يكون روسيا اليوم ، واميركيا غدا ، ثم اسرائيليا بعد ذلك ، كما هي الحال بالنسبة الى رئيسة وزرائه غولدا مائير ، فليته يعلم ان الشمس قد تغير من طبيعتها قبل ان يكون المصري شيئا غير مصري ، انه لا يتردد في جنسيته ولا يختار ، انه مصري منذ ستين قرنا من الزمان ، ذهبت منه اجيال وجاءت أجيال ، لكن اجياله كلها موصولة بحبل سري واحد يربطه بأمه مصر .

ليت عدونا يعلم كيف يرتبط المصري بامه سيناء ... بل لعله يعلم ، ومن ثم كان كل هذا الحقد في قلبه والغيظ .

الاهرام
١٩ تشرين الاول

النغمة الهادئة

النغمة الهادئة هي نغمة المصري في حياته ، اذا ما أطلقت له تلك الحياة على سجيتها ، لم تعترض سبيلها حوائل وموانع . المصري في حياته العملية مطرد منتظم مهذب ، ينساب انسياب النيل في مجراه ، لا يفاجىء ولا يباغت ، فنهر النيل حتى في فيضانه مقيد بموعده ، كأنما هو ينذر بقدومه لكي لا يأخذ احدا على غرة وخديعة . المصري بانٍ للحضارات صانع للثقافات ، ولولا نغمة حياته المطمئنة الهادئة ما صنع ولا بنى ، ولكنه اذا فاجأته فاجئة استدار لها وأزالها لكي يعود الى هدوئه فيبني ويصنع .

وللانسان في حياته العملية ـ كما للكاتب في كتابته وللمتحدث في حديثه ـ أسلوبه الخاص الذي يميزه من سواه ، وأسلوب الانسان في حياته العملية ـ كأسلوب الكاتب وأسلوب المتحدث ـ هو الجانب المنظور من حقيقته ، وهو مؤلف من مجموعة اختيارات وحذوف ، فهو يختار لنفسه في كل موقف ـ والمواقف الحاسمة من حياته بصفة خاصة ـ هذا الفعل دون ذاك ، يختار في حديثه هذه اللفظة دون تلك ، فهو اذ يختار ويحذف ، يعكس نفسه امام الناس كما يريدها ان تكون ، وحياة المصري كما يبديها في الظروف المعتادة سلوكا وحديثا ، تتميز بهدوء الاعتدال .

انه اذا رضي انسان عن نفسه ، أبداها في تعامله مع الناس ومع الاشياء كما هي على حقيقتها ، لا يدعوه داع ان يسدل عليها أقنعة ليخفيها . ولقد عاش المصري في أزمة النكسة ست سنوات وأربعة أشهر ، خرج فيها على طبيعته ، فأخذه الضيق ، واستبد به القلق ، وتوترت أعصابه حتى لتستثيرها توافه الاسباب ، ثم ما هو بعد يوم واحد من النصر الا ان عادت له طبيعته ، وهانذا ألحظ في كل من أصادفهم حولي من الناس ، أينما توجهت ، وكائنة ما كانت الصلة بيني وبينهم ، هدوءا في النغمة : نغمة الحديث هادئة ، الحركة هادئة ، يزدحم الناس هنا وهناك ولكنه زحام يوشك ان يكون صامتا ، لم تعد وجوه الناس عابسة ، التعاطف والتراحم والتعاون اصبحت في لمح البصر هي قاعدة السلوك ، كشأن المصري اذا ترك لطبيعته .

كنت أتصفح كتابا يؤرخ لاعلام الرجال في الوطن العربي ابان القرن السادس عشر ، فكانت تلفت نظري صور طريفة لرجال يمثلون المعايير المقبولة في حياتنا ، فهم في رأيي ليسوا « اعلاما » بالمعنى الشائع لهذه الكلمة ، ولكنهم نماذج لمتوسط الانسان المصري في حياته العملية ، حين تكون تلك الحياة موضع مدح وثناء من عامة الناس ، وهاك صورة من تلك الصور ، لترى فيها الملامح الرئيسية التي أسلفت القول بأنها هي قسمات من الطابع المصري الاصيل : في هدوئه ، وعذوبته ، وتعاطفه وتراحمه وتعاونه ، وفي شعوره العام بأن كل مصري ـ أو قل ان كل عربي ـ هو واحد من أفراد أسرته ، يعامله كما يعامل اخوته وابناء عمومته .

والصورة التي أقتبسها ، هي لرجل يدعى محمد بن النجار الدمياطي . كان خطيبا لمسجد في القاهرة ، جمع الله له بين العلم والعمل ، فهو في علوم الشرع امام ، وهو في التعبد قدوة ، وكان غاية في التواضع ، يخدم العميان والمساكين ليلا ونهاراً ، ويقضي حوائج الفقراء والارامل ، يجمع لهم من اموال الزكاة ما استطاع ان يجمع ، وكان يلبس الثياب الزرق والجبب السود . ويتعمم بقماش من القطن . من عاداته كل يوم ان يتلو بعد صلاة الفجر نحو ربع القرآن سرا ، فاذا أذن الصبح قرأ جهرا قراءة تأخذ بمجامع القلوب ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، يحمل الخبز على رأسه الى الفرن ، ويحمل حوائجه من السوق ، ومع ذلك فقد كان ذا هيبة عظيمة ، ولقد حدث له أيام السلطان قانصوه الغوري ان استودعه تاجر مالا ليعطيه لولده بعد موته ، وجاء الولد وهو دون البلوغ ، فأبى ان يعطيه ماله الى ان يبلغ رشده ، فشكاه الغلام للسلطان ، وطلب منه السلطان مال الغلام ، فأقسم للسلطان ان ليس عنده شيء ، ولما بلغ الغلام رشده ، جاءه فأعطاه ماله ، فسأله السلطان في ذلك ، فقال ان فقهاء الشافعية أفتوا بأن الظالم اذا طلب الوديعة ممن اؤتمن عليها ، فلهذا المؤتمن ان ينكرها ويحلف على ذلك ، وأنت ظالم ...!

صورة ـ كما ترى ـ فيها سذاجة قد لا تصلح نموذجا لعصرنا الراهن ، لكن فيها اركانا أساسية هي التي يقام عليها الخلق المصري الاصيل اذا لم تمنع دون ظهوره موانع ، ففيها الهدوء الذي أشرت اليه ، والذي يضمر في ثناياه النظرة الجادة العاملة العاطفة المتعاونة الامينة ، وهي صفات لا تتوافر الا اذا غزرت الثقافة وعمقت بعد ماض طويل عريق . فالنغمة الهادئة في الكلمة وفي الحركة ، هي نتيجة ضبط للجوارح والجام للسان ، فلا تسرع اذا أمكن التأني ، ولا صياح اذا أمكن الهمس ، ولا جزع اذا توافرت للقلب سكينة الايمان ، واذا شئت فانظر الى أسرة ريفية اجتمعت حول طعام العشاء : فلا تهتز الابدان بحركة تزيد على الحاجة ، ولا تنطق الالسنة بلفظة لا تقتضيها ضرورة السياق .

هذه النغمة الهادئة في الحديث ، وفي العمل ، وفي التعامل ، هي صورة حياتنا اذا لم يطرأ عليها طارىء دخيل . لقد قال سقراط ذات يوم لمن جلس بجانبه صامتا : يا هذا كلمني لكي أراك ! وعلى أساس هذا المبدأ السقراطي في ان النفس تكشف عن حقيقتها في نوع الحديث وطريقة السلوك ، نقول اننا ـ وقد أزحنا عن صدورنا كابوس النكسة ـ نعود اليوم الى حقيقة نفوسنا ، من هدوء ينطوي على تاريخ طويل كنا فيه صناع ثقافة وبناة حضارة بل حضارات تعاقبت واحدة بعد واحدة .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

احمد بهاء الدين

مصر تنهي غربتهـــا

شاء لي الحظ ، ان تقـــع الحرب في بلادي مرتين ، وأنـا بعيد عنها ...

سنة ١٩٦٧ : في باريس .

سنة ١٩٧٣ : في بيروت .

غربة قاسية في الحالتين ، ووحشة لا يعرفها الا من يكابدها ، وان كان شتان بين الغربتين : فالغربة الثانية انتهت بها الغربة كلها .

سنة ١٩٦٧ كانت الغربة ليست بمعناها الجغرافي فقط ، ولكن بمعناها الروحي والمعنوي ، غربة طالت وطالت ، فلم أعد ــ ولم نعد جميعا منها ــ الا ظهر السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣ . ساعتهـــا زالـــت غربتي ، وأنا ما ازال بعيدا في بيروت ، تفصلني عن بلدي بحـــار واخطار ، وزالت غربة خمسة وثلاثين مليون مصري ، بل ومائة مليون عربي ، كما تنقشع السماء كلها في لحظة واحدة .

سنة ١٩٦٧ ، في باريس ، كانت غربتان ..

غربة المكان البعيد ، والعداء الذي تلمسه من الناس ، والشماتة التي تملا رائحتها الجو ، وتحس مذلتها حتى في لقمة الخبز : غربة ان أرى باريس تحتفل حتى الفجر بسقوط القدس ، وتمر المـــواكب في شوارعها خلال النهار هاتفة لاحتلال سيناء ، ولا توجد جريـــدة او اذاعة او شاشة تلفيزيون الا وتطل منها صورة لعدو منتصر ، أو مصري قتيل او أسير ..

كنت أخفض رأسي ، متحاشيا ان تلتقي عيني بعيني السيـــدة التي تصعد الى غرفتي صباحا بفنجان القهوة . فالى جوار فنجـان القهوة صحف الصباح بعناوينها المذلة المهينة الشامتة ...

كان ابني الطفل قد طلب مني ان اشتري له لعبة مدفعا رشاشا ، فوصلت الى باب المحل ، ثم عدت على أعقابي : كم ستسخر منـــي البائعة في محل لعب الاطفال ؟!

كم الف قصة صغيرة ، مريرة ، يمكن ان احكيها وارويها ؟!

على ان غربة المكان كانت الغربة الصغيرة . فهي تنتهي بالعودة الى الوطن . ولكن الغربة الكبرى كانت قد بدات . سبع سنـوات والفرد فيها غريب والوطن فيها غريب . ليس هذا أنا . ليست هذه مصر . ليست هذه هي الامة العربية . العالم كله كانه غير حقيقي !

انني اعرف ما ينقص بلادي تماما . واعرف اننا من البلاد التي تحاول ان تزيح تركة تخلف طويل . ولكنني أعرف ايضا ، وبكـــل موضوعية غير عاطفية ، ان مصر تستحق شيئا آخر غير هذه الغربـة القاتلة عن نفسها وعن عصرها . المتعلمون في مصر وحدها اكثر مـن عدد سكان اسرائيل جميعا . التنوير والتطور والاتصال بالعالم عندنـا عمره يقرب من قرنين . بلادنا حافلة بالفنيين والخبراء والمثقفـــين والعقول من أرقى طراز . وقد أثبتوا جدارتهم من مواقع شتى مـــن العالم . وحافلة فوق ذلك بالشجعان ! وفي أرضها بئر لا قرار لهـا من حب الوطن وتركة الكفاح ورفض الذل والعناد. وضباطنا وجنودنا ليسوا أقل كفاءة ولا بسالة من كفاءات هذا الوطن .

كانت هذه هي الغربة الكبرى .

وما هي الغربة ؟ أليست هي ان لا تتعرف على نفسك ، ولا على من حولك او ما حولك ، ولا على وطنك وأمتك ؟

أن تكون عواطفك في عقلك وقلبك صورة وملامح حفرها التاريخ، وعمقتها العاطفة والمعرفة معا ، ثم تنظر باحثا عن هذه الملامح فـــلا تتعرف عليهـــا ؟

٦ اكتوبر ١٩٧٣ : في بيروت ، وبيني وبين بلدي الذي يحارب ــ بارادته هذه المرة ــ بحار وصحراوات .. ولكن الغربة زالت . لقد تم التعرف من جديد على النفس ، فالمسافة الجغرافية لا تهم .

والمعركة ليست بعيدة عن بيروت . ومن النوافذ ترى المعـــارك الجوية والطائرات تسقط في البحر . ولكن الفرد منا يمشي رافعـا رأسه . فاخبار مقاتلينا تطل ــ منتصرة هذه المرة ــ من كل صحيفة واذاعة وشاشة تلفيزيون بل ومن فم كل بائع سجائر او سائق تاكسي بيروتي ، وأنفاس القتال البطولي في سوريا الملاصقة تحس بحرارتها وتكاد تلمسها وأنت تسمع اخبارها من شهود العيان .

وتكون الرحلة الى القاهرة تحصيل حاصل . فهي انهاء شكـلي للغربة التي زالت من النفس ومن الضمير . ساعات الطائرة الـــى بنغازي : ثم اربع وعشرون ساعة متواصلة بالسيارة عبر الصحـــراء الى القاهرة ، تدفعها لهفة واحدة : ان ارى وجه قاهرة اكتوبر ١٩٧٣ حتى تزول من خاطري صورتها يوم عدت من باريس في يونيو ١٩٦٧ ذات أمسية حزينة .

لقد أنهى الرئيس السادات غربتنا الكبيرة بقرار اكتوبر ١٩٧٣ ، قرار ربما كان كلمة واحدة ولكنه خلاصة لكل الآلام العظيمة والامـــال الكبار المختزنة منذ سبع سنوات .

وقد انهت قواتنا المسلحة غربتنا بالطريقة الفذة التي نفذت بها القرار . انهم هناك تحت اللهب والنار وكأنهم حملوا الغبار الثقيل الى العلو : السماء تنقشع كلها في لحظة واحدة عن وجه مصر الحقيقي .

الاهرام
١٥ تشرين الاول

مع بداية الاسبوع الثالث للقتال

تدخل حرب اكتوبر ١٩٧٣ اليوم أسبوعها الثالث . وأول ما يخطر على البال قول موشى دايان كما سمعته باذني يوم ٧ اكتوبر حين قال : « يومان لصد الهجوم المصري السوري ، ثم يومان يكتمل خلالهما استدعاء الاحتياطي الاسرائيلي ، ثم يومان لانهاء القتال ! » .

أي ستة ايام اخرى ، لا اكثر ولا أقل .

وأيضا ، في نفس اليوم ، سمعت غولدا مائير تعزف على وتر آخر ، موجه هذه المرة للعالم الخارجي « نحن ندافع عن انفسنا . انهم هم المعتدون ، ونحن لا نريد الا السلام » .. فاسرائيل سنة ١٩٦٧ وجدت في اغلاق خليج العقبة بضع ساعات سببا كافيا لشن الحرب ، ولكنها لا تجد في احتلالها لاراضي ثلاث دول عربية ، وتشريد مليون عربي آخرين ، ورفض كل الضغوط الدولية من اجل السلام ، سببا لان يحارب العرب !

أما والحرب تبدأ اسبوعها الثالث ، فلا اظن ان هناك شيئا يستطيع ان يضيفه كاتب الى شعور أي مواطن :

لقد كان لا بد مما ليس منه بد ! كان لا بد مهما كانت النتائج ان تعرف اسرائيل ويعرف العالم ان ارضنا لها ثمن باهظ ، سوف نظل ندفعه حتى نستردها .

والاتفاق شامل بين كل المعلقين والمحللين في مختلف انحاء العالم : ان أي عمل تقوم به اسرائيل لا يمكن ان يلغي اثر التغير الذي حدث : حتمية السيطرة الاسرائيلية على العالم العربي تحطمت. اسطورة عجز العرب ــ الابدي ! ــ عن استخدام أدوات العصر الحديث حتى الحربي منها ، لم تعد واردة .

يبقى ان يعرف هذا العرب جميعا ! بمعنى ان يعرفوا ان مردود هذا التحول ليس مقصورا على دول المواجهة وحدها . وليس مقصورا على استرداد او فقدان قطعة من الارض ، ولكن مردوده يشمل كل حياة العرب وكل مصالح العرب وكل مستقبل العرب في هذا العالم الذي تعاد صياغته لقرون طويلة مقبلة ، بالتطور الاقتصادي والعلمي والاجتماعي تارة ، وبالصراع أو الوفاق السياسي تارة ، وبالدم والحديد والنار تارة أخرى .

ولنحاول استعراض كل قضايا العرب : حدود متنازع عليها .. جزر تائهة .. ثروات طبيعية لا تهدأ حولها حرب الاسعار .. آمال في التنمية والتقدم .. أموال سائلة في بحار من المضاربات الدولية .. ان ما يحدث في الجبهة ينعكس على هذا كله : بالفارق بين أمة يعاملها العالم معاملة المهزوم المذعن ، وأمة يعاملها العالم معاملة الند .

وفي هذا المجال لا بد ان يقال ان أي ثروة او سائل خام ليس أغلى من الدم ! ولا بد ان يقال ان الاسهامات الرمزية لم يعد لها مجال .

ولا بد ان يقال ايضا ان كل شيء في الحياة قد يمكن معالجته او التعامل معه بنصف مجهود ، او نصف قلب ، ما عدا الحرب ! الحرب جوهرها هو كيف يستطيع شعب او تستطيع امة ان تضع فيها « كل شيء » من طلقة الرصاص الى لقمة الخبز الى دقيقة العمل الى كفاءة العقل ، وبالسرعة اللازمة .

فالشعار الذي يجب ان يرفعه كل قطر محارب ، وتفرضه على نفسها الامة العربية جمعاء هو : الكل ... والآن !

قواتنا المسلحة تعطي « الكل ... والآن ! » .. فهل تعطي أمتنا هذه المعركة البطولية التاريخية : الكل ... وبدون تأجيل ؟

الوقت في الحرب ليس من ذهب .. انه من دم !

●

قال الرئيس أنور السادات في أهم خطاب له ، في أهم يوم في حياتنا : « انني أفضل احترام العالم ولو بغير عطف ، على عطف العالم اذا كان بغير احترام ! » .

وليس هناك أصح من هذا الكلام . ليس في باب الكرامة والكبرياء فحسب ولكن في باب المصلحة ايضا ! ان عطف العالم لا يعطي شيئا ، في حين ان الاحترام هو الذي يعطي الكثير !

وهنا يجب ان يكون هذا الآن واضحا هذه المرة للعالم الخارجي !

هناك « أصدقاء » ليس لديهم مانع أبدا من ان يربتوا على اكتافنا ، ويخففوا من آلامنا ، ويصدروا التصريحات في تأييدنا ، وربما أعطوا ايضا اصواتهم لنا في المحافل الدولية .. ما دمنا الطرف الاضعف ، لكن هذا لن يحل لنا قضية ، في حين انه يضمن لهم مصالحهم الحيوية لدينا .

هؤلاء الاصدقاء ، فيهم الدول ، وفيهم الاحزاب ، وفيهم الكتاب والصحفيون !

ماذا يضيرهم ان يشتروا ما لدينا بالعطف ، في حين ان قلوب بعضهم ليست ــ في أعماقهم ــ مع حقوقنا ، وعقلهم الباطن يخشى انتصارنا ؟

الكثيرون اتقنوا فن معاملتنا على هذا النحو طوال سبع سنوات تقريبا !

ولهؤلاء يجب ان نقول ان هذه هي ساعة الحسم والصدق !

وقد خانت البعض مشاعرهم بالفعل ، فوجدناهم يتوجسون النصر العربي ... لان الامة العربية ــ بموقعها ومساحتها وثروتها وتراثها ــ يمكن ان تكون ماردا يحسب لمستقبله الف حساب . وهو حساب يؤرق بعض هؤلاء من « اصدقاء العطف » ، الذين يرغب « لاشعورهم » في ان تظل علاقتهم بنا علاقة الغني بالفقير لا بأس لديه ان يتصدق عليه بالعطف ، ولكنه لا يقبل بعد فكرة ان يكون شريكا له على نفس القدم من المساواة !

من أخطر آثار الاسبوعين الماضيين والاسابيع المقبلة : ان مزيدا من الناس في العالم بدأوا يشعرون ان المستقبل العربي يمكن ان يكون حقيقة !

●

سياسة الوفاق الدولي دائما عبر التاريخ ، هدف للقوى الكبرى في أي عصر ، اذا اقترنت بعجز كل منها عن تدمير الاخرى ...

وعلى الاقل منذ فشل سياسة فوستر دالاس في احتواء روسيا ثم « ردها الى الوراء » على حد تعبيره ، ثم منذ سحب الصواريخ السوفياتية من كوبا في تلك المواجهة الخطرة سنة ١٩٦٠ ، وروسيا واميركا تعملان بشدة للوصول الى صيغة وفاق ..

وكان لا بد ان يمر هذا الوفاق عبر قضايا بالغة الخطر ومشحونة بامكانيات الانفجار : الموقف في أوروبا ومشكلة المانيا بالذات ــ تحديد الاسلحة الذرية ــ حرب الهند الصينية ــ مكان العملاق الصيني من خريطة العلاقات الدولية ــ موازنة المصالح الاقتصادية للدولتين العظيمتين في أماكن شتى من العالم ــ والشرق الاوسط بمركزه الحساس .

ووصلت محاولات الوفاق الى قمتها بعد رحلتي نيكسون الى

الصين وروسيا والتوصل الى اتفاق فيتنام . والاعتراف بدولتين المانيتين ودخولهما الامم المتحدة ثم الاتفاقات الاقتصادية الكبرى المباشرة بين الدولتين ، وان كانت ما تزال معلقة بسبب اعتراضات كثيرة داخل اميركا ، بعضها من اليمين الاميركي التقليدي الذي يراها تقوية لروسيا ، وبعضها من الليبراليين بسبب تأييدهم لاسرائيل ورغبتهم في ربطها بالتأثير على موقف روسيا نحو اسرائيل والهجرة اليهودية .

ولكن كل دارس للسياسة يعرف ان الاحداث الدولية لا تعرف « المطلق » ابدا . خصوصا في عالم اليوم المتشابك المعقد ، الذي مهما بلغت فيه قوة الدولتين العظيمتين ، فهما لا تستطيعان السيطرة تماما على كل ما يمكن ان يحدث في العالم . لم يعد العالم مهملا كما كان في العصور القديمة : يكفي ان تتهادن الامبراطوريتان الرومانيتان لكي يسود السكون في العالم .

وحتى قبل بدء حرب اكتوبر في الشرق الاوسط بدأ من يقولون بأن سياسة الوفاق وهم قصير العمر . وانها خلقت لكل دولة من الدولتين العظميين من المشاكل مع حلفائها وخصومها اكثر مما حلت من مشاكل . ألا نرى أوروبا تتململ وتعيد بحث موقفها ؟.. ألا نرى اليابان تغير من كثير من اتجاهات عملها ؟ ألا تستمر الحرب في كمبوديا ؟.. أليست الصين تعود الى تذمرها وتحفظاتها ونقدها للدولتين معا ؟.. أليس ما حدث في شيلي بكل عنفه ساحة اخرى للصراع ؟ ثم اخيرا تنفجر حرب خطيرة في الشرق الاوسط ؟..

ان الخلاصة من هذا كله واضحة :

١ ــ القوتان العظميان لهما تأثيرهما الاكيد على ما يجري في العالم ، تأثير يقوى أحيانا حين يتفقان ويضعف حين يختلفان ، لان اتفاقهما ليس كاملا ، ولا يمكن ان يكون كاملا ذات يوم أبدا .

٢ ــ ان الارادات المحلية لها دور كبير تلعبه وتؤثر به على أقدار نفسها .. أي ان امامها ساحة كافية للحركة ، وان الكثير يتوقف على تصميمها وعلى خلق واقع يؤثر على مواقف وسياسات القوى الكبرى ذاتها ...

فلا مجال للاستسلام امام بديهية غير حقيقية وهي ان الوفاق قاطع ، والرضوخ لمتطلباته حتمية ...

أليس قرار العبور التاريخي في ٦ اكتوبر ٧٣ ، وما خلقه فعلا من واقع جديد في الشرق الاوسط ، أسطع الادلة على ذلك ؟

الاهرام
٢٠ تشرين الاول

●

قبل وبعد ٦ اكتوبر

لست أقصد ان احدد « أين كانوا وأين كنا قبل ٦ اكتوبر » بمعنى المواقع التي تقف عندها جيوشهم وجيوشنا . فهي على وجه التأكيد مواقع للانطلاق نحو نضال سياسي عنيف او نحو قتال عسكري جديد اشد عنفا وضراوة .

لست أقصد اذن المعنى الجغرافي في عبارة أين كانوا وأين كنا .. فالحرب لم تنته بوقف اطلاق النار .. وانما أقصد المعنى السياسي والمعنوي والنفسي ، وهو ايضا تعبير بالغ الاهمية او نتيجة بالغة الاهمية من نتائج القتال ..

اذا كانت ثقتنا بانفسنا وبقواتنا المسلحة قد صعدت ، وثقتهم في انفسهم وفي قواتهم المسلحة قد هبطت ، فهذه نتيجة هامة ..

اذا كانت صورتنا في العالم قد تغيرت الى الاحسن ، والهالة التي كانوا يحيطون بها انفسهم قد تبددت ، فهذه نتيجة اخرى .

اذا كان نهوضنا لاستئناف القتال غدا أسهل علينا نفسيا وعسكريا بكثير من نهوضنا به بعد ركود ست سنوات ، فهذه نتيجة هامة ايضا ، اذ سوف يحسب كل طرف في الدنيا حساباته على ان المصريين قد قاتلوا ، وابلوا بلاء حسنا وسوف يقاتلون .

واذا كانت ارادة القتال حلقات تتصاعد بينما القعود والركون له أيضا منطقه الذي يجذب المجتمع الى القاع ، فقد عادت عزيمتنا تطفو على السطح وتتنفس الحياة ، باستعداد اكبر لمواجهة مخاطر المستقبل دون وجل .

ولعل المرء لا يدرك الفارق الهائل الذي طرأ باندفاع قواتنا نحو القتال يوم ٦ اكتوبر ، الا اذا ألقى نظرة قارن فيها بين ما يشغل الاسرائيليين الآن (محاولة انقاذ سمعة اسرائيل القديمة ــ تقييم الخسائر الفادحة ــ الصراع حول من المخطىء ــ الشك في الطريق العسكري كطريق وحيد وأكيد لمعاملة العرب) وبين ما كان يشغلهم حتى صباح ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

كانوا قبل ٦ اكتوبر يستعدون لانتخابات جديدة ، ولا مجال هنا لاستعراض ماذا كان يطالب به كل حزب . يكفي ان نقف عند نصوص البرنامج الذي وضعه الحزب الحاكم واتفق عليه بعد خلاف .

البرنامج ــ اولا ــ كان لمدة اربع سنوات مقبلة ، بما يشمله من اجراءات وميزانيات واعتمادات ومواعيد . كانوا يخططون في راحة بال تامة الى نهاية سنة ١٩٧٧ . أي انه كان في حسابهم ان لا شيء جديد حتى ١٩٧٨ على الاقل .

والبرنامج ــ ثانيا ــ يقوم ، على اساس استيعاب كامل للاراضي المحتلة بعد صراع حاد حول هذا الموضوع انتصر فيه من يسمونهم بانصار « الكل » أي ضم كل ما استولى عليه الجيش الاسرائيلي في حرب يونيو ٦٧ .

فقد اقامت اسرائيل في الارض المحتلة حتى الآن ــ خلال ٧ سنوات ــ ٤٦ مستوطنة يهودية ، تنفيذا لخطة الاستيلاء على الاراضي وتوطين الاسرائيليين فيها ، التي هي العمود الفقري لسياسة الضم النهائي . اما خطة السنوات الاربع المقبلة فهي اقامة ٢٦ مستوطنة (قرية زراعية او صناعية او سياحية) كالتالي : ٦ مستوطنات في هضبة الجولان ــ ٦ في غور الاردن ــ ٧ في مشارف رفح ــ ٦ في قطاع غزة ــ ٣ في خليج العقبة !

وفوق ذلك المضي في ثلاثة مشروعات خطيرة : أولها توسيع « القدس » التي اعلنوا ضمها رسميا منذ ١٩٦٧ بحيث يضم الى المدينة عشرات القرى العربية وآلاف الافدنة الجديدة حتى تصل الى مدينة بيت لحم وتجعلها ضاحية من ضواحيها ــ وثانيها اقامة ميناء عميق ومدينة عند رفح ــ وثالثها اقامة مركز صناعي كبير في كفر سابا لتحويل منطقة طولكرم وقلقيلية المحتلة الى منطقة صناعية كبرى .

وكل التفاصيل حول اسلوب « شراء » الاراضي او الاستيلاء عليها وتطبيق القوانين الاسرائيلية على المستوطنات (تمهيدا لتطبيقها على كل الاراضي المحتلة) .. واردة في البرنامج الانتخابي الذي كان مقررا له ان يبدأ تنفيذه في نوفمبر المقبل .

ولم تغب أهمية هذه الوثيقة عن بال المعلقين الاسرائيليين يوم صدورها ، وكان ذلك قبل حرب اكتوبر بأسابيع قليلة ...

فطوال السنوات السبع منذ هزيمة ١٩٦٧ ، كان ما يسمونه « بمستقبل الاراضي المحتلة » محل نقاش حاد وطويل في اسرائيل . وطبعا لم يكن النقاش بين من « يريدون » ومن « لا يريدون » ، لان الكل بالطبع يتمنى ويريد ، ولكنه كان بين من « يرون ان هذا ممكن » ومن يرون « انه غير ممكن » . وفي البداية ، كان الذين يرون ان هذا صعب ، هم الاكثرية .. ولكن مع مرور الوقت ،

واستمرار الركود ، وما بدا من انشغال العرب باي شيء سوى تحرير ارضهم ، الا على صفحات الصحف وفي التصريحات ! اخذ عدد الذين يرون « ان هذا ممكن » يزداد بسرعة ، ومع ذلك فقد ظل حزب العمل الحاكم ممتنعا زمنا طويلا عن جعل خطة الاستيعاب الكامل برنامجا رسميا له ، حتى اقترب موعد الانتخابات التي كان مقررا لها نوفمبر المقبل . واخذت استفتاءات الرأي العام توضح انه مع غياب عنصر القتال ، اي غياب عنصر « الثمن » الذي يمكن ان تدفعه اسرائيل ، اخذت أغلبية الرأي العام تتجه بسرعة الى قبول فكرة الضم الكامل ، وان الزمن لمصلحتهم . وهكذا وجد حزب العمل الحاكم انه من الممكن ان يلتزم رسميا وتنفيذيا ببرنامج للضم الكامل .

قالت صحيفة « دافار » الاسرائيلية يومها : « هكذا اصبحت هذه السياسة قرارا ملزما لمؤسسات الحزب وممثليه ، وستكون هذه الوثيقة هي دليل العمل الموجه لنشاطات الحكومة كلها خلال السنوات الاربع المقبلة » .

وقالت « هاآرتس » أيضا : « كان الحديث عن هذه الاشياء قبل ذلك شفهيا وضمنيا ، اما الآن فقد أصبح هذا التزاما ببرنامج عمل لاشياء محددة كالميناء والمدينة اليهودية عند مشارف رفح كمنطقة عازلة بين قطاع غزة « وذلك الجزء من سيناء الذي قد ترده اسرائيل الى مصر » ، وتوسيع الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية كلها ، وتخصيص مليار وربع مليار ليرة لهذه المشروعات .. وهذا كله يمثل اندفاعا في الضم لم يسبق له مثيل في تاريخ اسرائيل » .

وقالت « هاآرتس » ايضا : « ان التردد في هذا الاندفاع كان مبعثه في السابق خوف حكومة اسرائيل من خلق واقع يصعب الدفاع عنه بعد ذلك ازاء الضغوط الخارجية ، ولكن هذا الخوف قد زال الآن (كان هذا الكلام في أواخر سبتمبر) وأعلنت ان الحكومة قد بدأت فعلا في تنفيذ هذا البرنامج بضم ٤٠٠٠ فدان الى القدس ، وقديما كانت تبرر الضم رسميا « باعتبارات الامن » من باب المناورة ، والايحاء بان الضم مؤقت (حتى يستقر طبعا) ولكنها في هذه الحالة بررته صراحة « بضمان العمل اليهودي وتوسيع المراكز الصناعية في القدس » أي بالضم القانوني الرسمي الصريح » .

وبدأ التنفيذ فعلا (قبل الحرب بشهر واحد ايضا) في ضم بيت لحم الى القدس . اذ استولت حكومة اسرائيل على الاراضي الزراعية العربية الفاصلة بين المدينتين ، وعندما احتج اصحاب الارض من العرب قال لهم الحاكم العسكري في بيت لحم : « ان الاستيلاء هو حقيقة منتهية » . وقالت احدى الصحف الاسرائيلية : « بهذه الخطوة ، سيتم بصورة عملية اقامة اتصال مباشر بين بيت لحم والقدس » . وعلقت جريدة « الاتحاد » هناك : « ان هذا يعني دمج بيت لحم ، ثاني أكبر مدن الضفة الغربية ، ومهد المسيح ، الى القدس واعتبارها جزءا قانونيا من اسرائيل » .

وفي اتجاه آخر عميق الدلالة ، بدأ الاسرائيليون قبل حرب اكتوبر بشهرين فقط يعودون الى التنقيب عن البترول في سيناء ، بعد ان كانوا قد توقفوا عن ذلك خلال حرب الاستنزاف ـ كما تقول جريدة الجيروزاليم بوست ـ وان شركة « لاميدبار » (ملكيتها اسرائيلية ـ كندية) اخذت تستعد لذلك ... وخصصت ١٥ مليون دولار مبدئيا واختارت ثلاثة مواقع للبدء بالتنقيب فيها : الطور ، رمانة ، العريش .. اي في ثلاثة اطراف سيناء .

واقترن هذا ، في نفس الشهر الذي نشر فيه هذا الخبر ، بافتتاح بنحاس سابير وزير المال لاول كلية اسرائيلية للعلوم البترولية في « رامات ابيب » .

وقبل ذلك بشهر ، افتتحت مصفاة جديدة لتكرير البترول في ميناء اشدود ـ اقرب الموانىء الاسرائيلية الى سيناء .

وبدأت حملات واسعة في اميركا لجمع المال والمساعدات والخبرات لهذا الاستثمار الواسع لسيناء ...

وقد كان التخوف السابق لدى بعض الاسرائيليين هو ان ضم الاراضي المحتلة معناه ضم مليون عربي لدولة اسرائيل الامر الذي يهدد بتغيير هوية الدولة اليهودية مع الزمن . واستنام من بيننا عرب كثيرون الى هذا الرادع لدى اسرائيل . ولكن الرد كان موجودا ولكنه غير معلن : تهجير العرب تدريجيا من الاراضي المحتلة !

(ملاحظة اعتراضية : تقيم اسرائيل والصهيونية العالمية الدنيا ضد روسيا دفاعا عن « حق الفرد في الهجرة من بلده » ولا احد يتحدث هناك عن حق اسبق وهو : حق الفرد في عدم الهجرة من بلده) .

فالى جانب القوانين التي تمنع العرب من اقامة مبان لهم ولسكناهم ، والسماح بشراء أراضي العرب بواسطة اليهود ـ حكومة ومؤسسات وأفرادا ـ والجمعيات الكثيرة المشكلة لتشجيع العرب ـ خصوصا المتعلمين ـ على الهجرة الى اميركا وكندا واستراليا وغيرها مع اعانات مالية ، وفرص عمل ، وكل هذه الخطوات كانت سائرة في طريقها في ايقاع متصاعد باستمرار .

ان كل ما ذكرته ماخوذ من قرارات اسرائيل وتصرفاتها فقط في الشهرين السابقين على حرب اكتوبر ... عندما كانوا في قمة تحويل ترف احلام اليقظة لدى اكثرهم طموحا الى حقائق صلبة .

والواقع انها لم تكن بالنسبة لهم أحلام يقظة . كان الواقع في أيديهم ، وكانت أيديهم مطلقة الحرية في تشكيل هذا الواقع . بينما كان كل ما لدى العرب ـ دم ، سلاح ، بترول ، كل شيء ـ واقفا راكدا حسبه البعض نائما وحسبه آخرون ميتا لا حراك له .

كانوا يشعرون حقا انهم يبيعون جلد العرب و « بعد » اصطياده !

ولكن ما بذلته قواتنا المسلحة من دمها وشجاعتها في اقتحام ساحة القتال هو الذي قطع عليهم أحلام يقظتهم التي كادت تتحول الى واقع ، وهو الذي بعث الحياة في الكثير مما لدى العرب من أسلحة رجال او مال او عتاد .. لانه أثبت ان الانتصار ممكن ..

لقد كان اتخاذ قرار القتال صعبا .

وكان القتال أشد صعوبة وضراوة ومرارة .

وهذا يوضح لنا ان المستقبل لن يكون بدوره سهلا .

وان التحديات الكامنة على الطريق الخطر الطويل كثيرة : عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ...

فمثل هذا الصميم الاسرائيلي لن يزول من افئدتهم في غمضة عين . وتاريخهم القائم على الخديعة ، وانتظار الفرص ، والتآمر الدولي والانقضاض العسكري ، والنفاذ من خلال التناقضات العربية ، يوضح انه حتى تراجعهم عن خطوط وصلوا اليها على الخريطة لا يعكس على الفور تراجعا بنفس النسبة فأطماعهم ، وعقيدتهم السياسية ، ومخططاتهم التي يحسبون لها بالاجيال وليس بالايام والشهور ...

كان جيشنا رأس الحربة في التصدي لعدوانهم على الخريطة .

بقي ان تكون كل طاقاتنا الفكرية والنضالية والتنظيمية والانتاجية زاحفة وراء رأس حربتنا : لتصد عدوانهم الكامن في نفوسهم ، ولتكون كلها سندا لقواتنا المسلحة .

الاهرام
٣٠ تشرين الاول

رجاء النقاش

بداية تحول كبير

بعد حرب ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ كان العرب يحركهم الامل في نشوب القتال مرة اخرى على الجبهات العربية ، لرد العدوان الاسرائيلي ، واذكر انني حضرت جلسة مع بعض الاصدقاء من الادباء والمثقفين مع المستشرق الفرنسي الكبير « جاك بيرك » ، وساله واحد منا عن رأيه في الموقف فقال : اذا انتصر العرب في الرد على العدوان الاسرائيلي فانني أشعر بالتفاؤل كانسان ... واذا انهزموا فاني متفائل كمؤرخ !

والحقيقة ان كلمة جاك بيرك المستشرق المحب للعرب والمؤمن بقضيتهم .. هذه الكلمة تعتبر من اجمل واصدق ما سمعت في التعليق على الصراع بين العرب واسرائيل ..

ومعنى كلمات المستشرق الفرنسي ان : العرب اذا انتصروا في معركتهم العاجلة ضد اسرائيل فان هذا النصر يدعو للتفاؤل ، اما اذا لم ينتصروا ذلك الانتصار السريع .. فان التاريخ يدعو الى التفاؤل .. ذلك لان اسرائيل تقف ضد حركة التاريخ ، بينما يقف العرب ، بعدالة قضيتهم ، مع حركة التاريخ ..

اسرائيل تقوم على احياء كل الافكار والمواقف التي يؤكد التاريخ انها في طريقها الى الزوال .

بينما يحمل العرب في اعماق موقفهم وتكوينهم الحضاري كل العناصر والافكار التي يؤكد التاريخ انها يمكن ان تنتصر بل ويجب ان تنتصر ..

اسرائيل تقوم على اساس ان ابناءها هم « شعب الله المختار » وهم افضل الناس في العالم .

وقد اكدت كل الافكار الكبرى التي ظهرت منذ آلاف السنين على هذه الارض ، ان هذه الفكرة خاطئة .. وانه لا فضل لانسان على انسان الا بشرفه وقيمته ومساهمته في الاضافة الى الحياة والمجتمع ..

ولو كان بالامكان ان تنجح هذه الفكرة لنجح هتلر . فقد كان هتلر هو الآخر يؤمن بان « الجرمان » هم سادة البشر ، وهم صانعو الحضارة ، بينما الآخرون هم مدمرون للحضارة او على احسن الاحوال فانهم ناقلون للحضارة .

وكان هتلر يريد ان يضع أحذية الجرمان فوق رؤوس العالم كله ، وقد احدثت حركته زلزالا عالميا لا شك فيه .. ولكن هذه الفكرة الخاطئة قد لقيت مصرعها لانها فكرة خاطئة ، وقد دفع العالم ما يقرب من مائة مليون من البشر ليرد على هذه الفكرة الخاطئة .. ورضي العالم بهذا الثمن الغالي ليثبت ان حكاية « الانسان المختار المتميز عن غيره من البشر » هي خرافة واكذوبة ...

والحركة الصهيونية في جوهرها لا تزيد بحال من الاحوال عن تجديد للحركة النازية .. كانت النازية تؤمن بتفوق الانسان الجرماني وتعتبره سيدا على جميع الاجناس البشرية ، والصهيونية تؤمن بتفوق الانسان اليهودي وتعتبره سيدا يجب ان يمشي على جثث العرب غير المتحضرين كما مشى المهاجرون الاوروبيون على جثث الهنود الحمر في القارة الاميركية البكر بعد اكتشافها واكتشاف ما فيها من كنوز .

وكأن اليهود يرون نفس الرؤية : كانهم يرون في الوطن العربي قارة مليئة بالثروات والخيرات وان الانسان الذي يعيش فوق هذه الارض لا يستحق ما في الارض من نعم وخيرات وكنوز .

ولكن اليهود اخطأوا في تفكيرهم ... كما اخطأ النازيون من قبل ..

والغريب الذي يدعو الى التامل : ان النازيين صبوا نقمتهم يوم انتشرت حركتهم في اوروبا على اليهود ... وكان هتلر يقول انه يكره شكل اليهودي ورائحته وسلوكه ، ويعتبره اقذر المخلوقات البشرية .

وعندما تخلص اليهود بمساعدة العالم كله من النازية جاءوا ليكرروا نفس الدور النازي ولكن مع العرب .

ويذكرني هذا الموقف بقصة شهيرة قدمتها السينما الاميركية في فيلم ناجح ، واسم هذه القصة « ... من الذي ياتي على العشاء » . وتقوم القصة على تصوير تجربة حب بين شاب زنجي وفتاة بيضاء . ويلقى هذا الحب معارضة من اهل الفتاة ... ولكن اكثر الاصوات اعتراضا على هذا الحب كان صوت « المربية الزنجية » التي تعيش مع الاسرة البيضاء .

كانت هذه المربية الزنجية تستنكر اشد الاستنكار ان يفكر شاب زنجي في حب فتاة بيضاء ... لماذا ؟ لان هذه المربية الزنجية قد آمنت وتسممت بوجهة نظر اعدائها ومضطهديها ... لقد تسممت بفكرة محددة هي ان الزنوج أقل شأنا وقيمة من البيض ... وهي تعتبر هذه الفكرة سليمة وصحيحة ، ومن هنا لا يجوز للزنجي الذي ينتمي الى الجنس الاسود ... لا يجوز لهذا الزنجي ان يفكر في المساواة الكاملة بينه وبين الجنس الابيض .

ووجه الشبه هنا هو ان اليهود قد تسمموا بفكرة الذين اضطهدوهم وآمنوا بهذه الفكرة اشد الايمان .

انهم مثل النازيين الذين يضطهدون العرب لان العرب جنس أقل قيمة وأقل صلاحية للحياة من اليهود المتفوقين المتحضرين .

وزعماء اليهود الكبار يعبرون عن هذا الموقف تعبيرا مباشرا .. وأذكر انني قرأت في دراسة عن « بن غوريون » انه طول ما عاش في فلسطين لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية لشدة كراهيته للعرب ، رغم انه تعلم الاسبانية ليقرأ بها رواية سرفانتس العالمية « دون كيشوت » .

على ان اليهود اذا كانوا يقيمون دولتهم اليوم على اساس تفوقهم على الشعب العربي ، وهي فكرة خاطئة ، ولا بد ان تلقى في نهاية الامر مصرعها التاريخي ، كما حدث للنازية من قبل ... اقول ان اليهود لا يكتفون بهذه الفكرة الخاطئة المعادية لكل الافكار الانسانية الكبرى ، بل انهم يقيمون بناء مجتمعهم على اساس من افتراض « تفوقهم العسكري الدائم » ، وهم يعتزون بأنهم قد هزموا العرب في كل الحروب التي خاضوها منذ ١٩٤٨ الى اليوم .

وهذه فكرة خاطئة ولا يمكن ان يقبلها التاريخ ، وسوف تلقى هذه الفكرة مصرعها التاريخي ايضا .

ولست اشك في ان المعركة الراهنة ، معركة اكتوبر العظيم سنة ١٩٧٣ ، سوف تكون بداية لهذا التحول في المجال العسكري بالنسبة لاسرائيل . ان الانتصار العسكري المؤقت لاسرائيل لا يمكن ان يقلب حقائق التاريخ ، ولقد كان على العرب ان يفهموا اسرار ضعفهم العسكري امام اسرائيل حتى يتحول هذا الضعف الى قوة حقيقية .

وكانت اسباب الضعف العسكري دائما واضحة :

في حرب ١٩٤٨ كانت الرجعية تقود المعركة ... تتحدث عن فلسطين وعينها على مصالحها الخاصة ... فهذا حاكم يريد جزءا من الارض الفلسطينية ليزيد حجم مملكته التي تعيش تحت سلطانه ... وهذا حاكم يريد ان يتخلص من المشاكل في بلده – كما فعل فاروق – فارسل الجيش الى فلسطين لعله بذلك ينجو من ثورة الشعب والجيش ... ولا يمكن لمثل هذه الرجعية ان تنتصر في معركة كبرى من هذا النوع .

وفي ١٩٥٦ لم يكن أحد يتصور ان يجد الجيش العربي المصري نفسه في مواجهة دولتين كبيرتين هما فرنسا وانكلترا بالاضافة الى اسرائيل .

وفي ١٩٦٧ كانت المفاجاة سببا رئيسيا للهزيمة ... وكان العرب في أغلب الظن يتصورون ان الضمير الدولي لا يمكن ان يسمح لاسرائيل باكثر مما اخذته قبل يونيو – حزيران – ١٩٦٧ .

وكان هناك اخطاء عربية كثيرة في التفكير والتنظيم والسلوك جعلتنا نسقط منذ الضربة الاولى ...

ولكن الشعوب تتعلم وتستيقظ وتأخذ العبر والدروس .

ومن الصعب ان تعيد الاخطاء نفسها .

والعرب معهم سلاحهم القوي الحاسم الذي يمكن ان تنبع منه كل الاسلحة الصحيحة القادرة ... هذا السلاح هو انهم اصحاب قضية عادلة .

اما اليهود فهم اصحاب قضية غير عادلة . وهذا بالضبط ما يعنيه المستشرق الفرنسي جاك بيرك بكلمته الرائعة حين يقول :

« حتى لو انهزم العرب فانني متفائل كمؤرخ » . نعم ... لان القضية العادلة لها النصر في النهاية كما يؤكد سير التاريخ .

واذا عدنا مرة اخرى الى أخطاء اليهود التاريخية فاننا نجد في تحصنهم حول تفوقهم العسكري ما يفسر لنا قولا آخر لمفكر يهودي هو « ماكسيم رودنسون » ... يقول رودنسون : ان اليهود لديهم نزعة انتحارية تاريخية .

وتفسير هذه الكلمة هو انهم يضعون انفسهم دائما في مآزق حضارية تؤدي بهم الى الانتحار او ما يشبه الانتحار . فاذا كان وجودهم اليوم في فلسطين والاراضي العربية الاخرى معتمدا على التفوق العسكري ... فماذا يحدث لهم اذا استفاد العرب من أخطائهم القديمة وسيطروا على قوتهم العسكرية وتفوقوا على اليهود ؟ ان هذا الموقف – الذي لا بد ان يحدث – سوف يؤدي باليهود الى مأزق تاريخي يشبه الانتحار .

ان أي دراسة لما تدعيه اسرائيل فكريا وحضاريا وما تبني عليه وجودها سوف يخرج بنا الى نتيجة واحدة هي ان اساس اسرائيل كله خطأ في خطأ .

هذه هي الافكار الاساسية التي تقوم عليها اسرائيل والحركة الصهيونية ، وكلها افكار خاطئة ترفضها حركة التاريخ الرئيسية .

دولة تقوم على اغتصاب شعب آخر .

ومجتمع يدعي ان له حقوقا تاريخية وحقوقا دينية في الارض العربية ... وليس له حقوق تاريخية ولا حقوق دينية بما يسمح له بطرد شعب باكمله والحلول محله .

انني أقصد من هذا الاستطراد التاريخي ان القي ضوءا على الواقع الراهن .

فاسرائيل تعزز جذورها في الاخطاء التاريخية والفكرية والانسانية .

بينما يعزز العرب جذورهم في مواقف سليمة وأفكار صحيحة وقضايا عادلة مهما كانت هزائمهم واخطاؤهم الجزئية في حق أنفسهم .

ومن هنا يكون منطق التاريخ في صف العرب ، لانه في صف الصواب والعدالة ، وليس في صف الخطأ والانحراف والاضطهاد للبشر .

ومن الغريب ان يكون العرب بالذات هم اكثر الشعوب الذين عاملوا اليهود معاملة انسانية كريمة خلال مراحل التاريخ المختلفة .

ففي الحضارة الاسلامية كان اليهود يحتلون مكانهم كافراد وجماعات حسب كفاءتهم وقدرتهم على المساهمة في التقدم .

وفي التاريخ الحديث كان اليهود يعيشون في شتى اجزاء الوطن العربي في أمان واحترام يلقونه من الجميع .

وفي سنة ١٩٢٤ قام سعد زغلول زعيم ثورة مصر وبطلها في ١٩١٩ بتاليف اول وزارة وطنية ، وكان من بين اعضاء هذه الوزارة « يوسف قطاوي باشا » اليهودي المصري الذي كان وزيرا للمواصلات ثم وزيرا للمالية .

وفي جامعة القاهرة وهي أقدم جامعة عربية حديثة كان هناك استاذان كبيران يلقيان كل الاحترام والتقدير من العرب هما : اسرائيل ولفنسون وكان يسمي نفسه باسم مستعار هو « ابو ذئيب » و « بول كراوس » ..

وهكذا ... فالعرب لم يرفعوا سيف الاضطهاد ابدا ضد اليهود ، ولم يغلقوا امامهم باب الاندماج في المجتمع العربي بصورة سليمة . ومع ذلك فالعرب مطلوب منهم ان يكونوا – برضاهم – ضحايا المؤامرة الصهيونية الاستعمارية المشتركة .

ولم يكن بالامكان ان يتم هذا الامر ... ولا كان بالامكان ان يستمر اذا تم . والموقف الراهن الذي تمثله معارك اكتوبر العظيمة على جبهة مصر وجبهة سوريا هو البداية السليمة للرد على كل الاخطاء التي وقعت فيها اسرائيل منذ زمن طويل بمساندة الاستعمار ومساندة اخطاء العرب ضد انفسهم .

فاسرائيل تمثل مجموعة من القضايا الخاسرة وغير العادلة .

والعرب يمثلون مجموعة من القضايا الصحيحة والعادلة .

والتاريخ لا بد ان يكون في صف اصحاب القضايا العادلة ، وخاصة اذا عرفوا كيف يدافعون عن هذه القضايا ، وآمنوا بها ايمانا صحيحا لا ارتباك فيه ، وعرفوا كيف يفهمون الواقع الذي يحيط بهم على حقيقته ..

وقد ادرك العرب بعد تجارب مريرة ما ينبغي ان يدركوه .

ادركوا ان قضيتهم عادلة حتى في جذورها التاريخية القديمة .

وادركوا ان العدالة وحدها لا تكفي للانتصار وحماية الحقوق..

فلا بد ان يكون العادلون اقوياء ومدججين بالسلاح .

ان العدالة الرقيقة الوديعة المثالية لم تعد تقنع احدا ... ولا حتى اصحابها .

ولا بد للعدالة ان تكون شجاعة وان تتصدى لمن يريدون تشويه وجهها الجميل .

ومن حق العرب ان يتفاءلوا ... لانهم في الواقع يقفون في الموقع السليم والصحيح ، رغم ما تعرضوا له من ضربات وهزائم .

من حقهم ان يتفاءلوا لان التاريخ معهم .

اما الذين يقولون ان هذه الحرب هي تمثيلية فهم في اقل القليل مخطئون . ان الدماء لا يمكن ان تكون جزءا من تمثيلية . عندما تنطلق الرصاصة الاولى وتسقط القطرة الاولى من الدم ... عندها لا يمكن ان يكون الامر لعبا او مسرحية من اخراج « كيسنجر » او من هم اقوى منه ...

وفي اعتقادي ان معارك اكتوبر العظيم سوف تكون بالدرجة الاولى درسا للعرب انفسهم قبل ان تكون درسا للاخرين ، فالهزيمة الحقيقية بعد ١٩٦٧ كانت في الحقيقة قد لحقت بنا في اعمق اعماق نفوسنا لا على جبهات القتال .

كنا قد فقدنا الثقة العادية بالنفس . كنا نشعر بالتهيب ، وكنا نشعر ان أي حركة من جانبنا سوف تلقى ردا عنيفا من العدو .

كانت عوامل التدمير في داخلنا وعوامل البقاء تتعطل .

ولم يكن شيء من هذا صحيحا ... ولم يكن بالامكان ان يستمر.

ان القضية الآن هي ان نتذكر الحقائق الرئيسية وان نؤمن بها ونثق فيهـــا :

علينا ان نتذكر ان فلسطين عربية بالواقع والتاريخ معا .

وعلينا ان نتذكر ان العرب مائة مليون ، وعلينـــا ان نتذكر ان بيوت السويس المهدمة وان العلم الاسرائيلي الذي كان يرفرف عـلى الضفة الشرقية للقناة كان يستفز قوة الحياة في الارض ... ولقـد زرت هذه المواقع عدة مرات بعد ١٩٦٧ وكنت اشعر ان قوة الحيـــاة ترفض هذا الواقع الاسرائيلي الموضوع في غير مكانه ...

كنت اشعر ان كل شيء يرفض حتى التراب والصخور .

وكان علينا ان ننتظر لحظـــة بداية جديدة ، وقد جـــاءت اللحظـــة ...

فاذا قالت اذاعة لندن :

ان العرب متفائلون بدون سبب .. فهي تخطىء التقدير .

لان الموقف العربي الاصلي يقف في نقطة عميقة من نقاط التفاؤل التاريخي بالنصر في النهاية .

واذا قال البعض :

انها تمثيلية من اخراج « كيسنجر » ، فان شهداء سينـــاء والجولان يقولون لنا باللـــون الاحمر : لا ... ان هذا كذب غير معقـــول .

وما أصدق الشهداء ...

لان دماء الشهداء ليست ولن تكون دماء تماسيح .

واذا قال قائل :

وأين السلاح الكافي ؟.. فان الاجابة الوحيدة هي ان نقـــرأ ما يقوله التاريخ ... من ان نتائج الحروب دائما تكون حسب نـوع المقاتلين لا حسب نوع السلاح ...

البلاغ ١٥ تشرين الاول

الغزوة الثالثة

لا بد للعرب أن ينتصروا في هـــذه المعركة التي يخوضونهـــا اليـــوم ...

وليس للعرب فرصـــة للتقدم والمشاركة في بناء الحضـــارة الانسانية بدون هذا النصر . وهذه دائما عبرة التاريخ في هذه المنطقة من العالم والتي اصبحت اليوم معروفة باسم الوطن العربي .

فكلما ضعف شعب هذه المنطقة وتخلى بسبب هذا الضعف عن دوره الحضاري زحفت عليه موجة استعمارية لتقتل ارادته وتسيطـر على كل شيء في ارضه وحياته ...

وهنا تنتهي مشاركة هذه المنطقة من العالم في حضارة الانسان وتتراجع الى الوراء .

وعندما يستيقظ شعب هذه المنطقـــة ليملأ الفراغ في بلاده بنفسه فانه يطرد الموجة الاستعمارية ، ويساهم في الحضارة مساهمة بارزة متميزة .

وقد تعرضت هذه المنطقة لثلاث غزوات كبيرة :

والباحثون في تاريخ هذه المنطقة من العالم يكتشفون ان المعركة الراهنة هي الحلقة الثالثة من الغزوات التاريخية الكبرى ضد شعب هذه المنطقة .

كانت المعركة الاولى او الغزوة الاولى هي غزوة الاسكندر الاكبر ، فقد عبر الاسكندر البحر الى شواطىء مصر ، واجتاح الشرق ، ومن يومها بدأت السيادة الغربية على المنطقة وانسحق سكان المنطقة امـام الغزاة الوافدين من وراء امواج البحر الابيض المتوسط .

وظلت المنطقة أسيرة لليونان والرومان حتى ظهرت الموجـــة العربية الكبرى مع ظهور الاسلام في القرن السابع للميلاد ، وامتدت الموجة الحضارية العربية بقوة واستطاعت ان ترد غـــزوة الغـــرب الاولـــى .

وانطوت صفحة الغزاة في هـــذه المنطقة . ويومها بدأ العرب يلعبون دورهم المضيء البارز في تاريخ الانسان .

ثم ضعف العرب وتمزقوا وبدأ الفراغ من جديد يظهر في الوطن العربي .

وعلى الفور ... ونتيجة طبيعية لهذا الفراغ الحضاري جاءت الغزوة الثانية من وراء البحر الابيض المتوسط ايضا .

وكانت هذه الغزوة الثانية هي غزوة الصليبيين ... جـــاءوا الينا من الغرب وأقاموا في الـــوطن العربي اكثر من مائة سنة ، وأرادوا ان يطفئوا شعلة الحضارة العربية في المنطقة ويقضوا عـلى الانسان ويحولوا العرب الى تابعين .

وظهر صلاح الدين ليرد العرب ويرد الغزوة الثانية عن طريـــق تعبئة القوى الكاملة للامة العربية .. روحيا وماديا .

وبعد انتهاء هذه الغزوة على اثر معركة صلاح الدين العظيمـــة بدأت مرحلة جديدة من اليقظة والنهضة والنمو واحترام الانســـان العربي لنفسه ولامكانياته ثـم اقبالـه على المساهمـة فـي حضـــارة الانســـان .

وأخيرا جاءت الغزوة الثالثة الى الوطن العربي على شكل موجات من فرنسا وانكلترا ... وكانت بداية الغزوة هي الحملة الفرنسيـــة على مصر سنة ١٨٩٨ ، وظلت هذه الغزوة من يومها تأتي الينا فـــي شكل موجات متتابعة حتى استقرت في شكل « دولة اسرائيل » .

الغرب الاستعماري من وراء دولة اسرائيل يريد مرة اخرى القضاء على هذه المنطقة وتحويلها الى منطقة تابعة ، على تحويل الانســـان العربي الى انسان من الدرجة الثانية .. يخدم الغرب ، ويقدم اليه البترول والاسواق ، دون أن يكون سيدا لمصيره او مساهما اساسيا في خلق الحضارة الانسانية .

ولن تكون لنا حياة حقيقية الا اذا استطعنا ان نقف في وجـــه الغزوة الجديدة ونقضي عليها ... لا حياة للعرب ، ولا أمل لهـــم ، بدون خوض هذه المعركة الكبيرة والانتصار فيها .

اذا انتصرنا ، ولا بد ان ننتصر ، فسوف يبدأ عصر عربي جديد فيه الكرامة والامل للانسان في ارضنا ، وفيه القدرة على المساهمة الحقيقية في حضارة هذا العصر ...

تماما كما حدث بعد انتصارنا الباهر على الغزوة التي بداهـــا الاسكندر وأنهاها العرب تحت راية الاسلام .. وكما حدث في الغزوة الثانيـــة التي قام بها الصليبيـــون وقضى عليها العرب بقيـــادة صلاح الدين ..

وتماما كما ينبغي ان يحدث اليوم تحت راية الوحدة والتقـــدم والعدل والحرية .

انها الغزوة الثالثة التي بـــدأت بالحملة الفرنسية وانتهـــت باسرائيل ولا بد من القضاء عليها لنبدأ الحياة .

ولعل هذه الغزوة الثالثة التي تمثلها اسرائيل هي أهون الغزوات وأقلها خطرا .. لو عرفنا كيف نقرأ التاريخ .

على ان العبرة فـــي الغزوات الثلاث ـ مهما اختلف حجمها ـ واحـــدة ..

لا بد ان ننتصر على هذه الغزوة لننهض ونتحرر ونتقدم ونتوحد.

ولا نهضة ولا تقدم ولا حرية ولا وحدة بدون هذا النصر .

الاحرار

٢٣ تشرين الاول

فاروق شوشه

أغنيتان لمصر

(١) «أحبك»

أحبك
يا نبضا في صميم الحنايا
ويا دفقة من شعاع السماء تضيء خطايا
ويا منتهى غايتي ،
ان تمنيت أفقا وضيئا
وفجرا نديا
وعيشا رضيا
وناديت ، كنت الصدى في ندايا
ويقذفني اليوم للامس ،
يقذفني الامس للغد ،
أسبح ، عبر فضائك ،
أرتاد أفق نجومك ،
أسكب روحي على ضفتيك شظايا

* * *

أحبك
فوق ترابك يغمرني الشوق ،
تنبض عيناك ، أخشع ، أرنو
وقد انكور فوق يديك شهيدا ،
وأغفو
تطلين فجرا جديدا ، وعمرا
ويمنحني شاطئاك امتدادا
وراء حدود الزمان ،
وراء حدود المكان ،
كأني تماثلت فوقك دربا
تمر عليه القوافل تسعى
كأني انتصبت جدارا منيعا وسدا
تطيش عليه الاعادي .. وتفنى
كأني تلاصقت في حضن من غاب :
أحبابنا ،
والشهيد المضرج ،
والامل الاخضر المستثار ،
ورايتنا ركزتها السواعد في جبهة الشرق ،
يكبر من حولها أمل العائدين ،
يمرون ،
ينبطحون عليها ،
يضمون وجه ثراها المندى
تكبر أفواههم بالصلاة ،
يضمونها في خشوع الحجيج ،
وفي لهفة العاشق المستهام ،

يعودون ،
قد عصف الشوق ،
طالت ليالي البعاد ،
وغاصت أصابعهم في التراب المفدى
تبدّل وجه الليالي نهارا
تفجر صمت السنين انتصارا

* * *

وقفت أناديك من عمق جرحي
وأهتف : نمضي وتبقين أنت
وأهتف : نمضي ، وتحيين أنت بعزم الرجال
بعزم السواعد وهي تشق غبار المفاوز ،
تقتحم الهول من أجل عينيك ،
من أجل لؤلؤتين تضيئان وجه الزمان ،
من أجل وجهك هذا المضمخ بالدم ،
من أجل يومك ، يكبر ، يمتد ، ينفسح
الافق حوليه ،
يحمل فجرا جديدا
وحلما وليدا .
ونصرا ..
وتبقين يا مصر .. مصرا !

(٢) « اليوم السابع »

اليوم السابع جاء
والراية في أيدي الابطال الشجعان
تتلألأ في وجه الدنيا
وترفرف أبدا في خيلاء
من فوق التبة في سيناء

* * *

اليوم السابع جاء
سقطت أحلام المخمورين المزهوين
داستها أقدام الابطال المنصورين
قذفت ببقايا الوهم الجاثم في سيناء
ــ الوهم ابتلعته الصحراء ــ
أنبتت الارض الطيبة المخضوبة
وردا يسقيه دم الابطال
وحنين التواقين ليوم الثأر
جاءوا كالسيل الجارف ، كالزلزال
يحملهم مد الشوق العاصف
يدنيهم من وهج الارض المسلوبة
وترفرف أرواح الشجعان على سيناء
يرتاح الشوق اللاهب ،
تحتضن الايدي وجه المحبوب العائد ،
وجه الوطن الغائب خلف غيابات الايام السوداء
وجه اللحظة ، حين يصبّ الماضي في الحاضر
يتصل نداء الانسان وسعي الانسان
اليوم يعود الى الاشياء مذاق الاشياء
يصبح للكلمات مذاق الكلمات البكر
وتعود الروح الى مصر !

* * *

عبر الابطال الشجعان ،
عبرنا نحن جدار الخوف
عبرنا وجه الايام السوداء ،
عبرنا سدّ الذل الجاثم فوق رقاب القوم المحنية
فارتفعت كل الهامات وكل الاعناق
شامخة القامة .. مشدودة
شماء الطلعة .. والسيماء
تتلقى الضوء القادم من سيناء
صنعته بيارق هذا اليوم الموعودة
تتلقى الفجر القادم من سيناء
صنعته مواكب هذا الزحف المحشودة
تتلقى النبأ القادم من سيناء
صنعته ملاحم هذا النصر المشهورة
تتلقى الصوت القادم من سيناء :
« قوموا انتبهوا ..
أبناؤكم الابطال الشجعان
صنعوا وجها آخر للتاريخ .. وللانسان
قوموا .. انتبهوا ..
أبناؤكم الابطال الشجعان
ضربوا المثل الاعلى في قلب الميدان
قوموا انتبهوا .
أبناؤكم الابطال الشجعان
عبــروا .. »
فعبرنا خلفهمو سدّ الاحزان !

كامل زهيري

وجاء اليوم السابع ..

مضت ٥٦ ساعة منذ اندلاع الحرب . ولم تنته الحرب ، كما توقع الخبير الفرنسي الجنرال بوفر ، أحد كبار الثقاة في التحليل العسكري (وقائد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٩٥٦) . ومضت ستة ايام على الحرب ـ ولم يقع المصريون في المصيدة ثم المجـزرة الدموية التي أنذرت بها اذاعة اسرائيل (باللغة العربية) . ومضى أكثر من ستة ايام ـ ولم يتحقق ما أنـذر به الجنرال « المعجزة » موشى دايان على شاشة التلفزيون الاسرائيلي من انه سيحطم « ضلوع المصريين » . وتبدد التهديد والوعيد الذي أقسم به الجنرال أليعازار، القائد العام الاسرائيلي . من انه سيصد ثم يحصد رقاب المصريين الذين يعبرون القناة ، كما تحصد الشبكة الكبيرة السمك الصغير . ومضت المدة التي توقعها وأعلنها معظم خبـراء المخابرات الاميركية ، وجريدة نيويورك تايمز ، وعديد من جرائد أوروبا الغربيـة التـي أصابتها المباغتة ، وعلى رأسها الفيغارو الفرنسية ، وأغلب الصحف الانكليزية فيما عدا الغارديان والتايمز ، وبدأ هؤلاء الخبراء يتساءلون في دهشة عن حقيقة ما وعد به حاييم هرتسوغ المتحدث العسكـري الاسرائيلي ، ان سبب الارتباك الاسرائيلي هو عدم دعـوة قـوات الاحتياطي .. وان هذا الاحتياطي سوف يتجمع خلال ساعات ، ليتركز خلال ساعات ، ليضرب ضربة نهائية وقاصمة في اليوم الثاني او الثالث على الاكثر .

ووضع الخبراء آذانهم على خبر حشود الاحتياطي الاسرائيلي . وعثروا أخيرا على خبر صغير قد يكون له مغزى كبير . فقـد ألغت بلدية تل ابيب عدة خطوط أوتوبيسات في العاصمة . ونـاشدت الاسرائيليين عدم استخدام الاوتوبيسات الباقيـة الا في الضرورة القصوى . ثم أذاعت الاذاعة بعد ٣٦ ساعة استئناف بعض خطـوط الاوتوبيسات . وكان معنى ذلك الانتهاء من نقل حشود الاحتياطي الى جوف سينـاء .

ومن خبرة دعوة الاحتياطي في حرب ٦٧ ، ومن الافواج العديدة من كتب الحرب النفسية والدعاية الاسرائيلية التي فاضت بهـا المطابع الانكليزية والفرنسية حول هذه الحرب ، والتي اجمعتجميعا على ان سر قوة جيش الدفاع الاسرائيلي هو ان دعوة الاحتياطي تتم خلال ساعات ، وبالطرق غير التقليدية ، وأحيانا من خلال الاذاعـة باستخدام الشيفرة ، لان ذلك يتم عن طريق الاوتوبيسات العـامة ، أدرك الخبراء ان الاحتياطي المنتظر قد تجمع ، وتركز ، وتحرك للضربة المضادة المميتة !

ورغم ذلك ، فان اليوم الثاني الذي بـدأ فجره وصباحه ببضعة أمطار ، وببضعة سحب كثيفة (حجبت الرؤية كما تقول اسرائيل) ، ثم بزغ الفجر ، وامتلأت السماء بالشمس ، ثم مالت الى المغيب ، ولم يظهر أي اثر لتلك الوعود « التلفيزيونية » او هـذه الانذارات الاذاعية ، التي لوح بها كبار قادة اسرائيل .

فلم تحطم الجسور فوق قناة السويس ، ولم يتوقف تدفـق القوات المصرية على الضفة الشرقية ، واستمرت القوات السوريـة تخترق ـ وتؤمن ـ الطريق الوسط داخل مرتفعات الجولان دونمبالاة أو تردد .

وألقت الاذاعة الاسرائيلية بعدة أكاذيب في اليوم الثالث ، حول عودة فتح المدارس في منطقة الجولان ، وحول عودة الفلاحين الـى المنطقة ، مما اضطر اذاعة مونت كارلو التي تتابع الاحداث بنشاط ، أن تستنتج ان اخبار اسرائيل كاذبة ، لان نفس اذاعة اسرائيل قالت في نفس الوقت ان طائراتها لم تتوقف عن امطار الجولان بالغارات ، ولان اميركا طلبت تدخل مجلس الامن ، نفس اليوم !

وهكذا استمرت الاحداث الحاسمة حتى أذاعت لندن لمراسلهـا في القاهرة في صباح اليوم السادس انه كان ضمن بعثة من سبعـة صحفيين يعبرون القناة ، ثم يعودون الى القـاهرة .. ليؤكدوا ان الجسور باقية ، والحشود تتدفق ، وانه رأى جماعات من الجنـود المصريين تقبل على الضفة الشرقية من قناة السويس .. وان معارك حامية ودامية قادمة قريبا لا محالة .

ورغم تسابق وتزاحم الاحداث العسكرية والسياسية ، ساعـة بعد ساعة ، ورغم ان الحرب طويلة ومريرة كما يلوح من مقدماتها ، الا ان الايام الستة الاولى من الحرب الرابعة تكمل جزءا من الصورة الحافلة الدامية لاول حرب هجومية يشنها العرب منذ ربع قرن .

الايام الستة الاولى جديرة بالتامل .

ليس فقط لانها تختلف عن الايام الستة التي حدثت في ٦٧ ، ولكن .. لانها ايضـا من الناحية العسكرية والمصيرية خطيرة المغزى.

فقد بدأت هذه الايام بمفاجاة عبور القوات المصرية قناة السويس وباقتحام القوات السورية مرتفعات الجولان ، وانتهت الايام الستة

الاولى من الحرب الرابعة بخبر عسكري لا يقل أهمية ـ وهو اجراء تعديلات عسكرية هامة في القيادة العسكرية الاسرائيلية مما يؤكد ان الايام الستة الاولى من هذه الحرب تتكامل حلقاتها معا ، ويمكن اعتبارها مرحلة اولى وحاسمة في حرب الحياة او الموت التي ينخرط فيها العرب .. وكل العرب .

فبعد ٢٥ عاما من انشاء اسرائيل ، ولاول مرة ، ينخرط العرب في حرب هجومية مفاجئة .

ويمكن تصور المفاجأة ، ليس فقط ، لان القيادة العسكرية العربية الموحدة ، اختارت يوم « الغفران » الاسرائيلي ، ليكون يوم العمل العربي ، بل لان القيادة ايضا اختارت الساعة الواحدة و ٥٥ دقيقة ، وهو على غير المواعيد التقليدية للهجوم في الفجر تحت أول ضوء ، كما ان اختيار الساعة الواحدة يسمح ايضا بالقيام بعمليات العبور ، ثم تجنيد الليل لمصلحة العملية العسكرية .

وقد تباهت الحرب النفسية المعادية والتي ظلت تدك العقول والقلوب العربية ـ أو تحاول ذلك ـ بأن العدو يعرف كل شيء عن أسرارنا ـ مثلا ـ بأن ابا ايبان ترجم توفيق الحكيم الى العبرية ، وان المخابرات الاسرائيلية (في كتاب عين اسرائيل) كانت تجمع كل تفاصيل الحياة اليومية لضباط وجنود مصر ، وتجمع كل عاداتهم ، متى يأكلون ، ومتى يشربون ، بل كانوا يجمعون منذ حرب ٥٦ كثيرا من التفاصيل غير المريبة من ألسنة الجنود المصريين ، وكانوا يقذفون بكل هذه التفاصيل الى العقول الالكترونية التي حددت لهم موعد الضربة المميتة للطيران المصري في حرب ١٩٦٧ وهو موعد افطار القوات الجوية في الصباح ، حين تكون أغلب الطائرات على الارض .

ومهما يكن من صدق هذه الانباء ، ومن البراعة التي قيل ان مدير المخابرات الاسرائيلية السابق ـ وهو صديق موشى دايان ـ قد أدخلها الى استخدام « قوة المعلومات » المنظمة والمكثفة والعصرية ، فأن جزءا بلا شك من هذه « الصورة » التي انشأتها وروجتهااسرائيل هي ان الجيش الاسرائيلي « جيش لا يقهر » ، وانه يعتمد على المعلومات الكاملة والتامة والتفصيلية ، وانهم يحصون علينا الانفاس والسكنات والحركات ، ويستخدمونها ويوظفونها لخدمة معاركهم وقبل اتخاذ قراراتهم .

وولم يتصور أحد منهم ان العلم ليس حكرا ولا احتكارا ، ، وان الجزائريين تعلموا من الفرنسيين ، وان الهند الصينية تعلمت من فرنسا واميركا .. وان الالمان تعلموا من الفرنسيين والعكس بالعكس ، وان مونتغمري تعلم من رومل وان العلوم العسكرية ليست امتيازا لجنس او دين او لون ..

لهذا جاء اختيار الوقت والزمان مفاجأة لاسرائيل .

ولذلك لم تكن المفاجأة في توقيت العبور ، وطريقة العبور ، ولكن المفاجأة لهم ـ انها مزقت أسطورة غير علمية وغير عصرية من ان العلم احتكار على « العقل » الاسرائيلي .

ومما يؤكد ان المفاجأة كانت اكبر من مجرد اختيار تكنيكي موفق ليوم العبور والهجوم ، وساعة هذا العبور وهذا الهجوم ، ان « الجو » العام الذي عاشت عليه اسرائيل وطوال فترة اللاحرب واللاسلم يوحي بغطرسة عسكرية لم يشهدها تاريخ السجال بين البشر ، باستثناء العقلية البروسية ثم الهتلرية . فلقد كان من بين تصريحات موشى دايان التي سبقت الحرب ببضعة اسابيع « ان اسرائيل لم تكن في يوم من الايام اكثر أمنا ، ولا أشد طمأنينة منها تلك الايام » . كما قررت الحكومة الاسرائيلية تخفيض الاعتمادات العسكرية اعتبارا من السنة المالية المقبلة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، كما وضعت المخابرات الاسرائيلية تقريرها السري « الشهير » عن الشرق الاوسط عام ٢٠٠٠ ، فوضعت العقول الالكترونية والتقدم والتكنولوجيا والروح العلمية والعصرية في كفة اسرائيل ، ووضعت التقدم المتعثر، والتمزق ، والتخلف في صف ومن نصيب وقدر العرب .

وهكذا استغلت اسرائيل التقديرات الالكترونية والعلوم الجديدة للتنبؤ بالمستقبل لتقول ان اسرائيل ستزداد تفوقا ومناعة ورسوخا ، وان العرب سيبقون غارقين في بحيرة الكلمات الراكدة ، والاغاني الخليعة ، وبلادة الاحساس بالوقت .. الى غير ذلك .

والمفاجأة من الناحية العملية ان الاسرائيليين كانوا يأخذون آلاف الاطنان من الرمال .. التي كان المصريون قد القوها على الضفة الشرقية من قناة السويس ، والتي كانوا يستخرجونها من جوف القناة لتوسيع مجراها ، حتى تستوعب الزيادة المنتظرة في التجارة الدولية ، لزيادة حجم الدخل من القناة ، لمواجهة الاعباء الداخلية ، فاذا بالاسرائيليين بعد الاحتلال يرفعون هذه الرمال الى ستة امتار ، لتصبح سواتر عسكرية ..

وهكذا أصبح من مصاعب العبور ، ليس فقط اختراق القناة ، ولكن ايضا اقتحام هذا الساتر الرملي الذي وصفه الفريق سعد الدين الشاذلي بأنه أكبر وأعلى عائق مائي وبري في تاريخ حروب المنطقة ، ان لم يكن في العالم (باستثناء نهر الراين في بعض المناطق) .

فاذا كانت المفاجأة قد تضاعفت باختيار الوقت ، والساعة ، واجتياز العوائق المائية والبرية ، فان المفاجأة ايضا التي تجعل كل خبراء المنطقة العسكريين يراجعون حساباتهم هو ذلك الانجاز الذي أتمته القوات المصرية حتى قضت على أسطورة أخرى .. طالما لعبت بها وسائل الاعلام الاسرائيلية ، وفروعها المنتشرة في أنحاء عديدة من العالم .

هنا المفاجأة هي : التكنولوجيا والعقل العربي .

فلم تلعب كلمة عصرية مثل هذه الكلمة في حياة المجتمع المصري ، حتى كاد المصريون جميعا يصابون بعقدة جماعية اسمها « التكنولوجيا » !

وعلى الرغم من ان المصريين منذ أيام محمد علي ، حاولوا استيعاب فنون نابليون الحربية ، حين ذهبت اول بعثة مصرية الى باريس عام ١٩٢٤ ، وتركز جهد الكثيرين على التعلم في مدرسة البولتكنيك ، وهي المدرسة التي أنشأها نابليون للضباط الذين يتعلمون الهندسة العسكرية ، وعلى الرغم من ان الجيش المصري في ذلك الوقت ـ عن طريق بعثات الكولونيل سيف الذي أشهر اسلامه وأصبح اسمه سليمان باشا الفرنساوي ـ وعن طريق البعثات الذاهبة والقادمة من باريس ، حاول هذا الجيش استيعاب علوم القرن التاسع عشر بكل تعقيداتها في ذلك الوقت ، الا ان الدول الاوروبية ضربت الجيش المصري ضربة قاصمة ونهائية في معركة نفارين البحرية عام ١٨٤٠ ، وكانت ضربة ١٨٤٠ تشبه الى حد كبير ضربة ١٩٦٧ ، لان البحرية في القرن التاسع عشر كانت مثل الطيران في القرن العشرين ... وانسدل على مصر هذا الظلام الدامس الذي انتهى الى اغلاق المدارس ، في أيام سعيد وعباس ، « حتى يتخلص المصريون من العلوم « الافرنجية » ، التي قيل انها كانت من اسباب النكسة » .

وتخلخلت الثقة وهبط الشوق الى العلوم العصرية ... وكان الانحطاط الحقيقي . وقد أدرك عبد الناصر فور الهزيمة ان الجيش الذي لا ينفتح على أحدث العلوم الحربية لا يستطيع ان يقوى على الحياة وسط هذا القرن المليء بأشرس انواع الحروب .

ومن هنا كانت الهزيمة درسا سريعا ، واليما ، ومريرا له ولنا ، وللجميع ، وكان لا بد من التصميم على التعلم والتدرب والانفتاح على العلوم العسكرية العصرية التي تتيحها لنا علاقتنا بالعلوم والعقول والخبرة التي تتوفر للسوفيات كمحاربين ، لهم خبرات هائلة في الحرب العالمية الثانية ، وقدرات معروفة في تطوير السلاح .

ومهما قيل ، أو يقال ، فان معارك الايام الستة الاولى من الحرب الرابعة اثبتت حقيقة هامة ، وان الاسلحة التي يستخدمها

العرب (وطالما دخلت هذه الاسلحة في ميادين المناظرات السياسية والعواطف الايديولوجية) انما هي أسلحة صالحة وعصرية وتستطيع أن تواجه او تنجح في مواجهة كل ما في ترسانة اسرائيل من اسلحة غربية . وان استيعاب الجندي المصري للتكنولوجيا العصرية على درجة كافية من الكفاءة .

ولعل هذه الايام الستة قد طوحت نهائيا والى الابد تجارة الهزيمة ((النفسية)) التي راجت بعد الهزيمة العسكرية .

لقد قيل الكثير عن ((نوعية)) القيادة العربية ، وراجت قصص بعضها حقيقي وأليم حقا . وبعضها يقوم على الحقائق فعلا .

ولكن ((تجارة)) الهزيمة نشطت وتحولت الى مطبوعات ومجلات وحملات باسم الموضوعية او الغيرة على الموضوعية ، ويقودها تجار وسماسرة وأنصاف متعلمين .

ولم يعان هؤلاء لا تجربة الهزيمة الاليمة ، ولا تجربة الهزيمة المفيدة .

ولم يقرأوا لا سارتر ، ولا كامو عند انهزام فرنسا ١٩٤٤ ، ولا تعاطفوا مع شعراء فلسطين وأحسوا بما في جوفهم من تجارب .

ولم يعيشوا في مصر مع الشعب الجريح حين انهزم .

كانت مصر بعد الهزيمة أشباحا لا أرواح ، سلبت الحياة من شرايينها .

ولم يكن ٩ و ١٠ يونيو الا تعبيرا عن رفض هذا ((النوع)) من الهزيمة . ولم يكن فقط احتجاجا على الهزيمة ، بل احتجاجا على ((ظلم)) الهزيمة .

ولم يكن التململ الشعبي من حالة ((اللاحرب واللاسلم)) الا تعبيرا خاصا وخطيرا عن هذا الرفض .

ولم تعد صيحة تحرير الارض الا تعبيرا عن رجل الشارع ، والمثقفين ، والطلبة وكل الشعب (وكثيرون لم يدركوا اعماق هذه الحركات ، وأهدافها الوطنية الصادقة) .

ولا زلت أذكر أيام هزيمة يونيو حين كنت في السويس أقابل قادة الجيش وضباطه وجنوده يعودون ، وكنت أبحث عن بصيص الامل وسط سواد الهزيمة .

كنت أرى في هذا الامل نوعا من العدل الذي يستحق البحث عنه ..

وتأكد لي ذلك عندما لقيت سعد الدين الشاذلي ، لاعلم كيف انسحب من صحراء سيناء .

فلقد انسحب ـ بطريقة المروحة ـ التي تتسع ثم تنضم .. بطريقة تقلل الخسائر بأقصى درجة ممكنة .

وليس هنا مجال الافاضة عن دوره ـ أو الحديث عن دور غيره من القادة العسكريين ـ ولكنني لا زلت أذكر اليوم الثاني الذي قضيته مع الفريق أول سعد الدين الشاذلي ـ وكان لا يزال عميدا ـ في مدينة حرض باليمن الشمالية عام ١٩٦٦ .

لقد قضيت يوما كاملا وليلة كاملة في موقع قيادته .

وكانت المنطقة صحراوية .

كان الاعصار يرتفع أمامنا في أعلى منطقة ، ويلتف ، ثم يقتلع أي شيء ، وكان يرتفع في هذا الهجير الى مستوى عال جدا ، حتى يتحول التراب الى ثلج من شدة الارتفاع ...

وقال لي سعد الدين الشاذلي : ان هذه المنطقة هي التي زحف فيها الحبش على العرب ، وهي التي نزلت فيها آية القرآن الكريم حول الطير الابابيل التي تلقي حجارة السجيل .

وكان من الطبيعي ان نتحدث عن الجو والانواء والعواصف ، لان كل شيء كان مغطى بالتراب والعواصف الرملية .

فقال سعد الدين الشاذلي :

ـ لقد تعودت عليها من صباي .

لانني كنت أعشق الطيران الشراعي ، وكنت أمارسه منذ صباي .

وقال لي شارحا ان من يفهم ((الجو)) ، يدرك انه مثل الموج .. اذا فهمته لا تغرق فيه .

وكان سعد الدين الشاذلي شابا في الاربعين . لا يبدو عليه السن . فقد صحوت اليوم التالي لاراه يقوم بتدريبات الصباح مع جنوده ..

وليس هذا مجال التفاصيل ، ولا كشف دوره ـ او دور غيره ـ في الدفاع عن شواطىء البحر الاحمر ، حين كانت اسرائيل ((تعربد)) داخل أعماق الاجواء المصرية .

انما قصدت ان اذكر ((نوعية)) قيادة عسكرية ، تتسم بالصبر والدقة والعلم ... وحب وفن الدفاع عن الوطن .

وفي أيام الهزيمة ، وأعقابها ، وحين اشتدت الحملة النفسية ووصلت الى قمتها ، وكانت اسرائيل تدخل بطائراتها ، وتهبط الى المستوى القريب من أسطح المنازل لتمزيق الجو ، وتحطيم زجاج النوافذ ، كان انور السادات نائبا للرئيس عبد الناصر .

وحمل أنور السادات معه مجموعة من الصحف والمقالات الاجنبية التي تحاول دك الثقة الداخلية . وكان الاجتماع في قاعة الاتحاد الاشتراكي العربي بالقاهرة .

وروى السادات قصة الجندي المصري الذي احترق وهو يقبض على مدفعه .. أثناء احدى الغارات الاسرائيلية ((السيكولوجية)) .

وقال السادات : هذا هو الجندي المصري .. الذي تحول الى فحم ، ولم يترك مدفعه .

والغريب انني تتبعت عددا من خطابات أنور السادات ، فوجدته كثيرا ما يذكر هذا المثل .. الذي يدل على ايمانه بنوعية الجندي المصري .

واذا كان شوفيل مراسل ((الفيغارو)) قد كتب عن الشاذلي يقول ان سياسته هي ادخال روح جنود المظلات في الجيش المصري كله ، واذا كانت هذه القصص وغيرها تدل على ان الفترة الماضية لم تضع هباء ، ولا سدى ، فيبدو ـ ولحسن الحظ ـ ان اسرائيل ظلت متمسكة بأسطورة ((الجيش الذي لا يقهر)) او الجيش الذي قضى على عدوه في أسرع معركة حدثت في القرن العشرين .

ولحسن الحظ ، ان القيادة الاسرائيلية ، تظن انها هي وحدها التي تتمتع بحق العلم والتكنولوجيا والقدرة عليها ، ومن حسن الحظ ان هزيمة يونيو كما كانت هزيمة مريرة ، كانت مفيدة .

وأعظم الفوائد ـ علاوة على الثقة بالعلم ، والتكنولوجيا ـ ان خطة اميركا لعزل مصر عن العرب قد سقطت مع أول قذيفة ، وأول جندي مصري عبر قناة السويس .

* * *

ويبدو ان المرحلة القادمة مرحلة حاسمة جدا ودقيقة جدا . فلا تزال قوات هائلة من الطرفين لم تنخرط بعد في المعركة ودخول القوات العراقية والجزائرية وبقية القوات العربية سيعطي بعدا بشريا جديدا للمعركة . وقد تعلمنا من دروس الماضي ان نبحث عن الامل وسط اليأس ، وان نحاسب ونزن ونحذر من التفاؤل أو المبالغة .

فلا تزال في الحرب جولات ... عسكرية ، وبترولية ، ودولية . لا زالت الحرب دائرة .

واذا كنا قد كسبنا معركة .. فالقضية هي ان نكسب الحرب .

البلاغ

١٥ تشرين الاول

سامي خشبه

الآن .. نحتاج الى فن الابطال

كل الملاحم المصرية والعربية التي صاغها الشعب المصري والعربي في عصور المواجهة الهائلة ضد الصليبيين والتتار . ملاحم عنترة وسيرة بني هلال والاميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس والزير سالم وحمزة البهلوان وحكايات الملك النعمان وولديه شركان وقمر الزمان ، التي ضمت الى ألف ليلة وليلة المصرية ، كتبها وصاغها الشعب المصري والعربي في مراحل الصراع الحضاري والقومي الهائل ضد القوى الاجنبية ، الاوروبية والاسيوية التي حاولت تدمير حضارتنا وطمس معالمنا القومية والروحية الاصيلة . انها العصور « البطولية » التي عاشها الشعب العربي في مراحل الدفاع عن نفسه وعن حضارته. وليس من الغريب ان يدمج الشعب في هذه الملاحم عصرين بطوليين دون اعتبار لفارق الزمان بينهما : عصر الفتوح العربية الاسلامية الكبرى ، وهو عصر « الهجوم » الحضاري العربي ، وعصر الحروب ضد الصليبيين والتتار والمغول ، وهو عصر « الدفاع » الحضاري الباسل ، ليس من الغريب ان نرى في هذه الملاحم عنترة بن شداد ، او المهلهل ، عدي بن ربيعة وهو « الزير سالم » او الملك « سيف بن ذي يزن » وهم يدافعون عن الاسلام ويقولون الشعر في مدح الرسول الكريم ، وفي تمجيد القيم الروحية والحضارية البطولية التي رسخها ابطال الفتوح الحقيقيون ، حمزة وعلي وخالد وابو عبيدة وسعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن ومحمد بن قتيبة ومحمد بن القاسم وطارق بن زياد وغيرهم ..

ليس ذلك غريبا لان « القيم » الروحية والحضارية التي رفع رايتها ابطال الهجوم هؤلاء ، هي نفس القيم التي صاغها وجسدها ابطال « عصر الدفاع » ، رغم ان عنترة والمهلهل وسيف بن ذي يزن عاشوا قبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنصف قرن على الاقل . لكن الشعب الذي اراد ان يجسد بطولته وقيمه ورموز حضارته الروحية والاخلاقية في « اشخاص » محددين ، وقع اختياره على « الرجال او النساء » الذين عاشوا حياة « الابطال » الحربيين ، وحملوا في نفس الوقت راية القيم الروحية والاخلاقية العزيزة على الشعب ، وجسدوا في اشخاصهم فضائل شعبهم وقاوموا رذائله .

سمتان اساسيتان نراهما في هؤلاء الابطال الملحميين : انهم كانوا ابطالا مقاتلين في ساحات الحرب لا يهزمون ، حتى النساء مثل الاميرة ذات الهمة ، وانهم كانوا « شخصيات » انسانية متكاملة وعلى قدر كبير من الواقعية رغم قدراتها الخرافية التي تتناقض مع قوانين الطبيعة . انها شخصيات واقعية ، وليست مجرد « رموز » غامضة ، وهي واقعية ليس فقط لانها تتكامل في كل جوانب السلوك والعواطف والتفكير : الحب والنزوات والاندفاع والتأمل الرصين والتدبير والمراوغة .. الخ .. ولكن لانها كانت ترتسم في الملحمة ، في العمل الادبي التلقائي الكبير ، على مساحة عريضة من الزمان والمكان ، لكي تصبح في النهاية « نمطا » عاما ، يشير الى كل الافراد الآخرين « المحتملين » من ابناء الشعب ، وفي نفس الوقت تحتفظ بتميزها وتفردها الشخصي : البطل فرد متميز لا مثيل له ، وهو في نفس الوقت نمط يحمل السمات العامة لشعبه كله . وهذا هو القانون الاساسي للواقعية .

ولهذين السببين ، وخاصة لواقعيتهما الانسانية هذه ، ظلت تلك الملاحم تلعب دورا أساسيا في تغذية وجدان الشعب على مر العصور ، وحتى زمن قريب جدا . وجاءت المطبعة ، والتعليم ... وتلاهما الراديو والسينما والمسرح والتليفزيون ، وأزاحت هذه الوسائط الجديدة « شاعر الربابة » مغني الملاحم القديمة من مكانه ومكانته ، وشرعت تقدم اعمالها الخاصة التي يكتبها ادباء وكتاب معروفون بالاسم . حلت الوسائط الجديدة محل الشاعر القديم .. وحل هؤلاء الكتاب الافراد محل الشعب كله في ابداع الاعمال الادبية التي لا غنى للشعب عنها ولا يعيش حياته الوجدانية والعقلية الا بها ..

المدهش اننا نعيش الآن ، ومنذ جيل كامل على الاقل ، عصرا « بطوليا » نواجه فيه غزوة حضارية كبيرة ، ونتحمل فيه ايضا مسؤولية التحول الاجتماعي التاريخي الكبير . الجهد الذي تبذله الامة الآن يسير بكل عناصر « البطولة » في طريقين لا ينفصلان : الجهد العسكري من اجل التحرير ، والجهد السياسي والاقتصادي من أجل التحول الاجتماعي الشامل ، وعلى كل طريق من الطريقين ، ينتصب أبطال حقيقيون ، لا حد لبطولتهم ، ولا حد في نفس الوقت لبساطتهم وتواضعهم النضالي العظيم المشبع بالكبرياء ، والجميع جاءوا من ارحام نفس الشعب ، وخرجوا من نفس المدن والقرى والحقول والمصانع والمدارس والجامعات ، والجميع يناضلون بالدم والعرق والفكر من اجل الدفاع عن وجودنا المادي ذاته ، وعن مقومات وجودنا المعنوي ، قيمنا الحضارية ، الروحية والاخلاقية ، وفي نفس الوقت يهاجمون اوكار التخلف والجهل والفقر والقهر ويدكونها لكي يشيد شعبنا حياته الجديدة .

نحن نعيش في عصر بطولي امتزج فيه الهجوم الحضاري بالدفاع الحضاري .. في معركة وطنية واجتماعية لم يعش وطننا شبيها لها من قبل . وأبطالها لا يتمتعون بقدرات خرافية ، ولكنهم اناس عاديون ، بسطاء ، يثقون في العمل والعلم والحياة والمستقبل ، ويعملون في ساحة القتال وفي ميادين الانتاج بنفس المثابرة والصبر وانكار الذات . ورغم هذا فما اقل ما ابدعه ادباؤنا عن هؤلاء الابطال من اعمال ادبية ، ما اقل الابطال الذين صاغهم ادباؤنا لكي يجسدوا فضائل الشعب في هذا العصر البطولي المزدوج العظيم ، وكي يكونوا أنماطا يشيرون الى ملايين الابطال الحقيقيين في كل مكان .. وأفرادا حقيقيين يلهمون الملايين بتجسيدهم البارز المحمل بجمال الفن وطاقته الشعورية الفياضة لفضائل ملايين الابطال الحقيقيين .

ربما كانت لهذا التقصير اسباب موضوعية كثيرة ، ليس هذا مكان بحثها . ولكن ، لا شك ان كل هذه الاسباب يمكن ان تتراجع الان الى منطقة الظل لكي تخلي مكانها للسبب الجديد الذي يدفع بأبطال الحياة الايجابيين العظماء الى مركز الصدارة في ادبنا ومسرحنا واخلاقنا وكل انتاجنا الفني .

هذا السبب هو الذي صاغه جنودنا بالدم على رمال سيناء ، وعلى صخور الجولان وسفوحه . لا مسوغ للتلكؤ في ابداع هؤلاء الابطال : فليمد الكاتب يده الى الحقيقة لكي يحصل على عشرات « الابطال » الحقيقيين ، المتواضعين في بساطة مذهلة ، وهم الذين يجتازون النار والفولاذ في كل لحظة ، ويجترحون المعجزات الانسانية في تلقائية لا يستطيع غير الفن العظيم ان يجعلنا ندرك كل أبعادها .

فلينس كتابنا قليلا الهموم الحقيقية التي افرزت ادب الانهيار، لان املا عظيما ومعركة هائلة تقدم السبب الحقيقي والمبرر لابداع ادب البناء ، البطولي ، الواقعي الذي نتمناه .

الجمهورية
١٩ تشرين الاول

سليمان فياض

الخلود حق للشهداء

ما ينبغي أن نفكر فيه من الآن ، ونحن نخوض حربا مصيرية عادلة ، هو كيف نكرم شهداءنا في هذه الحرب ، والتكريم الوحيد للشهيد هو تخليد اسمه ودوره ، وهويته وذكراه ، فقد قبل ان يفنى في المجموع ، وان يمنح كل وجوده وحياته لقومه ، ويضحي بالعمر الوحيد الذي يملكه ، عن ارادة واختيار ، في صمت ورضا .

ولقد درجنا منذ قرون على منح هذا التخليد بصورة عمومية للشهداء ، في ابان القتال وبعده ، بنصب تذكاري للجندي المجهول ، متجاهلين اسم كل شهيد ودوره ، وحياته وهويته ، ذكراه الشديدة الخصوصية ، او بتخليد بعض الشهداء البارزين لاسباب اجتماعية او عسكرية مختلفة ، وترك الباقين من الشهداء اسمائهم سجينة السجلات ، وقليل منهم من يطل اسمه علينا بين سطور صحيفة ، أو دورية من الدوريات .

وأثناء المقاومة المصرية لاحتلال جيوش نابليون لمصر قام الجبرتي بعمل أفضل في تخليد الشهداء ، كتب عن كثيرين منهم عمدا وفلاحين وتجارا وحرفيين وعربا ، ومنذ ما يقرب من قرنين .

وبوسعنا الآن ، ان نبدأ في الاعداد لتخليد شهدائنا واحدا واحدا ، وبالاسم والدور والهوية والحياة كما تفعل الدول المتقدمة ، وبخاصة الدول الاشتراكية مع شهدائها ، ومن صور هذا التخليد الذي هو حق علينا ، مفروض ان نؤديه ، ونفي به ، « لكل شهيد » :

☐ اقامة نصب تذكاري ، في كل قرية ، ومدينة ، وعاصمة اقليم ، يكتب عليه أسماء شهداء هذه القرية ، او المدينة ، او ذلك الاقليم .

☐ اعداد متحف خاص في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم ، او ارض معركة كبيرة ، يضم كتيبات عن شهداء القرية او المدينة او الاقليم ، تعرف بهم ، وتكشف عن دورهم الذي أدوه للوطن ، ويضم صورا مطبوعة لهم ، والمخلفات الشخصية التي حصلوا عليها من المعارك التي خاضوها .

☐ اطلاق اسماء الشهداء في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم على شوارعها وميادينها ، والطرق المؤدية اليها ومدارسها ومنشآتها .

☐ اعداد أفلام تسجيلية للمعارك التي خاضها الشهداء لاستثمارها في أفلام خاصة بهذه الحرب ، ليس فقط تعبيرا عن المجد الوطني ، وانما ايضا وفاء لهؤلاء الشهداء بحقهم في الخلود ، كأي كاتب ، او عالم ، او فنان ، او زعيم ، او قائد .

وهذه الوسائل والصور لتخليد ذكرى كل شهيد ، يمكن الاعداد لها وتنفيذها ، عن طريق الثقافة الجماهيرية ، والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة ، وأهل هؤلاء الشهداء في القرى والمدن وعواصم الاقاليم . وتجارب العالم المتقدم في هذا الموضوع يمكن دراستها والاستفادة منها بما يناسب الواقع المحلي للشعب المصري .

ذلك هو السبيل الوحيد لتحول الشعار « الخلود حق لكل شهيد على الطريق » من كلمات الى أفعال ، من تعميم الى تخصيص ، من حماس موقوت ، الى وفاء دائم ، وباق ، لكل شهيد .

ان شهداءنا هم أفضل من خدم مصر ، وحافظ على روحها . وتخليدهم ، كل على حدة ، يعني اننا نقيم شعلات مضيئة لكل أجيالنا القادمة ، تحفزهم على التضحية كلما تعرضت روح مصر وحياتها للخطر ، ارضا وشعبا ومستقبلا وحياة ، تدفعهم الى القبول بالفناء في المجموع ، وبالاستشهاد من اجل الوطن ، وقضاياه الانسانية العادلة .

الطليعة
عدد تشرين الثاني

عز الدين آسماعيل

متغيرات صنعتها حرب العدالة

كثيرون اولئك الذين كانوا قد فقدوا الايمان بامكانية تغير الواقع أو كادوا يفقدونه . ولم يتولد هذا الشعور اليائس وهذه النظرة الانهزامية الا في غياب الادراك الواعي لحقائق التاريخ وللقوى الفعالة الكامنة في صميم الواقع نفسه .

ولقد غيرت حرب السادس من اكتوبر — فيما تواتر من تعليقات الخبراء العسكريين — كثيرا من المفاهيم العسكرية التي كانت سائدة حتى بداية هذه الحرب . ولست مؤهلا للخوض في هذه المفاهيم التي غيرها جنودنا المقاتل في ساحة الشرف ، ولكنني أكتفي بأن أبدأ احصائي ورصدي للمتغيرات التي احدثتها هذه الحرب بهذا التغير الباهر .

أولا : هناك متغيرات على المستوى الوطني تتمثل فيما يلي :

١ — التقدير المتبادل بين فئات الشعب ، وبروز الجوهر الانساني في السلوك العام .

٢ — الخروج من السلبية واللامبالاة الى العمل الايجابي نتيجة لوضوح الهدف .

٣ — التضحية بشتى صورها لدى كافة القطاعات الشعبية في سبيل تحقيق الهدف .

٤ — اختفاء جرائم القتل والسرقة وغيرها نتيجة لادراك كل فرد لواجبه وانهماكه في اداء دوره .

٥ — سقوط كل دعاوى التفرقة البغيضة بين فئات الشعب وفي داخل الفئة الواحدة ، وبروز الوحدة الوطنية كأقوى ما تكون .

ثانيا : هناك متغيرات على المستوى القومي ، تتمثل فيما يلي :

١ — ان الوحدة العربية قد تحققت سلوكا وعملا ، لا كلاما وشعارات .

٢ — ان الطاقات العربية التي كانت بفعل عوامل كثيرة — مشلولة عن العمل قد تفجرت وانطلقت على نحو لا يمكن رده او الوقوف في طريقه .

٣ — ان هذه الامة العربية قد وقفت — بسبب تلك الحرب — على بداية طريق نهضة شاملة كفيلة بأن تجعلها قوة فعالة ومؤثرة في موازين القوى العالمية .

ثالثا : هناك متغيرات على المستوى العالمي ، تتمثل فيما يلي :

١ — ان كل التصورات التي اجتهدت الدعاية الصهيونية طوال ست سنوات في تثبيتها في اذهان شعوب العالم ، تلك التصورات التي تستهدف التهوين من شأن العرب والحط من قدراتهم والنيل من كرامتهم قد انهارت .

٢ — ان كثيرا من الحكومات التي كانت مخدوعة في اسرائيل الصهيونية قد افاقت على الحقيقة ، فسحبت ثقتها فيها ، ووجهت اليها اصبع الاتهام ، حتى صارت في عزلة توشك ان تكون تامة .

٣ — ان بعض الدول التي ظلت — حتى بعد قيام الحرب — تناصر اسرائيل وتقدم اليها شتى المعونات ، قد بدأت — مثل المانيا الغربية — تتراجع امام المد العربي وتبدي أسفها على ما تورطت فيه .

٤ — ان منطقة الشرق الاوسط تقع من قلب العالم في الصميم ، ومنها تخرج شرايين الدم الى شتى أنحاء العالم ، الامر الذي اخذت شعوب العالم تدرك خطورته .

والمهم الآن — حتى بعد ان تحقق الحرب اهدافها العادلة — ان نعمل على تعميق شعور العالم بخطورة المنطقة على حياة كثير من الشعوب ، بخاصة في العالم الغربي .

لقد صنعت حرب السادس من اكتوبر الكثير من التغيير ، وسوف يكشف المستقبل عن مزيد من أبعاد هذا التغيير على مستوى الفرد العربي والامة العربية والعالم أجمع .

الجمهورية
٢٨ تشرين الاول

اسماعيل صبري عبدالله

حي على القتال

ما اروع الفتيان يقتحمون اليم والنار والسماء .

وايه يا مصر يا ام الفلاحين والعمال والمثقفين الذين يجودون غاية الجود فيحطمون الاساطير ويقطعون قيود الاوهام .

وتحية للقائد الذي تحمل في جسارة مسؤولية قرار لم تشك جماهيرنا لحظة في حتميته .

ومرحى بوحد النضال العربي تصوغ في نار الحرب وجها للقومية العربية جديدا وغنيا بالوعود .

وشكرا للاصدقاء والانصار في كل مكان يقدمون التضامن والمساندة بكل ما وسعهم .

ونحن في الصفوف الخلفية لن نكون من القاعدين . فلم يعد ثمة عذر لقاعد . ولكل اليوم مكان :

نصون الوحدة الوطنية كصوننا لحبات العيون او اشد . نقيم كل شخص لا بما قال او فعل بالامس ولكن بما يقدم اليوم من أجل النصر .

نهيىء النفس لحرب ضروس ضد عدو احترف الغصب والقتل واصطنع الخديعة والارهاب وترسخت عنده الاوهام من الشعب المختار الى ارض الميعاد الى التفوق الاوربي .

نبذل . ويسأل كل واحد منا نفسه دوما ماذا صنع من اجل الحرب وكيف يصنع المزيد : في الدفاع المدني والشعبي . في الانتاج. في الخدمات . في التكافل الايجابي مع كل من تصيبه الحرب .

لقد بدأنا قتالا مريرا وضاريا . وان بعثا جديدا لينتظر شعبنا المصري وأمتنا العربية .

حي على القتال .

حي على الانتصار .

الاهرام

١٦ تشرين الاول

انيس منصور

مواقف

في سنة ١٩٦٧ قالوا عن المقاتل المصري : كانت عنده احدث الاسلحة واكثرها خطورة .. انها نفس الاسلحة التي جعلت العالم كله يتفرج على خيبة اميركا في فيتنام . فالعيب في الجندي وليس في السلاح ..وكان من الواجب ان يرتفع الجندي المصري الى مستوى السلاح الذي يضعه في يده وتحت قدميه ويغطي به رأسه في هذه الصحراوات العارية !

وفي سنة ١٩٧٣ قيل عن الجندي العربي : انه ينتصر بفضل الاسلحة المتطورة .

والصحف الغربية ووكالات الانباء تظلم هذا البطل العربي في سيناء والجولان . فالسلاح كان موجودا قبل ذلك .

ولكن شيئا جديدا قد حدث . ان المقاتل العربي قد تدرب وتعلم على هذه الاسلحة التي ترى له وتسمع له وتسدد له .. ثم ان هناك جنودا آخرين يفكرون له ويدبرون له الطعام والشراب والامان. ثم ان هناك عقولا قد درست وصممت ورسمت له خريطة النصر . ثم ان هناك سلاحا اخر قويا عميقا هو ايمانه بالله وتمسكه بقضية الحرية والعدل ، وان يستعيد شرفه للاجيال القادمة .

هذا المقاتل العربي قرر ان تشرق الشمس في ليل الهزيمة ، قرر ان يرسم قوس قزح اكثر بريقا ولمعانا على السحاب الاسود للظلم والهوان .. ان بذرة الهزيمة قد غرسها في أرض طيبة ، فكانت شجرة النصر المبارك ، باذن الله .

والمقاتل العربي ـ مقاتل وعربي . وهذه ارضه . وهذا حقه . وليس كالمقاتل الاسرائيلي : من كل لون وكل جنس وكل ارض. حبسوه في قفص من الاسمنت ثم أطلقوه في قفص من الحديد واشعلوا فيه واشعلوا به النار ـ ان هذا ما يقوله الاسرى . انهم يؤكدون لنا ـ بلا ضغط عليهم ـ انهم مدفوعون الى القتل والى القتال .. وانهم يريدون ان يعيشوا مثل اليهود الآخرين في اوروبا واميركا بلا خوف من أحد ، وبلا اكراه على الموت فوق رمال سيناء والجولان ، من أجل قضية لا يفهمونها !

ان لرجالنا مكانا عاليا في حياتنا وتاريخنا ..

وسوف يكون لرقم ٦ مكان خاص بين كل الارقام : حرب الـ ٦ ايام .. و٦ اكتوبر .. وسام ٦ .. واختراق بارليف في ٦ ساعات .. والحاسة السادسة التي الهمت قادتنا ان يختاروا ساعة العبور في يوم النصر !

الاخبار

٢٢ تشرين الاول

السيد ياسين

نحن والعـــدو

من خلال الصراع الضاري مع العدو . وفي لهيب المعـــارك العنيفة التي تخوضها قواتنا المسلحة الباسلة ، وعلى ضوء السلوك الثوري لجماهيرنا المناضلة الواثقة من النصر النهائي بالرغم مـــن جسامة التضحيات ، تبدو أصالة الشخصية العربية ، ويتكشف معدنها الحقيقي . لم تفلح الحرب النفسية المسعورة التي شنتها اسرائيـــل عقب حرب يونيو ١٩٦٧ ، والتي حاولت بكل الوسائل تشويه صورة الشخصية العربيـــة ، وتزييف ملامحها وقسماتها الرئيسيـــة ، في ان تجعلنا نفقد ايماننا بفاعلية الشخصية العربية وايجابياتها .

ان الشخصية العربية تمثل نمطا اصيلا من انماط الشخصيـــات القومية . فهي شخصية عريقة صيغت عبر القرون ، على هدي نسق مترابط من القيم الانسانية . هذه الشخصية يسري في صميمهـــا حب الحرية ، الذي يكشف عنه الرفض القاطع للغزو والقهـــر ، وكل محاولات السيطرة الاجنبية ، وذلك من خلال ممارسة النضال الثوري ضد الغزاة والمحتلين والمستعمرين . ان اجيالا وراء اجيـــال من الشعب العربي ، في سوريا ومصر والعراق ، في ليبيا وتونس والمغرب والجزائر ، والســودان ، ناضلت ضد الاستعمـــار الانكليزي والفرنسي والايطالي ، وجادت بأرواحها في سبيل ان يخلص التراب الوطني من دنس الاحتلال . ولذلك فالنضال العربي ضد التحـــدي الاسرائيلي ليس سوى حلقة من سلسلة ثورية موصولة عامرة بالكفاح والتضحية .

والشخصية العربية تجنح نحو السلام ، ويهيمن عليها التسامح ، وتمتلك القدرة الخلاقة على الانفتاح على الشعوب الاخرى ، وعـــلى ممارسة الحوار الانساني ، من خلال ايمان راسخ برسالة تاريخيـــة يستطيع الشعب العربي ــ كما فعل في الماضي ــ اداءها للاسهام فـــي تقدم العالم ، ولكن دون ادنى انتقاص من شان الشعوب الاخـــرى ، وبغير معاناة عقد التفوق على الآخرين . وهي شخصية قادرة عـــلى الابداع بكل صوره ، في العلم والفلسفة والدين والفن : اركـــان كل حضارة انسانية .

حقيقة ان التخلف الحضاري ــ الذي جاء مصاحبا للسيطـــرة الاجنبية ــ الذي هيمن بآثاره المدمرة على هذه الشخصية ، قــــد فرض عليها ان تتجمد قواها الخلاقة حقبا من الزمان ، ولكنها بعـــد بداية عصر الاحياء الحضاري ، تواصل نموها من خلال نضــــال شاق ، وحين تصل الى مرحلة الازدهار الكامل ستكون اكثر قـــدرة على مجابهة المجهول ، واكثر استعدادا لمواجهة المغامرة .

ولكن ما الذي تمثله شخصية العدو ؟ انها شخصية مرضيـــة ، يسيطر عليها الشك في الآخرين : في العرب ، وفي غير اليهود ، وفي المنظمات الدولية على كافة مستوياتها . شخصية يهيمن عـــلى نزعاتها الاحساس بالاضطهاد ، وفي نفس الوقت واقعة تحت تأثيـــر التأكيد المتضخم على الذات ، والشعور بالتفوق على كافة الشعـــوب ، والاعتقاد في رسالة منفردة يمكن لليهود ان يقوموا بها دون غيرهم من شعوب العالم . وحين تقع هذه الشخصية اسيرة نظام سيـــاسي عدواني ، شعاره هو ضرورة استخدام القوة والردع ضـــد العرب ، ومؤسسة عسكرية بنت اسطورتها الموصومة على اساس انها لا تقهـــر ، فمن المنطقي ان يتدعم الوعي الزائف لدى الاسرائيلي العادي بأنـــه سليل « الشعب المختار » ، الذي يستطيع ان يجابه العالم كـــله ويتحداه : ومن هنا اهمية المعارك العنيفة التي تديرها قواتنا ضـــد العدو ، فهي في نفس الوقت الذي تصد فيه عدوانه ، تنسف الوعي الزائف السائد بين الاسرائيليين ، وتردهم الى الوعي الحقيقـــي الذي يضعهم في احجامهم الحقيقية بغير تهوين او تهويل .

وهنـــاك من ناحية اخرى تعارض واضح بين النموذج الحضاري العربي والنموذج الاسرائيلي . ان النموذج الحضاري العربي يضرب بجذوره في تربة حضارة اسلامية انسانية اصيلة ، ترفض التعصب العرقي ، وتؤمن بامكانية التعايش بين الاديان والشعوب ، وفـــي ظلها المديد عاشت جماعات وأمم شتى ، حيث صيغت نظرية للكون والمجتمع والانسان ، كانت رافدا من روافد الفكر الانساني الخلاق ، واسهاما للعقل العربي المبدع في بلورة الفكر العالمي الحديث .

ولقد حاول الاستعمار الغربي من خلال معارك ومؤثرات ممتـــدة وشرسة ــ ضرب هذا النموذج الحضاري ، وذلك بفرض التجزئـــة على البلاد العربية ، واثارة النعرات الاقليمية والطائفيـــة ، وتدعيم الخلافات السياسية في المنطقة . ولكن الشعوب العربية ، تكتسب في الوقت الراهن ــ وبالرغم من كل المحاولات الاستعمارية ــ الوعـــي الجمعي بأوضاعها الحضارية ، وبطرق تجاوزها ، وهي تمتلك القوة البشرية ، والقوة الحضارية الكامنة التي تسمح لها بالانطلاق .

اما النموذج الاسرائيلي ، فانه ينهض على اساس مجموعة مـــن المبادىء الرجعية الاساسية : العنصرية التي تزعم ان اليهــــود أفضل شعوب العالم ، ومن هنا اصرارهم على « النقاء اليهـــودي للدولة الاسرائيلية » وكفاحهم خارج اسرائيل ضد ما يطلقون عليـــه « ذوبان اليهود في الشعوب الاخرى » ! ويتبع ذلك بالطبع ممارســـة التمييز العنصري ضد كل من هم ليسوا يهودا وضد العرب عـــلى وجه الخصوص . والتوسع المستمر على حساب الاراضي العربية ، تحقيقا لاساطير لاهوتية عن ارض الميعاد ، بما يتضمنه ذلك من ممارسة العدوان الدائم على العرب ، وعبادة القوة باعتبارها هي لغــــة التعامل الوحيدة مع العالم .

والحقيقة ان المعركة بين الشخصية القومية العربية والنمـــوذج الحضاري العربي ، والشخصية الاسرائيلية المريضة او النمـــوذج الاسرائيلي الرجعي ، انمـــا تمثل الصراع بين حركة التاريخ التقدمية التـــي تنهض على اساس توسيع منظور النزعـــة الانسانيـــة وتطويرها حتى يسع العالم الشعوب المتباينة في تقاليدها القومية ، سعيـــــا وراء حضارة انسانية شاملة ، وبين الحركة الصهيونية الفاشية التي تتجسد في اسرائيل ، والتي تقاوم النزعة الغلابة لدى شعوب العالم نحو السلام . ومن هنا فقهر القوى الاسرائيلية والصهيونية وردعهـــا لن يكون نصرا للانسان العربي فقط ، ولكنه ايضا سيكون اضافـــة ايجابية لرصيد الانسان في كل مكان .

الاهرام
٣٠ تشرين الاول

غالي شكري

حوار الادب مع الحرب

منذ هزيمة حزيران ٦٧ الى حرب تشرين الاول ٧٣ والاديب العربي طرف في معركة الحوار الدائر حول المستقبل . وربما كان صوت الطلبة في مصر ـ مثلا ـ اعلى الاصوات التي نادت بالحرب كطريق يتيم لتجاوز الهزيمة . ولكن هذا لا ينفي انه غداة التاسع من حزيران مباشرة ، قد دخلت كل القوى الاجتماعية في صراع حاد ـ اتخذ حينا هيئة محاولة الانقلاب العسكري ـ محوره هذا السؤال : وماذا بعد ؟

واذا كانت الاجتهادات الرئيسية الثلاثة التي حاولت الجواب، هي تحليل الماضي والحاضر داخل الحدود انطلاقا من اليأس عند فريق، والثورة على النظام الاجتماعي عند فريق آخر ، والمقاومة عند الفريق الثالث ، فان « الحرب » ظلت تحوم فوق رؤوس الجميع كشبح لا يهبط من عل ، وانما كصراخ تضج به الارض من اسفل . كان الشارع الذي عبرت عنه بعض الاقلام السياسية الشجاعة قد اختار « الحرب » عنوانا لنضاله في المرحلة التالية للهزيمة . وكان « الحل السلمي » عنوانا موازيا تجار به الطبقات التي تملك ما يمكن ان يحترق في نيران الحرب .

وكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الصراع على الادب والفن انعكاسا مؤثرا في الحوار الدائر . واستأثرت قضية الديمقراطية بحيز ضخم في معاناة الكاتب العربي . هكذا اقبلت فكرة « من لا يستحوذ على حريته داخل الوطن لا يستطيع ان يقاتل دفاعا عن حدود هذا الوطن » واصبحت خطا رئيسيا ينتظم اعمالا كبيرة لكتاب كبار . ولو اننا تذكرنا تمثيليات توفيق الحكيم ابتداء من « كل شيء في محله » الى « سوق الحمير » لشعرنا بوطأة هذا المعنى الرابض في اعماق رائد المسرح المصري ، وهو ان لا حرية للوطن بغير حرية المواطن .

وقد تتنوع النغمات ذات اللحن الواحد ، فالديمقراطية التي تتراءى لاحد الكتاب نوعا من حرية الفكر والتعبير للمثقفين ، تبدو للاخر نوعا من الليبرالية الاقتصادية والسياسية ، بينما تظهر للثالث نوعا من التغيير الاجتماعي لموازين السلطة . وهكذا ، فيوسف ادريس في « المخططين » لا يهاجم الاشتراكية كما ظن البعض ، بقدر ما يدافع عن شيء كالفوضوية التي برزت في اغلب انتاجه السابق على الهزيمة مثل « الفرافير » و « المهزلة الارضية » . والفوضوية التي يعنيها يوسف ادريس تكاد تكون نموذجا فنيا اكثر منها تصورا فكريا وايديولوجيا ، انها مجرد رد فعل عنيف للقهر . وهو في مجموعته « بيت من لحم » يجسم قصده الفني في القصة القصيرة تجسيما رائعا حيث تنعكس ملامح القهر في ادق تفاصيل الحياة اليومية .

ولا يختلف كاتب كبير كنجيب محفوظ في قصصه القصيرة وروايته « الحب تحت المطر » عن كاتب شاب كعلي سالم في مسرحياته « اوديب ، او البوفيه ، او عفاريت مصر الجديدة » . كلاهما يركز على الفساد الداخلي للمجتمع الذي يثمر بالضرورة فساد الحدود او ما ندعوه بالهزيمة . واذا كان نجيب محفوظ لا يضيف شيئا الى اعماله السابقة التي انتهت برواية « ميرامار » عام ١٩٦٦ حيث اقبلت الهزيمة بعدئذ لتؤكد صدق نبوءاته في كبرى اعماله « ثرثرة فوق النيل » ـ ١٩٦٥ ـ ومن ثم فهو لم ير جديدا ، فان علي سالم ظل مبعثرة الانتباه بين الجبهة في تمثيليته الجيدة « اغنية على الممر » التي تحولت فيما بعد الى فيلم سينمائي) وبين الفكرة التي شاعت حول تفسير الهزيمة بانها مأساة رجل محاط بطغمة من الاشرار . وهي الفكرة التي لعب عليها رشاد رشدي في « بلدي يا بلدي » و « نور الظلام » من موقع معاد للشعب ، وامتدت الى سعدالدين وهبه في « يا سلام سلم الحيطة بتتكلم » . وربما كانت مسرحية « العرضحالجي » وحدها ـ لميخائيل رومان ـ هي التي ناقشت الوضع الخارجي على ضوء الداخل دون ان تنزلق الى تطويب « السلطان » سواء كان من العصر المملوكي او من الفراعنة ، واستطاع فيها الكاتب ان يمزج بين حرية الانسان وحرية الوطن من موقع الطبقات الشعبية القادرة على صنع النصر ، جنبا الى جنب قدرتها على صنع الثورة .

ربما اقتربت « العرضحالجي » وابتعدت في نفس الوقت من مسالة الحرب ، ولكنها كانت ايذانا رائدا في طرح القضية طرحا جديدا وجذريا ، لا تعادلها من هذه الزاوية سوى مسرحية سعد الله ونوس ـ الكاتب السوري الشاب ـ « حفلة سمر في الخامس من حزيران » . لقد تمكن كلاهما من وضع قبضة اليد باكملها على موضع الجرح المتشعب ، واذا كانت المقاومة في مسرحية رومان ترتدي ثوبا تقريريا مباشرا ، فان الصوت الهامس في مسرحية ونوس لا يقل صراخا ، وان نجح اخيرا في ان يهدينا عملا فنيا جديدا في صياغته الجمالية .

على انني استطيع ان اشير الى بضعة اعمال اتخذت من الحرب خامة حية لها ، من هذا الموقع او ذاك ، ولكنها في النهاية اختارت الحرب طوق نجاة من الهزيمة الجاثمة كوحش طيبة يطرح لغزه على كل القادمين ، ويلتهمهم الواحد بعد الاخر . كانت « الحرب » هي كلمة السر ومفتاح اللغز عند قطاع عريض من ادبائنا ، ايا كانت درجات الاتفاق او الاختلاف معهم فكرا وفنا ، فقد دخلوا الصراع الدائر دون مواربة .

في الادب المصري ظهرت عدة اتجاهات كان ابرزها الاتجاه الداعي الى القتال فورا ومباشرة . وكانت مسرحية « المسامير » لسعد الدين وهبه هي الصدى السريع لهذه الدعوة الى حمل السلاح ودحر العدوان . والمسرحية « تتذكر » احداثا من ثورة ١٩١٩ لتقفز بعدئذ الى احداث ١٩٦٧ في ثياب تنكرية اقرب الى الكناية منها الى الرمز، خاصة حين تصرخ فاطمة ـ التي تمثل مصر ـ باعلى صوت « اضربوا كلكم .. الارض حرير ما فيهاش مسامير .. والسما حمياكم ما فيهاش

غربال .. وايديكو حديد وقلوبكم حديد .. اضربوا .. بـــلدنا بتاعتنا ، بتاعتنا احنا لوحدنا » وتختتم المسرحية بندائها لعبد الله ــ والمقصـــود عبد الناصر قائلة « اضرب يا عبد الله .. اضرب يا عبـد الله » . ورغم كل التحفظات الفنية على هذه المسرحيـــة فقد كانت مشاركة حية فاعلة في الحوار المحتدم حول الحرب ، حيث كانت هناك جوقة تكرس الهزيمة بدعوى التعقل ، وكانت هناك جبهة مقاتلة ترفض الهزيمة . وقد اختار المؤلف ان ينضم الى صفـوف هذه الجبهة ، ولو بكلمة سريعة متعجلة ، كانت تهتز لها ابهاء المسرح كل ليلة .

وكان هناك من اتخذ من فلسطين محورا فكريا لعمله الفني ، كعبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته « وطني عكا » والفريد فـرج في مسرحيته « النار والزيتون » . ولقد جسد كلاهما بطولة النضال الفلسطيني لاستعادة هذه الارض السليبة . غير ان الشرقاوي ربط موجات المد والجزر في هذا النضال بما يجري خلف الخطوط ، في القاهرة مثلا ، من سلبيات تعوق مسيرة الحرب . وربط من ثم بيـن مكافحة هذه السلبيات والحرب ضد العدو في وقت واحد . أمـا الفريد فرج فقد أهدى للعالم « كارت بوستال » عن شرعيـة الحـق الفلسطيني وبصمة الدم التي وقع بها الانسان الفلسطيني على اهليته لهذا الحق . وكانت اهمية المسرحيتين اللتين كتبهما اديبان مصريان انهما جعلا من فلسطين محور الهزيمة والنصر على السواء ، فسيناء ــ على هذا النحو ــ ليست الا تفصيلة في لوحة اشمل هي الوطـن العربي . وهكذا فالصراع مع اسرائيل ليس اقليميا وانما هو صراع قومي . وكانت هذه الصيحة بالغة الاهمية في ذلك الوقت في مواجهة النغمة الاقليمية التي كادت ان تسترد انفاسها في اعقاب الهزيمة . ان المَصير العربي المشترك هو المشهد الذي ركز عليه الكاتبان المصريان ابصار المصريين حتى لا تنفصل سيناء في مخيلتهم عن حقيقة الهدف الصهيوني الاكثر شمولا منها .

اما جيل الشباب فقد اختلفت مواقعه من الحرب اختلافا فاضحا .. هكذا نرى محمود دياب في الجزء الاول من ثلاثيته « احزان مدينة» وقد عنونها « طفل في الحي العربي » يؤرخ لنضال مدينة الاسماعيلية تأريخا فنيا عميق الدلالة . هذا النضال الذي يبدو كشجرة جذورها غائرة واغصانها تطال السماء . ولم يصدر حتى الآن سوى هـــذا الجزء الاول ، ولكنه وحده كاف لاستكشاف منهج المؤلف في الفكر والتعبير . حركة التاريخ ليست تجريدا ميتافيزيقيا خارج ارادة البشر ، وانما هي تتجسد في صراع بطولي لا يرحم الشيخوخة ولا الطفولة ، لانه تعبير عن « وجود » الانسان في ذروة التحامه بالطبيعة. وبحكم الطبيعة كان لا بد ان نقاتل في الماضي ، وان هزمنا فـي الحاضر ، فاننا سنقاتل في المستقبل . تلك هي نبوءة محمود دياب وادراكه الثاقب لملحمة الحرية . اما زميله السيد الشوربجي فقـد اختار في روايته « أطول يوم في تاريخ مصر » مشهد لن ينساه أهل السويس ، وبقية مواطني القنال ، مشهد التهجير الى بقيـــة محافظات مصر . رغم الآلام والمحن الصغيرة يشير الكاتب الـى ان « بقاء الانسان في الارض » هو الضمان الاكيد لهزيمة الهزيمة . وقد عمد الى ضفر هذا المعنى بقصة حب ، وقصة الحرب ، بين احـد الجنود وفتاة امتزجت حياتهما بحياة شعبهما امتزاجا لا سبيل الـى فصله . ورغم ركاكة الصيغ وهشاشة ادوات التعبير في هـــذه الرواية التي تأثر كاتبها بمسلسلات الاذاعة والتلفزيون ، فانها تظل بموضوعها على الاقل وثيقة هامة عن أطول يوم في تاريخ مصر .

وقد كان القصصي الشاب جمال الغيطاني مراسلا عسكريـــا لجريدة « الاخبار » المصرية في الجبهة . وقد أتاح له هذا المـوقع الاستثنائي ، بالاضافة الى موهبته الفنية الاصيلة ، وفكره الاجتماعي الواضح ، ان يخرج من التجربة بمجموعة قصصية رائدة في مواجهة الحرب ومواكبتها يوما بيوم . انها تذكرنا على نحو ما بمجموعـــة يوسف ادريس القديمة « البطل » التي صدرت عام ١٩٥٦ في طبعة محدودة ، وكيف ان نكهة الحرب بشقيها : القتال والتحرير كـانت الرائحة النفاذة والنافذة الى الصدور والعقول والارواح .

في مجموعة « ارض ــ ارض » يواكب جمال الغيطاني الافـراح والمآسي التي تتغلغل في نفس الجندي المصري ، وهو بعد عضو في المجتمـع الواسع الى ان يصبح نفرا في كتيبة . يـواكـب أشـواقـه وتطلعاته ووثباته وطموحاته ، مواكبة حية دافقة بحب مصر حبـــا صوفيا يرفعه للشهادة من اجل ترابها الوطني .

ولقد كانت أشعار احمد فؤاد نجم وملحمة صلاح جاهيـــن « على اسم مصر » وقصائد فؤاد قاعود والابنودي وسيد حجــاب ومحمد سيف وغيرهم من شعراء العامية المصرية ، الكبار والشباب (بعضهم من طلبة الجامعات) جيشا عاملا في ميدان القتال الـدائر بالكلمة حول المصير ، وكانت الحرب ولا تزال هي كلمتهم الاولـى والاخيرة . وربما كان احمد عبد المعطي حجازي ــ من بين شعـراء الفصحى ــ وخاصة في قصيدته الرائعة « شدوان » هو الـــذي شارك من موقع التقدم الى الخطوط الامامية في اعنف حوار شهدته مصر اثناء حرب الاستنزاف ، كذلك ربما كان لطفي الخولي وحده ، هو الذي قدم للسينما المصرية في « القاهرة ٦٨ » و « العصفور » رؤيا جديدة للشرخ الكامن في البناء الاجتماعي ، ولكنه لن يحـول دون صيحة الجماهير « حنحارب » وهي الصيحة التي لم تعجـب البعض وطالبوا بدلا منها بالصيحة الواقعية التي حدثت في ٩ و ١٠ حزيران ، ونسوا انهذا الهتاف هو رؤية الكاتب لما حدث، لا تسجيلا لما وقع .. وعندما شاهدت « العصفور » للمرة الثانية بعد السادس من تشرين الاول ، بهرني حماس الجماهير لهذه الخاتمة التي تطابقت اخيرا مع الواقع .. خارج السينما في سيناء والجولان . وهكـذا يصدق الفن مع الواقع حين يراه في حركته اكثر كثيرا من التسجيل السكوني الجامد لقشرة الواقع الخارجية .

* * *

ولم يكن الادب العربي خارج مصر بعيدا عن الحوار .

البلاغ

٢٢ تشرين الاول

لا بد ان ينهض .. حتى الذين ماتوا منا

كانت الحرب في المشرق العربي نقطة الارتكاز في كل فكر وفن ، ولم تكن كما هو الحال في مصر حوارا مع النظام ، وانما كـانت حوارا بين فصائل الثورة . ومن الطبيعي اذن ان يتجه الادب مباشرة الى هذه القضية دون اغفال « مبررات الهزيمة » وفي مقدمتهـــا التخلف الحضاري والتقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم . وقد ركز البعض على ديمقراطية الجماهير الواسعة ، كما هو الحال فـي مسرح سعدالله ونوس ، وركـز البعض الاخر على العنف في مواجهة الديكتاتورية كما هو الحال في مسرح عصام محفوظ ، وتارجحتاعمال كثيرة بين التصور الليبرالي للحرية والتصور البروليتاري لها مرورا بمختلف التصورات التقليدية في الفلسفة الوجودية والصوفيـــة وما اليها .

وكان الخيط الذي يربط هؤلاء جميعا هو ان غياب الحريـة داخل الانسان والمجتمع يؤدي بالضرورة الى غيابها عن حدود الوطن ، وان السجن الصغير والسجن الكبير سواء بسواء . وقد نتج عـن هذه الرؤية الفوضوية شبه العدمية لدى الكثيرين ، انهم لم يتنبهوا الى الطرف الاخر من المعادلة ، وهو التراث الاستعماري المتصل حتى المرحلة الاسرائيلية ، وان هذا الاستعمار الذي سلب الامن الخارجي للحدود ، قد كان بدوره عنصرا جوهريا فـي سلب الامن الداخلي

لانسان هذه الحدود .

ان فساد الانظمة العربية ، وفي مقدمة مظاهره القهر والعبودية الاجتماعية ، قد ادى دورا رئيسيا في غياب حرية الوطن ككل . ولكن هذا الدور الخطير لم يكن حجمه ليصل الى هذه الدرجة من الضخامة الا لان هناك عنصرا خارجيا لا يقل عنه خطورة هو الاستعمار الاجنبي الذي كان يبذر احيانا مقومات هذا الفساد ، اقتصاديا وفكريا ، وأحيانا اخرى كان يدعمها ويتفاعل معها بالاخذ والعطاء . والذين تصدوا لهذا الاستعمار وحده سقطوا في نفس الخطأ والمصيدة : النظرة الاحادية الجانب ، فبرروا للانظمة كل خطاياها وعلقوا ثيابها القذرة على مشجب العدو الخارجي .

وقليلة للغاية هي تلك الاعمال التي ابصرت الظاهرة في حركتها الجدلية ، ورصدت موجات التفاعل العميق بين الداخل والخارج ، هذا كله لا ينفي ان البحث عن مبررات الهزيمة الحزيرانية كان حوارا بصورة ما مع الحرب ، وان الذين آثروا هذا الجانب دون ذاك قد أسهموا في الاعداد النفسي لهذه الحرب التي نخوضها منذ السادس من تشرين الاول . ومن هنا ، فانني لست اميل مطلقا الى القول بأن ادب حزيران قد سقط في تشرين ، لقد كان افرازا طبيعيا لتلك المرحلة ، تباينت نتائجه سلبا وايجابا ، ولكن اللوحة العامة تظل شاهدا هاما على تضاريس الوجه الاجتماعي للهزيمة ، بملامحه الطبقية والفكرية والفنية . ولعل الذين تسرعوا بالقول ان ادب الهزيمة قد احترق في نيران الحرب ، هم من الذين تستهويهم « المطلقات » فيرتفعون الى ذرى الفرح المطلق ويهبطون الى هاوية اليأس المطلق في لحظات معدودة ، لا يرقبون بعيون مفتوحة المتعرجات والثنايا والمنحنيات التي تتخلل الخط المستقيم ، اذا وجد اصلا مثل هذا الخط في الواقع الحي . ولعل اصحاب هذه المطلقات ايضا ، هم اخطر على الوجدان العربي المهيأ بطبيعته للانفعال الحاد بالنقائص المتطرفة .. لان هذا الوجدان الذكي المرهف والمفرط في حساسيته يحتاج الى ما يدعم توازنه الروحي في الاحداث الكبرى ، حتى لا يختل بين المتغيرات العنيفة ، انه يحتاج لان يرى في قلب « الخط العام » لحركة التطور ، عشرات التفاصيل والزوايا حتى لا يظل كيانه العصبي مرهونا بما تدعوه المفاجآت .

النظرة الاحادية الجانب ، اي النظرة الجزئية ، خطر على صناعة الوجدان . وكذلك النظرة المطلقة التي تعمم هذه الجزئية او تلك على مجرى التاريخ او على حياة امة وكلتا النظرتين تؤديان الى ظاهرتين متلازمتين هما الرؤية السطحية لقشرة الواقع الخارجي، والرؤية المرحلية لمسيرة هذا الواقع . والثمرة الفكرية والفنية لتشابك هذه العناصر مجتمعة هو الانتاج الذي يتراوح بين السكونية والجمود، حتى انه يتحول بمرور الزمن الى ملصقات اعلانية ينتهي مفعولها بانتهاء العرض .

لهذه الاسباب ــ مثلا ــ كنت عنيفا في حينها مع الشاعر الكبير نزار قباني حين صدرت له « هوامش على دفتر النكسة » غداة الهزيمة . لقد وضع نزار يده على احدى الحقائق التي لا تقبل الشك بين مبررات الهزيمة ، وهي التخلف . ولكن المشكلة هي ان حجم الهزيمة الحزيرانية قد أسدل على عيني نزار ستارا كثيفا حتى انه رأى هذه الحقيقة تبدو اولا كما لو كانت الحقيقة الوحيدة ، وتبدو ثانيا كما لو كانت قدرا ميتافيزيقيا لا خلاص منه . وبالتالي فحواره مع الحرب مبتوت الصلة مع المستقبل ، بل والماضي ، أي انه خارج سياق التاريخ ، بعيد عن النسبية ومرتبط عضويا بالمطلق . هكذا مست القصيدة سطوح الاشياء ولم تتوغل الى ما تحت الانقاض ، وكان رواجها المذهل في ذلك الوقت ، لهذا السبب .. فالوجدان الجريح كالاعصاب العارية تثيرها الانفعالات الحادة العابرة ولا يهدىء من آلامها التأمل العميق .

وليس معنى ذلك ان الشاعر في هذه القصيدة وسواها قد اتخذ موقفا ضد الحرب . كلا ، انه لهول الهزيمة ولاننا لم نقاتل ، قد تعجل تسجيل « انطباعه » الفاجع ، لم ينتظر حتى يبرد هذا الانطباع وتختفي بصماته فوق الجلد ، ليستشعر بعدئذ الايقاع المضمر في شرايين الدم وعروق الروح . حينذاك كان هذا الانطباع نفسه ، سيتحول الى شيء اخر اكثر قربا من الحقيقة التي رآها وهي التخلف ، كان سيرى في التخلف « عملية اجتماعية » لها جذورها الممتدة على الشاطئين داخل الحدود حيث « النظام » بهيكله المادي والمعنوي وخارج الحدود حيث « الاستعمار » بدوافعه ومخاليه . حينذاك كان سيتحول اعجابه « ببلاد الثلج والضباب » التي يدعونا الى التوجه نحوها الى هذا السؤال : لماذا لا تعاني هذه البلاد من التخلف ؟ أليس سببا رئيسيا لذلك انها لا تعاني من الاستعمار ؟

ونزار قباني ــ اكرر ــ لم يكن في قصيدته تلك وغيرها ضد الحرب . انه ضد الهزيمة وقد تجسدت لديه في التخلف وتمثل عنده التخلف في الانسان . غير انه ما ان تنطلق الامال مع الولادة الجديدة للمقاومة الفلسطينية حتى يغني لفتح وابطالها اعذب الغناء . بالطبع دون محاولة لمراجعة الرؤية الاولى التي تجلت في « هوامش » ، بل لعله يبرر هذه الرؤية ويؤكدها حين يصور « فتح » فنيا ــ كالهزيمة ــ بمفاجاة ، فهي وردة جميلة تنبت من جرح ونبع ماء بارد في صحراء. ومن ثم يبدو الامر كله كمعجزة قيامة المسيح من بين الاموات ! انه مع الهزيمة والحرب على السواء مفاجأ دائما ، وهو يسجل مفاجاته على التو واللحظة ، بانفعالاتها الاولية دون اية محاولة لاختزانها في براد العقل والتجربة حتى تخرج الينا بعدئذ شيئا اخر اعمق وابقى. كذلك المقطع « الثاني » الذي نطالعه في قصيدة « فتح » نفسها حين يقول :

« مهما هم تأخروا فانهم يأتون ..
في حبة الحنطة .. او في حبة الليمون
يأتون في الاشجار ،
والرياح ،
والغصون .
... ...
من حزننا الجميل ينبتون
أشجار كبرياء
ومن شقوق الصخر يولدون
باقة أنبياء
ليست لهم هوية
ليست لهم اسماء
لكنهم يأتون
لكنهم يأتون .. »

هنا لا يتألق المعنى الحي الكبير فحسب ، بل الشاعر الكبير ايضا . والرؤية هنا تصوغ جدلا عميقا مع الواقع من داخله لا من قشرته الخارجية .. حتى ان القصيدة لا تبقى مرهونة بحدث عابر او مناسبة طارئة ، وانما يمكن ترديد هذه الابيات في كل وقت . انها وقد كتبت منذ سنوات تصلح شاهدا على ميلاد المقاومة بعد الهزيمة ، ولكنها تمتد في كياننا الى نيران تشرين تؤجج ايماننا بأن الهزيمة هي العابرة وان « النضال » وحده هو الجسر الذهبي ــ وان تلون بالدم ــ من الموت الى الحياة .

ورغم النفس القصير والسريع في قصيدة مثل « هوامش » فان ذلك لا ينفي عنها هي واخواتها انها اشارت ــ ضمن مبررات الهزيمة ــ الى احدى الحقائق الهامة وهي التخلف . ولا شك ان نضالنا ضد الاستعمار هو في نفس الوقت نضال ضد التخلف ، لا لان الاستعمار يكرس التخلف ويغذيه فحسب ، بل لان الظاهرة الاسرائيلية للاستعمار الصهيوني تفرض علينا بهدف النصر عليها ، تحديا خطيرا هو مقاتلة التخلف في عقر داره المتشعبة الغرف : جذوره الطبقية والفكرية

في بنائنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وجذوره الاجنبية التي تهدد الحدود وفروعه الوجدانية تحت الجلد ، التي تسري في سلوكنا وعاداتنا وقيمنا وأفكارنا . وهنا يكاد انعدام التقاليد الديموقراطية في اسلوب الحكم ، الذي اتخذه البعض منا محورا للبحث عن اسباب الهزيمة ومقومات الحرب ، ان يكون عنوانا مدرجا تحت العنوان الاكبر : التخلف . وقد كانت اعمال سعد الله ونوس ، وخاصة في مسرحيته « حفلة سمر » و « راس المملوك جابر » ابداعا دراميا خالصا لهذا المعنى المكثف . وعلينا ان نلاحظ ان التجديد المسرحي في هاتين الروايتين هو انعكاس امين وحاد لهذه الكثافة في التفكير التي يراها البعض « مسرحا سياسيا » ـ وهي كذلك من أحد الوجوه ـ ولكنها في الواقع تتجاوز المسرح السياسي التقليدي ، الى ما هو اشمل . ان قضية الاستغلال عند بريخت وقضية الاستعمار عند بيتر فايس ، بالغة الوضوح والاتساق .. ولكن الاستغلال والاستعمار في بلادنا ، على ضوء فكرة التخلف ، يحتاجان الى استبعاد الكثير من البديهيات والمسلمات في المسرح السياسي الاوروبي ، والاتجاه بعمق ومعاناة هائلة الى جذور أشرت اليها ، بالغة التشابك والتعقيد . وفي تقديري ان سعد الله نوس قد خط بداية الطريق الصحيح لانجاز هذه المهمة الثقيلة . ان كاتبا كعصام محفوظ ـ خاصة في مسرحيته « لماذا » ـ قد أسهم من زاوية اخرى في التفكير ، بفاعلية حقيقية في انجاز هذه المهمة ايضا . ويبقى الفرق بينهما واضحا ، وهو ان عصام محفوظ اقرب الى المسرح السياسي ، اما سعد الله ونوس فاقرب الى ما يسمونه بالمسرح الشامل . كذلك فان مقابلة الدكتاتورية بالعنف الفردي هي لب اللباب في مسرح محفوظ ، بينما تتحول الجماهير عند ونوس الى قاعدة فكرية وجمالية ايضا . ومن هنا يمكن القول بان الغياب الفاجع للديموقراطية ، والذي تراءى لكثيرين من كتابنا سببا رئيسيا من اسباب الهزيمة ، قد اتخذ عند الرد عليها اشكالا عديدة تبدأ من ليبرالية يوسف ادريس في مصر ـ التي أضافت جماليا الى المسرح المصري البعد الشعبي والبعد التجريدي معا ـ الى فوضوية عصام محفوظ التي أنجزت للمسرح اللبناني ألا يبدأ من نقطة الصفر ، بل حققت له البداية ومن مستوى العصر معا ، الى ثورية سعد الله ونوس التي حسمت قضية معلقة في سماء المسرح العربي الحديث ، قضية الاصالة والمعاصرة .

وهكذا كانت الاستجابة « المركبة » للهزيمة تؤدي في خاتمة المطاف الى تركيب فني جديد . ولكن هذا كله يقع في اطار الحوار مع الحرب ، ضمن البحث عن مبررات الهزيمة السابقة في ٦٧ .

ولكن فريقا آخر من الكتاب آثروا الحوار مع الحرب مباشرة ، دون البحث عن اسباب ومبررات لما وقع في حزيران . وانما كان يعنيهم في المقام الاول مواكبة الوجه الآخر للهزيمة ، وهو المقاومة .

وهكذا اتجه اديب نحوي في روايته ـ القصيرة « عرس فلسطيني » الى صياغة اسطورية بالغة الشفافية لقصة الحب والحرب . ان ليلة العرس انشطرت الى نصفين : اولهما انتظار العروس والآخر رحلة العريس ، ولان العرس الفلسطيني يختلف عن اعراس العالم فقد انتهت الليلة بأغرب زفاف : حضر العريس محمولا على اعناق رفاقه بعد ان احضر العلامة التي بموجبها يستطيع الزواج ، جاء مخضبا بدمه من رصاصة العدو ، وخرجت العروس لتاخذ بندقيته ، خاتما أبديا للزواج . ويهمس صوت لا أحد يدري من اين اتى « لا بد ان ينهض .. حتى الذين ماتوا منا » .

وممدوح عدوان في روايته « الابتر » يرافق الفلاح السوري العجوز الذي يرفض ان يترك مكانه مع البقرة التي يعيش معها ، حتى حين سخر منه ضباط العدو وجنوده ، بانهم سيعطونه بدلا منها قطعة ارض واسعة ، لم يرض . وظل باقيا الى ان مر به « احدهم » ملثما يطلب جرعة ماء وكسرة خبز قائلا :

« ـ كان علينا ان نقاتل منذ زمن طويل ،
لقد تاخرنا كثيرا .
ولكن لم يفت الاوان بعد .
ـ هل انتم كثيرون ؟
ـ لا باس .
ـ مئة ؟
ـ بالآلاف .
ـ عظيم .
ـ لا يجب ان يقاتل الاخرون كلهم .
ـ والآخرون ماذا يفعلون ؟
ـ لا شيء ، يكرهون انفسهم ،
ويحبوننا لاننا نموت » .

وفي مسرحية « زهرة من دم » للدكتور سهيل ادريس ، يحيا الكاتب مع احدى وحدات المقاومة الفلسطينية ، يرافق آلامهم الشخصية وقد التحمت بآمالهم العامة في التحرير .. وبين الحلم والواقع يردمون الهوة بكثير كثير من الدم . ولكن يقينا صوفيا يملأ العيون بأنه اذا كانت « المقاومة » هي حياتهم الان ، فلا ريب ان الاجيال القادمة سوف تشهد منظرا مغايرا .. لفلسطين وقد تحررت من الاحتلال الصهيوني .

* * *

في مثل هذه الاعمال وغيرها كثير ، يبرز مشهد الحرب ، وكانه المشهد الوحيد ، سواء كان في الاعداد له والتحضير من اجله ، او بممارسته الفعلية بسواعد المقاومة الفلسطينية ..

والهزيمة في هذه الاعمال « خلفية » في وجدان الكاتب والمشاهد معا ، قد تأتي كديكور بعيد الاضواء والظلال وقد لا تجيء ، ولكنها ماثلة . غير ان « الحرب » ـ هنا ـ ليست مجرد مشهد مسرحي يؤرخ لما يجري من انجازات للمقاومة ، وانما هي رؤيا الكاتب للخلاص . « الحرب ، هذا هو المهم » شعار الاعمال التي ايقنت بحتمية تجاوز الهزيمة ، تجاوزها بالطول والعرض والعمق والارتفاع.. تجاوزها الجغرافي والتاريخي والحضاري ، تجاوزها باختراق الحواجز الخفية والظاهرة . ان « التحرير » في هذه الاعمال ، يكاد يكون ايمانا دينيا بأن لا مستقبل لاسرائيل ، وان العبور من الحاضر الى المستقبل ليس مرهونا بارادة الصهيونية والاستعمار . « المستقبل لنا » . هذا ما تقوله هذه الاعمال التي هيأت الوجدان العربي لما يمكن ان يعتبره البعض هذه الايام من المفاجآت او المعجزات . واهمية هذه الاعمال ، لا تكمن في ان حرب تشرين ، ايا كانت نتائجها ، قد اثبتت صحتها ، وانما تنبع اهميتها في انها لم تكن صدى سلبيا للهزيمة ، اي انها لم تتوقف على شاطىء اليأس رافعة الرايات البيضاء ، وانما هي قدمت حلما قابلا للتحقيق ، حتى ولو لم تؤد حرب تشرين الى كل ما نريده .

ليكن ما حدث ولا زال يحدث ، المهم اننا لسنا قطيعا من النعاج تساق الى الذبح او الى البيع في سوق النخاسة . وانما نحن أمة قد تنهزم ، ولكن الهزيمة ليست قدرا في حياتها .

* * *

ولان فلسطين هي قلب القلب من المشهد الخلفي والامامي ، فلقد كان لادبائها كلمة باهرة .

البلاغ
٢٩ تشرين الاول

الكلمة والفعـل بين المقاتل والسلاح

طلب توفيق الحكيم من وزير الثقافة المصري ان يهيىء له « عملا يدويا » يناسب سنه ويشارك به في معركة الشرف بدلا من صنـاعة الكلمة التي يحترفها والتي لا مكان لها في ساحة القتال . وقال نزار قباني انه كـان يتمنى لو سمع ان كاتبا او شاعرا عربيا قد مات فـي الميدان باحثا عن لقطة شعرية او روائية نادرة . وقدم نزار قائمـة بأسماء الادباء العالميين الذين شاركوا في الحروب فجـاءت كتاباتهم عنها باقية على الزمن ، وهنأ توفيق الحكيم على طلبه قائلا ان الاديب الكبير يريد ان يتجاوز الكلمـة الى الفعل . واضاف ان الابطال الحقيقيين هم الذيـن يغيرون بالسلاح خريطـة الوطن العربي . واتهم الادباء والفنانين العرب انهم لا يعرفون المـوت الا في السينما ، ولا يرون اللون الاحمر الا في معارض الرسم ، وهم « هاربون من الجندية ويتفرجون على المعركة من الطابق العاشر » .

ولو صح رأي توفيق الحكيم واتهـامات نزار قباني ، لكان ذلك معناه الوحيد ان حياتنا كذبة كبيرة ويتعين على جميع المثقفين العرب ان ينتحروا او ينفذ فيهم حكم الاعدام الجماعي بالميادين العامة في القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت وبقية عواصم الوطن العربي . ذلك انه اذا كان ما جرى في جبهات القتال مبتـور الصلة ولا علاقة له بما كتبه وغناه ورسمه الكتاب والفنانون ، فان ذلك يعني ببساطة ان هؤلاء طفيليون على الحياة يثقلون كاهلها بما هي في غنى عنه ، بل لعلهم يعوقون مسيرتها الى اهدافها . ومن ثم يتوجب « طردهم مـن الجمهورية » كما دعا افلاطون .

والقضية ذات شقين ، احـدهما عام يخص الكتابة ذاتها ، قيمتها ودورهـا ، والاخر خاص بنا نحن الذين نمارسها في هذا الجزء من العالم ، في هذه المرحلة من التاريخ .

بالنسبة للشطر الاول ـ ومن الغريب ان يكون توفيق الحكيم هو السبب في اثارته حيث ان فكرته الجوهرية عن الفن كما نطالعهـا في مجموع مؤلفاته تقول بغير ذلك ـ فالخطأ كامن أصلا في تصـوير « الكلمة » كمقابل « للفعل » . اننا في هذا الصدد مضطرون للعودة الى المعلم الاول ـ أرسطو ـ حيث نراه يبني نظرية التراجيديا بكاملها على اساس الفعل كمرادف للحدث الدرامي ، حتـى ان الترجمـات الانكليزية والعربية ، القديمة والحديثة ، تختلف فيما بينها على نقل هذه الكلمة عن اليونانية ، انها تارة تسمي ما يقصده أرسطو « فعلا » وتارة تدعوه « حدثا » . كل ذلك دون ان يختلط على هذه الترجمات الامر بين الفعل او الحدث ، وبين « العمل » .

الفعل او الحدث لا يرادف العمل وان لم يكن نقيضا له ، كذلك الكلمة او الكتابة او الفن ليست نقيضا ولا مقابلا للفعل والعمـل كليهما . الفن قد يشارك في الفعل ، وقد يكون هو بحد ذاته فعـلا كاملا . والكتابة قد تشارك في العمل ، وقد تكون هي بحـد ذاتها عملا كاملا .

كيف كان ذلك ؟ لنتخذ من « الحرب » مثلا . ان القتال فعل مركب ، انه تجسيد بالغ التعقيد لعديـد من الافعال والاعمال ، شاركت في صنعه وأسهمت في صياغته . المقاتل والسلاح والهدف هم الابعاد الثلاثة للحرب . المقاتل ليس جسدا بشريا يخضع لنواميس علم البيولوجيا وحدها . انه بنفس المقدار عقل ووجدان . في موازاة تكوين الجسد عضويا بالغذاء والدواء ، يتكون ايضا العقل والوجدان، الفكر والشعور . ان كيانه العصبي من المراكز الجوهرية في تكوينه والتي لا تقل خطورة ـ عند فعل القتال ـ عن كيانه العضلي . ان حواره مع السلاح ومع العدو ومع فرقته ومع الهدف الذي يحارب مـن اجله ، هو حوار عقلي وشعوري ، حتى في انضباطه وحركـة تقدمه او انسحابه ، انما هو يخضع لداخله بقدر ما يخضع لخارجه . ان موجات رد الفعل الواعية واللاشعورية على السواء ، والتي تحدد نجاحه واخفاقه ، تعتمد اساسا على ذلك التكوين العقلي والنفسي السابق على دخوله الحرب .

من أين يجيء المقاتل بهذا التكوين ؟ بالفطرة ام بالاكتسـاب ؟ بهما معا . الفطرة او الوراثة تمده بالاستعداد او ما ندعوه بالموهبة . الاكتساب او الثقافة تصقله وتربيه بخبرة الحياة وتجارب الآخريـن . أليست « الكلمة » التي تلقاها في البيت والمدرسة والصحيفة والراديو والكتاب هي التي أنشأته على هذا « النسق » دون غيره ؟ الكلمـة السلبية والايجابية على السواء ، هي المسـؤولة عن أحد جانبي المقاتل ، فالجانب العضلي ليس موضوعنا . انها مسؤولة عن تكوين « العقل والشعور » داخله ، وبموجبهمـا تصدر الافعال وردود الافعال الخفية والظاهرة ، الواعية والباطنة . حتى أسـلوبه في تلقي « الاوامر » وتنفيذهـا يتكيف وفقـا لهذا التكوين الثقافي .

والسلاح ؟ هذه « الآلة » التي نراها من الخارج تركيبا ماديـا صناعيا لمجموعة من المعادلات الرياضية ، هل هي كذلك فحسب ؟ أم ان الآلة في التحليل الاخير هي التعبير الصناعي عن « ابداع علمي » أيا كانت هذه الآلة سلاحا ناريا او تلفزيونا ملونا ؟ والابداع العلمي : أليس هو اكتشاف قوانين الطبيعة والمجتمـع بهدف السيطرة عليهـا وتوجيهها أصلا لخدمة الانسان . أوليست عملية الاكتشاف هـذه هي جوهر الثقافة البشرية ؟ والثقافة هنا ليست حكرا للعلم بمعناه الفيزيقي العملي ، وانما هي أوسع من ذلك وأشمل ، فالادب والفلسفة ـ على سبيل المثال ـ قد شاركا في التمهيد لكثير من الكشوف العلمية. وفي القديم لم تكن لتستطيع ان تفصل في كتاب واحد بين العـلم والفلسفة والشعر والتاريخ . وفي العصر الحديث تفرعـت العلـوم الانسانية وتعددت العلوم الطبيعية تفرعا وتعددا مذهلا ، ولكن هـذا لم يمنع التشابك المعقد بينها جميعا .

على أية حال ، فالمقصود هو ان الآلة ليست « قطعة من الحديد » والسلاح ليس قطعة من « الحديد والنار » ، وانما الآلة هي احـدى ثمار العمل الانساني ، هي تعبير اجتماعي وفكري معا . ولا شك ان مبدعيها يتقدمون علينا خطوات عديدة في ميدان الثقافة ، ولكن المقاتل العربي حين يستخدمها فهو يتفاعل معها ، انه بمعنى آخر «يتثقف» . وهي ليست ثقافة عسكرية محضا . انه يتعامل مع تراث فكري متصل، على هيئة مدفع او دبابة او طائرة . و « التدرب » على هذه او تلك لا يمده بمهارة قتالية فقط ، وانما هو يشارك في تغييره من الداخل، تغيير سلوكه وقيمه وأفكاره ، انه يضيف الى تكوينه العقلي والشعوري عناصر جديدة لم تكن فيه ، انه على نحو من الانحاء يسـاهم فـي ولادته الجديدة ، يخلقه من جديد . والمقاتـل العربي ليس صدى سلبيا ساكنا للسلاح الجديد ، فهو بتفاعله مع هذا « الابـداع الانساني » يرتفع الى مستوى المشاركة والعطاء .. انتصاراته عـلى الجبهة تسجل له انه ـ بعد معاناة التفاعل ـ قد أبدع هو الآخر . لم يبدع بدمه وشجاعته وصموده فحسب ، بل ابدع باستيعابه العقلي والوجداني لاحدث منجزات العصر التكنولوجية .

ولو ان الامر كان جسدا بشريا يعامل قطعة من الحديد الصلب، أي لو ان الامر كان « عملا ماديا بحتا » ، لما كان هناك ابداع او ثقافة او .. قتال ! القتال عمل اجتماعي مثلث الاطراف ، أولهما العنصر البشري بوجهيه المادي والمعنوي ، وثانيهما السلاح بنفس الوجهين

ايضا . والطرف الثالث هو هدف القتال . ولست اشك ان احدا يختلف حول ان درجة تحديد الهدف من الحرب ودرجة وضوحها في ذهن ومخيلة المقاتلين ، من أهم عوامل النصر والهزيمة . ولست اشك أيضا ان « الهدف من القتال » لا يجري تحديده ساعة الصفر ، ولا يجري تحديده من قبل القيادتين السياسية والعسكرية وحدهما . وانما يتحدد هذا الهدف ـ في حالتنا مثلا ـ ضمن حركة الصراع الوطني والاجتماعي في بلادنا ، ضد الاستعمار العالمي المعاصر بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، وضد الصهيونية العالمية كايديولوجية عنصرية ، وضد اسرائيل كتجسيد واقعي للحلم الصهيوني يحتل جزءا واسعا من ارضنا ، وضد القوى الاجتماعية المحلية التي ترى في التحرير بوجهيه الوطني والاجتماعي خطرا عليها . هذا هو هدفنا ، هدف المقاتل العربي وهو يحارب . والكلمة العربية هي « الفعل » الرئيسي في هذا الميدان . انها ، بالاضافة الى المشاعر الوطنية والحوافز الاجتماعية الكامنة في نفسية المقاتل ، اداة التوعية الرئيسية بهذا الهدف . وما نلاحظه من تقدم او انتكاس ، من انتصارات وكبوات ، هو تعبير أمين عن « الهدف غير المحدد وغير الواضح تماما » من القتال . هو ايضا تعبير امين عن تباين الثقافات واشكال الوعي التي تصب اخيرا في قنوات « القرار السياسي » . حتى استجابة الجماهير العربية لموجات المد والجزر في ساحة القتال ، ببداية الحرب ووقف اطلاق النار ، هي ثمرة التناقض بين وضوح الهدف لدى البعض وضبابيته لدى البعض الآخر ، ثمرة تطابق القرار السياسي مع القرار العسكري او تناقضهما ، ثمرة تطابق القرارين مع الهدف او تناقضهما ، وهكذا .

المقاتل والسلاح والهدف ، هو ثالوث الحرب . والكلمة ـ كما أوضحنا ـ تقوم بفعل رئيسي في تكوين كل عنصر على حدة من هذه العناصر الثلاثة ، ثم هي تقوم بفعل رئيسي في « حركة الحرب » كعمل اجتماعي تتفاعل خلاله هذه العناصر مجتمعة سلبا وايجابا .

الكلمة ليست نقيضا للفعل ، ولا مقابلا له ، انها قد تكون « فعلا » وقد لا تكون . كذلك الحياة او الموت بكل ما يتخللهما من « حوادث » ، بعضها يصلح لان يكون « فعلا » وبعضها لا يصلح ، لان الحادثة غير الحدث . وكذلك العمل ، ليس هو العمل اليدوي وحده . كان ذلك مرحلة في التاريخ من مراحل تعريف العمل . اما الآن فالعالم في معمله ، والعامل في مصنعه ، والكاتب ، فيلسوفا وشاعرا ، والفنان ، مصورا وموسيقيا ، جميعا يشاركون في « فعل » التاريخ .

لذلك لست اظن ان توفيق الحكيم كان جادا حين طلب من وزير الثقافة المصري ان يبحث له عن « عمل يدوي » ، انها احدى مداعبات الكاتب الكبير او هي على أحسن تقدير انفعال طارىء بما يجري في ساحات القتال ، انفعالا أنساه ان جانبا من هذا الذي يجري قد شارك قلمه في صنعه .. فلكل « فعل » زمانه ومكانه ، لكل منا موقعه ، والمقاتل لحظة الحرب انما يختتم ويبدأ سباقا طويلا متصلا ، كانت « الكلمة » ولا زالت وستظل من عناصره الجوهرية الفاعلة .

اما نزار قباني فقد انضم الى قافلة الذين راحوا غداة الحرب يرجمون ذواتهم والآخرين بحجارة « الاحساس بالذنب » حينا ، وحجارة الآلهة المتربعة على عروش الحكم بالاعدام حينا آخر .

وهو موقف غريب بحق . ذلك ان الموقف الراهن ابعد ما يكون احتياجا لتعذيب النفس أو ادانة الآخرين . وكلمات هؤلاء هي البعيدة عن « الفعل » ، ولكن ليس من حقهم تعميم حالتهم الخاصة على الكلمة عموما . اننا أحوج ما نكون الآن الى الكلمة ـ الفعل ، لا الى النقد الذاتي ولا الى منصة الاتهام . ذلك اننا جميعا سنحاسب ـ شئنا او لم نشأ ـ على كل حرف نخطه ، ولن يكون احدنا قاضيا. فلنترك ردود الفعل السلبية ـ بالبكاء او السباب ـ ولنتجه مباشرة الى الافعال الايجابية . اننا امام عدو بالغ الذكاء والدهاء ، يجند جيشه العامل من الكتاب والفنانين ويستنفر قواته الاحتياطية من مثقفيه المنتشرين فيجميع انحاء العالم ، يقاتلنا ـ بالكلمة يا سادة ! ـ قتالا ضاريا على مختلف الجبهات الفكرية والفنية . هذا العدو هو الذي يحتاج منا الى تكريس كل حرف لمواجهته ونضاله ، في عقر داره ، وداخل دارنا للاسف ، وخارج ديارنا باتساع الكرة الارضية. هذه هي مسؤوليتنا العاجلة والملحة ، وأي اعتذار عنها بالسهو او بالخطأ ، بتأنيب النفس او بتجريح الآخرين ، هو هروب حقيقي من الميدان ، والهروب الاكبر ـ طبعا ـ هو القول بأن الميدان الوحيد الآن هو ساحة القتال بالحديد والنار لا بالكلمة .

وليست هذه حالنا ، ولم تكن على الاطلاق في الماضي . ان مشاركة الكتاب والفنانين العرب في معارك الحرية لا تحتاج الى شواهد . وهم الذين كانوا اكثر من غيرهم عرضة للاضطهاد والقهر داخل اوطانهم وفي سجون العدو على السواء . اننا لم ننس بعد دماء مولود فرعون وغسان كنفاني وكمال ناصر ، فهي لم تجف بعد . وعلامات التعذيب على ظهور شعرائنا وكتابنا ، الذين دخلوا المعتقلات بالمئات ، لا زالت باقية . وحرام ان تطل علينا « عقدة الخواجة » في هذا الصدد ، لان شهداء الكلمة في بلادنا ليسوا أقل بطولة او شجاعة من شهداء الكلمة في بقية انحاء الدنيا .

ومقاومة النازي في فرنسا والاتحاد السوفياتي وغيرهما ، لها نظائر مشعة بالنور في حياتنا العربية المظلمة . ولسنا نبالغ في حجم تضحياتنا ، ولكننا لا ينبغي ان نستهين بهذه التضحيات ، وننسى الكلمات التي رثينا بها هذا او ذاك من الذين ماتوا ، والكلمات التي ساندها بها الذين تشردوا وجاءوا وعذبوا حتى حافة الموت .

ان تاريخنا الادبي لم يطل على المعارك من الطابق العاشر ، ولم يهرب من الجندية ، وانما هو قد ضم بين صفحاته العديد من آيات الصمود جنبا الى جنب مع وقائع الاستسلام ، وهو في ذلك ايضا ، لا يختلف عن التاريخ الادبي في العالم . لقد بدأ شتاينبك مناضلا جسورا وانتهى يغني لاميركا حربها ضد فيتنام ! وهمنغواي العظيم لم يمت في ساحة الحروب التي كتب عنها ، وانما هو قد انتحر ! ومالرو الذي شارك بنفسه في أنبل المعارك وأشرفها وكتب عنها الروائع هو وزير الثقافة الذي اتخذ موقفا مناوئا لثورة الطلبة عام ١٩٦٨ . انني بهذه الامثلة لا أنتقص مطلقا ـ ولا يحق لي ـ من عظمة هؤلاء العمالقة ، ولا أبرر بخطاياهم خطايانا ، ولا أنسى الى جانبهم دماء لوركا وكودويل ونيرودا .

ولكنني أقول انها ليست موهبة اوروبية او اميركية انهم هناك يستشهدون من اجل الكلمة ، انها موهبة الكاتب والفنان المناضل في كل زمان ومكان . والوطن العربي ليس مستثنى بالا ، من هذه الموهبة الانسانية . بيننا المناضلون ، وبيننا المتعبون .

ونزار قباني نفسه ، لم يهرب من الجندية ولم يتفرج عليها من الطابق العاشر ، انه منذ الهزيمة الى الحرب ، حاول بقدر ما يستطيع وبقدر ما أتيح له من الضوء ان يرى ، وان يفهم ، وان يتكلم .

وعلينا ، قبل غيرنا ، ان نلبي نداء الساعة : لنواصل القتال .

البلاغ
٥ تشرين الثاني

فريدة النقاش

الوعد .. والوفاء

نحن الآن مدينون لابنائنا واخوتنا على جبهة القتال . ولشجاعة القيادة التي بدأت القتال ، واذا كان الجيش والشعب قد اجتازا معا فجوة الثقة التي ولدها سكون الجبهة ، فجوة الثقة بالنفس وتلك استردها بفخار ، وفجوة الثقة بالحليف والصديق وتلك عبرهـا المسار التحرري الاصيل لثورة يوليو ، وفجوة الثقة في السلاح وتلك عبرتها ممارسة الجندي المصري الذي سوف يترك كما ترك الفيتنامي من قبل بصمات لا تمحى على وجه العصر الذي نعيشه ، وفجوة الثقة في الجماهير التي بدت من قبل خاملة لا مبالية وخالية من اية هموم عامة ..

ومع الطلقة الاولى وارتفاع العلم على سيناء وسقوط اول شهيد على رمالها انبثقت طاقات لا حدود لغناها وانتظمت في صفوف الحرب على الجبهتين .

ويخطىء من يتصور ان الجندي والقائد المصري قد اجتاز كل هذه الفجوات وحيدا او بمحض الصدفة ومن باب الحيلة ، فارادة الانسان وحكمته وصلابته لا تنمو ذاتيا فحسب رغم الطاقات الهائلة فيه وانما تولد من قلب الصراع اليومي مع الواقع واكتشافنا المتصل له وللحلقات التي تنسجه وتصله ، فالارادة الصلبة والعمل العظيم لا يأتيان من الغيب او من وحي الخرافة والاساطير ، ولا ينبعث فجاة من القوة الخارقة لفرد عظيم ، فالفرد وعظمته هو في النهاية من صنع الامة وعظمتها كما اكد الرئيس المناضل انور السادات في خطابه في ٢٨ سبتمبر .

نصل من ذلك الى ان هذه المواجهة الشجاعة جاءت تجسيدا حيا وشريفا للاتجاه الذي ظل نبض الوطن والقوى الوطنية يدق فيه خلال السنوات الماضية ، وكانت دقاته عالية تطالب بالاعداد للحرب وحشد كافة الطاقات ليوم التحرير .

وكان منطلق جميع القوى الوطنية هو العدو الاسرائيلي حليف الامبريالية العالمية وصنيعتها لا يهدد فحسب اراضينا واستقلالنا الوطني ، وانما يهدد كذلك مكتسباتنا السياسية والاجتماعية ، تلك المكتسبات التي يدافع عنها الان كما ندافع عن الارض تدفعنا الى ذلك تضحيات ابناء الشعب العامل على جبهة القتال ، والشعب العامل نفسه في كل مواقع الانتاج والذي يتحمل ببسالة وصبر كل تبعات المعركة .

نحن اذن مدينون للشهداء والمقاتلين بوطن اجمل ، خال من الاستغلال ، بقرى مضاءة عن آخرها ، وأطفال ـ هم أطفالهم ـ لا يشكون سوء التغذية بترع لا تفرز البلهارسيا ، واراض مزروعة ، وفلاحين يقرأون ، وماكينات تدور ومصانع جديدة تنشأ وجامعات فنون وثقافة نابعة منهم ولهم .

لنقول لهم انكم ـ يا ابناءنا ـ تورثون الارض التي حررتموها لاجيال اكثر سعادة ، فذلك هو الامان والسلام المنشود ليوم التحرير وما بعد التحرير .

الجمهورية
٢٢ تشرين الاول

محمد صدقي

ولدي أشرف

عيون المارة في الميدان وهم يعبرون الطريق باندهاش جعلتني ألتقط وقفته رغم الزحام ، وقطرات العسل الشرقاوي تروي حبة قلبـي ..

ورغم ان حرف الباء .. وحرف الواو .. وأنا أراه من ظهره كانا محتجبين بمساحة امتداد كتفيه .. الا ان اللوحة الكرتونية المستطيلة المعلقة بخيط في عنقه تتوسط صدره بمساحة كبيرة من جاكتته العسكرية بالنسرين على كتفيه كانت تكشف اطرافها بوضوح عن حرفي العين .. والواو ـ المكتوبين بمادة الميكروكروم في خط طفولي واضح .. والمارة من حوله على ارصفة الميدان متجمدة مكانها ، او سائرة ، ترقب وقفته تحت مظلة جندي الشرطة الواقف الى جواره زنهارا يبتسمون في احترام الاعتزاز .

كنت قد استدرت مع الميدان ارقب الصورة بين زحام الواقفين يبتسمون للرائد الصغير قائد العبور حتى واجهته ..

تأملت سمت وقفته العسكرية .. وجهه الابيض .. نظرات عينيه السوداوين الجادتين .. وحروف كلمة « قف نظام » الحمراء على اللوحة واضحة معلقة على صدره ..

أرتال السيارات العسكرية ، والتاكسيات ، والخصوصية القادمة من طريق ترعة السويس واقفة في صفين منتظمين ، وركاب السيارات العابرة عكسيا باشارات أيديهم تلوح من النوافذ بالتحية لحركة الذراع اليمنى الافقية للرائد الصغير طفل العاشرة ممتدة مستقيمة ، مضمومة الاصابع كالمسطرة ، تأذن باستمرار العبور ، ويسراه رأسيا واقفة كالسيف .. كانتا مع الوقفة الجادة قد جعلتا أغلب المارة على الارصفة يعبرون بأدب الابتسام ، وشبكة من دموع الفرح تعشش على عينيّ .. أتمنى لو كان هذا هو ولدي أشرف ..

أشرف ابني يدخل الثانية من عمره ، لا يستطيع ارتداء بدلة رائد مثل ذلك الطفل .. الطفل .

ولمحت عيناي شبه العاشيتين بالدموع بين اشارات العابرين الرصيف وفي سياراتهم يلوحون بالتحية سيدة صغيرة نحيلة قصيرة.. سندريلا .. في بلوزتها البيضاء وجيب اسود .. بضفيرتين سوداوين حول وجهها الابيض تبتسم لطفلها في يدها تدير وجهه باصابع يسراها النحيلة هامسة :

ـ سوسو .. اعمل لصاحبك ده تعظيم سلام .

سوسو .. كان في الرابعة من عمره .. في بدلة عيد ضباطي هو الآخر .. وقد امتثل لرجاء أمه ، وقف زنهارا ، كضابط كبير ، رفع يده بالتحية العسكرية مبتسما ..

ومشيت ..

اخذت طريقي الى عملي منتصب القامة .. سعيدا كأنما لا امشي .. بل اكاد اطير في الهواء ، مندى العينين ، احدث نفسي : أشرف .. أشرف ولدي ، أشرف حين يكبر ، حين يكبر !

الجمهورية
٢٨ تشرين الاول

محمد عبدالجبـــار

المعجزة

أعرفه معرفتي للدمعة في قلبي .. للامل الصامت في العينين ..
شيخا .. كان وحيدا في (القنطرة) .. قعيدا ..
يحمله مقعده المتحرك .. مثل النهر اذا ما حمـــل الزهر الميت .. مصفودا
كان سجينا في قيدين .. قيد الارض الثكلى .. وجمود الساقين

في اليوم العاشر من رمضان ..
حين انتفضت في الساعات الست
كل السنوات الست لهيبا زمنيا منفجرا ..
حدثت معجزة كبرى ..
حين جعلنا الشمس لنا جسرا .. وعبرنـــاه الى الشطآن الاخرى ..
راح الشيخ يصلي .. والدمع على الاجفان يخــــر ركوعا وسجودا ..
فعسى .. وهو المفلوج .. يلامس وجه الارض بدمع العيـــن ..
راح يتمتم : لو اني حطب مهجور ..
.. لسجدت على عتباتك .. يا سيناء ..
: أطلب من محرقة الشمس .. زكاة زكاة النار
: لو أني فأس ألقاها الفلاح بعيدا
لهتفت به : اصنع مني ما يقتل اعدائـــي .. أو .. حطمني .
: يا ربي .. وطني يتحرر من قيــــد الظلمات .. فحررني .
لو اني منديل من زيتون أشيب ..
: للثمت يدا للراعي الطيب ..
: قبلت على كفيه تراب الارض .. وتوبات الاحجار .

* * *

حدثت معجزة للشيخ العاني .. خرج من الجب على اجنحة النور .
: شكرا يا ربي .. قلبي مصباح لبلادي .. يسهر في كل الدور ..
وتغنت فوق البارود عصافير بلادي ، لن يتجزأ ابدا جسد الوادي .

القاهـرة — محمد الجبار

جريدة « الجمهورية »

حســن توفيــق

اغنية الى الرجال ..

مبارك وتوقكم بالنفس والوطن
مبارك نضالكم .. مبارك اقدامكم على اقتحام النار
لتركلوا المحن
وتهدموا الاسوار
مبارك تكبيركم من بعد أن طال السكوت
وارتعشت اصواتنا وانبهمت كأنها قد أصبحت مرايا
تعكس ما تنقشه اعماقنا من قصص تعرفها كل البيوت
ابطالها الضحايا

* * *

انطلقوا عاصفة تقتلع الذلة والهوان من نفوسنا
تزيح طين النكسة الكالح عن رؤوسنا
اذ تنزع القيود
من قدمي سيناء
وتكنس الوهم الذي كم حاول اليهود
أن يغرسوه دائما ليقلب الميزان والاشياء والاسماء
انطلقوا عاصفة تهزأ بالسدود
تقول في انطلاقها : أين هم الاعداء ؟!

* * *

انطلقوا الى الامام
لاننا نرفض أن تلتفتوا الى الوراء
فنحن من ورائكم ، قلوبنا تعضدكم مهما تكاثف الظلام
واحترفت عيون بعضنا الرجوع للبكاء
لا تسندوا آمالكم على جذوع المعجزات والرؤى البهيه
فكل شعب خاض ـ في زماننا ـ معاركه
لم ينتظر رجاله ان تهبط الملائكه
مهلكة أعداءهم بنارها الخفيه

* * *

مصر التي كم القمتكم ثديها وباركتكم روحها الابيه
مصر التي كم صبرت وصابرت تسألكم أن تدفعوا غول الظلام
عن صدرها الشرقي حتى يقبل النهار بالاغنية النديه
مصر التي كم سهرت في صمتها وحزنها لن تصبح الضحيه
لن تقبل اليوم السلام
الا اذا تحررت سيناء من أعدائها .. والمدن القصيه
عادت الى أصحابها .. فانطلقوا الى الامام
تلك هي القضيه

حسن توفيق — الجمهورية ـ ٢٧ تشرين الاول

سوريا

نزار قباني

الكلمة للمعركة

في السادس من اكتوبر (تشرين الاول) بدأ تاريخنا الحقيقي. الحرب هذه هي ولادتنا ، والحل الاول والاخير لقضيتنا .

ولا يتوقع الانسان من الحرب هذه سوى البعث والميلاد ، وامامها يبدو كل شيء هامشيا : الكتابة ، القصائد ، وحتى الفكر . لا وجود هنا للحوار ، لا بالنسبة الى المثقفين ولا بالنسبة الى الانتلجنسيا . لا قيمة لهذا كله ، لان المعركة هذه هي معركة حياة او موت . انها المفتاح الى خلودنا ، وكل طرفات الماضي كانت طرقات وهمية ضبابية .

في السادس من تشرين الاول (اكتوبر) بدأنا نكتشف طريق وجودنا الحقيقي . وبين الحياة والموت خطر وهمي دقيق ، اذا لم نتجاوزه وندخل في لعبة الموت ، لن نعرف الحياة . وموتنا سيفجر المواسم الجديدة وسنكون طائر الفينيق الذي يحترق ومن رماده تطلع الحياة .

ان هذه هي معركة العرب جميعهم ، واي قطر يتخلف او يهرب يسلم روحه للشيطان . فلا بد لكل انسان عربي أن يدرك ولا بد لكل دولة عربية ان تدرك ان لا وجود للحياد ههنا ولا مكان للمتفرجين على القاتلين . فالجيشان السوري والمصري يدافعان عن شرفنا وعن تاريخنا ، عن بيوتنا وعن نسائنا وعن اطفالنا . اننا امام محك صعب وكل موقف انهزامي سيحاسب عليه التاريخ .

النهار
١٤ تشرين الاول

دعوة عاجلة)) لاحتياطي ((الادب

عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصبح الة الادب في مرتبة ثانوية . وليس هذا انتقاصا من منزلة الادب ، بقدر ما هو محاولة لتقييم الاشياء بحسب مردودها ونتائجها المباشرة .

ان العمل الادبي بطبيعته يحتاج الى حد ادنى من الصبر والنضج والتخمر ، بينما لا تحتاج الرصاصة الا للمسة اصبع لتنطلق من ماسورتها .

ومن هنا يتضح ان منطق المسدس هو غير منطق القصيدة .

ان عبور قناة السويس مثلا ، كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن وهو في الحروب المعاصرة يحسب بالثواني ، في حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق اشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطوري .

على ان هذا لا يعفي الاديب من مهمة اتخاذ موقعه في صفوف الشعب ، حيث يمكن لكلماته ان تشارك في تعبئة القوى النفسية ، ورفع معنويات الجماهير ، وزرع بذور البطولة والامل في وجدان الشعب .

ان الخطوط الخلفية للمعركة تمتد بالعمق في كل ترابات الوطن العربي .

وعلى هذا المسرح العربي الواسع يستطيع الكاتب ان يلعب دوره ويؤدي ((خدمته العسكرية)) .

واذا كانت الدول العربية قداستنفرت جيوشها،ودعت احتياطييها خلال ٤٨ ساعة ، فان على ((ضباط الادب)) العربي واحتياطييه وقدماء محاربيه ، ان يتجمعوا هم ايضا خلال ٤٨ ساعة ومعهم اوراقهم الثبوتية وأقلامهم .. ووطنيتهم .

اما مكان الاجتماع فيمكن ان يكون في أي مكان : في الشوارع.. في الازقة .. في الساحات العامة .. في الجامعات .. في المدارس .. في مكاتب الصحف اليومية .. في حقول المجلات الاسبوعية .. في الجوامع .. في الكنائس .. على ظهور الاوتوبيسات .. على أغصان الشجر .. على أعمدة النور ..

أيها الادباء العرب :
كل القطارات مسافرة الى الجبهة ..
كل القطارات مسافرة الى المجد ..
فتجمعوا بسرعة ..
لانكم اذا لم تكتبوا اليوم ، فلن تكتبوا أبدا ..

الانوار
١٦ تشرين الاول

يموتون عن العرب بالوكالة

ربع مليون جندي مصري ، كسروا قمقم الصبر أخيراً ، وقفزوا الى الضفة الشرقية لقنال السويس ، لكي يستردوا للامة العربية شرفها الضائع ..

ومئة ألف جندي سوري ، ينهمرون كالبرق على مرتفعات الجولان ليضيئوا من جديد تاريخنا الغارق في العتمة ..

جيشان عربيان شجاعان ، احتضنا بصدرهما مسؤولية التحرير ، واتخذا قراراً بالحرب ، ودخلاها بالنيابة عن بقية العرب ، وبالوكالة عنهم ...

لكن الحرب ليست وكالة بالبيع ، او بالشراء ، او بالموت ، ينوب بها الوكيل عن الاصيل .. ولا هي (كمبيالة) قابلة للتجيير من يد الى يد ..

فالقضية الفلسطينية ليست ميراث مصر وسورية فقط . و (كمبيالة) فلسطين ليست دينا عليهما وحدهما ... وانما هي دين مستحق على الدول العربية جميعا ، بصرف النظر عن قربها او بعدها ، او موقعها الجغرافي .

ذلك ان الجغرافيا - كما تفهمها اسرائيل - لا يكتبها مدرسو الجغرافيا في مدارسها ، وانما يكتبها قادتها العسكريون ، وجنرالاتها العنصريون . وقد كان الجنرال دافيد اليعازار رئيس الاركان الاسرائيلي واضحا جدا في التعبير عن طموحه الجغرافي حين قال : (ان يد اسرائيل قادرة على الوصول الى أي مكان تشاؤه في البلاد العربية) .

ومثل هذا الكلام بالطبع ، يجعل دول المواجهة ودول عدم المواجهة سواسية امام كرباج دافيد اليعازار الطويل الذي يرفعه في وجوه العرب ، كل العرب ، بمناسبة وبغير مناسبة ...

نحن جميعا ، في تصور قادة اسرائيل ، كأسنان المشط ... وحلم العسكرية الاسرائيلية هو ان تكسر أسنان المشط الواحد بعد الآخر .. وتقيم أعمدة مملكة (يهوه) على أنقاض المشط العربي المكسور ...

ان هذه الحرب مختلفة .. مختلفة .. مختلفة .

وهي لن تقرر مصير شبه الجزيرة العربية فحسب ، ولكنها ستقرر مصير (النوع العربي) كله .. فاما ان نربح الجولة ونبقى .. واما ان نخسرها فنندثر ..

لقد فتح المصريون والسوريون امامنا الضوء الاخضر ، وصححوا صورة المقاتل العربي في ذهن العالم ، وثقبوا (بالون) الغرور الاسرائيلي ، واستطاعوا خلال الساعات الاولى من المعركة ان يجرحوا الذئب ، ويقتلعوا بعض اسنانه ..

فعلى الذين لا يزالون في مقاصير المتفرجين ان يشتركوا في مطاردة الذئب .. قبل ان يرتد عليهم .. ويأكل زوجاتهم وأطفالهم ، ويحول بناتهم الى سبايا .

وعلى الذين ينتظرون في المحطة وصول قطار النصر اليهم ، ان يتعلقوا بالقطار المتجه الى الجبهتين المصرية والسورية ... لانهم اذا لم يفعلوا ذلك .. فسوف يبقون حفاة عراة .. على ارض التاريخ .

انني أنادي ، بكل محبة ، اسنان المشط العربي ان تتلاصق وتتساند ، وتشد ازر بعضها ..

انني أنادي بقية اسنان المشط ، الطويلة والقصيرة ، الغنية والفقيرة ، الكبيرة والصغيرة ، المسالمة والمتوحشة ، ان تخرج من (علبة التواليت) .. وتلعب لعبة الموت والحياة الى جانب مصر وسورية ..

انني انوسل اليها أن تتخلى ، ولو مرة واحدة ، عن (فن التشريفات) والمجاملات ... و (سؤال الخاطر) .. لاننا عرفنا هذه البضاعة الشعرية ، والترمزية ، والسوريالية ، في حزيران ١٩٦٧ .. ولا نريد ان نعرفها مرة اخرى ..

ان الزمن بين الانتصار والهزيمة ضيق جدا ... وان الحرب المعاصرة لا تحتمل الاستخارة ، والتنجيم ، وضرب المندل ، ولا تربح بالتمنيات الطيبة وحدها ...

ان يد مصر وسورية في النار ... وهما بالتأكيد ليستا بحاجة الى من يرميهما بقصيدة .. أو بوردة .

لكنهما بحاجة الى شركاء حقيقيين - لا اسميين - يتناوبون معهما حراسة هذا الوطن ، والدفاع عن كل بواباته ...

انني أشعر ان حرب السادس من اكتوبر هي لحظة ولادتنا الحقيقية .. التي أشعرتنا اننا لا نزال قادرين على الاخصاب والانجاب ...

والمطلوب من أعمام هذا الطفل الجميل ، والنادر الذي جاءنا بعد ست سنوات من العقم ..

المطلوب منهم جميعا ان يغطوه جيدا بعباءاتهم ... ويقفوا بكامل سلاحهم حول سريره .

لان الشتاء لا يزال في أوله ..

وأصوات الذئاب لا تزال تعوي في الخارج .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

وجهي .. وجواز سفري

أسحب جواز سفري العربي من جارور مكتبي .. والثمه ..

أتأمل جلده ، والعقاب الذهبي المرسوم عليه ، وتأشيرات الدخول والخروج ، وملاحظات القنصليات الاجنبية (مواطن عربي - للمرور دون توقف) ..

على الصفحة الثالثة ، أرى صورتي للمرة الاولى ..

أرى قسماتي الحقيقية ، وأتأكد من لون عينيّ ، واستطالة انفي ، واستدارة فمي ..

قبل السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، كانت صورتي مشوشة ، وغائمة ، وقبيحة ...

كانت عيناي مغارتين تعشش فيهما الوطاويط والعناكب ، وكان فمي خليجا مليئا بحطام المراكب الغارقة .. وكانت علامتي الفارقة المسجلة في جواز السفر هي انني أحمل على جبيني ندبة عميقة اسمها ٥ حزيران .

اما عمري في جواز سفري القديم .. فقد كان مشطوبا .. لان العالم كان يعتبرني بلا عمر ..

واليوم (٦ اكتوبر ١٩٧٣) يبدأ عمري ..

اليوم فقط .. ذهبت الى مديرية الاحوال المدنية ، وأريتهم صك ولادتي التي حدثت في مستشفى عسكري نقال .. يتحرك مع المقاتلين في سيناء والجولان .. فاعتبروني طفلا شرعيا ، وسجلوني في دفتر مواليد الوطن ..

لا تستغربوا كلامي ، فانا ولدت تحت الطوافات ، والجسور العائمة التي علقها مهندسو الجيش المصري على كتف الضفة الشرقية، وخرجت من اسنان المجنزرات السورية التي كانت تقرقش الصخور

في مرتفعات الجولان .
أعترف لكم ان ولادتي كانت صعبة ..
لقد خرجت من تحت الجنازير .. ومن رحم حاملات الجنود ، ومواسير المدافع ، حتى ان الاطبـــاء حين رأوني في اليوم الاول لولادتي أركض على رمال سيناء ، وصخور جبل الشيخ .. قالوا انني معجزة طبية ..
والواقع انني لست معجزة طبية ..
ولكن الاطباء الاجانب لا يعترفون الا بالولادات التي تحدث فـي غرف الدرجة الاولى في مستشفيات الولادة ..
اما الولادات التي تحدث في غرف المقهورين ، والمسحوقيـــن ، والمعذبين في الارض ، والجائعين الى الخبز والحرية .. فهم لــم يقرأوا عنها في مراجعهم الطبية ..
انهم لا يعرفون ان للحزن رحما تفرز ملايين البويضات ، وتخرج ملايين المقاتلين ..
وأنا كنت واحدا من هؤلاء الذين خرجوا من رحم الفجيعـــة والغضب ..
وكانت ولادتي مخالفة لمنطق كل الدكاترة .. وكل المتخصصيـن بالامراض النسائية ، والامراض النفسية ، والامراض القومية ..
انني آسف لانني خيبت رأي الاطباء ..
وآسف لانني مددت لساني لحسابات الكومبيوتر التـي كـانت تؤكد ان ولادتي لن تحدث قبل عشرين سنة ..
وآسف لان الطائرات الاسرائيلية لم تستطع ان تنسف سرير أمي وهي في ساعة المخاض .. كما فعلت في حربها الماضيـــة في حزيران عام ١٩٦٧ ..

●

لا تؤاخذوني اذا ولدت في يوم الغفران ..
ولكن الامر ليس بيدي ..
فمشكلتي انني أصبحت اكبر من رحم الصبر الذي يحملني ..
وان مكوثي ست سنوات في قبو الذل والانكسار والفجيعة ..
لم يستطع ان يلغي ذاكرتي ..
انهم حقنوا جسد أمي ـ الارض بأنواع ابر الاجهاض .. أعطوها حبوبا لمنع الحمل ، وقفوا على ظهرها ، داســـــوا على بطنها .. ركلوها .. دحرجوها من أعلى السلالم .. رموها مـــن الطـــابق العاشر ..
ولكن بطن أمي بقي سميكا كقشرة الكرة الارضية .. ومتموجـــا كبحيرة ملأى بالاسماك ..
ونجت أمي من كل محاولات الاجهاض ..
ونجوت أنا ..
وها أنذا أسبح في مياه قنـــــال السويس كسمكة القرش ، وأقطع بأسناني لحم الجنود الاسرائيليين في الجولان ..
فلا تؤاخذوني اذا أكلت لحما في يوم الصوم الكبير ..
ان سمك القرش لا يصوم ...

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

دمشق ... تتزوج

حفلة ألعاب نارية في سماء دمشق ..
حفلة زفاف حقيقية ..
ومدينتي هي العروس ..
منذ حزيران ١٩٦٧ ، قررت دمشق ان لا تتزوج الا عـــلى طريقتها الخاصة ..
رفضت كل الرجال الذين تقدموا اليها ..
ورفضت كل الوسطاء ، وكل سماسرة الزواج ..
ورفضت كل المهور ..

●

كانت تنتظر فارسا طـــويل القامة ، عربي العينين ، عريض المنكبين ..
يحمل بارودته على كتفه ..
ويجلس على قمة (جبل الشيخ) ..
انتظرته ست سنوات ..
وراسلته ست سنوات ..
واحتفظت بصورته في طيات ثيابها ، وبين اوراق دفـــاترها المدرسية ..
ست سنوات ..

●

أخذوها الى الاطباء النفسانيين ..
فقرروا انها عاشقة حتى نخاع عظمها ..
صوروها بالاشعة ..
فوجدوا فارس (جبل الشيخ) متمددا مع بارودته بيـن الرئـة والقلب ..
أخذوها لعند فاطمة التي تقرأ الحظ في فناجين القهوة ،
فصرخت فاطمة حين رأت رجلا مسلحا يتسلق على جـــدار الفنجـان ..
نصحوها بالسفر الى سويسرا ، والكوت دازور ، وبحيـــرة غومو ، وجزر الكناري .. والاستحمام بمياه فيشي المعدنية ..
ولكنها ظلت تحمل فارس (جبل الشيخ) في حقــائبها وتحت ضفائرها ..

●

اقترحوا عليها استئجار شاليه في بيروت ..
حيث البحر ساكن كالزيت ..
والرمال محايدة ..
والاصداف محايدة ..
والاسماك مطمئنة على مستقبلها ، ومستقبل اولادها ..
والشمس ، امرأة اجنبية ، تدلك جسمها بالكريم .. عـــلى تراس فندق السان جورج ..
نصحوها ـ كي تنسى حبها القديم ـ ان تتمشى على أرصفـــة شارع الحمراء .. وتتفرج على مجموعة أزياء الخريف ..
أعطوها شيكا مفتوحا لتشتري كل ما تشتهيه من حقــــائب ، واحذية ، ومعاطف ، وقبعات .. وأدوات زينة ..
دعوها الى المسارح ، والى سباق الخيل ، والى الكازينو ..
دعوها الى أقبية الستيريو .. والى مسابقات ملكات الجمال ..
ومعارض الكلاب والازهار ..
فاعتذرت بأنها لا تشرب ، ولا تدخن ، ولا ترقص ، ولا تلعـب البريـدج ..

وأخبرتهم انها مخطوبة لمقاتل في (جبل الشيخ) لا يسمح لها بارتداء الميكروجوب ..

●

سماء دمشق الزرقاء مثقوبة بآلاف الصواريخ ..
وأطفال دمشق اكتشفوا لعبة جديدة ..
انهم يجمعون أجنحة الطائرات الاسرائيلية المتساقطة فوق سماء مدينتهم ، كما يجمعون الطوابع التذكارية النادرة ..
أطفال دمشق : يتخانقون على نجمة داود ..
يصيح كبيرهم : هذه النجمة لي .. لانها سقطت امام بيتنا ..
لكن النجمه التي ستسقط بعدها هي لك ..
وهكذا .. تتساقط نجوم داود ..
حتى لم يبق طفل دمشقي ، الا ويحتفظ في خزانة العابه بواحدة منها ..

●

في السادس من شهر تشرين الاول ١٩٧٣ ..
تزوجت دمشق حبيبها الذي كان ينتظرها على قمة جبل الشيخ ..
تزوجته بالعنف ..
ونامت ، بعد ست سنوات من الانتظار ،
بين ذراعي حبيبها ...

الاسبوع العربي
٢٩ تشرين الاول

يتفرجون على المعركة ..

كتبت رينه فرنكودس ما يلي :

في سؤال طرحته على الشاعر نزار قباني عن مدى استعداده للقيام بجولات في الدول الاوروبية ، يقدم فيها محاضرات ويلقي قصائد ويناقش في مختلف الشؤون العربية ، بالاضافة الى جمع التبرعات للمعركة ، أبدى الشاعر كامل استعداده للقيام بهذه الخطوة على ان يسبق ذلك تخطيط مدروس على صعيد الدول العربية كلها وسفاراتها في الخارج وان يلقى الدعم والمساندة من الهيئات العربية المتواجدة هناك حتى لا تأتي هذه الخطوة ضعيفة وفردية ، ويمكن بسهولة لبعض العناصر أو المؤسسات الصهيونية ضربها أو القضاء عليها .

هذا ما أبداه نزار قباني ، وطبعا هناك غير نزار من الشعراء والادباء والفنانين الذين يملكون نفس الاستعدادات ، فهل تقوم او تؤلف لجنة او جمعية او تجمع يعمل على درس هذه الخطوات وتنسيقها والاعداد لها في العواصم والبلدان الغربية ؟ وبهذا لا يكتفي بعض الادباء والفنانين والكاتبات والصحافيات بجمع التبرعات بواسطة الدفاتر الخاصة بالمجهود الحربي . هل هناك من فكر جديا وفعليا بالخروج من الفترينات الزجاجية ؟

الصدق دائما يصل

□ كان شعرك بعد الهزيمة تجريحا عنيفا للتخلف العربي ، فكيف تفسر انه بعد سنوات قليلة استطاع انساننا ان يعبر القناة ويصعد الجولان ؟

ــ كتابتي عن هزيمة ١٩٦٧ وكل الكتابات التي انطلقت من الصدق والموضوعية ومراجعة النفس ، هي التي أوصلت الى نصر ١٩٧٣ . الصدق دائما يصل ، وبالتالي فان الصراخ في وجه الخرافة ، هو الذي جعل العبور الى الضفة الشرقية ، والى مرتفعات الجولان ممكنا ...

انني لا أعتذر لاحد عن كتابات ١٩٦٧ ، لانني أعتبرها عاملا من عوامل التحريض ، ودعوة للانقضاض على كل الموروثات الجاهلية التي كانت تسيطر على العقل والسلوك العربيين في تلك الحقبة ، ان اقصر طريق للخروج من مغارة أهل الكهف ، هي قتل اهل الكهف .. وافضل وسيله زراعية للتخلص من الحشرات التي كانت تمتص دم الامة العربية ، هي احراقها بالنفط ..

ان اللجوء الى العنف الادبي ، في رأيي ، هو مثل اللجوء الى العنف العسكري ، يصبح مشروعا حين يصبح الاصلاح بالادوية المسكنة مطلبا مستحيلا . وممارسة العنف الادبي ، على الوجدان العربي ، كان من جملة العوامل التي ساعدت على ولادة (انسان قناة السويس) و (انسان مرتفعات الجولان) . وهذان الانسانان لم يولدا بالصدفة ، وانما خرجا من ارض محتقنة بالغضب ، والفجيعة ، والتمزق ، والوجع الانساني الذي لا وجع مثله . ان عبور القناة وصعود الجولان ، ليسا عبورا وصعودا ماديين فحسب ، ولكنهما يعكسان عبور النفس العربية من مرحلة الانفعال الى مرحلة الفعل ، وصعود الغضب العربي من مرحلة الشكوى ، الى مرحلة الاقتحام .

□ في تجارب الكثيرين من شعراء المقاومة الوطنية ضد النازي او ضد اميركا في فيتنام ، ملامح للالتحام مع القوات المقاتلة ، سرا وعلنا .. لم نسمع حتى الآن ان واحدا من شعرائنا المعروفين قد جند على نحو من الانحاء . في رأيك ألن يترك ذلك اثره على الشعر الذي يكتب الآن والذي سيكتب فيما بعد « عن » المعركة ؟

ــ نحن جميعا هاربون من الجندية .. وكل أدبائنا يصطنعون المرض ، ويقدمون التقارير الطبية .. ويتفرجون على المعركة من الطابق العاشر ، من شقتهم المكيفة بالهواء ، والمفروشة بالموكيت ..

نحن لا نعرف شكل الموت الا في السينما ، ولا نعرف اللون الاحمر الا في الرسم ، اما الموت الحقيقي ، والدم الحقيقي الذي يسقي كل ذرة امل في صحراء سيناء ، ومرتفعات الجولان ... فنحن نركبه تركيبا كيميائيا في مختبرات خيالنا . ان مئات المراسلين الصحفيين ماتوا في الحروب بحثا عن خبر جديد، او لقطة فوتوغرافية نادرة ، لكننا لم نسمع ان شاعرا ، او كاتبا عربيا واحدا مات وهو يبحث عن لقطة شعرية او روائية نادرة .

ان همنغواي مثلا كتب روايته الشهيرة « لمن تقرع الاجراس » وهو يعيش مع المقاتلين في الحرب الاهلية الاسبانية ، واراغون وايلوار واندره مالرو وكامو وسارتر اشتركوا اشتراكا فعليا في حركة المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال النازي لفرنسا عام ١٩٤٠ ، وكذلك بابلو نيرودا اشترك في الحرب الاسبانية الى جانب الجمهوريين عندما كان قنصلا للتشيلي في مدريد .. أختصر القول فأقول ان الشاعر ــ الوديل ــ أو الشاعر ــ المانيكان ــ الذي يجلس في فترينة زجاجية ليتفرج عليه السياح ، قد انتهى امره ، وفي مناخ حربي كالمناخ الذي نعيش فيه هذه الايام ، يشعر الاديب العربي ، انه ممثل ثانوي جدا ، امام الابطال الحقيقيين الذين يغيرون بالسلاح خريطة الوطن العربي . ولقد كان الاستاذ توفيق الحكيم على حق حين كتب الى وزير الثقافة طالبا ايجاد (عمل يدوي) له يشارك به في المجهود الحربي المصري .. ان توفيق الحكيم يريد ان يتجاوز

الكلمة الى الفعل ، وهو في تعبيره عن أزمته الخاصة يعبر عن ازمة الادب العربي كله ...

تغيرت مساحة السماء

□ في زمن الحرب لا يقل دور الكلمة عنه في زمن السلم .. ولكن هل تتصور كشاعر ، ان القصيدة التي كتبت في الماضي ، بأوزانها وصورها ، سوف تستمر على نفس النسق ، ام ان متطلبات الحرب سوف ترغم الشاعر على التنازل عن بعض مقتضيات الجمال في سبيل الهدف العاجل ؟

ـ الحرب بطبيعتها تغير الارض وتغير الانسان .. اثناء زيارتي للاتحاد السوفياتي قال لي الدليل الذي كان يمشي معي في شوارع ستالينغراد : هل تعرف ان معركة ستالينغراد مست الحياة تماما في هذه المدينة .. فلم تترك شجرة ، ولا زهرة ، ولا نافذة ، ولا سقفا ، ولا عصفورا ، ولا قطة .. وان كل الاشجار والازهار والعصافير والقطط ... ولدت من جديد بعد معركة تحرير ستالينغراد ؟

هذا الكلام ينطبق علينا ايضا ، بحيث لن يبقى شيء عندنا في مكانه . ستتغير مساحة السماء العربية ، ويتغير شكل الشجر ، وملامح البشر ، وستتغير الابجدية ويتغير الكلام ، وتصبح الجماليات القديمة ملابس فولكلورية ، نضعها في متحف الازياء الشعبية ، ولا نخرجها الا في المناسبات والاعياد القومية . والقصيدة العربية طبعا لن تنجو ابدا من قانون الحرب ، وستكون مضطرة الى التخلي عن كل جواهرها ، وعقودها ، وثيابها المطرزة ، وخلاخيلها الفضية ، اذا أرادت ان تتعايش مع المجتمع العربي الجديد .

□ لسنا في جزيرة مهجورة ، وانما نحن نعيش وسط عالم كبير محيط بنا .. آخر الانباء تقول ان شعراء الصهيونية من يهود اسرائيل واوروبا الغربية واميركا ، يجوبون الدنيا يلقون القصائد والمحاضرات في الجامعات والكنائس والميادين العامة ، ضدنا ، هل هناك مبادرة عربية في هذا الصدد ، وخاصة ان للكثيرين منكم ، أيها الشعراء العرب ، علاقات متينة بالاوساط الادبية في جميع انحاء العالم ؟

ـ ان الفكرة التي تطرحينها ممتازة ، ولكن نجاحها يتطلب شرطين اساسيين : أولهما ايجاد كتابة عربية تستطيع في حالة تعريبها التأثير في الفكر الغربي . وهذا نادر فيما اعرف من اعمالنا الشعرية والادبية ، حيث نتجه بكل ما نكتبه الى القارىء العربي وحده . والشرط الثاني ، هو وقوف الجهاز الاعلامي العربي بكل طاقاته المادية والتنظيمية وراء هذا المشروع ، فبدلا من الانفاق على مهرجان شعري يستمع فيه الشعراء العرب الى بعضهم ، يمكن تمويل سلسلة من الكتب تصدر باللغات الاجنبية وتضم احسن نماذج الادب العربي المعاصر من شعر ، ورواية ، ودراسات جادة . وقد نفذ المعهد العربي الاسباني في مدريد هذه الفكرة بنجاح حين أصدر ترجمات باللغة الاسبانية لشعر المقاومة ساهمت مساهمة فعالة في نقل الفكر الثوري الفلسطيني الى الرأي العام الاسباني .

كانت اميركا طاهرة ومثالية

□ في حرب ١٩٥٦ كانت لك قصائد وطنية تحفظها الجماهير، كرسالتك الى جندي مصري في جبهة السويس . في ١٩٧٣ هل تتصور ان رؤياك للحرب قد تغيرت بما يعكس تغيراً في انتاجك الشعري الحالي (هل تكتب الان) او القادم ، من زاويتي الفكر والفن ؟

ـ انني أتغير كل يوم ، وما كتبته في حرب ١٩٥٦ كان صحيحا بالنسبة لذاك التاريخ . وللظروف التي رافقت تلك الحرب . ففي تلك الحقبة كانت الولايات المتحدة لا تزال محتفظة بطهرها ومثالياتها ، وكان تدخلها عاملا حاسما في تفشيل الغزو الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي لمصر . أما في حرب ١٩٧٣ فان الولايات المتحدة أصبحت اكبر دولة تمارس الفحش السياسي في العالم ، وترفع سيفها في وجه الحرية والاحرار في كل مكان . وتقوم بدور محامي الشيطان عن الفاشيستية الاسرائيلية . ومن جهة أخرى يتجمع العرب ، للمرة الاولى ربما ، ليواجهوا اهمية الاستعمار الاميركي الجديد ، بكل طاقاتهم الحربية ، والاقتصادية ، والنفطية ، والقومية ، وتذوب تناقضاتهم امام الخطر الذي يهدد ميراثهم وتاريخهم وجذورهم الحضارية .

وعن هذه التحولات التاريخية المدهشة ، تتكون مواقف جديدة للشعر ، ومنظور جديد للشعراء . انني أكتب ، وسأكتب ، عن الموقع التاريخي الجديد ، هذا كل ما اعرفه ، ولكنني لا استطيع ان احدد اوصاف هذا الشيء الذي سوف يأتي .. لان الكتابة شيء ، واستحضار الارواح ، شيء آخر .

شاعر الحب في زمن الحرب !

□ استاذ نزار ، منذ أيام سألت احد الشعراء عن ما اوحته اليه هذه الحرب ، وهل كتب او سيكتب قصيدة ما ، فأجابني بانه لم يكتب حرفا لان هذه الايام ليست أيامه ، على حد تعبيره ، وعلى اعتبار انه معروف كشاعر غزل ، فهل تتصور انت ان هناك تخصصات مثلا في ان يكون هذا شاعر مقاومة ، وآخر شاعر كأس او امرأة او حب وهكذا .. وبالتالي يصبح « فعلا » انتهازيا ان يكتب شاعر الحب في القتال زمن الحرب ، والعكس صحيح ؟

ـ انها حقا اهانة بالغة للشاعر ان نعتبره « سوبر ماركت » تصنف فيه البضائع حسب حاجات ربات البيوت ، فقسم للاطعمة المثلجة وقسم للخضراوات وقسم للحوم الخ .. وبتعبير آخر ان اكبر جناية ارتكبها نقاد شعرنا القديم هي وضع الشعر في زجاجات على الرفوف والصاق اتيكات عليها « هذا شاعر المرأة وهذا شاعر الوصف وهذا شاعر المقاومة الخ ... » .

هذه النظرة التجزيئية الى الشعر هي نظرة صيدلية وبعيدة عن جوهر الشعر ، لان الشاعر في ابسط معانيه هو ذلك الانسان الذي يحقق وحدة الوجود وهارمونية الحياة .

البلاغ
٢٩ تشرين الاول

سليمان العيسى

٦ قصائد

اسق العطاش !

اسق العطاش رحيق النصر يا بردى — اسق الدنى ، ما منعنا كأسنا أحدا
اسق المدرّعة السمرا .. وفارسها — ومن تخطته في الميدان ان وجدا
اسق النسور .. ولم يعطش مقاتلنا — كل السماوات كانت تحته بردى
اسقي أسيرك ان يلهث ممزقة — أضلاعه فرقا ، أنفاسه بددا
اسقيه يا يدنا .. حتى دفنه — فينا لقد ولد الانسان مذ ولدا
بنت السماء سجايانا .. نوزعها — ما بين صاعقة أو وردة أبدا

* * *

يا شام .. مغربنا الغالي ومشرقنا — على بساطك في عرس الدم اتحدا
عرس من النار .. كان الغزو واحدة — من الاساطير ألقينا بها زبدا
مدّي بساط الهوى يا شام .. رائعة — أمجاد أمس .. وأحلى ما يجيء غدا

البعث ١٨ تشرين الاول

يا ياسمين دمشق !

تسقي من الازل السحيق وتسكر — ماذا أقول .. وأي خمرك أعصر ؟
يا ياسمين دمشق .. مدّ بيارقي — مطرا بملحمة الرسالة يهدر
يا ياسمين دمشق .. عطرك أبيض — وتغطرست أفعى فعطرك أحمر
وغضبت .. فالوطن الكبير عباءة — حطّت على بردى .. ونسر أسمر
هشمتها أسطورة .. وذروتها — كل الغزاة على العبير تكسروا
كل الغزاة .. وظلّ قنديل الهوى — أبدا على العطر المدلل يسهر
كل الغزاة .. ولم تجفّ منارة — يا ياسمين .. ولا تزحزح منبر
تمتد يا لون العبير جهنما — فوق الرمال .. جهنما تتسعّر
وتقهقه الصحراء .. تحت نعالها — سوداء من قصص الجريمة تقبر
يا ياسمين دمشق .. طوق واحد — وطن العروبة بالاريج مسوّر
بالنار ، بالغضب المقدس ، بالرؤى — بالانبياء من التراب تفجروا
من كل زنبقة أطلّ مقاتل — من كل سوسنة تحدّر خنجر
ولدوا على بردى مروج غمامة — بالصاعقات وبالطفولة تزهر
ولدوا على سيناء مثل قصيدة — في بال معجزة الرؤى لا تخطر
من أين ؟ من أعماق أعماق الثرى — قدر يزيح غطاءه ويزمجر

* * *

يا ياسمين دمشق .. مفتاح الضحى — بيد العبير حضارة لا تقهر
يا قامة الغضب الذي لا ينحني — ميلادك العربي أخضر أخضر
يا ياسمين دمشق .. وحدة أمة — بدم النسور ، دم النسور تسطر

البعث ٢٢ تشرين الاول

الى طائرة استطلاع !

مرّي على هذه الصحراء خاطفة — وحدقي حدقي ما شئت .. واطلعي
ماذا ترين ؟ جذور الشمس ما برحت — على رمالي .. ولون الانبياء معي
لا تتعبي .. هذه الصحراء عاشقة — لم تعط أسرارها يوما .. ولم تدع
مرّ الغزاة .. دعيني عبر أغنية — أهديك بعض الصدى المهزوم والبقع
على الرمال « أساطير » مهشمة — فصوريها .. بقايا الغدر والجشع
لا ترصدي أي عصفور على بردى — لا ترسمي قسمات النيل في هلع
مخابىء الضوء لا تحصي بواحتنا — ومولد البرق سر غير منتزع
هنا الحضارات .. فاستهدي بسمرتها — وسجلي صمتها الجبار واستمعي
لم نخف شيئا .. ولو دمرت حانقة — بعض المنائر لم نركع ، ولم نرع
كنوزنا في يمين الدهر ننشرها — وامتد يا وهج الانسان واتسع
ماذا ترين ؟ مدى ينداح خلف مدى — بألف معجزة سمراء ملتفع
رمال سيناء طفل من حديقتنا — وبطن مكة هدر غير منقطع
لا تتعبي .. هذه الصحراء ساحرة — الا على آلها البرّاق لن تقعي
عودي عن الازل الغافي بقيضتنا — لقد أفاق .. ويا بركاننا اندفع !

البعث ٢٧ تشرين الاول

من دفتر مقاتل عربي !

يدار الشعر في بيتي تدار القهوة المرّة
وضوء الشمس أخزنه جرار محبة ثرّة
وأسقي الليل ، أسقي الضيف ، أسقي النبع والصخرة
أخوض البرق أنقشه بسنبك مهرتي طرّة
ويهزمني – على ظفري – جلال قصيدة درّة
تصبّ على مدرعتي نبيذ الله والخضرة
وتسكرني فتغدو الارض تحت وسادتي زهرة
تقدّست الكؤوس ، وسرها العربيّ ، والخمرة !
تقدّست الكؤوس ... تعيير تاريخ الهوى عطره !
أقاتل كي يمد النجم فوق هضابنا سخره
اقاتل كي أردّ الى خدود رمالنا السمره
مفاتيح البيوت .... وطال طال الشوق والهجره
أغاني الضوء تذبحه « الافاعي » قطرة قطرة
أردّ لجبهة التاريخ كل تألق الغرة
أردّ كرامة الانسان معنى أرضي الحرة
أسوّر ياسمين حديقتي بجهنّمي المرّة
وضوء الشمس اخزنه جرار محبة ثرة

* * *

على سيناء صاعقتي وفي الجولان مخضرة
وبطن الرمل الف بدا ية لمّا تزل هدرة
وأحمل .. أحمل النكبات تفجعنا غدرة غدرة
وأنذر ... أنذر الطغيان .. ثم يذوقني مرّة
وتمحق « حيّنة » بالنا ب والاظفار مفتقرة
أقاتل كي أردّ الى جبين صباحنا كبره
وأسفحه على الدنيا رسالة أمة حرة

البعث ٢٩ تشرين الاول

نفطنا !

أردناه قنديلا على الارض أخضرا وشاؤوه قصفا أحمرا ودمارا
أردناه أطفالا ، ووردا ، وموقدا عشياته بالاغنيات سكارى
وشاؤوه فوق الوادعين جهنما وفوق العيون الحالمات جدارا
ويا ليلة الدفء المعطر بالهوى دخانا أحالوا دفئنا وغبارا
ثلاثين من عمر الزمان حزينة حملنا الجراح النازفات شعارا
ونومىء بالدرس العظيم .. وعندنا مفاتيح ليل .. لا يريد نهارا
تفجره الصحراء شلال نقمة اذا كابر « الزهو العقيم » ودارا
ويا قصص الاطفال .. لن تتوقفي على نفسه « الغزو القعيم » أغارا

البعث ٣٠ تشرين الاول

وصية أبي بكر ! بعد أربعة عشر عاما

الجيش .. نهر من تسا بيح ، ونهر من سيوف
والقائد الاعلى رؤى علقت بمجهول مخيف
وتندّ غمغمة .. وتقتحم الصفوف الى الصفوف :
لا تجرحوا بسيوفكم حلما على غصن وريف
لا تقلقوا أنشودة رقدت على وتر شفيف
لا تقطعوا خضراء .. لا ينض السنان على ضعيف
لا تزعجوا شيخا ولا طفلا .. وتمطر كالحفيف
كالنور ، كالحب ، الوصية في المئين .. وفي الالوف
ويسير نهر النور .. يا أعلامنا في الارض طوفي !

* * *

يا قائد النهر العظيم من الرجال ، من السيوف !
بعض الوقوف على دمشق وعطرها .. بعض الوقوف !
المجرمون !! وضاع صو تك في الحرائق والحتوف
المجرمون يفجرون غمامة الحقد النزيف
المجرمون !! ويصمد القنديل للحلك الكثيف
وتطل اغنية الضياء .. تليدها لغة الطريف

البعث ٣١ تشرين الاول

حنا مينه

عصر التكنولوجيا عصرنا أيضا

الذين قالوا ، بعد نكسة حزيران ، ان التكنولوجيا سببها ، وقعوا في شيء من التعميم .

الاصح ان التكنولوجيا أحد اسبابها ، ولكن هذه التكنولوجيا صارت ، كالتخلف ، مشجبا طالما علقنا عليه ألبسة الحقائق مقلوبة ، فلم نر الا البطانيات منها .

الآن ، وبعد معارك تشرين ، جاء الوقت لكي نعيد ما علقناه مقلوبا الى وضعه الطبيعي ، المبرهن عنه بمنطق احداثنا ، بعد ان برهنت‌ه احداث غيرنا منذ زمن بعيد .

ومن هذه البرهانات ان التكنولوجيا أساس منجزات عصرنا ، ولكنها تكنولوجيا في خدمة العصر ، ولمصلحة قضاياه الرئيسية ، وهذا العصر ، بهذا الامتلاك التكنولوجي ، هو عصرنا بقدر ما هو عصر غيرنا ، بل هو عصرنا أكثر من غيرنا ، لاننا مع مسيرته ولسنا ضدها، ولاننا المدافعون عن تقدمه بينما أعداؤنا يحاولون عبثا اعادته الى الوراء .

ولن نحيل الى التاريخ . حسمت ، الآن ، مقولة ان التاريخ يعيد نفسه ، وحسمت أكثر حقيقة انه لا يرجع أبداً الى وراء ، وان النصر ، في الصراع الدائر لاجل التحرر والتقدم ، حليف المناضلين على جبهة التحرر والتقدم ، الجبهة العريضة ، المنيعة ، التي نحن ركن من أركانها الهامة .

بهذا المقياس ، يملك العرب منجزات تكنولوجيا العصر ، وفوقها الطاقة النفطية التي بدونها لن تحقق التكنولوجيا العلمية التكنولوجيا الانجازية ، بينما لا يملك أعداؤنا سوى منجزاتها ، لان طاقتها المحركة في أيدينا وحدنا .

يبقى ، اذن ، استخدام هذه المنجزات التكنولوجية والاسهام في صنعها تدريجيا ، والعرب شرعوا بالتصنيع ، ودخلوا عصره ، وهم يستخدمون منجزات التكنولوجيا وبالشكل الذي أثبتت كفاءته معارك تشرين ، وبذلك حطموا وهم تخلفنا في هذا المجال ، حطمته مآثر وبطولات تشرين في جملة ما حطمت وستحطم من أوهام وخرافات.

وقبلنا ، في فيتنام ، تحطمت أيضا خرافة العجز عن الاستيعاب التكنولوجي للعصر ، تمرغت هيبة التكنولوجيا الاميركية العدوانية في مستنقعات الارز على أيدي ابطال صارت بطولتهم قدوة ومنارة ، أبطال هم مثلنا أصحاب قضية عادلة ، وهم مثلنا تعرضوا للعدوان فدفعوه ، وصمدوا في دفاعه حتى استخذى وانحسر وانسحب مهزوما محمولا على السفن التي جاء بها .

ان الشعوب ، في عصرنا هذا ، وفي وحدة نضالها وأهدافها ، قادرة على استخدام منجزات التكنولوجيا اذا لم تكن قادرة على صنعها بذاتها ، وفي هذا الاستخدام تتفوق ، لان الايمان بعدالة الهدف هو تفوق اضافي ، ولان الارادة على النصر تعلم الانسان وتجيد تعليمه في كل الميادين وخلال المعارك الدائرة بالذات .

فيا أبطالنا الذين تصنعون على أرضنا المعجزة التي صنعها الابطال الفيتناميون على أرضهم ، انكم بما تأتون من ضروب الشجاعة والكفاءة ، وبما تبذلون من دم هو ماء حياتنا ، وعطر سمعتنا ، وشرف كرامتنا ، لا تحققون الانتصارات وحدها ، تحققون الحقائق نفسها ، تزيدونها نورا على نور ، وترسيخا على ترسيخ .

البعث

١٨ تشرين الاول

شهادات للفخر .. وللوفاء

الصحفيون الذين يصلون دمشق لتغطية أنباء المعارك الدائرة يدهشهم ـ وبدقة الكلمة ـ ان الحياة في دمشق بله في قطرنا العربي السوري كله ، طبيعية ، وان وجوه الناس مشرقة ، واثقة ، زاخرة بالحماسة والتصميم ، ولكن الناس ، في قلب ظروف الحرب ، يمارسون اعمالهم ، في المرافق التي هم فيها ، باقبال وحمية وقدرة على الابداع والانجاز ، تعطي فعاليتهم من خلالها أفضل مردودها ، وتعد بما هو اكثر بكثير .

ونقلت برقيات هؤلاء المراسلين ، من القاهرة والمدن المصرية الاخرى ، وكذلك من بغداد والمدن العراقية ، ومن كل العواصم والمدن العربية ، الصورة ذاتها ، الحياة الطبيعية ، الحماسية ، المزهوة والمنتجة معا ، في تنظيم لا يعود سببه الى الادارة وحدها ، بل الى روح الجماعة العربية ، القابلة لهذا التنظيم ، في انضباطية وعفوية وشعور بالمسؤولية ، أتاح لها في جملة ما أتاح ، ان تتكيف ، وتستجيب وتلبي نداء الواجب تلقائيا ، وبصدق في العزم واندفاع واع الى الهدف .

ان المرء وهو يكتب عن أشيائه الايجابية ، مطلوب منه الحذر من المبالغة ، فالصدق ، في تقييم الواقع ، يفسح في رؤية أرضيته

من كل نواحيها ، ويسمح بتلافي النواقص وتطوير الايجابيات ... وشهادات مراسلي الصحافة الاجنبية تزيد الثقة في قدراتنا ، وتدفعنا الى وضعها في صالح المعركة الى اقصى الامداء .

وهذه الشهادات تتضاعف أهميتها حين تكشف رسائل الصحف الاجنبية من ارض العدو ، حالة الاضطراب السائدة فيها ، وازمة القلق النفسي التي يعانيها الاسرائيليون ، والشلل الذي اصاب مرافقهم ، والتدهور الاقتصادي الذي يعمق التدهور المعنوي ، ثم التدهور المعنوي الذي يعمق التدهور الاقتصادي والاجتماعي في اسرائيل كلها .

وكمن يفيق من حلم لذيذ على واقع كابوسي اليم ، يفيق الاسرائيليون من هناءة حلمهم القصير الآن ، يفتح مهاجروهم اعينهم المذعورة على حقائق تتبدد معها الطمأنينة التي وعدوا بها ، وتتبخر الوعود المضللة في عيش آمن رغيد ، تزدرد فيه معدهم ما اغتصبوه في عدواناتهم ازدرادا هينا لينا ، بغير خوف من عقاب ، حسبوا انه لن يطولهم ، لانهم ، في وهمهم ، لا يطالون ، ولان الذين اغتصبوهم لا يجرؤون ولا يقدرون على ذلك .

قال لي مراسل من احدى الدول الصديقة صباح امس ، انه كان مراسلا لصحيفته في هانوي البطلة ، عاصمة جمهورية فيتنام الديمقراطية ، لمدة ثلاث سنوات ، وانه ، ثمة ، رأى معجزة فيتنام الشرق الاقصى ، وجاء الى هنا ، الى بلادنا ، ليشهد معجزة فيتنام الشرق الاوسط ، وانه ، بصادق القول يشهدها وما كان ليقدر الانجازات العربية التي تحققت ، على الجبهة وفي المؤخرة ، لو لم يعشها بنفسه ، ويراها بأم عينيه .

ان هذه الكلمات تتوارد بلغات وصيغ مختلفة على السنة واقلام مراسلين من كل البلدان ، والاذاعات العالمية تتلقاها وتبثها ، ونحن نسمع والعالم يسمع ، فالحقيقة رمح لا يخبأ في كيس ، والشمس لا تحجب بالاكف ، انه الواقع العظيم لامة عظيمة تستعيد نفسها ومجدها وتشق الصخر دربا الى غدها .

يشبهوننا بفيتنام البطلة ؟ يا لشرف التشبيه ، ويا للمسؤولية التي نحملها في الوفاء به وله وفي صيانته كنور العيون الى ان تكتحل العيون بالنصر ، والنصر آت لا ريب فيه .

البعث
٢٣ تشرين الاول

كـل الغابـات صالحـة

– هل تعرف كيف يصطاد الافريقيون افعى البوا ؟
– يطلقون عليها النار طبعا .
– اطلاق النار احدى وسائل قتل البوا ، ولكنها قد لا تموت ، وعندئذ يقضون عليها بوسائل مكملة .
– مثلا ؟
– يزرعون الغابة من حولها بالشفرات والمسامير ، فاذا زحفت فوقها مزقتها وأسالت الدماء من اماكن كثيرة في جسمها ، وفي هذه الحال يأتي دور النمل الرهيب ، يلاحقها وينهشها حتى يقضي عليها .
– هذه طريقة معروفة ، وكانت مستعملة في الماضي لقتل بعض الوحوش ، وقد تحدث عنها الجاحظ في كتابه « الحيوان » .
– وهي طريقة لا تزال صالحة . الوحش الذي تضربه مرة ، كن مستعدا لضربه مرات . ونوّع الضربات ، واستخدم الوسائل المكملة للاجهاز عليه ، او طرده من الغابة .

افعى البوا التي ضربناها جريحة . الوحش الذي أسلنا دماءه لندفع عنا عدوانه ونضطره الى الانسحاب من غابتنا ، لا يزال يلعق جراحه ليداويها ، وهو الآن أشد شراسة ومكرا ، لانه بعقل الانسان يفكر ، وبالنزعة العدوانية للوحش سيعاود الانقضاض والنهش ، وبمكر الافعى التسلل واللدغ ، ولن يتوقف طويلا اذا هو اضطر الى التوقف قليلا ، والمعركة معه ستظل دائرة ، تنتقل من صعيد الى آخر ، وتأخذ أساليب متنوعة ، ينبغي لنا ان نعد لها عدتها ، ونستخدمها باكبر طاقة ، واعلى يقظة واستعداد .

سبع سنوات ظل الفيتناميون ، كصيادي افريقيا ، كالصيادين من اجدادنا ، يلاحقون وحش العدوان الاميركي الجريح حتى اخرجوه من أراضيهم . لاحقوا افعى البوا المحمولة في عنابر السفن الحربية من واشنطن الى هانوي ، وضربوها بكل الاسلحة التي في أيديهم ، من الصاروخ الى المنجل ، من المدفع الى الخنجر ، من الانفاق الى الفخاخ المغطاة بالعشب كالحفائر العربية الشهيرة ، من مظلات الاشجار المتحركة على الرؤوس ، الى أوكار النمل الموجهة باتجاه معسكرات العدو .

الفيتناميون عندهم غابات ؟

ولكن الغابات ليست أدغالا من شجر فقط . الغابات احراج من حجر ايضا ، ومستنقعات من مياه ، وآبار من بترول ، وصناديق من أرصدة ، وبيارات للبرتقال ، وحقول للزيتون .

والارض تصير انفاقا هنا كما صارت هناك ، والفخاخ والكمائن عندنا كما عندهم .

وكما على الجبهة الحربية تتعدد الاسلحة ، وتضرب من مواقع واتجاهات مختلفة ، تتعدد على الجبهة السياسية ، ويتنسق العمل على الجبهتين ، وكل حركة للعدو تقابل بمثلها ، واضخم منها.

الفيتناميون كان عندهم غابات ؟ وعندنا ؟ وهذا العمق الغابي لنا ؟ وهذه المصالح الغابية لاعدائنا في ارضنا ، تحتاج – وهي القابلة للاحتراق – الى اكثر من شرارة تشعل السهل كما يقول المثل ؟

– هل تعرفون كيف يصطاد الافريقيون افعى البوا ؟
– وهل تعرفون كيف كان الصيادون من اجدادنا يتعقبون الوحش الذي جرحوه بالنبال ؟

كل الغابات صالحة للصيد ..
ما تبقى شغلة الصياد ..

ونحن ، عشرين يوما واكثر ، أثبتنا اننا في الصائدين ..

اصطدنا على جبهة القتال ، وسنصطاد على جبهة السياسة ، وعليهما معا ، كما الفيتناميون ، نعمل عند الضرورة ، ومثلهم نعود للصيد على جبهة الحرب اذا عاد الوحش ، ولم يخرج من غابتنا ، من أرضنا .

المهم أن تظل العين على عدسة الرصد ، والبندقية في اليد ، والجندي في المتراس ، والمواطن في مرفق الانتاج ، والارادة على القتال والتضحية في صلابة الصخر وشحنة التوتر ، طلابا للحق وغلابا لاجله في أعلى درجاتها ، والتعبئة الشاملة ناشطة على أعلى مستوياتها ، وان نقابل كل ضربة للعدو بضربة اقسى منها ، وان نعمل ما يعمله صيادو الافاعي والوحوش ، يضربونها عندما تفح ، ويتربصون بها عندما تلطي ، ويلاحقونها عندما تنساب بكل الاسلحة ، الى أن يقضوا عليها او تنسحب الى وكرها .

البعث
٢٧ تشرين الاول

علي كنعان

كانت لدينا مخاوفنا .. ولم نخسر غيرها بالحرب

سألني مقاتل في استراحة قصيرة : « وأين الشعر ؟ » ، واليه هذه الرسالة من بعيد :

أنا الآن لست شاعرا ، انا الآن جندي في القطاع الاعلامي من الحرب العنيفة الشاملة التي تخوضها الطليعة المقاتلة من أمتنا . هناك أخوة وأحباب لنا يقاتلون ، هذا يعني انهم يكتبون بنيران أسلحتهم ميلاد أمتهم وانتصار ارادتها ، بعد ان ضمدوا كرامتها الجريحة وساروا قدما في طريق التحرير .

أمام أولئك الاحبة الابطال يقف الاديب خجولا من قلمه وكلماته .. فالقول الفصل والكلمة الحاسمة لهم ، للمقاتلين الاشداء .. وحسب كلماتنا ان تمجد البطولة وتتغنى بها .

أول الغيث المنهمر من أيدي المقاتلين ، ان احزان الشعر الحزيراني انتهت الى غير رجعة ، تلك المرحلة احترقت وتناثرت كشظايا الطائرات المعادية في سمائنا . نحن الآن أمام ميلاد جديد ، طالما تخيله الشعراء المستقبليون والحوا عليه في قصائدهم واحلام يقظتهم .

لا شك ان الملاحم البطولية التي يقوم بها المقاتل العربي في هذه الايام سوف تستأثر بجهود أدبائنا واهتماماتهم الابداعية على مدى اجيال وأجيال ، والذي يهمني الآن .. في هذه اللحظات وهذه الايام ، أن أترجم شيئا من بطولات المقاتل العربي الى كلمات . وأطمح ان ترتفع هذه الكلمات الى مستوى الثقة التي يضعها أبناء شعبنا بمستقبل أمتهم ، ومستوى المحبة والثقة بالمقاتلين الذين يرسمون هذا المستقبل مفعما بالحرية والامن والازدهار .

في الماضي ، كنا نعجب ونتعجب كيف صنع الفيتناميون من حطام الفانتوم خواتم وأمشاطا وأساور ، ولكن المقاتل العربي استطاع أن يسقط من طائرات العدو ومن الفانتوم بالذات ما يكفي لتشغيل اكثر من مصنع لالعاب الاطفال العرب .

ما أود قوله هنا هو اننا لاول مرة ، وبعد اكثر من ربع قرن ، أقول : اننا لاول مرة نشعر بالفرح الحقيقي وبالاطمئنان الحقيقي ، وبالكرامة المعافاة .. كما نشعر بأن الامن الذي افتقدناه في طفولتنا وشبابنا قد استعدناه الآن ولن نتخلى عنه ، أيا كان الثمن .

قبل هذه الحرب كانت لدينا مخاوفنا الصغيرة أو الكبيرة .. واليوم ، وبعد حوالي أسبوعين من القتال البطولي ، نشعر باننا لم نخسر الا تلك المخاوف .. واننا ربحنا الكثير ، ربحنا الامل بالحياة والثقة بالمستقبل وربحنا الارادة الحرة في مواصلة القتال حتى النصر والتحرير .

الثورة ١٨ تشرين الاول

ظهور المقاتل العربي

منذ أكثر من ربع قرن ، والعدو راكب رأسه ورؤوس القوى الامبريالية التي ساعدته في الاستيطان والامتداد فوق الارض العربية ، وطوال هذه السنين صدرت عن المنظمة الدولية قناطير القرارات التي لم يكترث لها العدو ولم يلتزم بأي شيء منها لا ينسجم مع طبيعته في التوسع والتمادي والعدوان ...

لكن اشياء جديدة هائلة انبثقت في حياتنا من خلال الحرب .. وهذه الاشياء المجيدة أدهشت العالم واستأثرت باعجابه ، كما فاجأت العدو وأصابته بصدمة موجعة دفعته مرغما الى ان يعيد النظر في مواقفه وحساباته .

أول هذه الاشياء الرائعة وأساسها جاء من ساح المعركة :

الجندي العربي يثبت بعنف واستبسال انه مقاتل عنيد قادر على تمزيق الهالة الاسطورية التي أحاط العدو بها نفسه وكرستها له هزائمنا في الحروب السابقة دون قتال يذكر .. وكان لتمزقنا القومي اثره البالغ في صنع تلك الهزائم وتحويلها الى أمجاد خرافية للعدو ..

وحين تتاح للعربي فرصة حقيقية للقتال يحطم الاساطير والخرافات ويصمد في الساحة الدامية بطلا يتحدث العالم مأخوذا بشجاعته وقوة احتماله .

وبطولة المقاتل العربي في خطوط النار انتقلت الى الجبهة الداخلية ، فاذا بشعبنا كله يقف قلعة صلبة وراء مقاتليه ، ويولد الشعب كله بطلا صامدا يفرش طريق التحرير بأغلى ما يطلب من التضحيات الجسام .

وبسالة المقاتل العربي خلال هذه الاسابيع جعلت الامة كلها تستنفر وأيقظت فيها روح الجد والبذل والاستشهاد ، روح البطولة الهاجعة تحت ركام عصور من الضعف والتردد والانكفاء .

ويستيقظ العالم كله على أنباء الملاحم البطولية للمقاتل العربي ، فتنهمر برقيات التأييد بوفرة لم تحلم بها طوال السنين الماضية .. فكان لكل يوم من القتال وزن سنين طويلة من التهافت والدروشة والاستجداء !

ان ظهور المقاتل العربي في هذه المنطقة فرض نفسه وبحدة .. حتى على الاعداء الطامعين بثروات أرضنا وبحارها وموقعها الفريد . الاعداء يخافون ظهور هذا المقاتل ، يخافون تاريخه الحضاري المشرق ، ويخافون اكثر ان يبعث ذلك التاريخ بأمجاده القتالية وأخلاقه الفروسية من جديد .. لان القتال لن يقتصر على تحرير الارض بل سيمتد الى تحرير الحياة كلها ثقافة واقتصادا وأرضا ومستقبلا .

وفي ضوء الاشياء الجديدة التي رافقت ظهور هذا المقاتل العربي ، يمكن ان نفهم أبعاد التحرك الاميركي وخلفياته .. فلاول مرة في تاريخ الامبريالية الاميركية تخاف ان تبتلع النار مصالحها وجيوبها في المنطقة كلها ، ولاول مرة تلجأ الى المنظمة الدولية بعد ان شلت هذه المنظمة وأبطلت فاعليتها طوال السنوات الماضية .

وهنا تدخل الحرب مرحلتها الاصعب ..

فالعدو اشتهر بالمراوغة لالتقاط الانفاس ومعاودة الغدر . ومن هنا يترتب علينا ، في خط النار وفي الخطوط الداخلية ، مهام أكبر وجهود مضاعفة .

مقاتلنا البطل أعاد عسكر العدو الى حجمه الطبيعي ، ولا بد ان نبقى في غاية اليقظة والحذر والتصدي لئلا ينتفخ حجمه من جديد ويستطيل .. وعلينا ألا ننسى انه اتخذ ذلك الحجم الخرافي من ضعفنا وتمزقنا وتأثرنا بدعايته المسمومة .

ان مسؤوليتنا جميعا أن نرعى تلك الاشياء العظيمة الرائعة التي ملأت حياتنا في ظل القتال ، وأن تغذي ينابيع الخير والشجاعة

التي انبثقت من أعماق شعبنا ونزيدها تدفقا واكتمالا .

فالعدو الذي فقد مجده الامبراطوري واساطيره الخادعة في ساحات القتال ، يحاول ان يستردها او يستعيض عنها بحربه النفسية والاعلامية . واذا كانت نكسة حزيران قد أضعفت مقاومتنا لحملات الدعاية والتشكيك والتضليل ، فان حرب رمضان قد شحنتنا بمناعة قوية مدعمة بالبطولات والتضحيات المعلقة وساما متوهجا فوق كل بيت وعلى كل جبين .

ولكي نظل جديرين بالانتماء الى مجد هذه الامة وعظمتها ، فعلينا ان نحافظ على هذه الاشياء الجديدة الرائعة التي ظهرت في حياتنا من جديد .. مع ظهور المقاتل العربي الذي فرض محبته واحترامه على العالم .

الثورة ٢٥ تشرين الاول

ويمتزج الدم العربي فيصنع المعجزات

أغلى ما توارثنا عن الجدود : ارض هذا الوطن .. وقطرة الدم المتسلسلة من جيل الى جيل في مواسم المحبة والفرح والكفاح .

وعلى امتداد التاريخ ، ما تعانق الدم العربي وامتزج بتراب الوطن الا ليصنع تحولا عظيما ويبني بالعجينة السحرية الجديدة ، وعلى أساسها ، صرحه المستقبلي الواعد . وفي أرض تشرين ، والقتال المبارك على أشده ، تعانق الدم العربي وامتزج بشوق واعتزاز ومحبة راسما الطريق الى الوحدة والتحرير ، جارفا كل الصعاب والامراض والمعوقات التي حدت من طموح هذه الامة وحالت دون وصول المسيرة الدائبة الى أهدافها القومية الكبرى .

لقد كان الدم نور الحضارة وصانع المعجزة التاريخية في حياة امتنا .. وسيظل كذلك حتى المدى .

منذ وقعة الفيل وذي قار حتى يومنا هذا ، لم تنغلق أبواب الحياة في وجه العربي وتسد الدروب الا وكان الدم ، الدم القومي المتحد ، هو المفتاح السحري الذي يبدع الخوارق ويصنع الاعاجيب فتعود الحياة أبهى ما تكون ويعم الامن والبهجة كل النفوس ..

والمقاتلون العرب ، بجراحهم وتضحياتهم وبطولاتهم استطاعوا أن يرجوا العالم الراكد المطمئن فينتبه بحدة وتركيز الى هذه المشكلة الدموية التي كادت تتحول الى مستنقع عدواني موبوء ويتسع ويطفى على مر الايام ، كما استطاعوا بكفاحهم الدامي ان يحدوا من خطر هذا المستنقع الصهيوني ، وان يمدوا جماهير شعبنا العربي بمناعة قوية ضد سمومه وأخطاره .

وملامح البطولة التي صرنا نسمعها عبر لقاءاتنا القصيرة مع بعض المقاتلين ، او من خلال زيارات خاطفة للجرحى ، هذه الملامح كلها .. كان الدم العربي الغاضب يقف وراءها ، وما يزال .

وهذا الدم الغالي ، حين استرخصه الابطال فداء لحرية أمتهم واستردادا لعزتها وانتصارها ، هذا الدم الغالي .. هو صانع هذه التحولات الكبرى في حياتنا وسلوكنا وتفكيرنا ، ومنه انبثقت الينابيع الكامنة في أعماق النفوس ، ينابيع الخير والحب والشجاعة والعمل الدؤوب .

وأمام هذه الينابيع والتحولات ، علينا مسؤوليات جسام ... ليتابع النبع مجراه في نهر متدفق غزير ، ولتاخذ التحولات مسارها المتقدم في شتى المجالات . وبقدر ما نخلص ونعمل ونتعب لتشق الينابيع طريقها وتتعمق التحولات في واقع الحياة وداخل النفوس ، نكون أهلا للجراح التي أضاءت دنيانا من جديد ونكون أهلا للانتماء الى تلك الدماء المباركة التي غيرت كل شيء في حياتنا وغسلت نفوسنا وبيوتنا وأحاديثنا من رواسب الخيبة والكآبة والهوان .

لقد تغنى الشعر العربي طويلا باليوم الذي يجمع العرب أمة واحدة تبطل أسطورة المستحيل وتجترح المعجزات العظام . وجاء هذا اليوم في تشرين ، جاء به الدم العربي الذي عانق الارض وامتزج بالتراب ، مؤكدا ان الطريق الى الوحدة هو طريق التحرير .. وان الطريق الى التحرير ، تحرير الارض والثروات والنفوس ، هو طريق وحدتنا القومية .

ولمجد هذا الدم الزكي الغالي .. علينا ان نفني ونعمل ونتابع المسيرة . وللاشراقات التي سطعت من هذا السرج النوراني الخالد .. علينا ان نظل متحفزين ساهرين : العيون مفتحة على اتساع الافق ، والايدي على المعاول والاسلحة ، والنفوس ممتلئة بالعزم والبهجة والاستعداد لمجابهة كل طارىء .. فتاريخ العدو كله غدر وعدوان ، والاشياء الجديدة الرائعة في حياتنا دفع الابطال ثمنها غاليا ... وعلينا ان نصونها ونزيدها محبة واشراقا ونغذيها بضوء العين ومداد القلب .

الثورة ٢٩ تشرين الاول

حسيب الكيالي

رسالة الى المقاتل العربي

ولدنا الحبيب ،

نكتب اليك ونحن راضون مطمئنون . أنت الذي أدخلت الرضا والاطمئنان الى قلوبنا بوقفتك الجسور المشرفة . اننا نتتبع أخبار انتصارك . وقد جاء أمس أحد اخوانك من الجبهة فالتمّ عليه أهل الحارة . حكى لنا اشياء جعلت الحي كله في عيد . حدثنا عن طائرات العدو كيف تتساقط ، عن حذقكم في استخدام سلاحكم ، عن رجولتكم وتصميمكم على النصر . وحكينا له نحن عن اعتزازنا بكم وزهونا بما تهبونه لامتنا من رد للكرامة وفتح لابواب المستقبل . وقد سرّ لما سمع أولاد جيراننا يحدثونه عن الطيارين الاعداء الذين أسقطت طائراتهم حوالي دمشق . وقد قال له سمير ، سمير أنت تعرفه ابن جارنا في الطابق الثالث ، كيف رأى بعينه صاروخا من صواريخنا يصيب طائرة عدوة وكيف قذف الطيار نفسه وهبط بالمظلة ، وكيف رحلت الحارة كلها الى المنطقة التي فكرنا انه سيهبط بها . أم أحمد قالت ان حبال المظلة طويلة تبلغ اكثر من خمسين ذراعا ، ولكن جارنا عبد السميع قال لها انها اقصر .

نحن نحسّ أيها الغالي اننا نعيش أجمل أيامنا . لقد كان رأينا فيك دائما انك قادر على رفع رأسنا في الميدان . فلما كان يوم السادس من تشرين الاول هذا ، رأينا رأي العين مدى شجاعتك ونبالتك وشهامتك .

نبلغك تحيات أهل الحارة ودعواتهم بل تحيات وطنك . لا تهتم الا بشيء واحد هو ان تتابع انتصارك . أنت حتما عائد الينا ومعك النصر . فتعال سريعا حتى نفرح بك . اننا لا نفكر الا بك . قلوبنا كلها معك . أتعلم ان أولادك واخوتك وأهلك كلهم صاروا موضع حب الحي أكثر مما كانوا ؟ تصور ان ابنك فريد قال امس لرفيق له في الرابعة من عمره مثله ، في خيلاء حارة : « أنا أبي في الزبهة » ؛ ان فريدك على حق بادلاله . اننا كلنا ندل بك . ابو الياس الشاعر بدأ ينظم لكم قصيدة . وقد أسمعني بدايتها . انه يقول :

قل لابننا الجندي في ساح الوغى
مستقبل أنت ونور وسنى
من وجهك الذي يضيئه الوهج
من روحك الذي تفدّيه المهج
من وثبة كأنها الاعصار
أعادت الزهور الى الديار
نستلهم الصمود والثبات
ونعشق الحياة .

فيا ولدنا الحبيب ، عد الينا منتصرا .

البعث ٢٣ تشرين الاول

محمد عمران

أيام تمحو أسطورتين معا

من يعرف كيف تولد الريح ؟

انا ادعي اننا نشهد ولادتها اليوم ! وانا ارى ، بعيني ارى ، وبقلبي ، وبجسدي ، وبكل دمي ، ارى قامتها العملاقة تطلع من صدر وطني . وانا اشهد الارض كيف تباركها ، وهي تنتصب في الشمس .

لا ابالغ . انا ارى واسمع : وما اظن احدا في وطني لا يرى ما ارى ، ولا يسمع ما اسمع . نسمع هدير الريح ، ونراها . نكتشف فيها صوتنا ، ووجهنا ، وملامحنا الضائعة . ونعرف اننا نلامس فيها زمن ولادتنا . اين كنا قبلها ؟ كيف كنا ؟ ومن الغشاوة التي كانت مضروبة على اسماعنا وابصارنا ؟ ولم كنا في غياب ؟ تلك اسئلة نبحث عن اجوبتها فيما بعد . وقتنا الآن لا يتسع للحديث عما قبل زمن الولادة . وانا أؤكد ان الريح في وطني تولد .

ساسميها لكم هذه الريح . ليست معجزة هي ، ولا اسطورة . غير انها تملك كل صفات الاساطير والمعجزات . تملك الخارق والمدهش والرائع ، تملك كل ما في الولادة العظيمة من ابداع . أوليست ولادة الشعب ، حين يمسك بزمنه ، ولادة نبوية ؟! انا لا ادعي ، ولا ابالغ . انني أضع اصبعي على جوهر البطولة في شعبي ، على معدن النبوة والانهاش فيه . ولعل هذا المعدن ما اكتشف ، عبر حقب من تاريخنا بعد زمن المجد الاول ، كما يكتشف الآن ، وهذه الايام بالذات ، من منا ، على امتداد هذا الوطن المترامي من الماء الى الماء ، لا تفاجئه الدهشة وهو يشهد ، بعينيه واذنيه ، ودمه ، زحفا من البطولات ما كان يحلم به ، وعنادا على استباق قبض الراية ما كان يظنه في مقاتلينا ؟! لا ابالغ ، ولا ادعي ، انني احكي حقائق متواضعة ، لم يكتبها قائد فذ ، أو جندي عبقري . بل كتبها كل قادتنا ، وكل افراد جيشنا ، كل مقاتلينا ، هنا ، وفي الجبهة المتقدمة في سيناء . حقائق بسيطة ومتواضعة ، نكتشفها ، يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة من زمن المعركة .

انا اقول ان الريح تولد ، الآن ، في وطني . نحن جميعا نشهد كيف قامتها العملاقة تنتصب في الفراغ الذي كان يشكل هيكل وجودنا ، ليست معجزة هي ولا اسطورة . هي حقيقة شعب يكتشف جوهر الحقيقة فيه . وأولى اكتشافاته انه ليس ، كما أوهموه ، جبانا . شعبنا هذه الايام ، ينتصر ، اولا ، على نفسه ، على وهم الخوف والجبن الذي زرعوه فيه . ذلك هو انتصاره الاعظم .

ترى ، حين يكتب التاريخ ايامنا المضيئة هذه ، هل تسعفه اللغة ؟! في ظني ان كتبة التاريخ سوف يختصرون ، سيقولون شيئا واحدا :

« تلك أيام محت اسطورتين في آن واحد معا » .

الثورة

١٤ تشرين الاول

الحرب .. وبعدها يولد الربيع

على مائدة الجنرالات كان يسكر . غسلوه بالخمر الاحمر حتى انتشى . انتشى فرقص . على الموائد رقص ، على الوجوه ، ثم رقص في شرايين الدم . أسكروه ، اله الحرب « مارس » وتركوه يجن . أسكروه ، وارسلوا جنونه الراقص الينا . وتابع الجنرالات عبّ الخمر . في انتشاء الخمر تمطت احلامهم عريضة ، مدت بساط الريح ، وركبته ، اتجه بها صوب بوابات دمشق ، أنزلها وعاد . اتجه بها صوب قناطر القاهرة ، عبرتها ودخلت . تمطت الاحلام اكثر : أركبها اله الحرب خلفه ، على صهوة جواده الناري ، وفرش بين يديها سهول الفرات ، وسهول النيل . وفي غيبوبة الخمر صلت لمجد مارس ، ركعت على حوافر حصانه . وبغبارها عمدت وجهها . في سريرته كان اله الحرب ، مارس ، يضحك . اكثر من اللازم يحتفى به ، يمجد ، يضع الجنرالات اكليل المجد على رأسه ، ويلعنونه آلها مطلقا على اسرائيل . يحشدون له الجند والطائرات والاسلحة . يحشدون الثكنات والبيوت وحدائق الاطفال . يحشدون الشمس والاشجار ، ومصانع آلات الموت ، في سريرته كان اله الحرب يضحك : لم كل هذا الاحتفاء ؟!

ما الذي يجري الآن ؟

مارس اله الحرب المجنون يرقص . سكران يرقص ، وجذلان . على الموائد يرقص ، على الوجوه يرقص ، ويرقص في أوردة الدم .

ما الذي يحدث الآن ؟

بساط الريح يتمزق ، وتسقط الاحلام العريضة . تسقط وتتمزق . الاحلام الطائرة صوب دمشق ، والاحلام المحمومة فوق القاهرة .

ما الذي يحدث الآن ؟

اله الحرب يلوي عنان جواده ، عائدا الى موائد الجنرالات . بخاصرته يلطم الريح ، ويرسلها شواظا من نار عليهم . بحوافره يكسر البرق ، ويقذفه في وجوههم قنابل . ومن حنجرته التي تصهل يطلق على دمهم رسل الموت .

ما الذي ، الآن ، يحدث ؟!

يغدر بشعبه اله الحرب . لا القرابين تجدي ، ولا الصلوات ، ولا التضرع . يحترق بالنار اللاعب بها ، والى جسده ترتد أنياب الوحش .

وتصرخ اذاعة الجنرالات ، اذاعة بنك الحرب في اسرائيل : « توقف يا مارس ، يا اله الحرب المتوحش ، توقف عن رقصك الجنوني .. » .

وفي ذروة هلعها تعترف اذاعة الجنرالات : « ان مصانع الحرب في اميركا تتعطل آلاتها ، وتصدأ أسلحتها في المستودعات ، اذا ما توقف عن رقصه اله الحرب ! »

ماذا ؟ اذاعة بنك الحرب تشتم مصانع آلات الحرب ؟!

ماذا ؟ يلعن الوحش من زرع في فكيه الانياب ؟
أم هي توبة الذئب آن يصرع ؟!

في سريرته يضحك اله الحرب من اذاعة الجنرالات . يضحك ، ويتابع الرقص . يضحك ، ويجن جنون الرقص فيه . يضحــك ، ويموت من الضحك ، ثم يسقط عليهم ، ثم ، معا ، يموتون ، ثـم تحدث النهاية .

بعدها يولد الربيع .

الثورة
٢٠ تشرين الاول

عن السنبلة التي تولد

رأيت سنبلة تولد .
أحضروا قلما ودواة ، لنكتب اسمها في دفتر الزرع الجديد ، أحضروا الشجر الطفل ، والمدن البكر ، لتشهد على ولادتهــا . أحضروا التاريخ .

في وطني سنبلة تولد .
سجل عندك يا ضابط الاحوال التاريخية . سجل عنــدك ، في رأس الصفحة الاولى من كتاب مواليد الحرب :
الاسم : سنبلة عربية .
تاريخ الولادة : ٦ تشرين الاول ، عام ١٩٧٣ .
مكان الولادة : الضفة الشرقيــة من قناة السويس ــ الجسر الصاعد على جبل الشيخ .
اسم الاب : جولان .
اسم الام : سيناء .
الوجه ، العينان ، الانف ، الشعر : قطعــة برق متوهجة ، فوهتا مدفع ، صاروخ سام ٦ ، وحقل نار .
اللون : بنفسجي معجون بحمرة قانية .
علامات فارقة : بئر نفط في الخد الايمن ، دبابة تي ٦٢ فــي الخد الايسر .
توقيع القابلة : الحرب .

في وطني تولد سنبلة ، تحمل فــي جيبها شهادة ميلادها ، وتمشي ، متأبطة ذراع بندقية . وعلى خصرها زنار أحمر ، ومنديل أرجواني معقود حول عنقها ، وفي شعرها مشط من لهب قرمزي .

كغمامة مكسوة بالشمس تمشي . تحت خفها الاخضر يولد الجمر، ومهرجان الغضب .. وراءها تنتصب قامات القصب المنحني ، وتتحرك مخترقة جدار الريح .

وراءها الارض تولد ، والمدن العذراء .
وأمامها تنفتح مملكة النبوة .
أقول لكم : ألقوا بأحزانكم واتبعوها .
أقول لكم : اخلعوا نعالكم فأنتم في واديها المقدس .
أقول لكم : أخرجوا من موتكم ، وادخلوا ملكوتها في جبـل الصمود الاخضر .
في وطني سنبلة تولد .
الذين لم يشهدوها ينبغي ان يزيحوا عن أبصارهم غشــاوة العمــى .
هي كالبرق تجيء .
وبعدها الصاعقة .

الثورة
٢٧ تشرين الاول

عن لغه الكتابة القادمة

اتصل بي احد الاصدقاء الشعراء ، والحرب في توهجهـا المتصاعد ، وفي حوار على الهاتف قصير ، قال : ماذا نفعل بقصائدنا التي كتبناها قبـل الحرب ؟.. قلت على الفـور : يقينـا سـوف نحرقهـا !..

شاعر آخر من أصدقائنا رفض ان يتحدث في الشعر ، قال لمندوبة احدى الصحف : ثمة لغة واحدة اؤمن بها ، هي اللغة التـي تخرج ، الآن ، من حنجرة النار . وفي بيروت تنـاقلت الصحف اخبار مخرجين مزقوا ما بين أيديهم من نصوص كانوا يعدونها لموسم المسرح القادم ، ووقفوا ينتظرون ولادة مسرح مـا بعـد الحرب . فـي القاهرة تقدم توفيق الحكيم بطلب الى وزارة الثقافة ، لتهيىء لـه عملا يدويا يناسب سنه ، اسهاما منه في الحرب ، بحجة ان الكلمة في زمن الحرب ليست ذات جدوى . في أقطار عربية اخرى حدث شيء من هذا ، أكثر او أقل ، لا يهم ، ولكنه شيء يحمل دلالتيـن معــا :

اولا ، ان الفعل الذي يحدث اكبر من حجم الكلمة ، كائنــا ما كان هذا الحجم . وثانيا ، ان لغة ما بعد حزيران ليست هــي اللغة التي تصلح لادب ما بعد تشرين .

دلالتان طرحتهما الحرب ، بحدة ، على المثقفين العرب . واذا كانت الدلالة الاولى بحاجة الى مراجعة ، بعد خفة التوتر الناري ، نسبيــا ، فان الدلالة الثانية فرضت نفسها على لغة الكتــابة القــادمة .

وأقول ((الكتابة القادمة)) لان ما كتب ايام الحرب ، وما يكتب الآن ، لا يختلف في لغته المتوترة عن لغة حزيران ، على الرغم مـن المساحة النفسية التي تفصل بين اللغتين . كلتاهما عاجزة عـن استيعاب البعد الشمولي لحركة الانسان العربي خارج زمنه الضيق، وكلتاهما تتحرك من موقع الانفعال .

لغة ما بعد حزيران صارت أهدأ ، اكثر عمقا وتأملا ، واكثر قدرة على الكشف ، وحين امتلكت طاقة الرؤيا تحولت الى لغـة محرضة كان لا بد منها ، في أعوامها الاخيرة خرجت من طقس الندب واللطم وتمزيق الثياب ، الى الطقس الآخر : البحث عن زمـن للخروج ، واستقراء ملامح الفارس العربي الذي يمسك بهذا الزمن . كانت ضرورية لغة ما بعد حزيران . غير ان ضرورتها انتهت بعـد الحرب الجديدة .

لقد جاء زمن الخروج ، والفارس الذي كانت تتعرى ملامحه ولد الآن ، ولدته الحرب . هو ، الآن ، ينمو وجها ويدا وقامة . ولد في المكان ذاته ، المكان الذي كانت الكلمة الناضجة تنتظر ولادته منــه : القتال !

ولد ، وعلى اللغة القادمة ، لغة ما بعد تشرين ، ان تكـون حاضنة له . حاضنة ، وأما ، ومربية . على لغة ما بعد تشرين ان تتقدم الى موقع جديد ، فان أمام وظيفتها مهمة أصعب : الحفـاظ على زمن الولادة .

ثمة أيد لا مرئية ، أيد بأظافر وقفازات ، أيد بمخالب عارية ، ومخالب ذات أقنعة ، أيد من غير جهة تمتد ، ثمة أيد بأسمـاء ، وأيد لا اسماء لها ، تولد الآن ، وتولد بعد الآن ، وستظل تولد لتصنع حصارا يائسا ، حصارا عدائيا وحاقدا ، على الوجه ــ الفارس الذي ولدته الحرب ، وعلى لغة الكتابة القادمة بتر تلك الايـدي ، بترها ، وفك الحصار ، بترها ، وانقاذ الولادة .

الم أقل : هي مهمة صعبة ؟!

انما ، ها هنا فقط ، مفترق الطرق بين الكلمة التي تمـلأ حجم الفعل ، والكلمة التي لا لزوم لها .

الثورة ٣٠ تشرين الاول

عبد الكريم الناعم

مرثية للفارس الفراتي خالـد بشـــار

أيها الحامل عطر البيد ، والزهر الفراتيّ ،
وألوان العتابا ،
أيها الآتي من الريف الشمالي كما رفة
جنح عبرت كل البوادي ،
أيها الحامل في زوادة الايام من خبز
التنانير رغيفا ،
وعلى هدبيك ازهار حكايا تتفتق
أيها الطلق كما السهل الذي يرتعش
الفر"اف فيه كلما غنت ربابه
أيها الحامل وجه البدوي الفذ من « حمص » ،
الى « الشام » الى « الجولان » ، في مد
لهيب الصخب العاتي كما البرق :
شهابا ،
وذؤابه
وجهك الوجه الفروسي ،
على صفحته يرتسم الآتي ،
ووجه الوطن الآتي ،
واغصان بروق الشجر الدامي ،
دخول الناس أبواب المنايا ،
عالم تزدهر الجدران فيه ،
كل تذكار عليه خلجة من دمك المفسول ـ
بالضوء ، وبالارض الجريحه
كل تذكار عليه جسد يفترش الحلم ضريحه
كل حلم ومضة في عينك النشوى :
« بأناقادرون » .
أيها الغائب في بحر المنايا ،
أيها الطالع من عمق المنايا ،
ما الذي تعطيه كف الحرف في العرس المدمى ؟!
ما الذي يعطيه نبض الحرف ،
والنبض على قارعة الارض دماء
نسفت كل الجسور .
معبر الشوق ،..

رؤى الآتي ،..
رفيق الحزن في ليل من الفقر ،
واحلام الرجال الفقراء ...
فرحة الكأس على قارعة الريح ،..
واشواق البداة السمر للخضرة ، والماء ،..
وحزن يفتح البسمة بابا :
هذه كل الجسور
ليس غير الموت جسرا ،
وحده الموت الذي يوصلنا للضفة الاخرى ،
وها أنت وصلت
وحده الموت الذي يكتب أحلى الشعر بالجرح ،
وها أنت كتبت
وحده النجم الذي يسطع في الظلمة ، في التيه ،
وها أنت سطعت
ملء كفيك الشرارات ،
ووجه النار ،
في عينيك غابات من الشعر ،
وها .. فارسا صرت ،
بماذا ينبض الحلم ؟!
بماذا يحلم الاحياء ؟!
يا وجه السنى الآتي من الريف الشمالي
على مد مناك الخضر ،
هذا جسد « الجولان » ،
هذي لغة « الجولان » ،
أنت الليلة الفارس بين الشعراء
أروع الشعر بما في الجرح من دم كتبت
وكتبناه بماء
وغدا سوف يراك الشجر الطالع في الوادي
على صفحة ماء النهر ،
والنهر يراك
في البراعم .

حمص — عبدالكريم الناعم

عفيف بهنسي

معركة واحدة وعشرة انتصارات

يجب ان أبتدىء الحديث بالانتصار الاول الذي أحرزناه في حربنا الحاسمة لكي أبني عليه ما أكتبه اليوم ، ولتكون الكلمة التي ساكتبها منسجمة مع طبيعة هذا الانتصار .

١ ـ لقد انتصرنا على الكلمة المنفوخة بالوهم والغرور والخيال ، وأصبحنا نعتمد الكلمة المتمثلة باليقين والواقعية والمنطق . وهكذا كانت خطابات رؤسائنا واضحة موضوعية بعيدة عن المبالغات ، وكانت اذاعاتنا وبلاغاتنا وصحفنا مقتصرة على التعريف بالواقع والحقيقة في حربنا الدائرة مع عدو واسع الفروع والجذور ، ولقد انتصرنا على الزيف في سلوكنا فكان اول ما كسبناه اننا أصبحنا نصدق ما نقول ، واصبح العالم يحترم تصريحاتنا ، وصار عدونا يتتبع اذاعاتنا على انها المصدر الصادق والمفزع بصدقه ، مما فضح كذب ما يقوله العدو ويصرح به ، فكان الكسب مزدوجا ، ثقة عالية بما نقول وشك شامل بما يقولون .

٢ ـ الانتصار الثاني هو التحول الى العقلانية والعلم والتخطيط بعد الطوبائية والارتجال . لقد أعطت الحرب الاخيرة اكثر من برهان على دقة التخطيط والتنظيم على المستويات العسكرية والسياسية والشعبية وعلى التنسيق بين جميع القوى والفاعليات والقطاعات . ولاول مرة كان لكل مواطن دوره في المعركة ، لم يكن ذلك مجرد اندفاع تلقائي بل كان تنفيذا لخطة دقيقة استهدفت حماية معركة التحرير من الفشل والذل والخور .

٣ ـ الانتصار الثالث متعلق باسترداد الكرامة ، ومحو ذل النكسة والقضاء على أسطورة التفوق الاسرائيلي في الشرق الاوسط ، ليس من حيث التسليح والعتاد فقط ، بل من حيث الكفاءة القتالية والبسالة العسكرية .

لقد أحرز العرب انتصارهم بقوة صنوف أسلحتهم ، وبمهارة مقاتليهم وقاذفيهم وطياريهم ، وبسرعة تحركهم ودقة تخطيطهم التعبوي ، وبقتالهم الجريء وبسالتهم الصامدة ، ولم يكن هذا الانتصار عطاء ومنة ، كما لم تساهم فيه اية دولة غريبة ، بل على العكس لقد كان حرصنا على عدم توسيع نطاق الحرب سببا في دعم الانفتاح والتقارب بين الدول الاعظم .

٤ ـ انتصار رائع احرزناه من خلال الحرب هو الموقف القومي الشامل الذي وقفته الدول العربية من المحيط الى الخليج ، والذي اعتبرت فيه هذه الحرب حربها ، وان القضية هي قضية العرب كلهم ، فشاركت في المعركة بجنودها وسلاحها ونفطها ومالها وحربها الاقتصادية وحملاتها الاعلامية ، بروح واحدة وعزم واحد وهدف واحد ، فكانت قومية المعركة بداية راسخة لقيام الوجود العربي الموحد .

٥ ـ الانتصار الصارخ تحقق بتحرير الطاقة النفطية من نفوذ الشركات والتروستات ومن التحكم والاستغلال .

لقد كسرنا الطوق المضروب حول أعناقنا وأصبحت مقادير نفطنا بايدينا ، نحن نضخه ونحدد كمياته ونسعره ونحدد المنتفعين منه ، نمنحه للصديق ونحجبه عن العدو وعن صديق العدو ، ان هذا يعني أشياء كثيرة ، منها ان مادة الحضارة الغربية التي نملكها نحن ، أصبحت مرتبطة بادارتنا ومشيئتنا ، وان الامتيازات الممنوحة للشركات البترولية لم تعد تعن استعبادا لطاقاتنا بل مشاركة قابلة للفسخ في أول محاولة للخداع والعداء . وان شعار بترول العرب للعرب اصبح منذ هذه المعركة أساسا لسياستنا واقتصادنا واصلاحنا الاجتماعي كحقيقة منفذة وليس املا مرتقبا ، وان هذه الطاقة يجب ان تصنع وتستغل على أرضنا وبفعلنا . اننا أولى بهذا الامر طالما نحن الذين ننتج المادة الاساسية ونحن الذين نستهلك المادة المصنعة ، ومن التخلف المشين ان نسمح باستغلالنا في عهد الانتصارات الذي بدأنا نعيشه .

٦ ـ ان قومية المعركة وزج جميع الامكانيات العربية في المعركة أوضح ان مقاليد الاقتصاد الغربي منوطة بآبار بترولنا ، ان هذا الاقتصاد الذي بات يعتمد بنسبة عالية على الصناعات البتروكيماوية المتزايدة ، عدا اعتماده على البترول كوقود لمحركاته وطائراته وسياراته وجراراته ، سيكون طوع السياسة النفطية التي نضعها نحن والمتمشية مع مصالحنا وسيادتنا . ولن يكون دورنا تعسفيا كما كان دور الدول المستوردة لبترولنا ولكنه دور السيد المتحكم في ملكه وثرواته وطاقاته .

ان معركتنا التي خضناها بانتصار شامل علمتنا ان النفط وحده هو التغطية الحقيقية للعملات العالمية ، وانه وحده سيبقى المعادل الاساسي لجميع العملات ، وان التوازنات النقدية والازمات يصنعها النفط وحده حسب منحنيات ازدياده ونقصانه ، تسويقه او حجبه . والشواهد في ذلك اصبحت جلية واضحة .

٧ ـ ان انتصارنا الذي حققناه في معركة التحرير الشاملة ، لم يكن انتصارا على اسرائيل والصهيونية فقط ، بل على اميركا والامبريالية في جميع انحاء العالم ، لقد ارادت المصالح الامبريالية في اوروبا واميركا ان تقف كمادتها الى جانب اسرائيل التي يمثلها اكبر يهود العالم المتنفذين اقتصاديا وسياسيا واعلاميا . ولكن حربنا الصارمة القومية والشاملة ، وضعت هذه المصالح امام تهديد قاطع ، ينسفها من جذورها ، فتسابقت طوعا او كرها الى تأييدنا ، او الى الوقوف موقف المحايد من حربنا . وتسارعت الى حسم هذه الحرب التي كادت تتطور وتتسع لتكون حربا عالمية . على اننا اذا سعينا دائما الى تضييق ساحة الحرب لنجعلها معركة عربية صرفة ، فانا اردناها ثورة يقوم بها العالم الثالث ضد العالم الامبريالي المستغل للطاقات البشرية والمادية التي تملكها الشعوب المتطورة .

٨ ـ ان انتصارنا الذي تجلى بقطع اكثر الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل لا نفهمه من خلال صراعنا العسكري مع هذه الدولة العنصرية وحسب ، بل انما نرى فيه حركة افريقية تحررية واسعة من النفوذ الاسرائيلي السياسي والاقتصادي الذي استحكم خلال السنوات الاخيرة ، وجعل هذه الدولة الامبريالية تتقوى ضدنا بفعل استغلالاتها المنوعة في هذه القارة الغنية البكر . ولقد فتح هذا الموقف امامنا ابواب صداقات نزيهة تساعدنا دائما في معركة التقدم والتطور التي نسير فيها ازاء الدول المتقدمة تقنيا والمستغلة لامكانياتنا اقتصاديا .

٩ ـ ان اساس هذه الانتصارات كلها ، هو الانتصار العسكري ، ولسوف يصبح اسلوب حرب سيناء والجولان واجتياز القناة واختراق الخطوط الاسرائيلية واصطياد الطائرات وسحق الآليات دروسا وأمثلة راسخة في التاريخ العسكري . ان سحق جهود ست سنوات من التحصين والتعبئة والتسليح الاسرائيلي ، واتلاف مليارات الدولارات المنفقة استعدادا لعدوان غادر ، ان تحقيق هذا العمل بيوم واحد ، يضع حقيقة جديدة امام العالم . ان العرب هم الشرق الاوسط ، هم سادته وهم اصحاب مقاديره وليس لدولة طارئة ان تتسلط عليه وتتحكم في مصيره .

١٠ ـ الانتصار الاكبر الذي أحرزناه هو تحقيق الوجود العربي العصري . لقد ارتبط الوجود العربي منذ مباشرتنا معركة التحرير بهذا العصر وبهذا القرن العشرين . لقد اصبحنا ننتسب لحضارة حديثة ، وليس لحضارة تليدة فقط . لقد اتكانا كثيرا على الماضي

فسهونا عن الحاضر والمستقبل ، اما معركة اليوم ، فلقد اوضحت لنا وللتاريخ ان العملاق العربي الذي استيقظ منذ نصف قرن ، يسير اليوم الى الامام باتجاه الشمس .

عشرة انتصارات في معركة واحدة . رصيد ضخم لنضال جيل، ومسؤولية كبيرة سيتحملها جيل جديد هو جيل الانتصارات .

الثورة ٢٥ تشرين الاول

أخبار عن المقاتلين الى القلقين عليهم

في اجازة قصيرة جدا ، عدت الى المدينة الكبيرة من موقعي في مكان ما ، حيث أنا مكلف بمهمة مثل غيري من المواطنين المجندين للمعركة ، وخلال هذه الزيارة العابرة جاءتني أم لا أعرفها تسألني بقلق عن ابنها وأخيها المقاتلين ، وألحت عليّ ان اجيبها على سؤالها وكأنني أعرف المقاتلين واحدا واحدا وأعرف ظروفهم جميعا . ولقد استجمعت كل ما أقدر عليه من عبارات التشجيع والتطمين وأنا أخاطب هذه الام ، ولست متيقنا ان ما قلته قمين بطمأنتها ، فقد كان عليّ ان اقول أشياء اخرى كثيرة . ولهذا اردت ان اوجه هذه الرسالة الى كل أم لم تردها بعد اخبار الغائبين في الجبهة ، بل لعلي اردت ان اخاطب كل انسان بعيد عن معركة القتال واخبارها الحقيقية ، لا يربطه بها الا بعض المقاتلين من الاهل والاقرباء ، لكي أقول له ان الهم والشقاء هو من نصيب الذين يرون الاشياء من خلال الخوف والغموض ، وان من تقلقون عليهم هم احسن حالا بكثير منكم ، ذلك لانهم يعرفون الحقيقة فلا يخافون .

انا لا اقول ان المقاتلين يتمتعون بلذة القتال في الجبهة ، فالقتل والموت ليسا لعبا او لهوا ، وانما يكمن حول كل مقاتل دمار محقق وموت رهيب ، هكذا الحرب التي لم تكن في يوم من الايام بأقل وطأة وبطشا . ولكن الفرق كبير بين من يدخل غمار الحرب ومن يسمع اخبارها . ذلك ان المحارب اذ يسترخص روحه يكسب الحياة هو ويعيش حالة الفوز والسيطرة على عدوه بقدر استعداده للفداء والتضحية ، اما البعيد عن ساحة الحرب المترقب لاخبارها ، فانه يعيش في فراغ وسلبية لا يسعفه منها الا برهان مادي ، كأن يحصل على رأس العدو وينظر اليه مستسلما ، او ان يقف على أرض مكتسبة او مستردة ويتلمس ترابها .

ان من يقف بعيدا عن جو القتال يكون اكثر تعرضا للوهم ولقبول الافكار اليائسة والاخبار المؤسفة . ذلك لانه لا يرى ما فيها .. صحيح انها اتون يلهب المتحاربين ، ولكن هذا الاتون يوقده المتحاربون انفسهم ، ولكل وسيلته في تفادي النار وتصويبها نحو خصمه .

ان من يحمل البندقية ومن يقذف القنبلة او الصاروخ ويعرف الهدف جيدا ، هو الذي يرى بوضوح ، وهو الذي يحدد معاني النصر ، ففي كل خطوة او مرحلة من مراحل القتال نصر لا يراه الا صانعوه ، ونادرا ما ينقل النصر صحيحا الى القابعين قبل الخطوط .

والمقاتل لا يحمل ميزانا لقياس الربح والخسارة ، فليس عدد القتلى والاسرى وليست مساحات الارض هي الميزان ، ولكن الميزان وحده هو في قوة الاندفاع للقتال والصمود ، وفي البسالة والتشبث بالمواقع المتقدمة . ان الانتصار على النفس أهم اشكال الانتصارات . ومن حق المقاتل في الميدان ان يحرز هذا الانتصار ، لانه يعيش في ظروف افضل بكثير من ظروف الذين يحتضنون الترانزيستور يتنقلون من خلاله وراء الاخبار . والفرق كبير بين من يصنع الاخبار الحقيقية وبين من يستمع اليها من خلال الاذاعات المدسوسة او المقتضبة .

المقاتل في الجبهة يتمتع بثقة هي غريبة عن غيره ، ولو اتيح للقلقين عليه ان يمتطوا معه السوخوي او الميغ ، وينظروا كيف يهلع العدو امام اصواتها المدوية المرعبة ، قبل ان ينظروا الى آثار قنابلها المدمرة ، لادركهم بعض الثبات والجنان .

ولو كان بمقدورهم ان ينظروا من خلال مناظير المدافع المنتشرة في كل مكان ، لرأوا كيف تتلاشى قوات العدو وحصونه وراء الضربات السديدة التي يطلقها جندي الميدان .

لقد رأى الناس في المدينة كيف تتهاوى الطائرات العدوة بالمئات أمام ضربات طائراتنا ووسائل دفاعنا الجوي . عندها فقط كانت الطمأنينة تشملهم جميعا ، فكانوا أشبه بالجندي في الميدان . وعندما نفذت الطائرات العدوة ، وفقد من تبقى منها الجرأة على اختراق أجوائنا ، عاد القلق الى الظهور ، لماذا توقف دفاعنا عن اسقاط الطائرات ؟ لماذا لا تتحدث الاذاعة عن الانتصارات ؟

ومن المؤسف ان يصير الناس بهذا اكثر عرضة للحملة النفسية التي تبثها سموم الاذاعات المعادية ، ومن المؤسف ان تصبح غارات العدو على البيوت الآمنة في شوارع السفارات وفي ضاحية دمشق الجديدة ، وعلى الساحل ، عاملا من عوامل الضجر من الحرب .

ان قصف المدن الآمنة امر لا يحتاج الى بطولة وشجاعة وقوة ، وانما هو يقوم على الخسة والغدر والوحشية ، واذا شهدت مستشفياتنا مئات المصابين من هذه الغارات ، فان هؤلاء المصابين كانوا اطفالا ونساء ورجالا آمنين وبعضهم من الاجانب المقيمين في بلادنا . ان الجندي في المعركة شديد الحزن لهؤلاء الضحايا ، ولكن حزنه يدفعه الى الضراوة في القتال والاستبسال في الدفاع ، متجها نحو القوة العسكرية المعتدية وحدها ، بعيدا عن ارتكاب جريمة ضرب الآمنين المجردين من الدفاع . الجندي في الميدان لا يضجر من القتال ، بل على العكس ان امله الوحيد ان ينفسح امامه الزمن الكافي لمتابعة مهمته القتالية الواسعة النطاق . وعندما يوقف اطلاق النار يشعر بالاسى لعدم تمكنه من تحقيق هدفه كاملا ، وهو اذ يقف امام قرارات مجلس الامن ، فانه يكتب بذلك انتصارا جديدا في ضبط النفس وكبح جماح استبساله وقتاله . وعلى الذين يقفون بقلوبهم وراءه ان يفهموا جيدا موقفه ودوره وان يحفظوا ويحافظوا جيدا على انتصاراته الكثيرة التي حجبتها المسافة والحرب النفسية ووقف القتال ، ولكنهم سيسمعون عنها كثيرا وسيقرأون عنها كثيرا ، فهي المؤشر الجديد لتاريخنا الجديد المقبل .

ان بريق الانتصار شعلة يجب ان تستمر مضيئة دائما ، ومن الخيانة ان نحجب ابصارنا عن نورها الساطع .

ان عيوننا التي اعتادت الظلام خلال فترة قاتمة من تاريخ صراعنا مع عدونا الصهيوني ، يجب ان تعتاد على بريق الانتصارات الكثيرة التي أحرزناها من خلال معركة اكتوبر في سيناء والجولان ، والتي توسعت فشملت ابعادها انتصارات على المستويات السياسية والقومية والاقتصادية ، وبهذا المعنى فان هذه المعركة كانت ثورة حقيقية ، ثورة الضمير العربي على جميع اشكال العدوان والاستغلال والامتهان والتشرد . وانتصارنا ناجز في جميع هذه الجبهات المستعصية . ولقد حقق هذه الانتصارات الجندي في المعركة ، وله المجد الاكبر في ذلك شهيدا صار او مقاتلا ما زال . واذا لم يكتب للآمنين حظ في القتال،وشرف في الاستشهاد، فذلك انه لم يجيء دورهم بعد . أنا نفسي مجند قابع في الصف الثاني لم يكتب لي بعد أن ارمي طلقة واحدة ، لم يكتب لي شرف ان اخوض غمار المعركة التي خاضها الصف الاول ، لم أحظ بعد بشرف استشهاد . أعترف انني أشعر بالاسى لان دوري لم يحن بعد . وأنتم القلقون في المدينة الكبيرة سيزول قلقكم ابدا لو ان دوركم قد حان كما حان دور الرجال والنساء والاطفال في السويس وبور سعيد والاسماعيلية . لقد زال قلقهم الى الابد ، لانهم رأوا بأعينهم كيف ينهزم المتسللون الغاشمون امام ارادتهم ، ارادة الانتصار والتحرر .

لقد زال قلقهم لانهم صنعوا النصر بأيديهم وعرفوا كيف يصير ويتحقق ، ودفعوا ثمنه بكل استرخاص .

الثورة ٢٨ تشرين الاول

أحمد يوسف داود

الاشجار

لا دمع !!
ينتظر الاحبة موعد الوطن الجميل ..
ويهدأون
في الليل ينتصبون أشجارا ،
فترتدّ العواصف والرياح ..
ويبسمون .
في الليل ظلّ غنائهم يأتي الى الاطفال
ـ والاطفال ناموا ـ
وهم على الميدان قد قالوا وصيتهم ..
وحلت في التراب دماؤهم
فتمددوا حبا .. وناموا !!
« أطفـالنا ...!
غنوا عن الوطن الجميل غدا ..
وغنوا عن جذوع السنديان ..
وموعد القمر المسافر والسهر .
من أجلنا نحن الذين قلوبنا احترقت بأشواق الحياة ..
ولم نذق طعم الحياة
من أجلنا نحن الذين نعانق الموت الجديد ليكبر الحب الجديد
غنوا عن الوطن الجميل ..
عن الهوى ..
وعن السنابل ، والحصيد ! »
« أطفـالنا ...!
قبل معطلة قطفناها .. وما كانت سوى ظل اشتياق
كانت مخالب في شفاه العاشقين
وفي قلوب العاشقين
واليوم ترتعش المخالب ثم تسقط ...
ثم نحن نمدّ آلاف السواعد للحياة
واليوم ، وجه دمشق يومض في حصار الهم ...
وجه دمشق ترسمه الجذوع ...
يضيء .. ثم يضيء ..
نحن نمدّ آلاف السواعد للضياء
هي ذي محبتنا :
تفل دماؤنا في الارض نابضة ..
فترتفع الرؤوس الى السماء !! »
« أطفـالنا ...!
فلتذكرونا حين تتسع المدائن بعد ، اكثر
ولتذكرونا حين تكتمل المدائن او تعمر
وثقوا بأن الحب والانسان أقوى من دمار مخالب
الدنيا .. وأكبر !!
ولتذكرونا ...
حين نعجن بالدماء ترابنا ، تترسخ المدن الجميلة
وتقوم في الارض الجذوع ...
ويكبر الشجر الصغير !..
ويصبح الانسان اكبر ! »
« أطفـالنا ...!
هي ذي محبتنا ، نعلقها على ثغر البنادق رايـة
الحرية العذراء نعرفها .. فنحترق اشتياقا
هي ذي محبتنا ، نعلقها على كتف الفصول ..
وراية للسلم نرفعهـا ...
ونشبعها عناقا
ويضيء وجه دمشق في شعل السواعد والدماء
و « هم » على أبوابها يتساقطون بلا مخالب ..
كالذئاب العاجزة !!
ونظل نقتل كي يكون لنومكم حلم جميل
و « هم » على ابوابها يتساقطون ..
ونحن نقتل .. ثم نقتل ..
كي يكون لها السلام المستحيل ! »
« أطفـالنا ...!
لا تقطفوا قبلا معطلة .. ولا ظل اشتياق !
هي كي تكون هوى ، عليها أن تحيل القلب خلاقا ..
وزند العشق خلاقا ..
كميلاد جديد !
ليكن عناق الارض وجدا ، واندفاعا ، واتقادا
لا شيء يولد يا أحبة من عدم !!
وتذكروا درس الحياة .. تذكروا درس الحياة
لا شيء غير الشمس والنيران يمسح في الشتاءات الجليد ! »
في موعد الوطن الجميل تدفق اليوم الاحبة
غنوا وصاياهم ...
وحلت في التراب دماؤهم ..
فتمددوا حبا .. وناموا هادئين
في موعد الوطن الجميل تذوقوا قبلا
فصاروا أغنية
واذا أطل الليل ينتفضون أشجارا
فترتد العواصف والرياح .
وهم على طرف المعابر يهمسون عن الصفار ..
ويبسمون !

الثورة ٣٠ تشرين الاول

عزيزة هارون

الى الارض العربية

يا أرضنـــا حييت من مرتـــع
فأينعـــي بالمشتهـــى أينعـــي

في كل شبر منك وهـــج الفـــدى
من مربع أهفـــو الى مربـــع

أسبق فيك القلب مـــن لهفتـــي
وأسبق اللهفـــة في أدمعـــي

جراحك الفيـــح جراح النـــدى
تنشقي عطر الندى وارتعـــي

فارسك العمـــلاق يا وثبـــة
عانقت المجد ولـــم تدعـــي

ان لم ننل كل الذي نرتجـــي
ففي غد تيصري واسمعـــي

سماؤك الزرقـــاء يا موطنـــي
بمثل هذا الجهد لم تسطـــع

أحسّ ان المجد في مهجتـــي
اذا تغنيت يغنـــي معـــي

* * *

يا « حافظا » حييت مـــن قـــائد
فـــدتك أم المجـــد من أروع

حلق بأشبـــالك نحـــو العلى
بهمـــة بالحرب لم تجـــزع

تفتح الحـــلم وهـــذا السنـــى
بدايـــة للمثـــل الارفـــع

البعث

٢٩ تشرين الاول

ممدوح السكاف

من الذي يجيء

كانت وجوه في الظلام تمحي ،
وكنت في الظلام أستضيء
وجه طفولي ، ووجه ضاحك ،
وآخر مستنجد برنة الفرح
باقة من زهر تشرين الذي عادت له ايقاعة المرح
وفاق بعد هجعةالسنين ، واستدارة الهموم في القلوب
وباقة من دهشة ، يحملها مجاهد ، قد غاب في جزائر النسيان
وساعة الميدان ...
بقرعها البطيء ، تقتفي جنازة الزمان
والحارس الجريح يكتب الوصية ،
ويمنح الزنود غفوة في ليله المنهوب
هذا أنا ، يا وجهها الطالع من شرارة البحار ..
مكسرا ، كالموج ، آتي ،
منتصبا كرايه ..
وصاحيا كالسيف ،
ولامعا كلمعة المحار ..
أنصت الي : حبنا ، الموجة والشراع والقرار
أفلت ذراعيّ ، انني اليها راحل مشوق
انزع قيودي ، فها أنا أشيل سترتي ،
زوادتي ، عقالي القديم
وأرتمي في الريح والمطر ..
أصافح الرعيان والوديان والشجر
لانني الى محبوبتي الديار ..
راجع ، أعانق الحجر ...
من الذي يجيء ؟..
غمامة .. أم زورق .. أم قنبله ؟..
أم نسمة مفروقه ؟..
أم معجزه ؟..
أم نجمة ، في ضوئها مستغرقه ؟..
أم زنبقه ؟..
من الذي يجيء ؟..
حقيبة ..
مفتاح دار ، كان ضائعا ،
مخبأ ، يظل سنديانة التذكار ...
أم سنبله ؟..
من الذي يجيء ؟..
بارودة ..
أم مشعل في الليل يقشع الظلام ..
أم طائر مقدام ؟..
من الذي يجيء ؟..
في برد تشرين ، وقيظه المليء ؟..
من الذي يجيء ؟..

البعث ٢٤ تشرين الاول

العراق

شفيق الكمالي

العبور

قالوا : ـ
ان روابينا
ستفيق على نور
يكنس أكوام الحزن .. الراقد
فوق شفاه
لم تعرف ..
منذ حزيران ضياء .
قلنـــا : ـ
لكن النجم حزين
والارض تحن ّ الى الماء
روابينا ...
يحرثها الظمأ الكافر
قالوا : ـ
.... قلنا
وسمعنا
أصداء صهيل الخيل
حوافرها
تقرع أبواب الخلد ،
انهدمت أسوار الرعب
انطلق الفتيان ،
انفجرت ... رنات الصخر
ينابيع ضيـــاء
عمرو بن العاص .. ترف ّ عباءته فوق النيل

عاد الغائب للاهل
عدنـــا
عادت أيامك يا ذي قار
الارض تغني
وهدير
أطرب سمع الليل
عبرنا ...
صرخات الجند
زئير دروع صدئت زمنا
يا سيناء انتفضي ..
يا سيناء .. التيه ..
الرمل الحارق ..
أشلاء رفاق الامس ..
اخضرت
اعشب صدر الارض دروعا
تطحن غول العار
عدنا ...
عاد الفارس للساحات ..
بيارقنا
رفّت أسراب حمام
لكنا ..
ـ ويل الايام السود ـ
نسينا
ما عدنا نعرف معنى
الفرح الغامر .. ما عدنا
نجرؤ ان نفرح ،
يا رب .. اجعلها
فرحة خير

ملحق الجمهورية
١٣ تشرين الاول

عزيز السيد جاسم

حرب محدودة ام قومية شاملة ؟

اذا كانت الازمات والمناوشات العسكرية المحدودة قادرة على كشف بعض الامكانيات القومية سلبا او ايجابا ، فان الحرب هي الكشف الواسع بنوع الطاقات القومية .

بيد ان بعض اشكال الحرب قد تغفل جوانب اساسية في الطاقات القومية ، وبخاصة الحرب الاستعمارية التي تشترك فيها القوى الامبريالية والقوى العميلة لها سواء بسواء . وهذا يعني اناطة مسؤولية الكشف الجذري بامكانات اية أمة ، بالحرب الثورية ، القادرة على ايقاظ واحياء وانضاج وتطوير مصادر القوة الحيوية للجماهير القومية المناضلة ، ولقواها السياسية والعسكرية الوطنية .

ومن المهم جدا ايجاد فرز موضوعي بين الحروب المحدودة التي تدور بين بلدان متجاورة بسبب الخلافات حول مسألة (الحدود) ، او بين بلدان من طبيعة قومية واحدة ، او بين بلدان ذات انظمة متقاربة ... الخ . والحروب الثورية التي تكتسب منذ البدء مغزاها الثوري ، ويتكامل هذا المغزى باستمرار وبمقدار التصدي للامبريالية ، والصهيونية ، والفاشية الجديدة . والحرب القائمة بين الامة العربية و « اسرائيل » هي من طراز الحروب الثورية التي تاخذ بعدا أساسيا في المرحلة الراهنة من الحرب الثورية العالمية ، وفي مهام توسيع رقعة الاشتراكية في العالم ، وتقويض التركيب العالمي للرأسمالية .

وان قوة الوقائع الثورية في الحرب التي تدور رحاها بين جماهير الامة العربية ، وبخاصة جماهير فلسطين ، والعدو الصهيوني ، منذ اعلان تأسيس الكيان الاستيطاني ، تؤكد الفشل المتتابع للمفاهيم ووجهات النظر التي تعمد الى تصوير الحرب ، وكأنها ليست ثورية . وكذلك تثبت فشل أساليب العمل السياسي والمناورات التي حاولت وتحاول ابعاد شكل الحرب عن الطبيعة الثورية لها ، وتجريدها من متضمناتها القومية الثورية العميقة .

والآن ، وحيث بدأت في تشرين الاول من العام ١٩٧٣ ، حرب حقيقية ، بدأت في الجبهتين الغربية والشمالية ، وجها لوجه مع العدو الصهيوني ، فان الاصرار على مفهوم : كل حرب ضد «اسرائيل» هي حرب ثورية ، يجب ان يتحول وفي الحال الى شعارات وتطبيقات ثورية واسعة تعم الوطن العربي ، بجماهيره وقواه الثورية المنظمة ، وبمنظماته وجمعياته ، وأنظمته الوطنية ، للمشاركة الواسعة في المجهود الثوري العظيم الذي تخوضه القوات العسكرية العربية ، وقوات الثورة الفلسطينية .

وبالنسبة للعدو الصهيوني ، حيث يشن حربا استعمارية كثيفة وواسعة النطاق ، ضد الامة العربية ، ان الحرب الراهنة لا تشكل اختبارا لقدرات « اسرائيل » بمفردها ، بل ان قدرات الامبريالية العالمية وبخاصة الاميركية ، والقوى الصهيونية الدولية ، هي التي تتوحد في الكفة الاسرائيلية ، باستقطاب امبريالي ـ صهيوني ـ فاشي ، مكشوف .

وفي الحالات الحربية التي كانت « اسرائيل » فيها محرزة لانتصارات محسوسة ضد العرب ، لم تكن ثمة ضرورة « اسرائيلية » للاعلان عن مؤسسات الطاقم الامبريالي ـ الصهيوني ـ الفاشي العالمي بأكمله ، فهي ليست محتاجة لذلك .

اما الآن ، وبعد ان طرحت الحرب الراهنة صورة جديدة لموازين القوى ، واندحرت في اللحظة الاولى توقعات المنجهية الاسرائيلية ، وأوهامها عن الامكانيات العربية ، فان جميع مؤسسات الطاقم الامبريالي ـ الصهيوني ـ الفاشي ، تتحرك بسرعة ـ وان باساليب مختلفة ـ لتؤدي دورها في حماية « اسرائيل » ومقاومة اليقظة العربية الجديدة ، يقظة الحرب الثورية المحتدمة الاصرار .

وعموما فان المصالح الامبريالية المنتشرة ، في أماكن عديدة من العالم ، وفي الوطن العربي والمناطق المتاخمة له ، تنتظم بآلية واحدة ، آلية غرز أسلحتها في جسد الامة العربية المناضلة .

وفي اقل التقديرات الواقعية ، ان الامة العربية بالذات ، والتي لم تسمح اوضاعها الذاتية لفترة زمنية طويلة بتجريب وامتحان قواها الحقيقية ، حانت لها فرصة ضرورية لاكتشاف قواها وطاقاتها الذاتية وفقا للحسابات الثورية التي عاشتها شعوب وأمم مختلفة من العالم .

واستنادا الى المعطيات الاولية الراهنة فان التفوق العربي في الجبهتين الغربية والشمالية يشير الى ان هذا التفوق هو محصلة اختبار البعض « الاقل » من القدرات القومية في الحرب ، وليس محصلة اختبار جميع هذه القدرات .

ولا زالت توجد خارج نطاق الحرب العربية الثورية ، النسبة الواسعة من الامكانات البشرية والمادية ، للامة العربية ، والتي لم تحقق استقطابها الثوري المنشود في هذه الحرب العادلة ، الا بشكل أولي .

وقد اجمعت القوى العربية الثورية عموما على ان الحرب ضد « اسرائيل » هي حرب ضد المصالح الامبريالية الاميركية . وكما ان طاقات الامة العربية تخضع لاختبار الحرب ، فان الحرب تفتح السبل الواسعة للتحرر القومي ، وتعجل بعملية التحرير في الاقطار العربية اكثر مما تستطيعه اشكال النضال الاخرى .

واذا لم تفهم الامبريالية الاميركية ان الاندفاعات العدوانية الصهيونية تزيد من اشتداد الردود العربية الثورية التي تقصر من عمر بقاء مصالحها في الوطن العربي ، فان قوى الثورة العربية تركز على استراتيجيتها النضالية المتمثلة بتثوير الحرب من اوجهها وجوانبها المختلفة . ويستند هذا التركيز الى مقولة رئيسية هي :

عدم فتح جبهات ثانوية تؤثر على مركزية الحرب بين جبهة الامة العربية المناضلة ، والجبهة الامبريالية ـ الصهيونية . مما يعني الافادة الواسعة من الاساليب المرنة في توحيد الطاقات العربية والزج بها في ميدان الحرب .

حيث ان ليس من الحتمي قصر دخول الحرب الثورية على القوى الثورية والتقدمية فقط ، بل بالامكان اشراك اوساط غير ثورية في حرب ثورية ، بفعل قوة الدافع القومي الشاخص في اعمق أعماق الانسان العربي .

وتبرز على الفور قيمة المرونة في جر امكانات بشرية ومادية في بعض ارجاء الوطن العربي ، غير المتحررة من الهيمنة الامبريالية ، على النحو الذي يحقق تعرية وعزلة كاملتين للاوساط المسؤولة عن عدم الاستجابة لضرورات وشروط الحرب القومية .

ان الحرب العربية الراهنة في الوجه التاريخي والمعاصر لها ، هي حرب قومية ثورية . وفي وجه داخلي محدود لها ، يمكن الوصول الى نتائج ايجابية مع جميع اولئك المستعدين للموافقة عليها بصفتها حرب قومية فقط .

وضمن هذا التحديد المركب للحرب العربية الراهنة باعتبار انها حرب قومية ثورية في سياقها الاساسي ، وحرب قومية في وجه

ثان لها ، يمكن الوصول الى الصياغات العاجلة في تحريك قوى وامكانات الامة العربية على الاصعدة الرسمية ، والعسكرية والشعبية .. الخ . وعلى صعيد العلاقات العربية مع بلدان العالم المختلفة .. وبالاصل فان القوى العربية الثورية قادرة على تعميق المحتوى الثوري للحرب القومية ، عبر التحالف الثوري الواسع والمنظم لها . وفي مجرى الانعماج القوي الملموس ، بالمجهود الثوري للقوات العسكرية وقوات الثورة الفلسطينية ، وبالصورة المؤثرة في اتجاه الحرب نحو التحرير الكامل للارض العربية المحتلة .

وان علاقات التضامن مع البلدان الاشتراكية التي تميزت بموقفها المساند للامة العربية ، وبخاصة الاتحاد السوفياتي الصديق ، تشترك بدورها في امتحان الحرب . ولقد شخصت جماهير الامة العربية الفقيرة وبجلاء الموقف التضامني العميق لشعوب وبلدان الاسرة الاشتراكية وبالاخص الدور القائم للاتحاد السوفياتي في دعم الامة العربية ، وحربها القومية الثورية ، وبالصورة التي لا تستطيع حتى الاوساط اللاثورية انكارها .

وحيث تحددت ابعاد مسؤولية القوى العربية الثورية : في مواصلة الحرب العربية الثورية والمشاركة المطلقة في جبهات القتال في الحرب العادلة ، وفي التصدي للمصالح والمرتكزات الامبريالية في الوطن العربي ، وفي خلق تعبئة شعبية ثورية منظمة ومسلحة ، وفي الافادة الحقيقية من مواقع الدعم والتضامن للبلدان الاشتراكية. فان شرطا مهما في شروط المسؤولية الثورية ينضمن العمل من اجل تحييد القوى الاجنبية التي تحتفظ بتصورات سلبية عن القضية العربية ، حيثما أمكن ذلك ما دامت الحرب الراهنة قد قدمت الدليل لهم على ان من اسباب الانتصار الاولي للعرب في هذه الحرب ، الطبيعة التحريرية للحرب .

اما في نطاق العمل الداخلي ، فان الشرط يتضمن عدم القبول بأية حيادية لاي نظام عربي او قوة عربية او مسؤول عربي ، ازاء الحرب القائمة بين العرب واسرائيل .

وبوعي وبثورية ، تزيد من ارتفاع مستواهما طبيعة الحرب ، وقدرتها على ايقاظ وتصعيد عناصر القوة في الامة ، تستطيع الجماهير العربية فضح الحيادية الزائفة والمقنعة باشكال غامضة من التاييد او الدعم الهزيل في حرب مصيرية لا تقبل بمنطق غير منطق المشاركة الحقيقية المباشرة فيها من قبل ملايين العرب في الوطن العربي وفي كل مكان من هذا العالم .

ان جميع الانظمة العربية مطالبة قوميا بان تسهم بدورها في دعم نضال جبهات القتال العربية والقوات الفلسطينية في هذه الحرب الضارية ، تطابقا مع الارادة العارمة للجماهير العربية ، التي وجدت في الموقف الثوري الحاسم والتاريخي للعراق مثالا يقتدى .

فلم يعد ، في عرف الجماهير ، هناك مبرر لانتظارية اي نظام عربي بخصوص مسألة المشاركة الملحة في الحرب العربية ، وتوفير الفرص امام القوى العسكرية الوطنية المتلهفة لخوض حرب التحرير القومية ، وبخصوص استخدام الامكانات المادية والطاقية في التاديب السياسي والاقتصادي للامبريالية .

كما لم يعد هناك مبرر لبقاء المئات والالوف من المناضلين الثوريين ، مدنيين وعسكريين ، في اقبية السجون والمعتقلات .

ان الحرب الراهنة ليست محدودة ، بل هي حرب قومية شاملة ، وبانتظام يجب زج الطاقات البشرية والمادية للامة العربية في هذه الحرب ، ويتناسب مع الجدول الزمني لانهاك « اسرائيل » والذي احسنت تقديره قيادة القوات العربية المقاتلة .

وبالتأكيد فان الشكل المعنوي لطاقات الامة العربية (الشجاعة ، الثقة ، الصبر ، المناعة ضد تضليل العدو الصهيوني والاعلام المعادي .. الخ) يأخذ موضعه الحقيقي في مهمة اشاعة روح (القتال) لدى الجماهير في الخطوط الخلفية .

« وعي العمال » ١٣ تشرين الاول

علي الحلبي

القرار الثوري

ان القرار الثوري الذي صدر عن مجلس قيادة الثورة صبيحة اليوم السابع من تشرين الاول ١٩٧٣ ، القاضي بتأميم الحصة الشائعة لشركتين اميركيتين احتكاريتين ... جاء صفحة جديدة محكمة وجهها عراق الثورة والبعث والجبهة الوطنية على جبين الاستعمار الاميركي الوقح الملطخ دوما بنجيع الشعوب المناضلة .

لقد برهنت مواقف العراق التحررية بعد ثورة السابع عشر من تموز التقدمية الرائدة .. اصالة الثورة ذاتها وقدرتها الفائقة على المجابهة والتحدي ، وحنكتها ومراسها في دقة توقيت الضربات القوية ضد قوى الثورة المضادة في العالم ، وكل أعداء امتنا وجماهيرها الواسعة .

ان المصلحة العربية القومية العليا وشرف تحرير التراب العربي المقدس تفرض على الاقطار العربية التي تعشعش فيها المصالح الاميركية البترولية ضرورة الانقضاض الشجاع عليها وتحطيم قلاعها وكنس كل اثر لها على أرضنا العربية الطاهرة ، وبذلك وحده نستطيع تسديد السهام القاتلة الى نحور المعتدين والغاصبين والغزاة الصهاينة وحلفائهم الاميركان .

لقد جعل عراق تموز البعث من شعار « نفط العرب للعرب » حقيقة راهنة بل ومذهلة ووضعه موضع التنفيذ العملي الجريء .

الجمهورية
١٠ تشرين الاول

وداعا .. الحزن !

بين الخامس من حزيران والسادس من تشرين مسافات زمنية سحيقة وفواصل ذهنية مكثفة بالضباب ، وانشطارات حضارية مذهلة اكبر بكثير من الحجم الطبيعي وأعوامه الستة المكفهرة !

كان اكثر العرب يسيرون ــ رغم كبريائهم التراثي ــ خلف ظلالهم الهاربة باتجاه هندسي معاكس .

وكانت أسياف الشمس المثقلة بقطرات الضوء والدم لا تتوائب على جباه النفوس المترعة بصديد العار الحزيراني ..

وفي اكثر اللحظات التي يتقهقر في مطاويها خيال الخيلاء .. كان لصمت العاري يبسط خيمات الحزن وسحب الالم ... وفي أعمق أعماق العروق المتمردة ينداح صهيل الجراح من الداخل بقسوة ومرارة ..

وفي السابع من تشرين العظيم ... تطايرت خيام الشجن وتمزقت غمامات الاحساس بالبؤس ، وتدفقت ينابيع الفرح الطفولي الغامر ترش النسمات التي غضنها اعتصار الالم المرتشف ببشائر الفارس العربي العائد مع طلائع فجر البعث والثورة .

فيا حيهلا بفرسان الزحف المقدس .. ومرحبا ببطولات تشرين وهنيئا للزنود السمر التي تشد اصابعها الفتية على السلاح والنار ودحرا اكيدا للتنين الهارب على رمال سيناء وتلال الجولان .. وسحقا ابديا لكل اعداء الشمس العربية .

الجمهورية
١٤ تشرين الاول

محمد مهدي الجواهري

الدم الغالي

خلي الدم الغالي يسيل ان المسيل هو القتيل
هـذا الـدم المطلول يختصر الطريـق بـه الطويـل
هـذا الـدم المطلول ان عز الكفيـل هو الكفيـل
ان يسترد به الاسير وان يعز بـه الذليـل

* *

مدي بهـامك فالجهـاد لديه مـن هـام تلول
متراكمـات لا تبـالي الدهر يقصر أو يطـول
مدي بهـامك .. انمـا منكوسة حمـل ثقيـل
يلهو بهـا المتحكمـون ويستبيد بهـا الدخيـل
مـدي بهـا جسرا يمهـد للرعيـل بـه الرعيـل
هـذا أولن الجـولة الكبرى تبـارك مـن يجول
هل غير أن يفنـى لتسعـد بعـده الاجيـال جيل
دفـع الدمـاء عن المواطن حـرة ، ثمـن قليـل
ولدى البطولات الطـاهرات عـن الذي يمضي بديل
ان لم تصـولوا للذيـاد عن الحياض .. فمن يصول ؟
خوضـوا دم المستعمريـن فطالما خيضت وحـول
وتصيـدوهم مثلمـا صيـدت لمحترش وعـول

* *

سل هيكـل التـاريخ كم داست محـاربه خيـول
سل هيكـل التـاريخ كم غـال المواكب فيه غـول
وهـل انتهت ـ الا بمـا تنهي الشعوب ـ به الفصـول

الجمهورية
١٦ تشرين الاول

محمد صالح بحر العلوم

قصيدتان

الى قواتنا العربية

سيري بمعركة المصير سير المجرب والخبير
صبي على أعداء شعب الضاد صالية السعير

* * *

واسترجعي وطنا تعذر ان يعاد بلا نضال
فالارض أرضك وهي تأبى ان تدنس باحتلال

* * *

سيري ففي جدية السير الجديد الى الامام
سددت أقوى ضربة لغرور أعداء السلام

* * *

سقط القناع عن التفوق للصهاينة الغزاة
وتفوقت قوات قومك بالبطولة والثبات

* * *

سيري فشعبك رافع بمسيرك الثوري رأسه
سيحرر الوطن السليب بزحفه ويعيد قدسه

* * *

سيري فقد سجلت باستهلال وثبتك المجيده
ان النتيجة في القضاء على العدى باتت أكيده

* * *

سيري فأنت ضمير أمتنا وثورتنا الاصيله
وضمير انسانية سندت قضيتنا النبيله

* * *

سيري فاسرائيل كالنازية الرعناء حمقى
كلتاهما حفرت يداها قبرها فاشتد عمقا

* * *

سيري فقد لقنت اسرائيل في تشرين درسا
سيحيل أفواه الذئاب العاويات عليك خرسا

* * *

وتصاب امريكا كأسرائيل في سوح الكفاح
بهزيمة فالنفط في يد شعبنا أمضى سلاح

الثورة
١٧ تشرين الاول

تصفية الحساب

يا أمة بدمائها انطبعت رسالتها النبيله
أرعبت أعداء الشعوب بطول باعك في البطوله

* * *

ودخلت معركة المصير بروح وحدتك المجيده
فتطايرت أقوى السدود بفضل ضربتك السديده

* * *

هذي بداية زحفك انتصرت وفي غدك النهايه
ستلقن العدوان في الشرقين خاتمة الروايه

* * *

ما دعم امريكا لاسرائيل بالامر الغريب
فالثور أقرب من سواه لعجله في « تل ابيب »

* * *

وكلاهما اقترفت سياسته ملايين الجرائم
ضد الشعوب ، فأي شعب غير موتور وناقم ؟؟

* * *

بالامس هاج الثور في فيتنام وهو يدس أنفه
بشؤون شعب ثائر فأراه هذا الشعب حتفه

* * *

واليوم يشهد نفس هذا الثور ثورتنا العظيمه
تمتد قاطعة عليه طريق حملته اللئيمه

* * *

والنفط يأخذ دوره الفعلي في حرق الغزاة
وجميع من يتعاونون مع الغزاة من الطغاة

الثورة
٢٢ تشرين الاول

عبد الوهاب البياتي

مهمة اعلامنا

يلعب الاعلام في أيام حروب التحرير الشعبيــــة دورا خطيرا ومهما . وانا أعتقد ان الفيتناميين الشجعان قد كسبوا نصف الحرب عن طريق اعلامهم الذكي الانساني ، العميق . لان الاعلام الناجح يعتمد في الدرجة الاولى على العنصر الانساني ، وعلى الحقيقة الموضوعية ، التي يعرف كيف يتوجه بها الى الناس الآخرين .

ودور الاديب في الاعلام ، في أيام حروب التحرير الوطنيــــة والشعبية ، دور عظيم ومهم . وأتذكر الآن الدور العظيم الذي لعبه بعض الكتاب السوفيات في حربهم الوطنية الكبرى ، ضد النازيين ، حيث كان في مقدمة هؤلاء الشاعر والروائي سيمنوف الذي عرف في تلك السنوات برسائله الشعرية العظيمة التي كان يكتبها على ألسنة الجنود والضباط ورجال المقاومة ، الى زوجاتهم وآبائهم وامهاتهم . وكذلك الدور الذي لعبه كتاب أوروبا خاصة ايام الاحتلال النــازي . ودور الاديب ، كما قلنا ، لا يقتصر على الكتابة الادبية وحدها ، لان المساهمة الفعلية في الحرب الوطنية ، تعتبر جزءا مهما من مهمات الاديب والفنان . والحرب الاهلية الاسبانية ليست ببعيدة عن أذهاننا، حيث نتذكر الآن كثيرا من الكتاب المختلفين ، أي من مختلف الاقطار والقارات ، قد أسهموا في هذه الثورة ، وكان اسهامهم عن طريــق القلم والبندقية . ان القلم لا يتوقف عندما تنطلق البندقية ، كذلك الامر بالنسبة للبندقية . وكتابنا وادباؤنا مطالبون الآن لا بتدبيــج المقالات الانشائية وحدها التي يعبرون بها عــن مشاعرهم الخاصة ، لاننا في غنى عن هذه المشاعر . واننا محتاجون في حربنا المقدسة ضد الغزاة الفاشيست الى كافة أفراد شعبنا كي يقفوا سدا منيعــا واحدا من الفولاذ والنار لصد الغزاة المعتدين ودحرهم ، ولهذا فان الاديب مطالب بجانب مساهمته الفعليــة في المعركة بفهـم نفسية العدو الصهيوني ومحاولة الرد على وسائل اعلامه اللئيمة التي تعتمد على اقذر الوسائل في محاولة بث التشويش هنا او هناك .

فاتني أن أذكر ان الاسهــــــام في حرب التحرير لا يعني حمل البندقية فقط ، فالحرب في الجبهة اشبه بآلة حربية كبيرة تحتاج الى الناس جميعا لا الى الذين يطلقون النار فقط . لقد لاحظت ان أجهزة اعلامنا العربية وخاصة الاذاعات الموجهة ، لا تزال تخـــاطب الانسان العربي وحده ، حيث ان الانسان العربي لم يعد بحـــاجة الى من يذكره بواجبه أو يقنعه بعدالة قضيته . المطلوب مـن هـذه الاجهزة الاعلامية ان تزعزع العدو في داخل ارضنا المحتلة . ولتحاول زعزعة الثقة الكاذبة التي تبثها اجهزة الدعاية الصهيونية في نفوس هؤلاء المضللين الذين احتلوا وطن غيرهم واستوطنوه . ولنشعرهـم بانهم طفيليون وغرباء عن هذه الارض ، وانهم راحلون اليوم او غدا عنها فلا مستقبل لهم فيها .

بقي شيء آخر اود ان اقوله : ان اغلب الشعوب في معظم قارات العالم قد وقفت معنا ، نظرا لعدالة قضيتنا ، ولاننا نقف ويقف معنا المعسكر الاشتراكي التقدمي ، ولكننا لم نستطع حتى الآن ان نصل الى قلوب كتاب وشعراء ورسامي وصحفيي العالم الكبار الذين لهم موقع كبير وتأثير خطير في أوروبا الغربية خاصة واميركا ، وهؤلاء لا يمكن ان نتوجه اليهم الا عن طريق أعمالنا الفنية الصادقة والحقيقية. أي اننا يجب ان نملك ازاءهم الاقناع الفني والحضاري ، وبهـــذا يمكن ان نحدد الجبهة التي يجب ان يقاتل عليها الاديب العربي ، وهي جبهة واسعة لا تقل عن الجبهة التي يقاتل عليها جنودنا البواسل الشجعـان .

الثورة ١٨ تشرين الاول

سعدي يوسف

قطرة النفط وقدرة الرصاصة

يأتي قرار مجلس قيادة الثورة ، بتاميم الحصة الشائعـــة للشركتين الاميركيتين في شركة نفط البصرة ، خطوة اخرى على الطريــق الذي قطعنا اكثره ... طريق تحرير ثروتنا الرئيسية من الاخطبوط الاحتكاري العالمي ، تحريرا شاملا كاملا .

واذ تجيء هذه الخطوة ، في خضم المعركة التي نخوضها ضد العدوان الصهيوني ، وفي نطاق المشاركة الفعالة في ردع المعتــدي واسياده الامبرياليين ، يكتسب قرار التاميم أبعادا أوسع من كونـه قرارا اقتصاديا او سياسيا محدودا .

ان عشرات الملايين من الناس الذين ظلوا يحلمون بالحريـــة ، ويناضلون في سبيلها ، ليجدون في هذا القرار الثوري تحقيقـــا لتطلعاتهم ، وضمانا لمستقبلهم ، ولمستقبل الاجيـال الآتية ، واحتياطا لتطور الاقتصاد الوطني وازدهاره .

قطرة النفط ــ في معركتنا ــ ليست بعيدة عن قدرة الرصاصة، ومن اجل ان تصيب قطرة النفط وقدرة الرصاصة المقتل ، تظل راية الجبهة الوطنية ... الدليل والسبيل في المسيرة الدائمة .

الجمهورية ١٠ تشرين الاول

في كتب الحضارات القديمة لكــي لا نبقــى مسطريــن

أيام المعركة هذه ، ليست فقط أياما حاسمة ، بل هي اندفاعة أمة بكاملها من اجل تاريخها ، ومن اجل التاريخ نفسه . ان القرون المريرة من التداعي الحضاري المستمر ، والاذلال ، والتزييف ، يجب ان نضع لها حدا نهائيا . اننا نرفض ان نظل شعبا منتهكا ، منهكا ، ومدنا مفتوحة ، وقرى بلا زراعة ، وصحــــارى من الملح والرمل . نرفض ان نكون هامشا في الكتب التي تتحدث بصورة باردة عـــن نشوء العجلة والاديان وتطور الجمجمة ، نرفض ان نغدو بالحياة تلك الطفيليات التاريخية التي تمتصنا حتى بياض العروق ، نرفض ان نكون على اعلانات الكوكا كولا ضائعين في الصحراء على جمل ...

نحن اليوم نخوض حرب الذين قهروا طويلا فتمردوا على القهر ، حرب الذين سملت عيونهم فما ارادوا لاطفالهم ان تسمل عيونهم ، حرب الذين حرموا حتى من مستوى المعيشة الادنى ، الذين حكــم عليهم جميعا بالاعدام في سن الخامسة والثلاثين ... نحن اليــوم نخوض حرب الفقراء من أجل ألا يظلوا فقراء .

نحن شعب مسالم ، يحب الحياة والاشعار والاغنية ، لكنهم جاؤونا بجيوش من القتلة ، منعتنا الحياة عقودا وعقودا ، وحولت بلادنا مساحات ووديانا غير ذات زرع ، وجعلتنا نجهل حتى اللغـة التي تكلم بها آباؤنا وغنوا أغانيهم .

انها معركة شعب مضطهد يدفع عن نفسه الاضطهاد ، ومن هنا يحق لنا ان نرفع أصواتنا مدوية ، في كل صقع من العالم ، مطالبة بأن تكون شعوب العالم معنا وأنها معنا فعلا ، لكننا نريد ان ينتقل أناس كثيرون من موقف التعاطف ، الى مـــوقف المساند الفعلي ، نطالب الحركة النقابية في اوروبا الغربية واميركا بأن تمتنع عـن نقل أسلحة أعدائنا وتجهيزاتهم ، نطالب الاحزاب التقدمية ومنظمات الشباب في أوروبا الغربية بمزيد من الدعم ... نطالب أدباء العالم بان يقفوا صراحة الى جانبنا . اننا في حرب عادلة ، حرب تحـرير حقيقية .

الثورة ١٨ تشرين الاول

عبد الامير معله

الجندي العربي وتقاليد القتال

كيف يقاتل الجندي العربي ؟

يتراءى للمرء وهو يتامل هذا السؤال انه ازاء انسان يشكل ظاهرة في ساحة القتال .. ذلك ان الانسان العربي تكون سيكولوجيا في جو اجتماعي مفعم بتقاليد القتال التاريخية . انه انسان يتعود ـ منذ ان يبدأ وعيه ـ على سماع أحاديث الناس عن الماضي العربي المملوء بالشموخ والعز ، والمملوء بتقاليد القتال الجسور في كلا وجهيه الهجوم او الدفاع .

وهذا الانسان حين يكبر ، وحين يزداد وعيا ، يجد نفسه وسط جو اجتماعي يغلي أبدا في وجه واقع مترد ، موسوم بالتخلف ازاء واقع العصر الحضاري ... والعلاقة جدلية بين الحالة الاولى والاخيرة تماما . فالانسان العربي الذي تربى على معرفة عزه ومجده ، وبسالته ، لا يمكن ان يصاب بحالة من الرضى حين يجد نفسه وسط حالة اللاعز واللامجد .. وهكذا يطفح المكنون من البسالة الكامنة في « لا وعيه » لينعكس على حياته في هذا العصر . وهكذا يبدأ عملية نضال باسلة ، تخلق لديه تقاليد جديدة في قدرته على القتال . وهكذا تتراكم تقاليد القتال والبسالة لدى الانسان العربي من منبعين : منبع التاريخ ، ومنبع الحاضر الذي يدفعه دفعا في كل لحظة الى ان يكون مقاتلا ابدا .

* * *

حين يدخل الانسان العربي ـ ذلك الذي تحدثنا عنه ـ ساحة الحرب ، بصيغة جندي ، او فدائي ، فان تلك التقاليد تكون قد تحولت لديه الى عادة . وهكذا فهو يكون مقاتلا على طريقته الخاصة جدا .. مقاتلا من نمط خاص لا يمكن ان يعادل أبدا ذلك الجندي الصهيوني الذي تراكم لديه الشعور بالذل دهورا لا تحصى ، والذي تربى على تقاليد من الخنوع .

لا أريد ان اغالي ابدا .. فالجندي الصهيوني قاتل هو الآخر مستميتا اكثر من مرة ، وتقدم في الارض العربية مسافات تعدو الامتار بكثير .. لقد كان هذا الاخير يفور منتفضا على ذل القرون الماضية واستهانتها .. غير انه ـ في الواقع ـ حين « انتصر » فهو لم ينتصر على الجندي العربي ، الذي كان معزولا تماما عن ساحة القتال ، رغم انه كان في وسطها .. ذلك ان ساحة القتال هذه كان يقاتل فيها اثنان ابدا : الجندي الصهيوني وكيانات كانت تعد نفسها للهزيمة حين تدخل ساحة الحرب .

متى قاتل الجندي العربي ؟ لقد قاتل في الجزائر وانتصر .. وقاتل في المغرب وانتصر .. وقاتل الانكليز في مصر والعراق وانتصر .. وقاتل الفرنسيين في سورية وانتصر .. وأينما كان يقاتل حقا هو بنفسه كان ينتصر .

غير انه كان يسحب من ارض المعركة سحبا ، وحينئذ لا ينتصر بالطبع لانه لا يكون موجودا في الساحة ! وكان جندينا يعرف ذلك بدقة . وهو اليوم ينتصر لانه يقاتل فعلا .. ولان عنانه اطلق في ساحة الحرب .

لا اغالي أيضا فاقول ان هذه الميزة يتفرد بها الجندي العربي . فهناك كثير من الشعوب تكونت لديها تقاليد من القتال على مر التاريخ فكانت تستبسل حين تدخل ساحات القتال . بل ان كل الشعوب حين تجد نفسها محاصرة فانها تجد نفسها مجبرة على ان تستبسل في وجه اعدائها ، حتى النصر او الفناء بين برك الدم .

* * *

حين نتحدث عن الجندي العربي فانما نتحدث عن ذلك الانسان العربي الذي يحمل البندقية ويقف في مواجهة العدو ..

ولا مكابرة ، ولا غلواء .. انه الانسان الذي تكون عبر تقاليد القتال والبسالة عبر كل تاريخه الطويل ..

الثورة
١٢ تشرين الاول

مقابر الغزاة في التاريخ

لن نتحدث عن عصور ازدهار الحضارة العربية ودولتها العظيمة.. غير ان لنا ان نتساءل : كم غازيا وطىء تراب هذه الامة فقضى أيامه في نعيمها العظيم ؟ يقول تاريخ هذه الامة : لا احد !

لقد كان الغزاة في فترات تعسة من التاريخ يدلفون عبر الابواب التي تفتحها سياسة الحكام المنهارين والمتحللين .. الحكام الذين يهزمهم التاريخ لعدم حماسهم ومتطلبات البقاء .. غير ان الغزاة أولئك حين كانوا يدلفون الى هذه الارض ، فانما كانوا يتوجهون الى الامة ليقتلوها .. فهل كانت هذه الامة ترضى بأن تموت ؟.. لنر ذلك عبر التاريخ :

● مرة وطىء الفرس أرض العراق .. وراحوا يتشممون ارض الشام وجزيرة العرب ، فتتزايد حمى أطماعهم .. ويزدادون ايغالا في اهانة ارض العراق وناسها . غير ان التاريخ يحدث فيقول : ان عرب العراق كان لهم يوم مع الفرس سماه التاريخ يوم « ذي قار » وكان ان ذاق فيه الغزاة كاسا لم يذوقوا مثلها من قبل .. كانت تلك كأس الموت .

● مرة وطىء الروم أرض الشام وراحوا يشمون رائحة نجد وعرارها والهواء الآتي من العراق .. ولن نطيل .. لقد وطئت حوافر الخيل صدور الروم حتى لا صدر يجد من حوافر الخيل مفرا ، وراحت بيارق خالد بن الوليد ترف وترف ..

● مرة عرف الاحباش بخصوبة اليمن فعبروا اليها البحر ، وراحوا يحثون أفيالهم نحو مكة ليتخطوها الى ما بعدها طامعين بتجارة العراق والشام . غير أن أفيالهم دفنت مع الرجال الذين ركبوها . أما ابو رغال الذي دلهم الى طريق مكة ، فما تزال العرب ترجمه الى اليوم . وأما أرض الحبشة فلم تر وجوه الذين غادروها نحو جزيرة العرب ذات يوم ..

● مرة طمع الافرنج ببيت المقدس وخيرات الارض المحيطة به.. وجمعوا له (العساكر) من ها هنا وهناك من اطراف بلاد الغرب .. وسمى التاريخ تلك السنين المئة التي لم تستقر بسني الحروب الصليبية .. غير ان الحروب الضارية تلك انتهت بأن تركز البيرق العربي على أرض العرب المقدسة في (القدس) منذ ذلك اليوم حتى الحرب العالمية الاولى ، يوم هتف قائد منهم يقول : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » !

● مرة نزل من سفنهم الضخمة الى سواحل مصر والعراق ، جنود حمر الوجوه .. كان أولئك جنود « التاج البريطاني » .. وليومئذ قصة طريفة حقا .. فلقد خرج ابناء هذه الامة يطردون الجند الذين تحميهم أضخم معدات الحرب في تلك السنين ، باسلحة قديمة تحميهم الثقة والايمان . وتشبث اولئك الجنود حمر الوجوه بالبقاء في هذه الارض التي ظنوا انها صارت ضمن ممتلكات ذلك التاج أبدا . غير ان قسما منهم عاد الى بلاده بعد حين .. اما الآخرون فقد دفنوا تحت تراب هذه الارض العربية ليشهدوا للاجيال بجبروت هذه الامة . بالمناسبة فان مقبرة ما في احدى ضواحي بغداد ما تزال تسمى بمقبرة الانكليز !

الثورة
١٥ تشرين الاول

موسى كريدي

مزيدا من التلاحم الثوري

الارادة العربية التي تمارس اليوم فعلها الثوري داخل الارض من أجل تحريرها ، مثل رائع للصمود ، وانهاء فعلي لحالة الهدنة مع العدو الصهيوني التي يمهد لها الاعداء والمنهزمون ، وضربة موجعة تسددها الى المصالح البترولية والاستراتيجية للامبريالية في المنطقة. ان هذه الضربة الموجهة ، اساسا ، نحو الاحتكار والاستغلال والنفوذ الاجنبي لا بد ان تحسم الموقف لصالح القوى الثورية ، وتحقيق مطامحها القومية والطبقية التي لم تجد متنفسا لها في ظل الاحتلال والانظمة العميلة ، والقيادات الرجعية المفروضة . كما ان هذه الضربة من شأنها ان تضع حدا فاصلا لاساليب القمع الصهيوني ، وحدا مصيريا يضع العدو ومصالحه وأحلامه التوسعية وجها لوجه أمام تصاعد واتساع وحدة كل القوى الوطنية والديمقراطية بغية التصفية الكاملة لاوضاع الارهاب والاحتلال والغزو المادي والمعنوي لفكر وتطور وتراث الامة .. وازاء هذا التحدي العربي فلن تستطيع سياسة القمع الاستيطان التي ينهجها العدو الصهيوني بمساندة الراسمال الاميركي وحلفائه من حكام خونة ، وجواسيس ، وانظمة بيروقراطية ان تقتل روح المقاومة وقوة الصمود لدى شعبنا .

ان المهمة الراهنة لنضال شعبنا العربي تقتضي منا مزيدا من التلاحم لصد ومواجهة العدوان ببسالة الثوري ومزيدا من التعبئة الجماهيرية راصدين في الوقت ذاته تحركات الاعداء والمشبوهين وقوى الردة . ان مزيدا من الوعي والتنظيم واليقظة كفيل بتصعيد القدرات الكفاحية لشعبنا ، وترسيخ جبهته الداخلية ، وجعلها قوى متنامية ، تنهض بمهماتها في المرحلة الراهنة التي نواجه فيها الاعداء مواجهة حقيقية ، وستكون ايضا ردا حاسما وخطا متصاعدا ضد كل مشاريع التسوية واشكال المصالحة والحرب الكلامية وما يسمى بحفظ توازن القوى في الشرق الاوسط .

ان تصفية العمل الفدائي ، وضرب مواقعه ومعاداة قوى الثورة وحركتها التاريخية ، والخضوع للمنطق الاستسلامي الذي يخطط له العملاء والمستعمرون يجب ان يرد بالنضال الشامل ، ايمانا ، بقدرات شعبنا المتواصل ، والموقف الحاسم والرفض العربي الفلسطيني في حق تقرير مصيره ، وانتزاع هذا الحق من ايدي غاصبيه ومستغليه .

ان عراق الثورة الذي برهن اكثر من مرة على تواجده في معركة المصير يقف اليوم مع اخوانه المقاتلين في مصر وسوريا وكل القوى الثورية ، واضعا كل امكاناته من اجل تصعيد المعركة وتوسيع حجمها، ودعمها ، صونا لتراب الوطن وحريته وكرامته . ولعل قرار حكومة الثورة الاخير بتأميم حصة اميركا من النفط يمثل ردا عمليا آخر في الوقوف الحازم بوجه المصالح الامبريالية والرجعية . كذلك فانه جاء تأكيدا لقومية المعركة واستمرارا لنهج قيادة الثورة في جعل النفط سلاحا آخر يشهر بوجه كل الاعداء .

بغداد

الجمهورية
١٢ تشرين الاول

محمد جميل شلش

خطوة ثورية

ان القرار الاخير القاضي بتاميم حصــة اميركا في شركة نفط البصرة يعد خطوة ثورية جبارة ، وقد جاء في ظرف دقيق تخوضفيه الامة العربية معركة جديدة من معارك النضال والتحرير على جبهـة القتال ضد العدو الصهيوني المغتصب .

لقد رفعت قيادة الثورة شعار التاميم عاليا وربطت بينه وبين معارك التحرير بالسلاح .. على انه سلاح آخر فتاك من اسلحــــة التحرير ، ذلك لان الامبريالية الاميركية تدعم الكيان الصهيوني ماديا ومعنويا ، ومن هنا يصبح القضاء على مصالحها الاقتصادية فــي المنطقة العربية عملا ثوريا يقف جنبا الى جنب مع الاعمال الثوريـــة والتحريرية الاخرى .

واذا أخذنا بنظر الاعتبار هذا المــرفق الاقتصادي الحيوي ، وقدرنا ما له من أهمية في حياة الامبريالية العالمية ، فاننا نـــدرك ما سيحدثه من تأثير كبير على نشاطاتها وتحركاتها في المنطقةالعربية، ولنتصور ماذا سيحدث للامبريالية الاميركية لو اقدمت كل البــلدان العربية المنتجة للنفط على محاربتها بهذا السلاح الحيوي الفتاك .. اضافة الى ما تمتلكه من أسلحة اخرى .

ان الجندي العربي الذي يرد العدوان ويضرب بيد من الحديد والنار على خطوط المواجهة ، سيجد حتما ان هناك جبهة داخليــة اخرى تدعمه تقاتل نفس العدو وبسلاح آخر .. قوي وفتاك .

فتحية للمقاتلين على الجبهة بسلاح النار والحديد من اجــل عروبة فلسطين .. ومرحى للثورة التي ضربت وما زالــت تضرب ، وستضرب بكل الاسلحة ، وعلى كل الجبهات .

الجمهورية
١٠ تشرين الاول

النــداء

ضجت البيـــد يا عروس البيد
وتنزى للثأر قلب الحـــديد
وتلوت عــلى الرمال نفـــوس
ظامئات الى الصبـــاح الجديد
ترقب الفجر واللظى ملء جنبيها
وطوق النضال في كـــل جيد
وتناغي الردى فينـــداح صوت
يا لثـــاراتنا وراء الحـــدود
فاثأري أمتي وشدي عـــلى العزم
وسيري على حطام القيـــود
لا تهـــابي فكل جـــرح عميـــق
شعلة النصر في جبين الوجود

الجمهورية
١٢ تشرين الاول

عبد الرزاق عبد الواحد

الاحتجاج

اخلعوا عني كل الاوسمه
ارفعوا عن جبهتي كل أكاليل المديح
انني أرفض جرح الكلمه
أنا لن أسألكم ان تمنحوني أي شيء
امضغ الآن بأسناني فمي
اتركوني لسلاحي
واتركوني لدمي
اتركوني لتراب لم يخني
لم يزعزع قدمي
لن أعود
أنا وسدت هنا أجساد اوفى اصدقائي بيدي
دمهم فاض على وجهي ، وغطى راحتي
لن أعود
واذا عدت ، وابصرت صفاري
واذا زوجة جاري
سألتني عن أبيها
عن أخيها
عن أبي أطفالها ..
أأقول
انني وسدتهم في تربة أجهل في حصة من سوف تؤول؟
أأقول
هكذا .. ماتوا ..؟
ذهبنا كي يموتوا ...؟ ثم عدنا بالمدافع
صامتات
بسيول العربات
وبدباباتنا مخذولـة ..
ترنو اليها في الشوارع
في الميادين .. عيون الامهات
ووجوه الصبية المنتظرين
دون ان ترفع كف ..
دون ان يعلو جبين ..
زائف كل رنين الكلمات
زائف كل نشيد
باطلات كل تلك الخطب الملتهبه
ليس الا ثقل الارض ، واصرار الحديد
ليس الا الصرخة المحتربه
كلما يهوي شهيد
لن أعود
اخلعوا عني كل الاوسمه
أنا لن أسألكم شيئا ، ولكن
في مصيري
أنا رب الكلمه

الثورة ٢٩ تشرين الاول

سامي مهدي

فـي مستوى المسؤولية التاريخية

رغم عنصر المفاجأة في نشوب القتال ، ورغم الظروف الجغرافية التي تبعد بنا عـن ساحته الفعلية ، فان العراق لـم يفقـد قدرته على المبادرة الناجحة والمجابهة الفعالة والسريعة .

فمنذ الساعات الاولى لبدء القتال ، تحرك العراق على كافـة الاصعدة ، واتخذت قيادته السياسية جملة اجراءات اتسمت بالتكامل والحسم والسرعة .. فالى جانب ما اتخذ على الصعيد العسكـري البحت ، وفضلا عن تعبئة طاقات القطر تعبئة شاملة ، وجهت ضربة قاصمة لبقايا المصالح الاميركية في العراق ، وذلك بتاميم الحصـة الاميركية في شركة نفط البصرة .

وليس ثمة شك في ان تحركا على هذا المستوى من الفاعليـة والتمكن ما كان ليكون ، لولا ما تميزت به قيادتنا السياسية من فهم شامل وعميق لطبيعة معركتنا مع العدو وآفاقها ، ولولا ما تميزت بـه ايضا من حسابات دقيقة وجرأة وقدرة عالية على التحليل واتخـاذ القرارات الصائبة .

ان كل النجاحات التي حققتها ثورة ١٧ تموز منذ قيامها حتى الآن تؤكد هذه المسالة بوضوح ، وتؤكدها ايضا هذه القـرارات المتكاملة التي اتخذتها القيادة لمواجهة الظروف المستجدة فيمعركتنـا مع العدو الصهيوني .. ذلك ان القيادة لم تنظر الى هذه الظروف نظرة تجزيئية ولم تتصرف تجاه العدو بمعزل عن حليفته الاولى ، الامبريالية الاميركية ، بل نظرت الى المسالة نظرة شاملة ، وتصرفت من خلال فهمها للحلف الطبيعي القائم بين الصهيونيـة والامبرياليـة ، ووجهت الضربة اليهما معا ، وبامضى الاسلحة القادرة علىاستخدامها وعلى راسها سلاح النفط .

ان ما يربط الامبريالية الاميركية والصهيونية اقوى من انيفصمه لوم او تانيب او ضغط من اي نوع .. ولذا فان كيل الضربات اليهما معا ، هو الطريق الصحيح والجاد نحو التحرير . فليس ثمة شك في ان اقوى الضربات التي يمكن ان تكال اليهما اليوم ، هي تلك التي تاتي باستخدام سلاح النفط في المعركة .. ذلك ان النفط شريـان يغذيهما معا ويجعل كلا منهما بحاجة الى الآخر وملزما بحمايتـه والدفاع عـن مصالحه .. ومن ثم فـان استخدامه سلاحـا في معركتنا الشاملة معهما ، يشل قدرات كل منهما ويضمن لنا منذ الآن أهـم مستلزمات النصر . وهذا ما ادركته قيادتنا السياسية وما قامت به فعلا ، وهذا ايضا ما دعت اليه الاقطار العربية وما طالبتها به .

وعليه فان الاقطار العربية المنتجة للنفط ، موضوعة اليوم امام مسؤولياتها التاريخية ، وهي مطالبة بان تثبت بالبراهيـن العمليـة ايمانها بالحق العربي وحرصها على هذا الحق ، والا فان حسـاب التاريخ ، وحساب الجماهير قبل ذلك ، سيكـون شديدا .. لان الجماهير لا يمكن ان تكبل الى الابد ، وتسكت على من يرضى بتحويل ثرواتها الوطنية الى رصاص في بنادق الاعداء .

ان الحرص على الدم العربي الذي يسفك اليوم في سينـاء والجولان لا يمكن ان يكون جادا الا اذا وجد من يؤكده بقـرارات فعلية .. وقرارات البعض لا يمكن ان تكون صادقة الا اذا اقترنت باستخدام كل سلاح يملكونه وفي مقدمتها سلاح النفط . اما ان يقول البعض شيئا ويفعلون شيئا آخر ، واما ان يرفعوا بندقية بيـد ويحشون بالاخرى بندقية العدو ، فـذلك ما لا يسامحون به ولا يعذرون ..

ألف باء

١٠ تشرين الاول

استعدادا لحرب طويلة وشاملة

الحرب ليست نزهة ، وحربنا هذه بالذات لن تكون كذلك .

اننا الآن نحقق انتصارا تلو آخر ونمني العدو بافدح الخسائر ، ولكن هذا ليس كل شيء . فحربنا هذه قد تطول . والحق انـه ينبغي لها لشروط تكتيكية وستراتيجية ان تطول . ولذا يتوجب علـى كل فرد فينا ان يوطن نفسه لحرب طويلة وشاملة وشاقة .

واذا كان من الشروط الاولية لذلك ان يلعب كل منا دوره في هذه الحرب ويكون جنديا آخر في موقعه الخاص والعام ، فان على كل منا ايضا ان يفهم طبيعة حربنا المقدسة ويستعد لها نفسيـا ويتحصن ضد اساليب الحرب النفسية التي تشن علينا خلالها .

ان اجهزة اعلام العدو وأجهزة حلفائه ما زالت تمارس ضـد جماهيرنا أساليب التشويش والتضليل والخداع . فهي في سبيـل تثبيط عزائمنا وزعزعة ثقتنا بانفسنا ، لا تتورع عن تشويه الحقائق وقلبها رأسا على عقب . وهي في سبيل رفع معنويات العدو والمحافظة

على تماسكه النفسي ، لا تتردد عن نسج الاكاذيب واختلاق الانتصارات. ولقد كشفت الايام القليلة الماضية كم من الاكاذيب صنعت هـذه الاجهزة وحاولت ترويجها ، وكم من تناقض مضحك وقعت فيه ، حتى ان وكالات الانباء لم تعد تثق فيها واصبحت تتحفظ كثيرا في ما تتلقاه منها .

ان هذا يستلزم منا الحذر بالطبع ، والتنبه الى ما تدعيه أجهزة العدو وحلفائه ، وتفهم ما يختفي وراء الادعاءات من اغراض . والى جانب ذلك ينبغي ان ندرك حقيقة يجدر ألا تخفى على كل من يخوض حربا كحربنا ضد الصهيونية والامبريالية . وهي ان هذه الحرب تستلزم التضحية ، وان النصر فيها يتطلب منا الاستعداد لان نضحي فعلا ونقدم خسائر في المال والارواح والمعدات . ورغم ان خسائر العدو تبلغ أضعاف ما نخسره نحن ، الا اننا نخسر على اية حال ، وينبغي ان نتوقع هذا ونفهمه ونستعد له ماديا ونفسيا منذ الآن . فالحرب كما قلنا ، وكما هو معروف ، ليست نزهة ، وليس ثمة حرب بلا خسائر ، او نصر بلا ثمن .

وفضلا عن ذلك ينبغي ان ندرك حقيقة اخرى ، وهي ان الحروب الطويلة الشاملة ،وحربنا اليوم ينبغي ان تكون احداها ،هذه الحروب لا يمكن ان تتواصل فيها الانتصارات والانجازات ، اذ لا بد من ان تتخللها النكسات والخسائر ، غير ان المهم بعد ذلك ان يكون النصر حصيلتها النهائية . وبسبب ذلك فان علينا ان نتوقع الاخبار المحزنة، وحتى المريرة ، من حين لآخر ، وعندئذ ، عند ورود هذه الاخبار ، يتوجب علينا ان نتجرعها دون ان يختل توازننا او تتزعزع ثقتنا بانفسنا . بل على العكس ينبغي ان تحفزنا وتعزز فينا ارادة الصمود والقتال والتصميم على النصر .

ان كل ما تبغيه اجهزة اعلام العدو وحلفائه هو ان تطفىء فينا ارادة القتال والاستمرار في الحرب واطالة امدها ، لان محصلة ذلك ان حدث ، ستكون الهزيمة والاستسلام . اما نحن فلكي نعزز هذه الارادة وننميها ، ينبغي بعد كل ما قلناه ، ان نعبىء أنفسنا تعبئة شاملة ومنظمة وطويلة الامد ، وينبغي بالاضافة الى ذلك ان نفتح كل الجبهات ونقاتل بكل الاسلحة ، ونرفض المشاركات الرمزية على مستوى الانظمة والافراد .

ان هذه الحرب هي حرب الامة بكاملها ، ولا بد من ان تستعد لها الامة استعدادا نفسيا كاملا فتتقبل مرها ما دامت تطمح الى الفوز بحلوها ، ولا بد ايضا من ان تجند لها الامة كل طاقاتها وتجعل من كل شبر في الارض العربية ساحة قتال حقيقية .

الف باء

١٧ تشرين الاول

يا لهـذه الايام الخوالد

يا لهذه الحرب !

لقد غيرت اشياء كثيرة في الساحة العربية خلال سبعة عشر يوما فقط ، فماذا كان يحدث لو طال أمدها ؟!

دعونا اذن نتلمس ما حدث ، دون الحديث عما كان متوقعا ان يحدث .

ما حدث فعلا هو التالي :

١ ـ ان كل ما نسج حول العدو من أساطير القوة والجبروت تمزق في ايام ، وأصبح العدو نفسه موضوعا لرثاء المشفقين وسخرية الساخرين .

٢ ـ لقد سقطت سمعة العدو الدولية الى الحضيض واشتدت عزلته في العالم ، وادين من كل جانب فصار يتلفت ولا يجد من يقول له نعم او يهز له رأسه بالتاييد الا حكومات قليلة جدا هي نفسها مدانة وسيئة الصيت ، وكثير من الحكومات التي كانت تؤيده قبل الحرب صارت تقابله بالتردد والوجوم .

٣ ـ ان الخسائر التي مني بها العدو كانت من الفداحة بحيث لم يستطع معها الصبر دون البحث عن تعويضات سريعة اقصى حدود السرعة .

٤ ـ لقد انهارت معنويات العدو بشكل لا يصدق بحيث صار يتخبط ولا يدري بالضبط كيف يسلك او كيف يقول ، وكان ارتباك اعلامه افضل تجسيد لهذا التخبط .

هذا بالنسبة للعدو الصهيوني ، اما بالنسبة لحلفائه الامبرياليين فقد حدث ما يلي :

١ ـ وجهت ضربات قوية للمصالح الامبريالية النفطية في المنطقة ، وقد تجلى هذا في القرار الذي اتخذته قيادة الثورة في العراق بتاميم حصتي اميركا وهولندا في شركة نفط البصرة ، هذا القرار الذي حول التحدي الامبريالي وروح العدوان الى مكسب جماهيري ضخم .

٢ ـ لقد ساد الرعب الاوساط الامبريالية الاميركية من جراء تصاعد نقمة الجماهير العربية وتشديدها على تصفية المصالح الاميركية في الوطن العربي ولا سيما المصالح النفطية . ولقد كان ممكنا ومتوقعا ان توجه ضربات اخرى غير الضربات التي وجهها العراق فيما لو طال أمد الحرب ، ومع ذلك فان ما بدأه العراق وما تحول الى شعار جماهيري آني وملح لا يمكن ان ينطفىء بانطفاء نار الحرب .

٣ ـ وظهرت بشكل جلي فعالية سلاح النفط في المعركة من خلال الارتباك الذي ساد سوق الطاقة في مناطق عديدة من العالم وبخاصة في اميركا .

واما بالنسبة لنا نحن العرب فقد حدث ما يلي :

١ ـ استردت الامة العربية اعتبارها بين الامم بعد ان شوه العدو صورتها ، فظهرت للعالم من جديد تلك الامة القادرة على استخلاص حقوقها من غاصبيها وتاديبهم وسحقهم اذا لزم الامر .

٢ ـ تعززت ثقة الامة العربية بنفسها وثقة العربي بنفسه وبامته بعد ان كان يترنح بين اليأس والامل والتصميم والاحجام ، فتفجرت فيه وفي الامة تلك الطاقات الكامنة وغير المنظورة ، ودخلت رصيدا ضخما في المعركة ، رصيدا لم يكن العدو وحلفاؤه يحسبون حسابه كما ينبغي .

٣ ـ أكد الجندي العربي شجاعته واثبت قدرته القتالية العالية وكفاءته في استخدام سلاحه ووجه لجيش العدو ضربات قاصمة لا تنسى ، وحطم غطرسته العسكرية وأسطورة تفوقه .

٤ ـ تأكدت قدرة قوى الثورة العربية على الرد الحاسم والسريع وتوجيه ضربات ساحقة للمصالح الامبريالية في المنطقة ، وقد تجلى هذا بشكل خاص في تاميم حصتي اميركا وهولندا في شركة نفط البصرة .

٥ ـ تكشفت كل أقنعة الرجعية العربية وظهر مدى اخلاصها لسادتها الامبرياليين ، ومدى استعدادها للتضحية بالمصالح القومية في سبيل تطمين مصالح هؤلاء الحلفاء ، وكان استمرار القتال سيضعها مباشرة امام غضب الجماهير دون ان يشفع لها نفاقها او مشاركاتها الرمزية او تبرعها بالمال وقت الحاجة الى الدم .

ومع ذلك ، فان آثار هذه الايام الخوالد لن تمحي ، ولن تنساها الجماهير العربية وقواها الثورية وسيكون لها حتما فاعليتها في المستقبل القريب والبعيد .

الف باء

٢٤ تشرين الاول

يوسف الصايغ

أفكــــار بصوت عال

يتواصل العبور الكبير ..

قواتنا المسلحة في طريقها الى المعركة تمر عبر المدن والحقــول والقرى وتهز العراق : ضميره .. وتاريخه .. وثقة متصلة ، تتبع خطى الجيش الى مواضع النصر .

وتخرجون ايها الاصدقاء ..

امس وأول امس .. ومنذ ايقظكم الصدى الواثق رأيتكم تهبون الى الارصفة والسطوح والشرفات ، تتطلعون الى وجــوه الجنود ، وترون وجوهكم ، ووجه العراق الجديد . .

تكن قرة عين ..

انا الشاهد على دموعي باردة ، تسقط على القلب ، فتعيد اليه اتزان احلامه وثبات النبض في مواضع الامل ..

شهودا على بعضنا .. امام نهر من جيشنا العظيم ...

ذلكم نحن .. وهو السلاح نراهـــا باصابعنا وأحلامنا وبالارادة الخيرة لتاريخ لا يقاوم ..

وتزغردين ..

سمعت امراة تزغرد من قلبها ، ورايت رنين حنجرتها الفضــي يمتد عبر الشارع ويرسم قوسا ثم يمس شفتي جندي ويغدو ابتسامة مقتضبة مليئة بالرجولة .

شهودا على العراق وجيشه ..

شهودا على أنفسنا . وقد كانت الليلة قمراء .. وكان الفرح مقمرا .. وكانت الهتافات بيضاء .

وقال طفل وفي عينيه بقية نعاس :

ـ سلام خذ .

ووضع راحته الصغيرة قرب جبينه ، وزاد عمره عشر سنين ..

شهودا لجيشنا ..

نحن رأينا التماع الثقة في عيون جنودنا .. راينا اعتزازهـــم وهم يأخذون معهم الى المعركة فرحة الاكف الملوحة ..

وتلوحون ..

كان بكم الشوق يصعد من الدمع ويمر عبر العضد والذراعين ..

« أمانة الله ورسوله .. » .

شهادة امراة تحمل طفلها ، وبه تلوح . وتسيل الامانة عـــلى السلاح وتتجمد على الزناد « أمانة » .

وتلتمع عيون الكادحين ..

وتشتد القفصية على سواعدهم ..

فلم يعد ثمة في هذه الهجعة من نعاس .

عبر الموكب .. وخلى اصداءه موزعة على النوافذ والارصفـــة ومصابيح الكهرباء ..

وقالت امراة لزوجها :

« يا عيني عليهم .. » .

وكان لها في آخر الليل نصف دمعة عذبة ، وطيبة القلب..

« أتبكين ؟؟ » .

قالت باختصار :

« دمعة للشهداء »

وحل صمت مهيب . نبع من داخله نشيـــد موقت مع نبض القلب ..

وظل يشتد ويشتد حتى جاء أول الصبح .. وبدت في عمــق الشارع طلائع موكب جديد ..

الف باء

٢٤ تشرين الاول

القمـــر الليلــة محمـــر العينيــن

الليلة تستيقظ فوق الماء الاسماك الحمر .
وتطفو ذاكرة كالجثة ، زرقاء ،
ويسألك الاعداء عن اسمك ثالثة .
تعترف الآن بأنك كنت حزينا كالفدارة ،
تستيقظ ؟
ما تستيقظ ؟
ان القمر الليلة محمر العينين
يعير لصوت الدبابات قميصا ،
ويوزع للاسماك رغيفا ..
فاقتسم الآن
سيقبل ثالثة وجع لا شك به
وهزيع لا يستثني أحدا ..
أتظل وحيدا ؟
تتفرس بالقمر ،

احمرت عيناه .. ولا تدري
لو يعرف طير كيف يبيت الليلة فوق الرمح
وأين يفتش عن قطعة رمل يحفر فيها عشا
لفراخه ،

الجمهورية

١١ تشرين الاول

فاضل آلعزاوي

لتذهب قصائدنا الى خنادق القتال ايضا

ما الذي يمكن ان يفعله الشاعر في هذه الايـام التي يواجه فيها الانسان العربي مصيره الحقيقي كمناضل من اجل حرية الوطن وتغيير الواقع الذي كان يعطل قدرات الجماهير ؟ ثمة من يعتقد ان القصيدة تفقد مبرر وجودها عندما تكون الرصاصة هي القوة الحاسمة في فترة معينة من الزمن .. اذ ما الذي يمكن ان يقدمه الشـاعر سوى الكلمات ؟ فالكلمات في كل مكان ، في لغتنا اليومية ، فـي الصحف والمجلات ، في الاذاعة وفي الشوارع .. هذا الرأي صحيح وخاطىء في الوقت ذاته . فهو صحيح ما دامت القصائد تكتب مصابة بسرطان الرؤية وشلل الوعي وغربتها عن الارض التي تنبت فيهـا وابتعادها عن الناس الذين نقدم نفسها اليهم .. ولكنه خاطىء اذا أدركنا ان القصيدة يمكن ان توجد في رأس المقاتل العربي ، مانحـة اياه المزيد من الامل والاصرار على القتال من أجل وطن لا تدنسه اقدام المعتدين والامبرياليين . ولكن هل حاولت مئات القصائد التي تكتب كل يوم ان تتجاوز دائرة الصفر وتدخل حضارة الشعب ؟

هناك قصائد لا تمتلك بوصلة خاصة بها ، وقصائد خرسـاء رغم كل ضجيجها اللغوي ، وقصائد لا تعرف ما يدور في رأسهـا من أفكار ، وقصائد مصابة بالهذيان والصداع ، وقصائد صفـراء هاربة من التأريخ . لا أريد هنا أن أقدم ادانات معينة ، ذلك ان مثل هذه الادانات ، وفي خاطرة سريعة مثل هذه ، يمكن ان تصاب هي الاخرى بعدوى القصائد التي ندينها . كل ما نريد هذه الكلمة ان تقوله ليس اكثر من اشارة الى واقع كثير من الكتابات التي كنـا نقرأها في السابق والتي ما نزال نقرأها الآن ايضا . وهي بالتـالي محاولة لتحريض شعرائنا وكتابنا على الاقتراب اكثر من أي وقت آخر من شعبهم الحقيقي ، شعبهم الذي يكتبون له ومن اجله قصائدهم .

عندما كان النازيون يحتلون الاراضي الفرنسية كانت قصـائد ايلوار وآراغون وبرينير ، قد تحولت الى أغنيات يغنيها الجميع : الشباب ، والنساء والاطفال والشيوخ .. كانت قصائدهم تنشر في صحف المقاومة السرية . وفي فيتنام تحولت قصائد الشعراء الـى اناشيد للوطـن والارض والشعب .

انني لا أدعو الشعراء الى ان يكتبوا بسرعة وبسبب مـن عادة المناسبة قصائد متهالكة وسريعة عن الحرب ، ولكنني أريد من قصائدنا ان تتجه بروحها ولغتها الى شعبنا الذي يقاتل الآن من أجل مستقبله، أن تغني أرضه وأنهاره وجباله ، أن تضيء هموم كل الكادحين الذين يتطلعون الى غدهم بثقة وتفاؤل رغم كل الانتكاسات المؤقتة . أريـد لقصائدنا ان تكون موجودة في جيـوب الجنـود الى جانب هـوياتهم العسكرية وصور حبيباتهم وأطفالهم ، وان يضمنوا رسائلهم مقـاطع من هذه القصائد .. لكي يفعلوا ذلك ينبغي ان تكون قصائدنا لهـم .. وعندما نستطيع أن نكتب مثل هذه القصائد سيكون في امكاننا ان نشعر بالسعادة الحقيقية : سعادة الانتماء الى الشعب ..

الف باء — ١٧ تشرين الاول

نزار عباس

وداعا ..

بذلك الحس التاريخي المشرق ادرك الشعب وببساطة ، هـي الاصالة التي تنبثق من جسد التاريـخ كما الدم ، انه اذ يشيـع كوكبة من فرسانه انما يدخل الحياة من جـديد ، لذا انه صفق وزغرد وهلل ..

كان ابن الوليد حزينا لانه مات على الفراش ، أما احفـاده فاحترقت أجنحتهم لتنير درب هذه الامة ، وبين ميتة ابن الوليـد وميتة أحفاده الفرسان ، أجيال من الشهداء الذين عرفوا بأن الدرب طويل ، وان بوابة المجد تدقها الايدي المضرجة .

* * *

بعد ٥ حزيران كتبت : ان الاجداد ينظرون الينا بألم يتحسسون بأيديهم الحارة وجوهنا لكي يتأكدوا من عروبتها ..

أما الآن ، وبين عينيّ تمر مواكب الرجال .
وقلوب الشعب الذي يعانق الانتصار .
فأقول : ليهنأ الاجداد ، فقد وصلتهم هدايا الفرسان مضمخة بالعطر والدم والياسمين .
ولتستقبل أرضنا التي أجدبت زمنا ، بذور الحياة والامل .
ووداعا يا من مسحتم الذل عن جبين الامة .

الثورة — ١٤ تشرين الاول

كيما يورق فن جديد

عندما يجري الدم في مجراه الطبيعي بعد توتر الاعصاب المتصبرة والشرايين النافرة المضفوطة ، يتحرر الفكر بالحركة المندفعـة على ضربات القلب المنشد لاهازيج النصر ورؤى المستقبل ..

عندما يجري الدم ، ينبعث اللون وتنفعل الفرشاة ويـدق الازميل .

عندما يجري الدم تتصاعد الموسيقى وتضرب الطبول وتنـادي الابواق باصداء المسيرة الظافرة ويورق الامل في قلب المعركـة صورا جديدة وأغاني عارمة .

اذ يلتحم انجاز ٧ تشرين بضربات السلاح الجوي ، وبمعـارك سيناء والجولان وجبل الشيخ تنهمر الاناشيد من قلب المعركة لقلب الفنان .. ويورق فن جديد من بارود المعارك والانتصارات .. نـرويـه بالنفط الوطني وبالدم وبالتضحيات .

الجمهورية — ١٥ تشرين الاول

صلاح خالص

أيام لها ما بعدها

لقد سجل التاريخ الحديث للشرق الاوسط انعطافا حادا منذ السادس من تشرين الاول المنصرم ، فقد اتجه سير الاحداث دون شك اتجاها جديدا لم يكن على الاقل واضحا من قبل ، وتبدلت كثير من القيم والمقاييس التي تقيم وتقاس بها ظواهر الحياة السياسية المختلفة .. بل وقد تغيرت جذريا كثير من النتائج التي توصل اليها العالم ، نتيجة تبدل الفرضيات التي قامت على اساسها هذه النتائج ..

واذا كان هذا الانعطاف طبيعيا تماما بالنسبة لمن ينظر لتطور الاحداث التاريخية نظرة علمية ، ويثق بالجماهير ، ويؤمن بطاقاتها الخلاقة التي لا تقف عند حدود ، فانه بدا مفاجأة لذوي النظرة القصيرة المحدودة الذين فقدوا الثقة بالشعب واستنتجوا من الانتصارات الاولية التي أحرزتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية في المنطقة ، انها العامل الحاسم في تطور الاحداث وتقرير مصير المنطقة . لقد أثبتت هذه الايام ان أي تقدير صائب لمستقبل المنطقة يجب ان يضع في حسابه أولا وقبل كل شيء موقف الجماهير ومطامحها وآمالها وأمانيها ، وطاقاتها الظاهرة والكامنة التي يمكن ان تنفجر في أية لحظة تتهيأ فيها الظروف الملائمة .. وان أية محاولة لتقرير مصير الوطن العربي أو أي جزء منه بمعزل عن موقف الجماهير العربية وتجاهل دورها ، مصيره الاخفاق المحتم والفشل الذريع ..

ان انهيار الاوهام التي خلقتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية منذ الايام الاولى للقتال في سيناء والجولان ، والنهوض المعنوي الرائع للجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، وبروز ارادة القتال والكفاح العربية بأجلى صورها وأروع مظاهرها بمختلف الاشكال وعلى مختلف الميادين ، قد بدد أوهام القوى الامبريالية وعملائها ومزق خططهم وأجبرهم على اعادة النظر فيها في ضوء المعطيات الجديدة التي فرضها تطور الاحداث . واذا كان من السابق لاوانه الحديث باسهاب عن الخطط الجديدة للامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، فان الامر الذي لا شك فيه انها بدل ان تقصر جهودها على اللعب بورقة واحدة ثبت خسرانها وهي الصهيونية ، فانها ستبذل جهدها في حشد القوى الرجعية المحلية في الوطن العربي ، بشكل اكثر فعالية وحذقا ، وزجها في المعركة لكبح ارادة الكفاح لدى الجماهير العربية الشعبية وتمزيق صفوفها ، وابعادها عن الاساليب الصحيحة في النضال لتحقيق اهدافها ومطامحها .

ولكن اذا كانت الامبريالية ستأخذ الدروس من هذه الايام الحاسمة لتبديل خططها وتكتيكاتها وأساليبها ، فان الدروس التي ستتعلمها الجماهير والعبر التي تستخلصها ستكون دون شك ذات اثر خطير في مستقبل المعركة ضد الامبريالية وعميلتها الرجعية ، وفي مصير الحركة الوطنية وأساليب كفاحها في جميع اجزاء الوطن العربي الكبير ..

انه لامتحان عسير ذلك الذي مرت وتمر به أنظمة الحكم العربية منذ السادس من تشرين الاول ، امتحان سيكون له ما بعده.. لقد كشفت هذه الايام الحقائق عارية دون تمويه ، ومزقت البراقع المزوقة ، وكشفت الشعارات الزائفة ، وأظهرت أعداء العرب بشكلهم الحقيقي ، ورسمت للجماهير العربية طريق النضال الصحيح ضد الامبريالية وذلك باجتثاث عملائها في الوطن العربي من الجذور والقائهم في مزبلة التاريخ .

لقد أظهرت هذه الايام الحاسمة في تاريخ العرب الحديث ، من هم أصدقاء العرب ومن هم أعداؤهم ؟ وما معنى السياسة الصائبة والسياسة الخاطئة ؟ وما هو المضمون الحقيقي لتضامن قوى الخير والحرية والسلام ضد قوى الاستغلال والاستعباد والشر ؟!

ان تشخيصا جديداً لمركز جميع القوى التي تتحرك على الساحة العربية سيكون ضرورة لا بد منها ، وستصدر الجماهير تبعا لذلك احكامها القاطعة على عناصر الهزيمة والتراجع والخيبة والانتهازية ، وستعلمها دماء الضحايا وهدير المدافع وأزيز الطائرات أساليب الكفاح الفعالة ، وترسم لها طريق المستقبل الوضاء ، وتضعها في السبيل الصحيح لبناء مجتمع الغد المزدهر المتقدم .

ان تيجانا ستهتز ، وعروشا ستتصدع ، وقواعد للظلم والاستغلال ظن اصحابها انهم بمنجى عن العواصف والاعاصير ، ستنهار وتتبدد تحت ضربات الجماهير ، ومراكز قوة أعدها أعداء الشعب لاستنزاف طاقته وتجميد نشاطه ، ستتحطم وتتداعى وتغدو هباء منثورا .. وبكلمة اخرى ان مجمل جهاز القهر والتسلط والارهاب الذي أقامته الامبريالية العالمية في الشرق الاوسط مستعينة بعميلتها الرجعية المحلية وربيبتها المدللة اسرائيل ، قد تصدع وتداعت اركانه وسقط طلاؤه وظهر ضعفه ، واصبح عاجزاً تماما عن ان يخيف الشعب ويقف في وجهه . فقلعة الامبريالية الحصينة التي أقامها في قلب الوطن العربي ونسج حولها الاساطير والاوهام لشل ارادة القتال والكفاح لدى الجماهير العربية ، قد ظهرت على حقيقتها قلعة من الورق ، لا يمكن ان تصمد امام الحزم والتصميم والارادة الواعية .. والاغلال الخانقة التي أثقلت بها الشركات الاحتكارية أعناق شعوبنا في المشرق والمغرب ، تبين انها أوهى من خيوط العنكبوت امام عزم الشعب العربي ، واستعداده للتضحية والبذل وطاقته على الثبات والصمود .. اما عملاء الامبريالية وصنائع الاستعمار الذين كانوا يتمتعون بالحول والطول ، فلم يبق أمامهم سوى تملق الجماهير واستدرار عطفها بما يمكن ان يتظاهروا بتقديمه من اسهامات في المعركة .

نعم اننا في بداية انعطاف تاريخي مهم ، وعلى اعتاب تحولات تاريخية خطيرة ، لان كثيرا من الفرضيات التي وضعت في السنين السابقة قد ألغتها هذه الايام تماما ، وثبتت مكانها حقائق جديدة لم يعد يتطرق اليها الشك .. كما ان ضراوة المعركة واتساع مداها القومي قد اعطاها شكلها الحقيقي ، معركة بين الامبريالية العالمية من جهة والامة العربية بكاملها والى جانبها قوى التحرر في العالم كله من الجهة الاخرى .

على ان وجود هذا الانعطاف التاريخي الجديد لا يعني انه كان مفاجأة للحركة الوطنية الثورية في الوطن العربي .. بل ان الامر على العكس من ذلك تماما ، فقد جاءت الايام الاخيرة لتبرهن على صحة الخط الذي كانت تسير فيه الحركة الوطنية التقدمية في العالم العربي وفي مقدمتها السلطة الثورية في العراق التي رفعت شعارات الوحدة الوطنية ونفط العرب للعرب ، والتحالف المتين مع قوى التحرر والتقدم في العالم ، وعدم مهادنة الاستعمار بأي

شكل كان ، واعتماد أسلوب الكفاح المسلح أسلوبا أساسيا في المعركة، ونقلت هذه الشعارات الى الواقع باقامة الجبهة الوطنية واعلان بيان آذار وتأميم شركة نفط العراق وحصة الشركات الاميركية والهولندية في نفط البصرة وعقد معاهـدة التعاون والصداقة مع الاتحـاد السوفياتي والقاء كل ثقلها وامكاناتها العسكرية في المعركة ..وجاءت هذه التجربة العسيرة الحاسمة لتثبت للجماهير العربية في كـل مكان صحة هذه السياسة وسلامة هذه الشعارات ، ولتؤكد ان أي طريق آخر لن يؤدي الا الى التفريط بالمصالح الوطنية والقوميـة ويفتح الثغرات لتسرب النفوذ الامبريالي الرجعي الى وطننا العزيز . ان التاريخ سيسجل بحروف من نور للحكم الوطني في العـراق موقفه هذا ، كما سيسجل مـواقف من يسيرون في عكس هذا الطريـق .

لا شك ان التاريخ سيكون قاسيا في حكمـه ، وان الجماهير العربية لن تغتفر لاولئك الذين يفرطون بمصالحها ، ويتوانون عـن نصرتها ويمدون أيديهم الى أعدائها ، بل سيكون حسابهم عسيـرا عندما تهدأ المعركة وتصفى حساباتها ويفرز حشفها من تمرهـا .. عندئذ ستبيض وجوه وستسود وجوه ، ويكون الحكم للشعب . ولن يقتصر هذا الحكم على السياسيين فحسب ، بل سيتناول الفنانيـن والادباء ورجال الفكر ايضا .

واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد زرعت بين الجماهير العربية بذور اليأس والشعور بالعجز والضياع ، فـان الحرب النفسيـة التـي شنتها القوى الامبريالية وعميلتهـا الصهيونية العالمية والرجعية العربية قد حاولت تغذية هذه البذور وتنميتها وانعاشها مستخدمة معطيات تلك الايام الستة المظلمة أسوأ استعمـال .. ومع ان روح الصمود التي تمثلت على وجه الخصوص في المقاومة الفلسطينيـة الباسلة والحركات الوطنية الثورية في الوطن العربي لم تنطفـىء ، رغم الظروف العسيرة التي مرت بها ، فان غيوم النكسة كانت تثقل بكلكلها على النفوس وتملأ بهمومها القلوب ، ولا سيما نفوس وقلوب المثقفين ، الذين وضعتهم اكثر أنظمة الحكم العربية على هـامش الحياة .. وحجب الحقيقة عن انظارهم ضباب الاحداث .

لقد انعكس هذا الوضع النفسي بأجلى صوره في أدب ما بعد النكسة ولا سيما في الشعر .. واذا أخذنا المهرجانات الادبيـة والشعرية التي انعقدت بعد النكسة ، مثل المهرجانات الشعرية التي صاحبت مؤتمرات الادباء العرب ومهرجانات المربد وأبي تمام فـي العراق وغير ذلك من المناسبات ، نماذج واضحة لادب هذه الفترة.. فانها تعبر ـ عدا استثناءات قليلة ـ عن انتكاسات نفسية وفكريـة وفنية ، كان أهم آثارها ونتائجها انفصام واضح بين الادب والجماهير، وعجز بيّن عن اسهام الادب اسهاما فعـالا في المعركـة .. وكان سبب ذلك دون شك بعض الافتراضات الخاطئة التي فرضتها النكسـة وغذتها الدعاية الاستعمارية والصهيونية ، والتي تعطي الدور الاساسي الحاسم في حل مشاكل الوطن العربي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية للولايات المتحدة الاميركية وعميلتها اسرائيل باعتبارهما القـوة التي لا تقهر ، وتقلل من اهمية وفعالية الطاقات التي تملكها الجمـاهير العربية وقوى التحرر في العالم ... وما دام الامر كذلك فليس امامنا سوى الشكوى والبكاء والقاء اللوم على الاقدار ، وانتظار الرحمة من اعدائنا الذين عسى ان يهديهم الله سواء السبيل ، فيعيدوا الينا حقنا او جزءا منه على الاقل ... ان من الطبيعي ان مستقبلا أسود وغدا ملفعا بالضباب وخيبة مريرة ويأسا غامرا لا يمكن ان توحـي بأدب مشرق وشعر نابض بالامل والحياة .

ولكن أحداث الشهر المنصرم (شهر تشرين الاول) بعنفهـا وقسوتها ، بدمائها وشهدائها ، بما أحدثته من هزة في العالم مـن أقصاه الى أقصاه ، أزالت الضباب عن الحاضر والمستقبل ، وفندت الفرضيات السابقة وثبتت مكانها حقائق لا تدحض .. اولها اننا نمتلك أثمن ما في العالم اليوم ، نمتلك دمه وطاقته على البقاء وهو النفط ، وانه يكفي ان نلوح باستعمال هذا السلاح لكي تهتز اكبر الـدول الصناعية واكثرها بطشا وجبروتا وتلتمس رضى العرب وصداقتهم . وان اليوم الذي كانت تستطيع فيه الدول الاستعمارية الكبرى فرض ارادتها بالعنف والقوة قد ولى دون رجعة ... وثانيها ان البشريـة التقدمية كلهـا معنا وهي قوة هائلـة لا يمكـن ان يستهـان بهـا ... وثالثها ان طاقات شعبنا على القتال والصمود هائلة جبارة لا يمكـن ان تقف عند حد ، وان بامكانها ان تحقق النصر الكامل ان لم يكن اليوم فغدا اذا توفرت لها القيادة الصالحة والامكانات اللازمة ... ورابعها ان قوة عدونا خرافة حاولت الدعاية الاستعمارية الصهيونية اقناعنا بها .. وان عشرة ايام من القتال كانت كافية لان يتهاوى على ركبتيه من الاعياء ويتهالك في طلب ايقاف النار ليلتقط أنفـاسه ويستعيد قواه المتصدعة .

ان الحقائق الجديدة التي كشفت عنها أحداث الشهر المنصرم قد غيرت خريطة المستقبل في انظار العالم كله ، ولا سيما في انظار الجماهير العربية ، بل لا نبالغ اذا قلنا ان مصير اسرائيل ، الدويلة المصطنعة ، العديمة الموارد ، القائمة أصلا على الغصب والعـدوان والعون الاستعماري ، قد تقرر منذ الآن بشكل واضح لا مجال للشك فيه .. ومهما يبدو في قولنا هذا من تفاؤل فان دراسة معمقة لمعطيات شهر تشرين الاول ذات الدلالات الكبيرة والظروف التي تلتها لا يمكن الا ان توصلنا الى هذه النتيجة ..

ومع انجلاء ضباب الاوهام والخرافات الذي سيطر على الجـو النفسي والفكري الذي ساد بعد نكسة حزيران ، وانكشاف المستقبل على حقيقته امام الافكار والانظار .. فان انطلاقة فكرية وفنية وادبية لا بد ان تكون على الابواب في العالم العربي .

وكما اننا امام منعطف تاريخي في حياتنا السياسية ، فـان هذا الانعطاف لن يكون أقل أهمية في حياتنا الفكرية والفنيـة والادبية . واذا كان الجيل القديم سيجد صعوبة في التكيف لمعطيات الظروف السياسية والنفسية الجديدة ، فان الجيل الجديد سيحمل دون شك راية الفن الجماهيري الجديد ، فن الثقة بالنفس ، الثقة بالشعب ، الثقة بالمستقبل .. فن القوة والعزم والتفاؤل .. فـن المنتصرين لا فن الخائبين المندحرين ..

بغداد — **صلاح خالص**

محمد الجزائري

الجبهة ساخنة أيها المثقفون

ساخنة هذه الايام .. وساخنة هي جبهات القتال ، فعلا ..
لكن فرح القتال يورق في قلوب ابناء الشعب ويزهر فيضا من الاصرار والحماس والوعي .

صحيح ان الايام التشرينية كان لا بد لها ان تكون بداية البرد ، في المواسم التقليدية ، لكن هذا الموسم لم يعد تقليديا ، وظلت أيامه حارة على الطبيعة ، وزادت حرارتها بفعل المعركة الضارية علىجبهات القتال .. في سيناء والجولان والعرقوب ، وكل الارض العربية .

ان حرارة هذه الايام أوشكت ان ترتدي نفسها بشكل مضاعف : القتال له حرارة الدم ، والاخبار ساخنة هي الاخرى .

فماذا نعمل ـ نحن المثقفين ـ ازاء اروع مشهد من تاريخالحرب العادلة الذي تصنعه بطولات جنودنا وضباطنا البواسل ، والـــذي تعمق واكتسب أهمية استثنائية بفضل ســـلاح النفط الذي شهره عراق الثورة بتأميم حصة اميركا في شركة نفط البصرة ؟

أيها المثقفون : هل نرتدي الكلمات ؟ ونتبادل « التصريحات » العاطفية ازاء سير المعركة ؟

ان سخونة الانباء تطفي على كل القصائد والتصريحات وتـوشك البنادق والدروع ، والعبور الفخر للقناة ، والطائرات ان تغنـي ، بل هي تغني بالفعل ، أروع من كل كلماتنا .. حتى شجرة الليمون التي ذبلت جذورها منذ أمد في حيفا ويافا .. عادت لتورق مـــن جديد ، وظل الزيتون في كل البيارات ينادي الاهل ان تعالوا .

اذن أية ذكرى نسقطها من التاريخ على الحاضر ، لنفيد منها وماذا ندرس في خط وجند ودفاع ومعركة البسالة هذه الايام..؟

فازاء أول « فرصة » حقيقية للقتال ، برهن الجندي العربي على شجاعته التقليدية الخارقة ، وعاد قادتنا المنتصرون عبر تواريخهـم الماضية ، يتنفسون ، تحت تراب قبورهم ، هواء الحرية والفخـر من جديـــد .

وعاد شرف القتالالىالمواقع التي كاد المدفع فيها ان يصدأ ..
مرة اخرى،جرى ماء القتالنقيا مطهرا مـــن رجس الصهاينـة ، بعد أن تعطرت فيه وعطرته الاجساد السمر العربية وهي تحمـــل صواريخها بثقة ..

اذن نحن امـام سخونة الاشياء نتساءل :
ماذا نعمل كمثقفين ؟

ـ التجنيد الفوري ، التطوع العسكري ، في صفوف المقاومة ، في خطوط الجبهات الداخلية ، التخندق في الخطوط الامامية ..
... أم ماذا ؟

كل ذلك مشروع ومشرف .

فاذا كانت جبهات خطوط النار تحتاج الى مقاتلين مدربين ، فحري بنا ان نتجاوز صمت مكاتبنا ، وأزيز أقلامنا غير المسمـوع حتى على الورق ذاته !

النفط برهن على قدرته في التحرك ..
البنادق برهنت على قدرتها في التحرك ..
الاعلام لا بد ان يكون جديدا ، كذلك ما نكتب ..

اذن .. امامنا شوط ليس باليسير قطعه . انه ترصينالجبهة الداخلية ، متابعة تحركات الرتل الخامس ، امامنا الاشـــاعات ، حرب العدوان النفسية ، امامنا نظريات العدو وقدراته الاخرى .. امامنا ، باختصار ، جبهة الاستعمار والصهيونية والرجعية والرتل الخامس ، وضعفاء النفوس ، والانتهازيون و ... اذن ، كثيـــرة هي مهامنا .

وبما ان الطريق الى فلسطين الذي يبرهن انه يمر من فوهـة بندقية ، فان الطريق الى العمل الحقيقي في جبهات القتال العسكرية والفكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية لا بد ، بل وبالتحتيم والضرورة ، ان يكون عبر التنظيم السياسي الاوسع والاكثر تأهيـلا لضم كل قوى الشعب الخيرة ، وكل فصائل الحب والخير والجمال، وكل الناس الشرفاء في وطن التأميم والجبهة ..

ان هذا التنظيم هو : الجبهة الوطنية والقومية التقدمية .. الضرورة التاريخية التي نبعت من حاجة موضوعية وماسة في ظرفنا الراهـن .

انني أدعو لمواجهة العدوان والاسهام الفعال في المعركة ان يتم اعداد فصائل الشعب كلها ، ليكون الشعب مقاتلا بالبندقية والكلمة اليقظة والوعي الثوري والنفط والتضحية وبذل الدم ..

فان الجبهة ساخنة فعلا أيها المثقفون .

الجمهورية
١٦ تشرين الاول

عبد الرحمن الربيعي

أيها الوطن الكبير .. صغ المآثر

ذلك العبء الثقيل الذي رزحنا تحتــــه زمنا ، ذلك التعب المستديم لم يدع عيوننا تغمض بايمان .. ها نحن ندينه ونذله ليعلو الصوت المخبوء في أروقة السجون وقيود المشاريع الاستعماريــــة ومؤامرات الاعداء ، ها هو الصوت المخبوء يردد كل ما ادخره مـن كلمات الحماس والثورة ، وها هو يحيل هذه الكلمات الى افعــــال وانجـــاز .

لا أدري في أي وضع انا الآن .. لا ادري أية مشاعر أطيــــق سكبها .. ولكنني أعرف تماما بانني في وضع آخر .. يد عــــلى القلب ، وفرحة يخاف القلب ان يطلقها كلها .. ولذلك ظلت تـدور في أقبيته ، تهدر مع انطلاقة الدم في عروقه ..

لكل شيء اليوم طعمه الجديد ..

لقد كثر الحديث عن أمة المئة مليون ، عن صمت هذه الامة ، عن حزنها ، ولكن الذين تحدثوا عن ذلك نسوا ان هذه الامــــة ، ما صمتت يوما الا بحثا عن الكلمة المناسبة . وما حزنت يوما الا وكان حزنها وعدا بفرح كبير ..

نسوا كل ذلك ، وكان على رجال هذه الامة ان يذكروا ، وان يفعلوا ، وان يتحركوا .. وها هم يفعلون ذلك ، ها هم ..

أيها الوطن الكبير .. الواسع والعظـــيم .. ها أنت ترفـع جسدك العملاق وتبدأ مسيرة الفعل والانجاز ، والورم الطفيف الذي يلتصق في بقعــة نقية منك لم يستطع غلب جسدك العمــــلاق وانــه قاض عليه لا محالة .

أيها الوطن الكبير .. بدأنا نسمع نشيدك .. بدأنا نصغي الى وقع كلماته العظيمة المفعمة بالنضال والامجاد .. فيه امتزج صـوت خالد بن الوليد .. بطارق بن زياد .. بشهداء الجزائر .. بثوار العشرين بأطفال كفر قاسم .. انه الصوت العربي الواحد المحمـل بالثار والنضال .. بالامل والغد .

أيها الوطن العظيم ، ها نحن نسمع المزيد من ردودك .. المزيد من انتصاراتك ، من ضوئك .

وهنا .. معا نحن نسمعك جوابنا .. معا نحن نعلن تاميمــــا آخر ، ونقطع شريانا جديدا في جسد أعدائك .. نقطع عنهم موارد الحياة والبقاء ، ليستهلكوا ما بقي فيهم من دم فتخر أجسادهــم المتغطرسة تحت زحف أبنائك .

أيها الوطن الكبير .. صغ المآثر .. واصنع لاعناق الاجيـــال أوسمة وقلائد اخرى ، رائعة وثمينة ، روعة الشهادة في محرابك .

الجمهورية
١٢ تشرين الاول

لحظة الاختبار

في يوم مضى قرأت قولا لاحد الادباء التقدميين يقول فيه : « لقد كتبنا كثيرا عن الحرية ولقد آن لنـا ان نختبر ايماننا بها » . هــذا القول بقي عالقا في ذاكرتي وهو الذي يضع دوما موافقي على طاولة الحساب في اللحظات الحاسمة . وأضيف هنا واقول : ان الكلمة تصبح مهمتها ثانوية في ساعات الحسم ، وكلنا نتذكر كيف ترك الادباء التقدميون في العالم اوراقهم ومحابرهم ليحملوا البنادق بدل الاقلام. في باريس وموسكو وفيتنام وفلسطين وافريقيا ، نتذكر ســارتر والبير كامو وأندريه مالرو وغيرهم . واليوم تبدو الكلمات هزيــلة وشاحبة ، ومهما ملأناها بكلمات الثورة والحماس تظل باهتة لا معنى لها . في المعركة يجب ان نكون في الساحة ، وان نكف عن الثرثرة وتسطير التحليلات ونحن وراء مناضدنا . نشرب الماء المثلج ونقــرأ الصحف بلا مبالاة .

اننا أناس عاطلون لا نعرف كيف نضغط على زناد بندقية ، وبدلا من ثرثرتنا العريضة لنطالب بتدريبنا على السلاح والذهاب الـــى الساحة . انها مرحلة الاختبار التي حددها الكاتب التقدمي الـذي ذكرت رأيه في المقدمة . يجب ان نكون في الساحة ، وعندما تمتلىء آذاننا بدوي الرصاص ، وتضغط أصابعنا على أزندة البنادق برجولة وايثار ، آنذاك ستكون الكلمات التي نسطرها كبيرة وعظيمــــة ، والا فهي لغو وهراء .

الف باء
٢٤ تشرين الاول

مالك المطلبي

الحرب

دمٌ في الجزيرة قد دفنته الرياح
دم في هواك
وفوق السلالم خطوٌ
وفي غرف النوم خطو
وفي النوم خطو

* * *

تفاجئني الحرب !
في المقعد الخشبيّ
تقابلني الحرب
في المقعد الخشبيّ
فمن هشم الزهرة العربية ؟
أحمل كفيّ
.. خائفتين !
الامس وجه التي فاجأتني
ووجه التي قابلتني ..

* * *

سيدتــي ..!
ان بخديك آثار حزن
وفي شفتيك
كلاما
كثيرا
ولكنه لا يقال !

* * *

سيدتي
حطمي الخطو
حطمي المقعد الخشبيّ
قبل أن
تلتقي
بالرجال

آمال الزهاوي

سيول الحصار

وهل يرحل الجرح في جسد الآخرين ؟
وكانت دموع المنافي طقوسا
فخذ أيها الوطن المستبى
دماء الخلاص من العاشقين ..

* * *

طلعتم
وعبر السماء إختصار المسافات كالبرق
فيكم جنون الرياح
وشوق المياه الى نبعها
فمن اي زاوية تقبلون كمدّ البحار
ومن أي مختبأ تقدمون كروح القتيل
تحلون في البر والبحر
تمشون كالموت سرا
تحيطون بالقفل مثل سيول الحصار
فكنتم تهزون دنيا الجنون
بدنيا الجنون
وتغتسلون بنار النقاء
تذيبون دنيا بصفو الينابيع
ترمون عنها نثار الغبار
وحين تصير المنافي كمستنقع راكد الحزن
تدمي المسافات أبعادها
لينفجـر الموج ريحا
وجنحين للشوق والكبرياء

* * *

تهز الطيور بساط الهوى
سمعت همسة الوحي ، فانقدحت صورة كالمرايا
رمت زهرة في جليد المكان
وقالت تجلي فصارت لها جمرة
هوت طلقة في الشمال وأخرى جنوبا وعبر المدى
كانفلاق النجوم
هوت زخة للردى
نشرت رحلة في شراع الزمان
وكانت دما يرسم البعد دائرة في ضلوع التناسي
وخارطة غيروا وجهها للعيان
فخذ أيها الوطن المستبى
دماء الخلاص من العاشقين

علي جعفر العلاق

زمن الرصاص الدمشقي

انها وردة
لدمشق ، وثانية
للعصافير تنزف بين المدافع ،
.. يحضرني ،
من دمشق ، العشية ، اعشابها
نبضها ، قاسيون المحاصر بالريح ،
والمطر العربي ،
.. دمشق ، العشية ، تفتح بابين :
واحدة لليتامى ،
واسرى الحروب المباغتة ،
ابتسمي ، يا دمشق الرشيقة
ها ان هانوي ،
تحمل ما بين قمصانها وردة ،
من شظاياك ، مبتلة ،
بدماء العصافير ، والنيل الآسيوي ،
وها ان ..
سيدتي ،
اطمع ، الآن ، أن تفتحي خندقا
ليس يدخله ،
غير عشاقك ، الفقراء ، المهانين ،
ان مجانينك الفقراء
سادة ،
ينتمون لاسمائهم ،
ومجاعاتهم ،
وهوى أمة في العراء ،
سادة ..
للمساكين ما بين كفيك منشفة
تسترين بها عري هذا الزمان الذي ،
هدّه النزف ،
هذا الزمان الذي ،
يجلس ، الآن ، في الهضبات الجريحة
يملأ أكمامه
بالرصاص الدمشقي ،
.. قولي
لهذا الزمان الجديد : اقترب
ان أبنائي ، الآن ، يشتعلون
على طرف الارض ،
يبنون خارطة الفقراء الجديدة ،
خارطة ،
للرصاص الدمشقي ،
.. قولي
لهذا الغبار الجديد : اقترب
للرصاص الكئيب : اقترب
ان ابناءك ، الآن ، يفتتحون على
الارض بابين :

واحدة لليتامى ،
وأخرى ..
دمشق ، الزمان الجديد ،
الغبار الجديد ،
دمشق ، العشية ، نافذة
يعبر ، الآن ، منها المساكين ،
تعبر منها الطيور ،
الرصاص ،
المياه ،
ودمشق ، العشية ، متكأ
للحياة ..

وردة
لدمشق ، وأخرى لاوجاعها ،
عشبها ، قاسيون المحاصر
بالريح ،
سيدتي ،
يا دمشق الوحيدة كالبدر
كوني التي توقظ الماء ،
في الشجر العربي
الذي اصفر مذ لحظة الغزو ،
.. سيدتي ،
يا دمشق الوحيدة ،
هذا زمان المباغتة ،
النكبات ،
الفضائح ،
هذا الذي يملأ ، الآن ، أكمامه
بالرصاص الدمشقي ،
.. أنت الطريق الذي
يربط الحلم بالحلم ،
أنت ، العشية ، أشهى
من الماء في الثكنات ،
واشهى
من النوم فيها ، العشية ، أنت الوحيدة
سيدتي ،
يا دمشق ،
.. سيذكر هذا الزمان
بأنك أول من خط بالنار اسماء
أشجاره ،

وموانئه العربية ،
أول من يبدأ الحرب
من جبهة الفقراء ،
.. ويذكر هذا الزمان ،
مسائل اخرى :
بكثرة ما تترك الحرب من خوذ ،
وأغان ،
وأحذية ،

ومساكين ،
.. ان دمشق ،
آخر العائدين من الجبهات
آخر المتعبين من الحرب ،
ان دمشق الوحيدة ،
آخر من يترك الجثث ، الفوهات
العريضة ، والعربات
مخبأ للعصافير ،
والمطر المر ،
.. ان لها ،
لدمشق الكبيره
خلف كل البيوت دمشق ،
وفي ظلمات الموانئ الصغيره ،
عاشقا ،
ودمشقا مثيره ..

بغداد

ماجد السامرائي

صوت المعركة وصوت الرجعية

في الساعات الراهنة التي تشتد فيها نيران المعركة القومية.. معركة الجماهير العربية ضد العدوان الصهيوني .. في هذه الساعات التي ضغط فيها المقاتل العربي على زناد مدفعه ، ووجه قذائف طائراته نحو العدو الذي اغتصب أرضه منذ خمسة وعشرين عاما وأضاف اليها أرضا جديدة منذ ست سنوات ..

في هذه الساعات التي مزق فيها الانسان العربي أكفان اليأس والخيبة التي غلفته بها نكبة ١٩٤٨ ونكسة حزيران عام ١٩٦٧ .. وقف هذا الانسان اليوم رافضا الاستمرار في تجرع مرارة النكسة.. وقد عرف ان طريق الرفض لا يمكن الاستمرار فيه الا بالدم .. فتشوق الى تقديمه سخيا من اجل مواصلة هذا الطريق .

وهكذا كانت البداية يوم السادس من تشرين .. حين انطلقت رصاصة الرفض للاحتلال ولكل مخلفاته .. وتوسعت دائرة الرفض هذه لتشمل ارضنا العربية كلها .

لقد ازاحت معركة العرب الراهنة من سماء وطننا الكبير كل سحب الكآبة والخيبة والانهزام .. واعتلى هذه الارض دخان المدافع العربية ممزوجا بغبار التراب العربي الذي يتمخض الآن عن ولادة مشرقة جديدة .

والمقاتل العربي الذي يغسل اليوم بدمه في كل ساعة بقعة جديدة ، من ارضه التي دنستها أقدام المحتلين .. يعلم ان الرصاص الذي يتلقاه في أفران المصانع الاميركية من جراء تدفق نفطنا وثرواتنا الى تلك الدولة الامبريالية .

ومن اجل ذلك وفي سبيل تعزيز أقدام المقاتل في المعركة أممت ثورة السابع عشر من تموز النفط في الاول من حزيران وفي السابع من تشرين .

واليوم ترتفع أصوات هنا وهناك تستفهم وتستفسر عن كيفية استخدام سلاح النفط في المعركة . وهذه الاصوات مصدرها بالطبع بعض الانظمة العربية الرجعية التي آثرت الصمت ، ووضعت اصابعها في آذانها لكي لا تسمع دوي القنابل وهدير الطائرات وزحف الرجال نحو العدو الغاصب .. راحت هذه الاصوات تطلب المشاورات والمعلومات والكيفيات التي من خلالها يمكنها استخدام النفط كسلاح في المعركة .. وكأنها معزولة عما حدث وما يحدث الآن على الساحة العربية ..!!

لنقف قليلا عند هذه اللعبة الجديدة التي نسجت الرجعية خيوطها بذكاء مواكب لطبيعة الاجواء القتالية التي تعيشها الجماهير العربية الآن . ولنطرح السؤال التالي على تلك الدعوة وتلك الاستفسارات المشبوهة :

الم يكن تاميم النفط في العراق كافيا في اعطاء الجواب العملي الواضح لمن يريد السير في طريق استخدام النفط في المعركة ؟ لا يمكن ان يختلف اثنان في ان تجربة العراق في التأميم هي نموذج ثوري متقدم وناجح في الانتصار على الامبريالية واحتكاراتها .

ان المشاورات والتساؤلات التي تدعيها الرجعية العربية لا يمكن ان تكون من قبيل محاولات التشبث في الطريق السوي .. بل هي محاولة لاستنزاف التفجر الجماهيري الذي تعيشه الساحة العربية الآن . هناك حقيقة واضحة تعلمها الصهيونية والامبريالية.. وتعلمها الرجعية العربية ايضا ، هي ان المعركة القومية اذا ما استمرت وتوسعت جبهاتها ودخلتها كل الجماهير العربية بشكل فعلي ، فانها ستلحق الاضرار الكبيرة بالاستعمار وبالكيان الصهيوني وتنهي وجوده من الارض العربية .

الثورة
١٩ تشرين الاول

مواقع أقدام على أرض مأهولة بالسكان

— ١ —

عرف العالم ، منذ بدء التاريخ حتى اليوم ، قوانين كثيرة .. ما يتردد منها على السنتنا ، نحن الشغيلة في ورشة الكتابة ، هي : قوانين الحجر الفكري ، وقوانين مصادرة الحرية ، وقوانين حظر الكتابة وتجفيف الاقلام .. أضيف الى قاموس القوانين هذا قانون جديد ، دولي المعنى والصفة ، هو : « قانون تقييد أيدي الثوار » ، أو « قانون قمع مجابهة العدو » .

وقد وجد هذا القانون « مكانته اللائقة » في الصفحات « الشاغرة » من قواميس هواة تعقب المصطلحات ، الذين راحوا ، وعلى التو ، يكتبونه بالحروف الكبيرة على صفحات كانت ارضيتها الفعلية خارطة الوطن .

لهذا القانون الجديد بنود كثيرة ، تحمل تميزها الخاص بها بين جميع القوانين المعروفة في هذا العالم الضيق .. ولعل أبرز هذه البنود :

— تعليق يد المقاتل بحيث لا تستطيع الاقتراب من زناد السلاح ..

— كبت النار في أحشاء المدفع ، على الرغم من توهجها في صدور من يقفون وراء هذا المدفع ، توهجا يكاد يحرق صاحبه .

ـ توجيه فوهات الاسلحة اما الى السماء ، حيث الفراغ المطلق، واما الى صدر الارض حيث العمق الذي لا ينتهي الى قرار ..

ـ تحويل المواضع الى قبور او مساكن ـ لا فرق ! ـ يقبع فيها اناس يريدون الحياة ولا تتاح لهم بالصيغة التي يريدون .

ملاحظة على الهامش :

.. وفي هذه الحالة تتساوى اشياء كثيرة : البارود والرمل . النار والماء . الانسان والحجر . السلاح واخشاب سقف المنزل او قطع الاثاث . الدبابات الضخمة وأية منحوتة في متاحف الآثار .

استنتاج :

لقد أثبت العلم ، منذ زمن ليس بالقريب ، انه « يمكن الاستعاضة عن كل كمية بما يساويها » .

ـ ٢

رغم انهم اذاعوا في البلاغات ان « قانون قمع مجابهة العدو قد وضع موضع التنفيذ » ، فانني ، وبهاجس طفولي ، ربما ، او جنوني ـ من يدري ! ـ أيقنت ان هناك أيديا لم تقف .. وحين سحب منها السلاح راحت تبحث عن شيء آخر تستخدمه : حجارة متطايرة من أحد المنازل المنسوفة .. عظم من جثة شهيد عربي ترك مكشوفا في العراء منذ عام ١٩٦٧ .. حفنة رمل تشبعت بدم الشهداء. اي شيء يقع امامها لتقذف به في اتجاه العدو .

وتساورني موجات الجنون : أتوقع كل هذا .. كل جنون الرغبة في القتال .. كل الهيام بالارض وباسلوب استعادتها .. وما يزيد في جنوني اكثر هذه الصورة التي تلقيها الصحف امامي ، فتمزقني : هذا الجندي العربي الذي ما ان حرر أول متر من ارضه حتى انكفأ عليه يقبله .. لعله كان يعلمنا شيئا عن قيمة التراب ـ الارض .. وكأني به اليوم يطرح السؤال امام هذا الحشد المعطل ـ بكسر الطاء ـ أتعرفون ما قيمة التراب ؟؟

ـ ٣

يبدو لي اليوم ان المعادلة في ايدينا قد تغيرت .. فما عادت الاشياء محاطة بما يحجب الرؤية الكاملة عنها .

بعد حزيران هبّ « الفرسان » من كل حدب وصوب .. أقاموا في سرادقات الشعر أشنع المآتم .. وطاحوا بالامة وبالشعب ضربا أعمى بكل ما تهيأ لهم وما لم يتهيأ من هراوات الخطابة ، وسياط البلاغة .. ودقوا أسافين الكلمات الفضفاضة في كل موضع من الجسم والضمير .

هذا طرف في المعادلة كان .

وظلت المعادلة بعيدة عن كل موجبات « الفرض » او «المنطوق» .

واليوم قد وجدنا ما كان ضائعا من هذه « المعادلة الصعبة » ، رغم اننا كنا ، منذ البداية ، قد شخصناه . الا ان « تهريج المنابر » وأبواق الاذاعات المزهوة بالهزيمة قد طمست كل ما يمكن ان يخالف بشيء « الحقيقة » التي بهـا كانت تقول .

شعب ملغوم بفعل القتال .. وأمة باحثة عن طريقها .. وقد تفجر اللغم ، وبدأ الطريق .. فلماذا تعطلت المسيرة ؟

سؤال صعب .. أليس كذلك ؟
.. ولكنه قلب أمامنا شكل الهرم .
فماذا ستقول المنابر ؟
وبماذا ستزعق ابواق الاذاعات ؟
انه لسؤال أصعب بكثير من سابقه !

ـ ٤

ستظل الشمس تشرق ، والارض تدور ، والنساء تنجب .. وتبقى الحقيقة مؤسسة مجدها في كل ضمير .

ويبقى شريط من ذكريات وصور مرة ينمو ويكبر في اذهان ونفوس اطفال العرب : (نسف المنازل .. التهجير والتشريد .. حروف النابالم المطبوعة على الاجساد .. زملاء مدرسة بحر البقر) .

وفي الجانب الآخر تكون « الحروف المربعة » (الحروف العبرية) مماثلة للصليب المعقوف ، علامة « النازية الجديدة » التي تستوطن الارض ، وهيهات ان تستوطن النفس .

ـ ٥

أمني النفس ان اسمع يوما ما عن « نفق سري » تحفره أيدي المقاتلين المحظورين عن القتال ، بدءا من مواقعهم حتى مواقع العدو ، فيشنون عبره حربهم السرية التي تتجاوز عيون مراقبي خطوط « الهدنة الجديدة » .

مجرد حلم .. ربما سيدور في أذهان الكثيرين ..
فهل عجز منا ان نحلم ؟
انها القدرة الوحيدة الآن .

ملحق الجمهورية
٣ تشرين الثاني

جليل حيدر

اختار معك ..

اذ نجعل من كل الاحلام حرائق
اذ نطلق رشاش الحب القاسي
اذ ندعوك الينا :
في الطرق المفتوحة
في التحريض
في القبضات المشدوده
في الضوء الغازي ،
في الساحات ،
وفي كل زحام يومي
في رائحة العرق المطر انسانا آخر .
اذ نفعل هذا .
فافهم اني
مذ بدء الشوط ، لآخر صفارة انذار
اختار معك ...

الجمهورية
١٦ تشرين الاول

نبيل ياسين

يا وطني

أعترف الآن بأنك أنت الاقوى
ها أنت تعلق فوق قميصي نيشان الحب الرائع ،
والفرح الرائع ..
والموت الرائع
ها أنت تصب الي الخمرة من فوهة ساخنة
وتناديني كي أتعرى من غضبي الساخن
وتناديني كي ألحق بالنهر المتوثب
كي أتمكن من حزني ،
وأغادره مختفيا بثيابي
أعترف الآن بأنك في قلبي :
كالحب الاول
أخاف عليه ، فيغمرني
يا وطني ،
أنت الجندي الواقف في خط النار
أنت الحقل المزروع بأفراح الفلاحين ،
أنت المصنع محمولا فوق كفاح العمال
أنت ـ أنا الشاعر والعاشق امتلأ الآن بحبك
ناولني .
أقرب رشاش بين يديك ، وأقرب خوذه
فأنا الشاعر والعاشق امتلأ الآن بحبك .
سأقاتل .

بغداد

غازي العبادي

وجه الحقيقة العربية

بين الخامس من حزيران عام ٦٧ والسادس من تشرين عام ٧٣ مسافة طويلة من الحزن القائم قطعناها بمرارة امام واقع النكسة الرهيبة التي منينا بها .

لقد أريد لنا ان نسقط في دوامة اليأس والدهشة ! أهكذا حقا ، غفا العرب في هذا العصر ؟ وبهذه الهشاشة ؟ كيف اذن نجابه العالم بعد اليوم ؟ كيف اذن نجتاز السد العظيم ، الغطرسة الاسرائيلية المدعومة من قبل الامبريالية العالمية ؟ فخلال ربع قرن من الزمن عملت الدعاية الصهيونية على تصوير العسكرية الاسرائيلية بالقوة التي لا تقهر !

وعندما جاء الخامس من حزيران بوجهه الكالح المشؤوم كانت نفوسنا قد امتلأت حتى الاختناق بهذا التصور الخاطىء !

وكان البعض قد حدد موقفه مسبقا من المعركة ! الوقوف بوجه اية دعوة للتفاؤل ، وحاول قدر الامكان ان يصور للشعب العربي بأن للعالم بابا واحدا فقط هو الباب الذي يمكن ان نطل منه على اميركا لاكتساب رضاها وصداقتها ، وبذلك فقط نحرر الارض السليبة !

وكان لا بد من دعوة رائدة تجابه هذا المنطق المتهافت ، فكان صوت عراق الثورة الذي ارتفع بوجه كل الدعاوى الانهزامية يقول : لا للاستسلام ! وهكذا تغير الموقف وتريث الداعون للاستسلام ! والصوت الذي كان يدعو للهزيمة غطى عليه صوت اقوى يدعو للقتال ، للحرب الشعبية الطويلة الامد ، ولضرب المصالح الاميركية والامبريالية التي تساند العدو الصهيوني فوق الارض العربية . وقد تطلبت هذه المعركة من الثورة في العراق حوالي خمس سنوات كاملة لكي يقتنع الآخرون بمنطق الثورة المقاتلة .

واليوم وبعد ان ابتدأت حرب التحرير العربية وقد عادت الثقة المطلقة تملأ نفس المقاتل العربي وسقطت دعاوى الصهيونية العنصرية حول تخاذل الفرد العربي وتخلفه عن روح العصر ، نرى هذا العدو نفسه يفتتح مكاتب خاصة للاستشارات النفسية تعمل لاربع وعشرين ساعة في اليوم الواحد لتقديم النصائح للصهاينة المنهارين نفسيا بعد ان تطورت الاحداث وانكشفت الحقيقة وظهر وجه الفرد العربي على حقيقته كمقاتل جيد والذي عرف به منذ ان كان جواده الريح حتى امتطائه متن التكنولوجيا العسكرية الحديثة !

وهكذا وبضربة قوية سقطت كل الدعاية الصهيونية ، وانهارت تماما وسقط فوقها أقدام الجنود العرب الذين يقتحمون رمال سيناء التي حاول الصهاينة تحصينها ضدهم وتحويلها الى متنزهات وأماكن سياحية تتمتع بها عجائز الاميركان الثريات المسنات المصابات بالروماتزم !

لقد انهارت كل النوايا الشريرة التي اعدتها الصهيونية للامة العربية واختفت الى الابد أغاني الحزن والاسف والبكاء .

فالجندي العربي حين يمشط رمال سيناء شبرا شبرا من آثار الاقدام الهمجية من لصوص العصر وبرابرته ويستبسل في ذرى المرتفعات مستميتا في الدفاع عن كل صخرة انما يعطي الدليل القاطع على بطلان الدعاية الاستعمارية والعنصرية ـ الصهيونية .

والدليل ما يجري اليوم في ساحات القتال : ساحة فيتنام وجنوب شرقي اسيا ، ساحة افريقيا ، والساحة العربية .

وهكذا ، فان الفرد العربي الذي يمتلك سلاحا متطورا وقيادة مخلصة لارادة القتال وخططا موضوعية لن تعوزه ابدا الشجاعة والجهد المطلوبان لتحقيق النصر !

واليوم عندما يعمل الفرد العربي بسلاحه المتفوق على ردم هوة اليأس والتشاؤم والتخاذل في نفوسنا فانه يمسح عن شفاهنا مرارة الهزيمة التي حاول الاعداء ، ومن كل الهويات ، ان يجعلوها قدرنا الملازم طوال سنوات النكسة .

معد الجبوري

للصورة لون اخر

أعترف ـ الساعة ـ
اني كنت بكيتك يا وطني ،
حتى ابيضت عيناي ،
فألفيت قراءة كل مواعيد البرق بعينيك ،
وحين طلعت معي من حلقات الندب ،
وقفت ،
وأحصيت امامك سقطاتي
ولذا ، أعرف ان الصورة ،
بين حزيران وتشرين
أعمق مما بين الجرح وبين السكين

* * *

تشرين :
فوهات مدافعنا ليست أعشاشا للطير .
ومواقعنا ليست حائط مبكى لحزيران

* * *

تشرين :
المدن العربية ليست أرصفة ،
لوجوه المنتظرين

* * *

قلتم :
« كان الدم محتقنا في الاعراق ،
الدم في رحم الجرح المقفل محتقن »
لكني أنبئكم ،
اني في تشرين رأيت الدم يورق ،
بين رمال الصحراء
قلتم :
« كان العطش المتداخل في العظم ،
يسد طريق الرؤيا »
لكني أنبئكم ،
اني في تشرين رأيت الماء
يتدفق بين أكف الجند الممتدين .
من الجولان الى سيناء

* * *

تشرين :
آخر ما يسقط من تقويم الاحزان

ارشد توفيق

كلمات على خوذة عراقية

في العبور الكبير ، انتظرتك ،
كانت جميع الكتائب مثقلة بالحنين ،
انتظرتك ..
كان الحنين المسلح يفتح جسرا الى
زمن العربي المقاتل
هذا أوان العبور الكبير ..
انتظرتك ،
قلت سألقى هنالك وجهي
وكل الذين أحب ، وانهكني حبهم
قلت هذا أوان الجذور القديمة ..
فلتعصفي مرة ..
كنت اعصب جرحك بالنار ،
كنت أخضب وجهك بالطين ،
كنت ....
اضيئي ولو بالحرائق بيتي ..
سر ترابك ،
كوني دمي وخطاي ،
احمليني الى قمة في الجليل
سأصرخ :
قائدي الشعب لم ائتمر مرة بسواه
احمليني الى قمة في الجليل
سأصرخ :
ليس معي غير امر الهجوم ،
وليس معي غير حبك ،
لست لاعرف الا طريقين
واخترت ان التقيك

●

بمفترق الطرق الجبلية ..
ابصرت وجها تذكرت اني لقيته
من قبل ،
في ضفة الهور ؟.
أم في « الرشيد » ؟.
تذكرت اني لقيته من قبل ..
كان الفرات المسلح ،
يغسل في قاسيون الصخور
وكانت دمشق تزين شرفاتها للعراقي
اطفالها يرسمون البنادق والطائرات ،
وأوراقهم كالطيور ترفرف ..
كان العراقي يسرج دبابة للسماء
ويمضي ..

على جبينك من لألائها قمر
وفي يمينك من ساحاتها خبر
كوفية للفدا ، حمراء شامخة
كما السماء عليها من دم زهر
في فتية من تراب الارض عطرهمو
كأنهم في روابي شوقهم شجر
لم يعرفوا غير أمر واحد فاذا
تغيرت كلمة ، يعصون ما أمروا
اذن يتحدث في وجهك الهور
يلقي النخيل ظلالا وأسئلة ..
والاوامر غير الاوامر
كيف تطيق العيون الدمشقية اليوم
ان تلتقيك
وكيف تستطيع كتمان اسرارها
انت تذكر كيف احتوتك
سلاحا وصوتا ..

●

حلب ..
نهر من الحرير والذهب ..
منديل من احبها ،
مضرج بالدم يا حلب ..
مضرج بالورد يا حلب
لكن في حارة من احب
وجها أسمرا ودار
وطفلة تخبيء في عيونها الاسرار
فاحتراقي بالحب يا حلب ...

●

دمشق اخبيء وجهك الان حتى
يمر الجنود ،
الاوامر غير الاوامر ،
لكنني ، لن اقول اسمها
في التخوم البعيدة ، ما فتيء الدفء
يحضن أشجارها
لن أقول اسمها ..
فالاوامر غير الاوامر ..
هل تكذب الطلقة العربية ،
هل ترتجي وعد تشرين ؟
في عرسها ؟.

الجمهورية ٦ تشرين الثاني

رشيد ياسين

سلاح النفط وقومية المعركة

« لا ينبغي ان يعتبر النفط اثمن من الدماء العربية » .

هذه العبارة التي قالها الرئيس العراقي احمد حسن البكر منذ يومين اوجزت ، بمنتهى البلاغة ، الخيار الذي تواجهه دول النفط في العالم العربي : ان تبادر فورا الى قطع شحنات النفط عن حلفاء اسرائيل ، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الاميركية بالطبع ، او ان تشارك بصورة غير مباشرة في اراقة المزيد من الدماء العربية ! .

وامام خيار كهذا هل يحق للمترددين ان يدعوا انهم يقـومون بدورهم في المعركة ، وهل تغني عن قطع النفط مساعـدات ماليـة وطبية تقدم الى هذه الجبهة او تلك ، او قوات رمزية تشتـرك في القتـال ؟!

ان العلاقة بين تدفق النفط العربي الى مستودعات الاعـداء وبين تدفق الدم العربي على خطوط القتال وفيمـا ورائهـا علاقـة ظاهرة ، متعددة الجوانب . ولعل أقرب هذه الجوانب اليـنـا في هذه اللحظة واشدها ايلاما ان الطائرات الاميركية التي خفت لنجـدة الطيران الاسرائيلي المهيض الجناح انما تستمد وقودها من آبـار النفط العربية ، فليس معقولا ان يستورد الاسطول الاميركي السادس، الذي يحل - بصفة دائمة - ضيفا ثقيلا على البحر المتوسط ، وقوده من آبار تكساس ! واذا وضعنا جانبا كل تلك الارباح الاسطورية التي امتصها تنين الاحتكارات الاميركية من باطن الجزيرة العربية ، والتي تحول قسم منها الى طائرات فانتوم وقنابل نابالم في ايدي القتـلـة الاسرائيليين ، فان قطع النفط عن الولايات المتحدة والمانيا الغربيـة في هذه اللحظة بالذات سيوقع الهلع والارتباك في الاوساط الحاكمة في واشنطن ، وسيجعل حكام بون ، الذين يرقصون على اكثر مـن حبل واحد ، يفكرون طويلا قبل ان يسمحوا بشحن طائرات الفانتوم الموجودة في المانيا الغربية الى اسرائيل التي بات سلاحها الجـوي « خردوات » مبعثرة في أصقاع مختلفة من الارض العربية .

ويكذب كيسنجر حين يتظاهر في مؤتمره الصحفي بان قطـع النفط العربي عن اميركا لن يغير من موقفها ازاء اسرائيل . فاميركا - كما يعترف خبراؤها بالذات - لن تستطيـع الاستغناء عن النفط العربي قبل مضي عشر سنوات على الاقل . واذا ما بادرت الـدول العربية المعنية الى قطع النفط عنها فورا فان هذا لن يحد من تحركها العسكري ضدنا وحسب ، بل سيحرم الفرد الاميركي من وسـائل التدفئة الكافية ويضطره الى ارتداء معطفه داخل المنزل ، وما أظنه مستعدا لتحمل هذا الغرم الفادح مقابل ان يتاح لاسرائيل ان تواصل السطو والاغتصاب والعربدة في الشرق الاوسط !

هذه حقائق لم تعد خافية على احد ، ولا سيما بعد الجزع الذي استحوذ على العالم الرأسمالي برمته في أعقاب تأميم شركات النفط الاميركية في ليبيا . من هنا برز الى القدمة شعار « النفط فـي المعركة » . واكتسب هذا الشعار صفة ملحة بعد ان اشتعلت النار ، التي انتظرناها طويلا ، في سيناء والجولان . فماذا تنتظر دول النفط لتضع في أيدي مقاتلينا البواسل هذا السلاح المرهف ؟!

لقد اعلنت بعض هذه الدول انها ستقطع النفط عن الولايـات المتحدة اذا واصلت هذه تزويد اسرائيل بالسلاح . وها هي وكالات الانباء تذيع ان واشنطن ستعوض الاسرائيليين ، في غضون يوميـن او ثلاثة ، عن كل ما خسروه من سلاح ، وان اعدادا كبيرة مـن المتطوعين الاميركيين في طريقهم الى الشرق الاوسط ليشتركوا فـي القتال ضد العرب . وفوق هذا كله فقد توافرت القرائن عـلى ان سلاح الجو الاميركي يشارك - وربما على نطاق اوسع مما نظن - في الغارات الهمجية على اراضينا ... فهل بعد هـذا كله من مبرر للانتظار ؟ وهل ثمة قيمة تعلو على المصير القومي وعلى الدماء العربية التي خالطت التراب تحت انقاض المنازل الآمنـة في دمشق وحمص واللاذقية وبور سعيد وغيرها من المدن التي امطرها عدونـا المستكلب بنيرانه ؟!..

مرة اخرى نعود الى موقف العراق الذي كان امثولة رائعـة للالتزام القـومي الحق والانسجام الكلي بين الشعارات المعلنـة والممارسة الفعلية . فقد اعلن العراق انه يضع جميع امكانياته فـي خدمة المعركة ، ويشهد الدور الذي لعبته القوات العراقية وما تزال تلعبه في جبهة الجولان وفي سماء سيناء وبقية الارض المحتلة بـان العراق رمى في المعركة فعلا بكل ثقله العسكـري .. وكان العـراق سباقا الى استخدام سلاح النفط عندما بادر الى تأميم حصص الشركات الاميركية في شركة نفط البصرة .

بقي ان يفعل الآخرون بعض ما فعله العراق فيبادروا - عـلى الاقل - الى قطع النفط عن الاعداء ، اذا لم تواتهم الجرأة عـلى تأميمه نهائيا . وعند ذلك فقط سيدفعون الظنون عن صـدق عروبتهم ، وسيكون لهم شرف الاسهام في تحقيق النصر .

المحرر

١٦ تشرين الاول

بداية النظر الستراتيجي

الآ ، وقد اجترح جنودنا ما يشبه المعجزة حين عبروا القنـاة ودكوا خط بارليف الحصين ، وخاض مقاتلونا في سيناء والجـولان ملاحم قال عنها الخبراء العسكريون الغربيون بالذات انها من اعظـم معارك المدرعات في التاريخ ، نقف نحن ، الذين اصطلح عـلى تسميتنا بالادباء والكتاب ، ذاهلين وقد باغتتنا الاحداث ، تمـاما كما باغتت المراقبين الاجانب الذين لا يعرفون من واقعنا الا قشرتـه الخارجية !

لقد طرق دوي المدافع أسماعنا ونحن عاكفون على كتابة « بكائيات حزيران » فانتفضنا وفركنا عيوننا دهشة ، وتطلعنا الى الافق الذي جرفت غيومه فجأة موجة كاسحة من النار ، وتساءلنا بقلوب لم تخل رغم الفرح الطفولي من بقية شك وخوف : أهذه حقا هي أمتنا ؟ أهذا الجندي الذي يلف جسمه بالمتفجرات ويرتمي تحت الدبابة الاسرائيلية في سيناء هو نفسه الجندي العربي الذي زعموا انه ترك حذاءه وجرى حافيا لينجو بنفسه من نيران العدو قبل ست سنوات ؟.. أهذا الضابط الجريح الذي يتسلل من المستشفى في دمشق ، في غفلة من الاطباء ، ليزج بنفسه في جحيم المعركة من جديد ، هو نفسه الضابط العربي الذي أوهمنا أعداؤنا ـ وأوهمنا أنفسنا ـ انه زاهد في القتال ؟!

أجل ، هذه أمتنا وهؤلاء جنودنا ، ولكننا ـ نحن الذين يفترض فينا ان نكون مرآة لضمير الامة وان نستشف ما يختمر في اعماقها ـ أثبتنا اننا لم نكن غير مراقبين أجانب نرى قشرة الواقع ولا نرى الروافد التي تتجمع في أعماقه ! وانها لشهادة اخفاق محزن لادب أمة ما ان يعجز عن تشخيص هويتها واستشراف منظورها التاريخي من خلال طاقاتها المادية والروحية الكامنة .

في النصف الاول من القرن الماضي يوم كانت روسيا غارقة في التخلف ونظام القنانة ، استطاع غوغول الذي نفذ بعبقريته الى روح أمته ان يستشف الدور الذي كانت ستلعبه هذه الامة في تاريخ الانسانية . ويوم كان المحتلون الهتلريون يعربدون في باريس كتب فيركور « صمت البحر » ليؤكد ان روح شعبه لن تهزم . اما نحن فقد كان ادبنا بعد حزيران (معظمه على الاقل) نعيبا موحشا يغذي روح الهزيمة ويشكك الفرد العربي في طاقاته وتراثه وقدرته على مواجهة العصر . وفات ادباءنا ان جوهرنا كأمة اضاءت غياهب العالم قرونا عديدة كان لا بد ان يتألق من جديد حين تزاح عنه اوضار التخلف والفساد والعمالة التي طمسته حينا من الدهر .

فهل ستكون حرب تشرين بالنسبة لادبنا بداية النظر « الستراتيجي » الذي يتخطى النكسات والهزائم العابرة ليستشرف الخطوط العريضة لحركة التاريخ ؟ وهل سيكون ميلادنا الجديد في ضرام المعارك ايذانا بميلاد أدب عربي جديد يستوعب واقعنا بكل أبعاده ويسبق الاحداث بدلا من ان يجري في غبارها ؟!

تلك هي المهمة التي تطرحها الاحداث الراهنة امام رجال الادب والثقافة .

المحرر
٢٢ تشرين الاول

بعد حرب ٦ تشرين

ما من شك في ان حرب تشرين الاول قد وضعت أدبنا على أعتاب مرحلة جديدة ، فما هي المتطلبات التي تطرحها هذه المرحلة امام الادب ، وهل يتوجب عليه منذ الآن ان يتبنى ـ ولو بأعم الخطوط ـ برنامجا واضحا يحدد غاياته ويعصمه من الضياع ؟

في رأيي ان برنامجا كهذا بات ضرورة حيوية . ومن الطبيعي ان مهمة صياغة هذا البرنامج منوطة بمؤتمر يعقده الادباء العرب ، ولكن هذا لا يمنع من ابداء بعض الآراء المستخلصة من احداث الحرب الاخيرة .

وليس الذي يعنينا هنا ما أسفرت عنه الحرب بصورة مباشرة او ما قد تسفر عنه في الغد القريب ، فهذا متروك للمعلقين السياسيين ، بل يعنينا ما هو أعمق دلالة وأبعد اثرا من نتائج الحرب المباشرة ، ونعني صورة الانسان العربي كما أبرزتها ظروف الحرب في خطوط القتال الاماميه وفي المؤخرة على السواء ، وهي صورة تختلف جوهريا عن صورته في الادب الذي درجنا على تسميته بأدب حزيران .

لم يكن أدب حزيران رديئا في جملته ، بل يمكن القول بأنه نجح الى حد كبير في التعبير عن المرارة التي طفحت بها النفوس بعد هزيمة حزيران المأساوية . ولكنه كان أدبا قصير النظر ، مفرطا في التشاؤم ، متحاملا على الانسان العربي . ويصح في هذا الصدد ان نتذكر قصيدة نزار قباني المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » التي كانت حجر الاساس في بناء أدب حزيران الموحش . فقد وفق قباني في قصيدته تلك الى تشخيص عوامل الهزيمة واحتج باسمنا جميعا على المهانة التي لحقتنا ، ولكنه نفض يديه من ابناء جيله ووضع آماله في الاطفال العرب الذين توسم فيهم انهم سيغسلون عار آبائهم . ولكن ها هو جيل الآباء الذي كفر به نزار قباني يثبت له انه غالى في كفره وتشاؤمه وان الانسان العربي في أيامنا هذه ما زال قادرا على ان يقاتل وينتصر اذا توافر له السلاح الحديث والقيادة الحكيمة النزيهة .

ما نحتاجه في مرحلتنا الجديدة هو أدب يؤكد القيم الحيوية الاساسية التي يجب ان يتجه النضال العربي منذ اليوم الى توكيدها ، وهي قيم يمكن تلخيصها في بناء مجتمع عربي علماني ، حر ، موحد .

ان ما كان حتى الامس القريب أفكارا مجردة وشعارات قد أعطته الحرب وجودا حسيا يدنيه من اللمس والادراك . فاذا كنا في الماضي نحلم بالوحدة العربية كما يحلم الفقير المعدم بثروة قد تهبط عليه يوما من السماء ، فان اشكال التضامن القومي التي تجلت في حرب تشرين الاول قد كشفت ، بصورة ملموسة ، عن جسامة الطاقات التي تنطوي عليها الوحدة العربية ، وجعلت منها مطلبا آنيا لا سبيل الى ارجائه ، ولا سيما بين تلك البلدان العربية التي لا تشكو تفاوتا ملحوظا في مستوى التطور الاقتصادي او تباينا جوهريا في العقائد .

واذا كانت الدعوة الى « علمنة » الحياة العربية قد ارتبطت حتى الآن بتوق الفئات المستنيرة في العالم العربي الى بناء مجتمع عربي مزدهر متحضر ، فان الحرب قد علمتنا ان تطورنا العلمي ليس ضمانة لمستوى معين من الرفاه المادي والروحي وحسب ، بل هو ضمانة لوجودنا ذاته كأمة ذات سيادة ، قادرة على حماية حريتها وتقرير مصيرها . وبعبارة اخرى فان علينا ان نسعى الى امتلاك التكنولوجيا التي تمكننا ، لا من صنع البراد والترانزستور وحسب ، بل الكومبيوتر والطائرة والصاروخ كذلك . ولا يخطر في بالي سبب يجعلنا نتهيب التطلع الى مثل هذه الآفاق . لقد أخذنا حضارة العالم القديم فطورناها واغنيناها ، فلم لا يكون اسلافنا لنا قدوة ؟!

واخيرا فان المواطن العربي الذي كابد في كل تاريخه الحديث وطأة التسلط والكبح والامتهان ، مهما تفاوتت الدرجات بين عهد واخر وبين قطر واخر ، آن له اخيرا ان يسترد كرامة المواطن وحريته ، وان يتخلص من كل المعوقات التي تلجم مبادرته وقدرته على الابداع .

ان الدفاع عن الوطن مهمة لا يجيدها الا الاحرار وحدهم ، لانك اذ تسلب المرء حريته انما تسلبه وطنه الحقيقي ولا تبقي له شيئا يستهين من اجله بالموت .

هذا ، بكل اختصار ، ما يبدو لي انه مهمة الادب العربي في مرحلته الجديدة ـ النضال في سبيل الوحدة والعلم والحرية .

المحرر
٥ تشرين الثاني

محمد راضي جعفر

رسالتان عن الحب والحرب

- ١ -

أسميك نبضي اذا ما ظمئت ،
وعيني اذا انطفأت
مقلتاي . فقط رد لي شرفي
المستباح ، هواك عطش
وجوعك صوم . يصلون عندك
كل مساء . فطوركم الخبز
والتمرة ، العافيه
وصبر كما الجبل الصخر ، كم
تصبرون ويجلدكم عطش
وانتظار . ويبقى الذي في القلوب
وفوق الجباه علامات حزن
وكبر . أقاوم أن لا أكون
التي عشقتك وكانت على
زندك الوشم . يقرؤك الوشم
في القلب جرحا ، وفي الارض قمحا
وتكتب لي ، أن ستأتي على
الوعد يوما

- ٢ -

يمين الهوى والفراق ، يمين الوطن
لأنت الوشاة بالقلب والعين .
بيني وبينك ما بين بغداد
والشام والقدس والقاهرة
تراب من الحب والحقد ، نبض
من اللهفة ، الانتخار ، حريق
من الانتظار ، الوثوب ، الجنون ، الصواب
نروضها الاشهر الحرم ، الجامحات
الجياد ، الدروع ، الرقاب
يقولون : لا تقربوا الموت في الاشهر
الحرم الجامحات . نقاضيه
في الليل والصبح ، فوق الرؤوس
وتحت القوائم ، من لا يقامر
بعينيه يحرم من النور .
نودي بالصور هذا الصباح :
ستنشر في الساح أوراق دين قديم
فمن يحسن النطق بالسيف يعتق
من الدين ذمته . كان في ذمة
الحرب دين لنا . نحن أهل الوفاء
ربما عدت أحمل في خافقي
زهرتين من الشوق والانتصار .

عدنــان العيســى

خطوات مقاتل يغني

الليلــة ،
أطبقت يدي
أشرعت النافذة الاولى ..
بابا
يعبره الصوت الآتي
من بعــد الدرب ..
سرج ظهرا متقدا
من نار الدرب .
أوقدت العتبة قنديلا ..
وأتيت ..
أخطــو ،
يا خطا ملتهبا ..
يصعد من أفواه المحزونين ،
طويــل
يا حوض الادمع عانق آثار العابر
علقت اللافتة الاولى .. وأتيت .
لم أبك ،
أعرف ان الريح عيون متسعة
أعرف انك أخليت الكأس قديما
ومضيت .
آه .. من يشرب كأسا من وجع الارض
لكني ، أعرف انك تحمل نارا ،
من وجع الارض
ودما في الاضلع منتفضا
أعرف انك أقسمت المعبر للاهل
طريقا .. ومضيت .

صوتك يأتي
في الساعة قوس قزحي ،
هذا الليل
أقرأ في عينيك بيان المنتصرين
في صدرك لائحة النبأ الذائع
في الجبهات .
مــروا ،
والدفعة صوت مشتعل

مــروا ،
والدرب عناق
لن أبكي ،
أعرف أنك نجم يصعد للفجر القادم
نار للوهج الدافق بين الاصوات
لن أبكي ،
أنك تمنحني .. صوتا اخر ...
تمنحني المنشور الملصق في كل الجبهات .

بغداد — الثورة ١٨ تشرين الاول

فلسطين

محمود درويش

الخروج الثاني من سيناء

اذهب الى الحرب .. تصل الى الولادة .
والآن نولد ، نتجدد ، ونبلغ عمر الجدارة .
الآن نذهب الى الموت الذي نختاره لنتغلب على الحياة الموروثة .
نقف اليوم لالغاء الهدنة التي عقدناها مع ريح الصدفة .
ننتمي الى العالم حين نخالفه . ننتمي الى حياتنا حين نهددها .
ننتمي الى الوطن حين نستبدل صلواتنا بالقذائف ..
ننفجر ، ونفجر .. هكذا تكون الاعياد .
ونحن الآن في اليوم السابع ، اليوم « فرغ الرب من عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع واستراح » .

بارك الله اليوم السابع . ودمنا يبارك هذا اليوم السابع . فالآن نرقص الموت ، ونمد يدنا حبلا الى الوطن ، والله يتنازل عن اسمه القديم اليوم ، ويأخذ اسما جديدا هو الوطن . الله هو الوطن ..

نحن الآن في اليوم السابع ، لا نرتاح من العمل ، ولكننا نرتاح من الهزيمة . اليوم عطلة الهزيمة .

نحن اليوم نقشر خرافة العدو ، ونعيد تكوينها كما يريد دمنا .
في البدء ، بدئنا لم يكن القول ولا الفعل — في البدء كانت الهزيمة .

وفي اليوم الاول من هذا التاريخ الذي يكتبه دمنا ، في سفر تكويننا الجديد ، كان عيد الغفران عند اعدائنا الذين لم يكفروا عن خطاياهم ، فقمنا بدلا منهم بالتكفير عن خطايانا بحق الوطن الذي لم يتحرر ، وبحق الطفل الذي لم يولد ، وبحق المستقبل الذي لم يصل . انه يوم غفراننا ويوم جنونهم .

واليوم ، تبدأ الخرافة مرة اخرى في اسبوع واحد تنازلها عن مواقعها . الخرافة تستسلم . ففي هذا اليوم ، اليوم اليوم ، يحتفل الاعداء بعيد ثان في اسبوع واحد هو عيد المظلة : وهو يوم خروجهم من سيناء الاولى .

اليوم خرجوا من سيناء في الاسطورة .
واليوم يبدأ خروجهم من سيناء بقوة الجندي المصري .

التاريخ لا يعود الى الوراء ، ولا يكرر نفسه .
ولكن الذين يربطون مستقبلهم بالخرافة ، ويقلدون الخرافة ، وينتمون الى الخرافة ، ويراهنون بالخرافة — يعيدهم التاريخ الى الوراء ، الى الوراء ، ويجد نفسه مضطرا لتكرار نفسه .
حتى الخرافة تنقلب عليهم .
ونحن نذهب الى الحرب فنصل الى الولادة .

المحرر
١٢ تشرين الاول

نحن نقاتل .. وهم يقامرون

ان تطول الحرب ... ان تطول — معناه اننا قادرون على هزيمة العدو ، بعدما هزمنا الهزيمة في نفوسنا منذ اللحظة التي احتكمنا فيها الى النار .

النار .. النار هي القرار الوحيد ، الوحيد الذي يؤدي تنفيذه الى استرجاع شرفنا الانساني من مهانة ربع القرن .

النار .. النار هي المحكمة الوحيدة ، الوحيدة الجديرة بأن تشرع العدالة بيننا وبين مثل هذا الطراز من الاعداء .

والنار ، هي التجربة الضرورية لاختبار معدن هذا الانسان العربي ، الذي لم يمارس اختباره منذ مدة طويلة ، فكاد يتوحد في الشك .

وان تطول الحرب .. ان تطول — معناه ان تكتمل عملية التحقق من أصالة هذا المعدن ، وان تنضج عملية صهر الانسان العربي في قيم مختلفة وقناعات جديدة .

نحن لا نخوض معركة من اجل انتصار سريع ورخيص ، فمثل هذا الانتصار — اذا كان ممكنا — سيكون ملامسا لممارسة الجماهير وليس معجونا ببخار دمها وتحرر ارادتها .

وان تطول الحرب .. ان تطول — معناه ان تتلاحم عمليتان تاريخيتان : انعتاق ارادة الجماهير العربية في خوض تجربتها الذاتية من ناحية ، واستنزاف العدو وتقليم اظافره من ناحية اخرى .

وان تطول الحرب .. ان تطول — معناه اننا نكسب حليفا قويا

استطاع العدو ـ فيما مضى ـ ان يجنده في قواته القاتلة . هـذا الحليف الخطير هو الزمن ، الذي يدفعه طول الحرب وصمودنا من منطقة الحياد الى الانخراط في صفوف جنودنا وشعوبنا . وفي هذه العملية ـ وهي بمثابة نقطة تحول هائلة ـ ياخذ انحياز الزمن الـى جانبنا كل الطاقات العربية المتفرجة والسلبية ، يأخذها مـن مقاعد المتفرجين الى منطقة البركان المشتعـل ، فيثبت طول الحرب .. يثبت من جديد وحدة هذه الامة المترامية من طنجة الى عدن ، ويثبت أصالة التحام لغتها وتراثها وترابها واحلامها .

وان تطول الحرب .. ان تطول في المـكان والزمان ـ معناه ان نعتاد مرافقة مجرى التاريخ ، وان نعرف ان لا شعب ... لا شعب عبر التاريخ قادر على الانتصار بلا تضحية وبلا ثمن ، وان المعـارك لا يديرها افراد جيوشنا الشجعان وحدهم .. فلنستعد لاستقبـال الحرب في بيوتنا ، وفي أسرَّة أطفالنا ، وفي مصانعنـا . فهذه هي الحرب .

وان تطول ـ معناه ان يأخذ الفارق التاريخي الواسع .. الواسع جدا بين طاقاتنا وبين طاقات العدو مداه الكامل . نحن قادرون على امتصاص الخسائر وتعويضها . نحن قادرون على التكاثر . وهـم عاجزون عن ذلك اذا طالت الحرب . لقـد بدأوا الآن يدركون ان انتصاراتهم كانت طارئة في القياس التاريخي ، وان قناعاتهم العنيدة ضرب من ضروب الجنون والاقتراب من الانتحار .

وان تطول الحرب ، اخيرا ـ معناه اننا سندرك اننا نقاتل .. نقاتل .

وسيدرك الاعداء انهم يقامرون بكل شيء حتى بالمستقبل .
وهذا هو الفارق بيننا : نحن نقاتل ، وهم يقامرون .

المحرر
١٣ تشرين الاول

هزيمة العدو في ذروة انتصاره

يمكن الظن .. ويمكن القول ان بذور هزيمة العدو قد نمت في ذروة انتصاره ، في معارك الخامس من حزيران . وهنالك رأي عسكري مجرب يقول ان ثمة نوعا من الانتصارات ينتهي بالمنتصر الى القبر .

كان انتصار اسرائيل عبئا ثقيلا لا تقوى اكتافها المحدودة عـلى حمله . ولا يستطيع التطور الطبيعي لشعوب المنطقة على ابتلاعـه . وكان بعض المفكرين والمؤرخين يتهم باللاسامية حينا وبالشاعرية حينا ، عندما كان يحذر الاسرائيليين ـ الـذين لم ينتصروا ولكنهم وجدوا انفسهم يحظون بنصر بلا جدارة ـ من مفعول النشوة التي تعطل عمل العقل ، وتدفع المصابين بها الى الثقة المطلقة بقدرة ذاتية طارئـة بوسعها ان تبطل مفعول قوانين التطور .

وهذا ما اصابهم :

لقد تغلغل في الوعي الاسرائيلي ايمان غير قابل للمناقشة بـان الاقدار تدلهم بامتنان . وتجسدت هذه الاقدار ، في نهاية المطاف ، بأن طائرة ((الفانتوم)) مثلا ـ حين تحمل نجمة داود ـ تشكل ضمانا أبديا لامنهم المستحيل . لقد صار الارتكاز على أجنحة هذه الاسطورة العصرية من جهة ، وعلى حائط المبكى الذي يمثل حيوية الاسطـورة القديمة من جهة اخرى ، صار بديلا للاحتكام الى وسائل اخـرى اكثر منطقية للبحث عن مستقبل أقل تطاولا على تاريخ المنطقة واقـل استفزازا لشعوبها .

استبدلوا الواقع بالخرافة ..
واستبدلوا التاريخ بالسحر ..

ولم يعد يهمهم ، ابدا ، تحقيق ما وعدوا به انفسهم من تشكيل ذات قومية جديدة ذات تقاليد ثقافية مختلفة ، تشكل تفردا في هذا الشرق المتخلف !! بدلا من ذلك ، كرسوا كل جهودهم ((ذات الطابـع الغربي)) لبناء حضارة العنف والارهاب ، ولاعطـاء التاريخ برهانا عصريا على بطلان مفعوله . فكثيرا ما قالوا ، علانية ، ان هزيمـة الصليبيين في المنطقة لا ترجع الى حتمية تاريخية تفاعلت معها ارادة شعوب المنطقة ، فان الاسرائيليين اذ يتعلمون من دروس هذه التجربة، مطمئنون الى ان هزيمة زملائهم السابقـين يمكن تلافيها بالتمسك بالاسباب التي عمقت اغتراب الصليبيين عن المنطقة وسببت هزيمتهم. ان الداء نفسـه يمكن ان يصير دواء في صيدلية الفلسفـة الصهيونية !

لقـد ارتاح الاسرائيليون ، الذين قد يعـتزون باعادة روح اسبارطة الى الحياة ، الى الثقة المطلقة بنصرهم في الخامس مـن حزيران ، دون ان تعنيهم معرفة ان هذا النصر السريع لم يحل مشكلة واحدة من مشاكلهم الاكثر حيوية وهو قبول شعـوب المنطقة لهم ، ولكنها رسخت هذه المشاكل وكرستها ، ودفعت العرب الى التفكيـر بتوظيف المزيد من طاقاتهم في قضية العداء لاسرائيل . وان حصول اسرائيل على المزيد من الاراضي التي تحتاج الى المزيد من جهـد حراستها والمحافظة عليها قد ألغى ((الطموح اليهودي البريء)) الى التنمية وخلق طراز حياة اوروبي في آسيا ، لان المزيـد من النصر يعني المزيد من استنزاف الطاقة الاقتصادية للمحافظة عـلى هـذا النصر .

ولقد اطمأن الاسرائيليون ، الذين سحرهم العثور على قبـور شخصيات التوراة ، الى اليقين المطلق بأن نتـائج هزيمة العرب ستكون ابدية ، وان مقدرة العرب على مجرد التفكير بمحاربة مـن استولوا على اوطانهم ستكون نوعا من الانتحار الذي لا يقوى عليـه العرب . وحين سئل رئيس اركان الجيش الاسرائيلي دافيد اليعازر ـ الذي يدلعونه باسم داود ـ قبل شهرين : هل يستطيع اربعة ملايين يهودي المحافظة ، الى الابد ، على توازن القوى ضد مائة مليـون عربي ، وفي ظروف متغيرة ؟ اجاب داود بغرور : ممكن لعدد كبيـر جدا من السنوات . بعد شهرين فقط وجد القائد الاسرائيلي نفسـه في مواجهة لا يعرف نهايتها .

وصدق دايان ان طلعتـه الشهيرة ، في المجلات والصحف الغربية ، مجرد طلعته المحصنة ضد سوء الطـالع ، كفيلة بتفتيت طاقات العرب ومواردهم ومكانتهم التاريخية وقـدراتهم البشريـة . ودعا ، قبل شهرين فقط ، فوجا جديدا من ضباطه الى تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى حدود دائمة لاسرائيل . وأكد ان الاسرائيليين يستطيعون ، بقوتهم الذاتية ، الاستمرار على هذا الوضع لسنوات طويلة طويلة . وبعـد شهرين فقط يجد دايان ان معجزة الـردع الاسرائيلي معرضة للفتك .

لقد فقدوا حاسة الخوف التي كانت تشكل جـوهر وجودهم ، واستبدلوهـا بحاسة الحظ الذي لا يخالفهم . فـوجـدوا انفسهم، هذه الايام ، يسددون حساب الصلافة والاستهتار بالآخرين والتطاول على التاريخ .

وعاد السؤال المحرم الى الوجود : هل تستطيع دولة ان تنام على الحراب ؟ هل تستطيع مثل هذه الدولة التي تجمع طـوائف وجماعات لا توحدها الا الحرب مع العرب .. هل تستطيع البقاء ؟ كانت الحرب ـ وما زالت ـ هي المضمون الوحيد ، الوحيد لسعـي المجتمع الاسرائيلي الى التبلور . وكان الانتصـار الابدي المضمـون في هذه الحرب يشكل محور التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين . فماذا يحدث .. ماذا يحدث حين يقع خلل في هذه المعادلة ـ القاعدة ؟

هل تفقد اسرائيل ضرورة بقائها ، وهل يفقد التجمع الاسرائيلي مبرر وجوده ؟

لم يكن الغرور الاسرائيلي يتحاشى هذا السؤال وحسب . ولكن كان باحتكامه الى العنف المسلح والى الخرافة الدينية المسلحة يقمع محاولة التفكير لدى الاسرائيلي . ولعل التوقف عن التفكير بالمستقبل واعادة النظر في محالفة القدر وانحلال الحس التاريخي فيهم بعد انتصارهم في حرب حزيران هو ما نعنيه حين نقول ان بذور هزيمتهم قد نمت في ذروة انتصارهم ، الذي ادى بهم الى احتقار الفكر والمفكرين والاستهتار بالتاريخ والمؤرخين . سخروا كثيرا من مؤرخهم البروفسور تلمون الذي خاف انتصار ١٩٦٧ « لان القوة لا تخلق الحق » . وسخروا من توينبي الذي قال ببطلان قيام اسرائيل ـ في المنظور التاريخي ـ لانها قامت على الظلم ، ولانها عاجزة عن تقديم حل للمسألة اليهودية ، وانما تلحق الظلم باليهود انفسهم ليس داخل اسرائيل فحسب ، بل خارجها ايضا ، اذ تجعلهم مزدوجي الانتماء . وسخروا من اسحق دويتشر الذي قال ان « نصر اسرائيل العسكري سيتكشف في مستقبل قريب عن انه كان في الواقع كارثة، وبالدرجة الاولى لدولة اسرائيل نفسها . لقد شاهد دويتشر ـ وهو من اصل يهودي ـ « المشاهد التي تعرضها شاشة التلفزيون .. شاهد الفاتحين وهم يعرضون صور غطرستهم وتعجرفهم ووحشيتهم ومظاهر شوفينيتهم والاحتفالات الجنونية التي احيوها اعلانا عن نصر بلا مجد ، كان ذلك كله يتناقض تناقضا وحشيا مع الصور التي كانت تظهر آلام العرب واحزانهم وصفوف اللاجئين وصور الجنود المصريين الذين ماتوا عطشا في الصحراء . وتألمت كذلك ان ارى الحاخاميين بقاماتهم العائدة للقرون الوسطى يرقصون فرحا امام حائط المبكى . وكان يخيل الي اني ارى البلاد وقد اكتسحتها نزعة الظلاميين التلمودية . ها هم اليهود اليوم يمثلون في الشرق الاوسط دور عملاء المصالح الامبريالية ، انهم بذلك يخلقون حقد جيرانهم وكراهيتهم ، هؤلاء الجيران الذين هم ضحايا الامبريالية . وهذا بلا شك أسوأ مصير يواجهونه . اما العرب ، فسيعرفون كيف يستخرجون الدرس من هزيمتهم ... » .

ها هم العرب يعرفون .

وها هم الاسرائيليون يحققون شيئا واحدا : لقد حولوا الخوف المصطنع من العرب الى خوف حقيقي . وهم حين يسعون الى نصر جديد ، فانهم يسعون في آخر الامر الى هزيمة جديدة ، لان بذور هزيمتهم قد نمت في ذروة انتصارهم .

المحرر
١٤ تشرين الاول

العرب قادمون

☐ انتظرنا ايها العالم . انتظرنا قليلا . فاننا قادمون اليك .
مشغولون ، الآن ، ببناء الايدي التي تصل اليك .

منكبون ، الآن ، على تربية الاقدام التي تحملنا اليك .
غارقون ، الآن ، في عملية تركيب الجسور التي يعبر عليها صوتنا اليك .

☐ انتظرنا أيها العالم . انتظرنا قليلا . فنحن الآن نتعلم المشي على الارض . مرة اخرى ، نتعلم المشي . فلا تلعب كثيرا بالكرة الارضية التي تهتز . لا تلعب كثيرا . فعما قليل يصير بوسعنا ان نعيدها الى التوازن ـ اذا شئت . وعما قليل يصير بوسعنا اندفعها الى الانفجار اذا شئت .
نحن الآن نتعلم فن المشي .
☐ انتظرنا ايها العالم !..
ها هو وجهنا يخرج من قاع النيل كحمامة كانت تغرق .
وها هي يدنا تخرج من فرن الصحراء كتحية كانت تحترق .
وها هي روحنا تعود من السبي ، ترتدي جسدا من قمح وشمس .. وتعود .
ـ متى تذكرتم ، متى ؟ يسألنا العالم .
ـ حين نسيتنا تماما ـ نقول للعالم .
ونواصل المجيء .
ـ ألا تعتذرون ؟ يسألنا العالم .
ـ لن تعطينا المغفرة . ان موتنا ، وحده ، هو الذي يأخذ شكل المغفرة . ونحن نعتذر .. نعتذر لاننا تاخرنا في الرحم ، ولكن الولادة عسيرة في هذه الايام ، والجنود الغزاة يحاصرون مدخل الرحم . وأنت الشاهد المحايد ايها العالم .
ـ القابلة تاتي مع الجنين ، من الداخل تاتي القابلة .. من الداخل . وها أنتم تعرفون .
☐ انتظرنا ايها العالم ! انتظرنا قليلا ، فان الولادة العسيرة ، تملأ المدن ، ونحن قادمون اليك .
تاخرنا .. تاخرنا لاننا كنا نبحث عن طريق آخر ، ولم تخبرنا ان دهاليز الدم الخصبة هي الدرب الوحيد الذي يفضي اليك .
لم تخبرنا ان باب الرحم هو فوهة البركان .
.. في طريق آخر ، سقطت ايدينا في النيل .
وفي طريق آخر ، وقعت وجوهنا في ليل اغلقت عليه الباب .
وفي طريق آخر ، ضاعت دمشق المكان عن دمشق الزمان .
وشاع العقم .
☐ ايها العالم ! لا تصدق انها حرب .
ـ ما هي اذن ؟ يسأل العالم .
ـ انها اعلان الحضور . وانها طريق الوصول اليك . فللحرية صوت يشبه صوت الحرب ، لكنها تختلف تختلف . واذا كنت حرا أيها العالم ، او اذا كنت تحب الحرية ، ستدرك انها ليست الحرب، ولكنها ضجة الحرية .
انتظرنا ايها العالم ، انتظرنا قليلا ، فاننا نتعلم المشي على الكرة الارضية ، ونعيدها الى التوازن .
حدق في وجوهنا ..
هذا الدم : فرح .
وهذا الدخان : حمام .
ومن فوهة هذه البندقية : ينهمر السلام على الارض الحزينة .

المحرر
١٥ تشرين الاول

مسادة تسقط

انهم يحملون الوفاة منذ جاءوا الى هذه الولادة .
لقد توحدوا بالخرافة ، واقنعوا انفسهم بانهم يعيدون التاريخ الى سن الطيش .

مسّادة .. مسّادة .. تسري في شرايينهم وتسكرهم وهما وغطرسة « مسّادة لن تسقط مرة اخرى . مسادة لن تسقط » ولم يتعلموا من الابادة الا التدرب على ابادة الآخرين . لانها الوسيلة الوحيدة لتشكيل ذاتهم الجديدة .

وفي عيد الغفران ، لم يحاولوا التكفير عن ذنوبهم كما اوصاهم الرب ، الذي لم يأخذوا من وصاياه الكثيرة الا ما قاله على أسوار أريحا . في عيد الغفران كانوا ، بدلا من ذلك ، يحتفلون بسقوط أعدائهم .

ولكننا نحن .. نحن الذين اندفعنا ، في يوم غفرانهم ، للتكفير عن ذنوبنا التي ارتكبناها في ثلاث حروب رخيصة ، فصار يوم غفراننا العظيم عن آثام ارتكبناها بحق تراب كدنا نشك باننا جديرون بـه ، وبحق اطفال كدنا نشك باننا آباؤهم .

كان الحزن يتصبب من مسام جلودنا .
وكان الفرح يتصبب من أحذية جنودهم .
وفي يوم الغفران كفّرنا عن هذه الخطيئة .

لم يتعلموا شيئا . وكانوا يتقنون لغـات كثيرة أنساهم النصر الرخيص اياها ، وما عادوا يفهمون الا هذه اللغة التي نخاطبهم بها اليوم . نشكرهم ام نرثيهم ؟ فمهما تكن النتائج .. مهما تكن ، لن تكون الا اننا اتقنا الآن لغة الجدارة بالحيـاة والوطن والعالم ، وحرمناهم منها .

لقد انتصرنا ، انتصرنا في اللحظة الاولى التي أطلقنا فيها النار عليهم وعلينا في آن واحد . لقد قتلنا أوهامنا القديمة ولغاتنـا البائدة . لقد انتصرنا على الغزو الداخلي المتغلغل فينا قبل تغلغل الاعداء في أراضينا . لقد حررنا ذواتنا من الاحتلال المعنوي والنفسي، وحررنا شرفنا من التسكع على أرصفة الحياة ، وحررنا جلودنا من الغزاة الذين كانوا يرقصون تحت جلودنا .

هذا هو النصر الاول والاكبر ــ تحرير الذات والارادة ، ثم يكون تحرير الارض سهلا كهذا الموت الشائع في هذه الساعات التي نعيد فيها التاريخ الشرقي الى سن الرشد .

« مسّادة لن تسقط . لن تسقط ثانية . لم يتعلموا شيئا مرة اخرى . لم يتعلموا شيئاً يحميهم من خطيئتهم ومن غضبنا . لم يتعلموا الا التشبث بأسبـاب اغترابهم عنا وعن العالم . ومسّادة ليست ، بالنسبة لهم ، قصة تاريخية تتحدث عن حصن قديم دافع عنه مقاتلوهم القدامى حتى الموت . لقد حولوها ، منذ جاءوا الى فلسطين ، الى حالة نفسية والى عقدة . عقدة يحملونها وينتحرون .

يحاربون وينتحرون .
ينتصرون وينتحرون .
يتوسعون وينتحرون .

ان مسّادة التي آمنوا بأنها قوتهم لم تكن ، في واقع الامر ، الا مصرعهم . فان اختيار حالة الحصار حلا لحالة الاغتراب عن المنطقة لا يكون في آخر الامر الا ضربا من ضروب الانتحار . وعلى هـذا الاساس ، فان كل انتصار اسرائيلي هو انتحار اسرائيلي في الوقت ذاته ، وعقدة مسّادة هي الانتحار التـاريخي البطيء ، حتى لو أوهمتهم حروب رخيصة ، لم يقاتل فيها العرب ، بأن التاريخ قابل للتعديل الخاطىء .

لقد دكّت الخرافة . الخرافة دكت من اركانها في أعمـاق النفسية الاسرائيلية . والتجربة التاريخية على الطريقة الاسرائيلية أثبتت فداحة اخطائها . واذا كان هذا ما حدث للنفس والخرافة ، فما قيمة الحجارة القديمة التي حولوها الى حالة نفسية والى عقدة ؟ لم تسقط مسّادة ؟ صحيح ، ولكن الرمز والمعنى والاسطورة تهاوى . انكسر اليقين المطلق . وقع الشرخ بين الواقع والخرافة . تغلغل الشك بالقيم التي كانت مناقشتها محرمة . اقتنع الجسد الاسرائيلي بأنه قابل للجرح . التقى الموت بالضريبة فصارت مسّادة قابلة للكسر . ومهما تكن النتائج ، مهما تكن .. فقد وقع الخلاف بين الاسرائيلي وبين قناعاته . واهتزت مسّادة من اركانها .

ماذا يعني ذلك ؟

يعني ، بالنسبة اليهم ، ان التباهي بحالة الحصار هو مباهاة بالجنون . ويعني ان اسئلة كثيرة .. كثيرة جدا ستضمن شرعيـة الطرح : هل كانت التجربة صوابا ام خطأ ؟ وهل كان المؤرخـون يكذبون حين قالوا ان فلسطين ليست وطن كل اليهود ، وان اقامـة اسرائيل ليست حلا للمشكلة اليهودية ؟ سيكون بوسعنا ان نتساءل بعد مدة : أليس اصرار الصهيونية على انشاء دولة يهودية فـي فلسطين ردا على الكارثة التي حلت بهم ــ كما يقولون ــ هو مواجهة كارثة بكارثة أفدح ؟

هذا هو السؤال الذي كان ينبغي عليهم ان يطرحوه في يـوم غفرانهم الذي صار يوم غفراننا . كان ينبغي عليهم ان يتركوا خلفهم جسرا للعودة ، ان يتعلموا شيئا من تاريخهم ومن تاريخ غيرهـم . فوقعوا ضحية انفسهم ، ضحية غرورهم واستهتارهم بهذه الشعوب العربية التي أذلوها حتى القتل . لم يعرفوا انهم ــ في آخر الامر ــ غرباء عن المنطقة . غرباء بلا جذور . لم يحاولوا ان يقيموا جـذرا حقيقيا واحدا لهم . استبدلوا الجذور بالنابالم ، والنابالم لا يستطيع كسب حق في نبتة صغيرة . ليسوا اكثر من سفينة في بحر . كيف تستطيع سفينة طائشة ان تستفز البحر الى هذا الحد ؟ لقد خدعهم هدوء البحر العربي الذي تحرك الآن لمعاقبة السفينة الطائشة .

مهما تكن النتائج ــ مهما تكن ، فان شيئا واحدا تاريخيا قـد حدث ، هو ان البحر الهادىء قد نطق حركة وفعـلا وغضبا ، وان السفينة الطائشة قد ادركت انها تطفو على سطح ماء متحرك ، وانها هي التي اختارت ان تقطع الصلة باليابسة .

يقول البعض ــ من فرط غياب الثقة بالنفس ــ انها مسرحية ، وانها حرب تسوية لا حرب تحرير ، وانها مقدمة للمفاوضات مـع العدو . ومهما تكن الاقوال ومهما تكن النوايا ــ مهما تكن ، فـان بطولات الجنود العرب واستردادهم ثقتهم بالنفس ، وبرهنتهم علـى عمق الوطنية تمزق النص ــ الافتراء هواء هواء على مرتفعات الجولان وعلى رمال سيناء .

لم نفاوضهم ولم نقبلهم يوم كنا ضعفاء ، فكيف نفعـل ذلك ونحن أقوياء !

ان مرحلة بأكملها تسقط الآن ، على الجانب العربي وعـلى الجانب الاسرائيلي . صارت نوافذنا اوسع وتطل على عالم جديد . فمنذ أطلّت فوهة المدفع العربي على العدو ، كانت في الوقت ذاته تفتح ثغرة واسعة .. واسعة جدا في الافق العربي المسدود ، وكانت اطلالة على عالم جديد .. عالم لنا .

الدستور
١٥ تشرين الاول

وطـن آخر

أبعد من سيناء ، وأبعد من الجولان ، وأبعد من فلسطين ــ هذا الذي يحدث .

ضع نقطة ، وابدأ سطرا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمـل مفكرة :

هؤلاء الجنود لا يخوضون حربا . ولكنهم يشعلون ثورة .
وهم لا يحررون وطنا مرة واحدة . ولكنهم يحررونه مرتين .
وهم لا يكتفون بطرد الغريب عنه ، ولكنهم يطردون عنه الاغتراب.

هذا الاغتراب كان حصن طروادة . لقد اغتربنا عن الوطن كثيرا ، واغترب عنا الوطن كثيرا . وصلنا ذات يوم الى نقطة خطيرة : كأنه ليس لنا ، وكأننا لسنا له ، وكاد يتحول الى ميراث بلا مستقبل .

من الآن .. من هذا الزلزال يجب ان نعرف انه لنا حقا وحقيقة . وليس لاحد فضل على آخر الا بهذا الدم الذي يجرف جدار الاغتراب مع حصون الغزاة .

ـ لا تتورط في الفرح كثيرا ! هكذا يقول اصحاب العواطف الموضوعية الذين قد يخشون على صحة افكارهم اكثر من خشيتهم على وطن .

ولكن فقراء الوطن يموتون الآن من اجل تكوين هذا الفرح الذي قد لا يكون كله لهم . الفقراء يموتون ببهجة . وماذا كان الوطن يعطيهم غير الحق في الموت ايام الحرب ؟ الفقراء يموتون بدلا منا ومن أجلنا .

ـ العبيد يصنعون قيودهم !

والعبيد يكسرون قيودهم الآن ، ويصنعون المساواة غدا . لقد تدربوا على فن الحرية ، وسيكون الوطن لهم ، لانهم حرروه مرتين ، وبنوه مرتين .

ضع نقطة ، وابدأ سطرا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمل مفكرة :

وطن آخر خلف المتاريس .. وطن اخر ، لا ينقسم الناس فيه الى فريقين : فريق يتورط في الفرح ، وفريق يتورط في الحزن .

ـ هذا كلام سابق لاوانه ! يقول اصحاب العواطف الموضوعية الذين يفقدون الثقة بالمعركة اذا لم يصدر بلاغ عسكري كل خمس دقائق .

من أجل هذا تعرضنا للغزو : لعرقلة سعينا الى تطبيق العدالة ، وللحيلولة دون تحولنا الى حياة جديدة ذات نظام اجتماعي جديد ..

ـ وماذا أيضا ؟

افتح النافذة غدا على ميدان الايام العادية . اذا رأيت جياعا وعراة فاعلم اننا انتصرنا في الحرب ، ولم ننتصر في الثورة . واعلم اننا لم نكرم اولئك الشهداء الذين جعلونا نفتح ابوابنا كل صباح ونقول :

صباح الخير ايها الفرح !

المحرر
١٦ تشرين الاول

الحقيبة والمفتاح

« ليتني سمعت نصيحة زوجتي ، وسافرنا الى السويد » .
هكذا قال طيار اسرائيلي أسير في دمشق .
« أين مفاتيح البيوت ؟ وأين الحقائب ؟ » .

هكذا تسأل ، الآن ، عائلات عربية كثيرة كان الموت الاسرائيلي قد اجلاها عن منازلها في سيناء وضفاف قناة السويس ومرتفعات الجولان .

ان « حرب حقائب ومفاتيح » تجري الآن ، بصمت ، على طرفي الصراع . تظهر نتائجها بجلاء على الجانب العربي ، وتتكون مقدماتها بحياء على الجانب الاسرائيلي .

المهاجرون العرب يعودون ، ويجلسون الآن على الحقائب .
والمهاجرون اليهود يفكرون ، الآن ايضا ، ويعيدون النظر بمصير مهتز وبوعد قابل للخيانة .

كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين هي الشرط الاول لقدرة الفكرة الصهيونية على التجسد في كيان مادي . ثم صارت في الاعوام الاخيرة هي الشرط الاول لقدرة الكيان الاسرائيلي على تكريس الاحتلال والتوسع وهضم الارض .

ومن الصعب التسليم بالرأي القائل ان الحق الانساني في هجرة الانسان من مكان الى مكان ينطبق على الهجرة اليهودية الى فلسطين. ليس هذا القانون مطلقا ، لان هذه الهجرة الصهيونية جاءت وتجيء لاجتثاث حق الانسان الفلسطيني في مكان على سطح هذه الكرة الارضية ، ولدفعه الى الهجرة الدائمة ، من جهة ، ومن جهة اخرى، فان هذه الهجرة ـ في ظروف الصراع ـ نعتبر هجرة أمنية لتثبيت الظلم والاغتصاب . والمهاجر اليهودي الذي اختار القدوم الى ارض فلسطين قد اختار ، بمحض ارادته الحرة ، ان يكون جنديا في جيش الغزاة .

والآن ، تنكسر الارض المعدة لاستيعابه . يتبخر الامان الموعود . تسقط حماقة المقارنة الصهيونية بين النظام الاجتماعي الاشتراكي وبين النظام الرأسمالي . هنا ، تطرح جملة اعتراضية هذا السؤال القاسي : كيف يضحي بعض اليهود بالحياة في ظل الاشتراكية الآمنة ، من اجل الحياة في ظل الاستغلال الرأسمالي والحرب ؟ كيف .. كيف يحدث هذا ؟

« أما ان نتكتل نتيجة الخوف . واما ان نتفتت من الضعف » .

هكذا يقول الاسرائيليون . وها هو التكتل الذي لا مضمون له الا الحرب ـ الخوف من العرب قد تنازل الآن لمظاهر الضعف التي تظهر في القلعة الاسرائيلية . هل هي بداية التفتت ؟ من السابق لاوانه ان نجيب على هذا السؤال بيقين سهل . ولكن بوسعنا ان نلاحظ بوضوح ان سقوط التوسع سيؤدي الى سقوط الهجرة .

وان الحرب التي كانت مرادفة للحق وتكريس الحق ـ في نظر الاسرائيلي ـ لم تعد مضمونة النصر ، فوجد « الحق » الصهيوني نفسه في العراء ، وصارت الهجرة الى « ارض الميعاد » سفرا الى الجحيم .

لقد بدأت حرب الحقائب والمفاتيح .

فهل تتيقظ الآن حاسة السخرية لدى الاسرائيلي ؟ هل يقول الآن ما كان يقوله عشية الخامس من حزيران (نتيجة الازمة الاقتصادية والتوتر الامني) هل يقول انه يجب ان ننصب لافتة في مطار اللد .. تحمل الرجاء التالي :

« على المسافر الاخير ألا ينسى اطفاء النور في المطار » .

هل يقول ؟

المحرر
١٧ تشرين الاول

أزرق .. أزرق ..

☐ رأيت مياها كثيرة في حياتي ، ولكني لم أر ماء في مثل هذه الزرقة الداكنة .

☐ وشاهدت رمالا كثيرة فسيحة ، ولكنني لم اشاهد رملا ممتلئا بالوضوح والغموض معا مثل هذه الرمال الشرسة .

☐ وعشت أماسي كثيرة تحاذي المجهول ، ولكني ما عشت مثل هذا المساء الذي يتناوب علاقة عجيبة مع المجهول .

□ ورأيت جنودا كثيرين في حياتي ، ولكنني ما رأيت ، قبل الآن ، كيف تقف عيون التاريخ على اصابع هؤلاء الجنود .

□ وعرفت الصبر والقهر والغيظ ، ولكنني أقرأ الآن ، لاول مرة ، صدر البركان المتأهب للانفجار .

□ وتعرفت على أنواع كثيرة من الصمت ، ولكنني لم أر صمتا اكثر حكمة وقسوة من هذا الصمت الرابض ، كالاعجوبة ، على قناة السويس .

□ نحن نثرثر في كل مكان ، ابتداء من غرفة النوم حتى المذياع ، ونكتشف في انفسنا مواهب مفاجئة في فن الحرب والعذاب والبسالة . ولكن الحقيقة الوحيدة تبقى هناك .. على ضفاف قناة السويس . وموقفنا من هذه الحقيقة الدامية هو ، وحده ، الذي يمنحنا حق الكلام عن الوطنية والقومية والاشتراكية وغيرها من القيم التي أوقفتها التطورات المفجعة على مفترق طرق خطير ، على ضفاف قناة السويس . ذلك لا يعني ، بالطبع ، ان قيمنا اصيبت بالشلل او يجب ان تصاب بالشلل الى حين الخروج من مفترق الطرق هناك ، ولكن يعني ان العلاقة بينهما صارت اعمق واخطر مما قد يتصور البعض ، وان التأثير المتبادل بينهما يترك آثارا قد تتشابه في العمق والمدى : لن نتمكن من التقدم بقيمنا نحو التنفيذ الجاد ما دمنا عاجزين عن التحرك هناك . ولن نتمكن من التحرك هناك ما دمنا عاجزين عن التقدم بقيمنا .

□ والحرب هناك لا تكتب بالحبر والمزاج . انها لغة الموت الحقيقية . وهي ليست قصفا اذاعيا يعقبه نشيد الختام السلبي . انها الصمت الفاعل الذي يعقبه انفجار البارود واللحم البشري . انها مهارة الموت الذي يرد الى التاريخ نكهته المجوجة التي اطلقها ذات يوم عندما كان مشغوفا بالمزاح .

ان زرقة السويس تشطرني شطرين » .

* * *

هذه السطور كتبتها قبل عامين ونصف (في مجلة المصور ٢٦ نيسان) عندما زرت مدن قناة السويس ، ووقفت ساعات طويلة على انقاض مدينة بور توفيق برفقة الجنود المصريين الذين كانوا ينتظرون اندلاع العاصفة النارية بصبر أسطوري . أسجلها الآن وأقبل الايدي التي صانحتها فاعطتني مجدا لا أستحقه !

المحرر ١٨ تشرين الاول

نداء ورجاء

الى الرفيق لي دوك ثو عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفيتنامي .

وصل الينا ، كسهم من نار ، ذلك القرار البارد حتى الجليد الذي اتخذته الاكاديمية السويدية بمشاركة هنري كسينجر لكم جائزة نوبل للسلام .

ان الشعب الفيتنامي العظيم ، بكفاحه الاسطوري ، قد قدم احدى المساهمات الكبرى في التاريخ لانقاذ الشرف الانساني والكرامة البشرية ، وأعاد الى عصرنا كثيرا من الاحترام الذي تسعى الامبريالية الاميركية لتجريده منه . وان جميع الشعوب المحبة للسلام والحرية تشعر بأنها مدينة دينا عظيما للشعب الفيتنامي العظيم الذي كاد ان يكون مسيح العصر وثائره الباسل . ولا يستطيع احد في العالم ان يثمن نضالكم بأية جائزة او مكافأة . ومع ذلك فبوسعنا ان نهنئكم من صميم القلب لانكم استطعتم ان تفرضوا على الاكاديمية السويدية المحايدة الاعتراف بالخدمة الجلى التي قدمتموها للسلام . ولكن ، ليس بوسعنا ان نتحمل هذه الاهانة الجارحة حتى العظم التي يسددها قرار الاكاديمية السويدية نحوكم ونحو قضية السلام باشراكه رسول الجريمة الاميركية العالمية فيها . ان هذا الاشراك بمثابة مكافأة لمندوب الجرائم الاميركية التي ارتكبها في بلادكم وفي بلاد اخرى من العالم . وليس بوسع احد في العالم ان يصدق ان مهارة ممثل الامبريالية الاميركية في المفاوضات هي التي ادت الى احلال السلام في جنوب شرق آسيا . كل الشعوب تدرك ان مهارة اقتحام الموت عند الشعب الفيتنامي وتصديه الباسل للتحدي الاميركي هو الذي انهى الحرب بانتصار الشعب الفيتنامي الشجاع وادى الى احلال السلام .

ولعل مثقفي العالم وأدباءه والمناضلين من اجل السلام سيفرحون كثيرا لو بادرتم الى رد هذه الاهانة ، ورفضتم نصف الجائزة التي أعطي نصفها الآخر لرسول العذاب في العالم .

المحرر ١٨ تشرين الاول

بطاقة الى دمشق

ساعي البريد ينتظر ،
والفراشة تحارب ،
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق .
كان الاغاني أصيبت بحنجرة لا تغني ، منذ انتصبت على اصابع الشهداء .
الى اين ، الى اين ؟
ليس في المدى مكان ، لان زمانك يرتدي ملابس الميدان ، فيتدلى المدى خيطا من ثيابك .
الى أين ؟ واسمك المتوتر لا يحمل المزيد ، فقد يصبح المجد عادة يومية ، او بوابا في الجامع الاموي ..
دمشق .. يا دمشق !
تدخلين الحرب كما تدخل الفتيات ليالي الزفاف ..
وتخرجين من الحرب كما يخرج الاطفال من البحيرات .
وحين تقفين ، يا دمشق ، تتحول الجداول الى قامات .
وحين تمشين ، يا دمشق ، يتجمد الغروب على حافة الافق .
والى اين يا دمشق ؟
كان الاغاني اصيبت بحنجرة لا تغني ،
والشعراء يتعلمون الابجدية من حجارتك الصغيرة .
كوني اي شيء يا دمشق ، فلن تكوني الا دمشق .
كوني سكينا وقشرينا ، يتدفق منا بردى الذي يبقى كما كان : مواطنا عاديا يدفع الضرائب ، ويقصف بالقنابل ، ولا يرحل عن البيت .
كوني اي شيء يا دمشق ،
فلن تكوني الا دمشق التي لا تنزل عن الاشجار ، ولا تنحني .
الى اين .. الى اين ؟
ليس في المدى مكان ، لان زمانك يرتدي ملابس الميدان ، فيتدلى المدى خيطا من ثيابك .
دمشق .. يا دمشق !
ساعي البريد ينتظر ،
والفراشة تحارب ،
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق ..

المحرر ١٩ تشرين الاول

الريح والشرارة

اصحاب الاناقة الوطنية يسالون :
ـ اين الفلسطيني في الحرب ؟
ولا يجدون من يرد على اناقة السؤال ، لان المقاوم الفلسطيني ملتحم بحوار الموت مع العدو ، بعيدا عن ابصارنا ومسامعنا

وآلات تصويرنا ..

انه هناك ينفجر ويفجر في اعماق العدو . ويستانف الثورة التي لم تتوقف يوما ، ومنعت غيرها من التوقف الطويل .

في المعركة ، لا يجوز الحديث الا عن المعركة . ولهذا ينبغي الحديث عن المقاوم الفلسطيني لانه المعركة الدائمة امس واليوم وغدا . لانه حاضر في كل ومضة نار ، في كل رصاصة ، وفي كل خطوة نحو الصراع . ولانه غائب دائما عن اية سكينة ، وعن اية هدنة ، وعن اية مهادنة مع مصارعة العدو . لم يكف المقاوم الفلسطيني عن مناشدة الآخرين لخوض المعركة ، ولم يكن خلافه مع أحد من العرب الا بسبب اندفاعه ومحاولة دفعه الآخرين الى فتح المعركة المنشودة .

بهذه الحرب المشتعلة الآن ، يحقق الفلسطيني ذاته المتجددة . ينمي حياته التي تعرضت للاغتيال . يجسد حلمه المتوتر . يوسع دائرة الصراع مع العدو الذي لم يبدأه الآن . ومن هنا يكون حضور الفلسطيني الآن ، أشد تألقا وتوهجا وكثافة .

في أيام الهدوء النسبي ، كان الفلسطيني المقاوم هو الذي يشكل خللا في معادلة الامن الاسرائيلي . كان المحرض ، والمقلق ، والنموذج الذي حول الهزيمة الى حافز للرفض والتصدي والتحدي بدلا من ان تصيرحالة. كان رمزا يحمي روح الامة من الخمول وكان واقعا يجعلها تضغط وتعد بالتضحية من اجل هذه المعركة .

كان صغيرا ومحاصرا ؟ صحيح . ولكنه كان معنى كبيرا يفتح الآفاق . وكان توترا فاعلا في جسد السكينة .

ان المقاوم الفلسطيني يجدد حياته في اندلاع هذه المعركة . يحظى بشروط عمل ثوري افضل . يصير حالة شعبية عامة . يصير قابلا للحصار لجيوش وطنية قادرة على خلق امكانية النصر . فلا يصير قابلا للحصار في أسوأ الحالات ، وقابلا للرثاء العاطفي في أحسن الحالات . من هنا يرحب .. يرحب بالمعركة ويخوضها بايمان أشد . أن شرايين العرب تصب في قلبه . وهو يصب في قلوب العرب . ولا يجد نفسه الآن « مخربا » و « مورطا » ومتطاولا على « ظروف غير ملائمة » . فالواحد يلتحم في الكل .

وجهه لا يملأ الصورة ؟ صحيح ، لان ذلك دليل على وحدة الوجه العربي للقضية . الفلسطيني المقاوم عربي . والعربي المقاتل فلسطيني . وجوهر المعركة مع العدو ــ بمعناها الشامل ــ هو الصورة الوحيدة : أبعد من قطعة أرض . اعمق من جواز سفر . ماذا؟ هل نسينا ؟

ان الفلسطيني المقاوم ، اذ يبدو انه ضاع في الصورة ، فذلك تعبير عن تعريب فلسطين وفلسطنة العروبة . والفلسطيني يسكن قبضة النار ايام الحرب وايام اللاحرب من اجل فلسطين ومن اجل العرب . انه منطلق كالريح الخصبة في كل بقعة ارض محتلة . منطلق كالريح في القضية .. في النفسية .. في الايام الراكدة .. وفي الايام العاصفة .

انه الشرارة التي لم تنطفىء . ويسعد الشرارة .. يسعدها كثيرا ان تكبر النار المولودة وتطغى على كل شيء . ليس باستطاعة عدسة آلات التصوير التقاط صورة الريح والشرارة . ولماذا نسى؟ لقد مزق الفلسطيني صورته منذ فرر ان يمزق جسده من اجل ان تخصب الارض والقضية ..

وهذه الحرب عرس فلسطيني ، لانها خطوة كبيرة نحو فلسطين ، لانها تجعل فلسطين أقرب . فلماذا يطرح اصحاب الاناقة الفكرية أسئلة توحي بأن فلسطين صارت ابعد ؟ لقد كان الفلسطيني المقاوم قبل هذه الحرب ، ويبقى بعدها . والحروب العربية ضد العدو وضد ما يمثله هي حرب فلسطينية . والثورة الفلسطينية ضد العدو وضد ما يمثله هي ثورة عربية .

ماذا اصابنا ؟ الم نتفق على الا نتحدث في المعركة الا عن المعركة؟ دعوه ، اذن ، المقاوم الفلسطيني يستانف حوار النار مع العدو مع سائر المقاتلين العرب . دعوه يجدد شباب الامل والهدف . دعوه يكمل عناق الارض الفلسطينية والعربية ، فانه يقاتل من اجلنا جميعا . أمس واليوم وغدا .

المحرر
٢٠ تشرين الاول

لسنا أبناء العم توم

ــ هل عندكم نفط ؟

● كلا .

ــ كيف تعيشون اذن ؟

كان صعبا على الرجل النفطي ان يفهم كيف يمكن لشعب ان يعيش من مصادر ثروة اخرى غير النفط .

النفط هو انطونيو ، وانطونيو هو النفط !

لم تكن الحرب الاخيرة قد نشبت .

ولم يكن كل العرب قد اقتنعوا بان اميركا ليست مقاطعة صغيرة في اسرائيل ! لم يكونوا قد صدقوا ان بوسع اميركا ــ اذا ارادت ــ ان تخنق اسرائيل بمجرد اغلاقها انبوبة المعونات لمدة اسبوع واحد .

ولم يكن كل العرب قد ادركوا ان اميركا ليست حليفة للعدو ، ولكنها العدو ذاته . وكان الحب المجاني قد اعماهم .

ولم يكن العرب قد فهموا ان اميركا تحافظ على اسرائيل لكي تحتفظ الاخرى بدورها كحارس للمصالح الاميركية في القارة العربية ، وأهمها : النفط العربي ..

ولم يكونوا قد اقتنعوا ، ايضا ، بان سيل المال والسلاح المتدفق من اميركا الى اسطولها الثابت ــ اسرائيل لا يشكل نسبة كبيرة من ارباح النفط العربي .

الآن يدرك مزيد من العرب (او العربيين) النفطيين والعرب غير النفطيين (هكذا صرنا نصنف) ان وقود الطائرات والمدرعات الاسرائيلية يأتي من آبارهم . وان الشهداء العرب والاطفال العرب يسقطون بمصادر القوة العربية .. اننا نشهد شكلا من اشكال الانتحار او الطعن في الظهر ، فقوتنا هي التي تهددنا لانها مصدر تموين العدو ، حتى كدنا نقول اننا منتجو ومصدرو طاقة للعدو ..

متى يغضب المزيد من العرب .. في القاعدة .. في الشارع والمصنع والحقل والمكتب ؟ متى يرغمون حراس الآبار ــ وحفاري القبور ــ على اخراج اسلحتهم من صدورنا وتوجيهها الى صدور الاعداء ؟

متى يغضب العرب ، ويكفون عن ان يكونوا ضحايا ثروتهم التي تشكل قوتهم اذا شاءوا ومصرعهم اذا شاءوا ؟ ان النفط سلاح ذو حدين ، فمتى نستخدم الحد السياسي ؟ ومتى ندرك ان بئر نفط، في هذه المرحلة ، قادر على اجراء تعديل في الخارطة السياسية العالمية ؟

ــ هل عندكم نفط ؟

● نعم .
كيف تتركوننا نموت اذن ؟

هكذا يجب ان نرد على السؤال السابق الذي وجهه العربي النفطي ، بعدما صار يعرف ان اميركا تنقل دماءنا الى شرايين اسرائيل ! بينما يعامل اندم كأنه سلعة تجارية محضة .

آن لنا ان ننقل السؤال الى الشارع .. ان نطرحه لاستفتاء الجماهير العربية الغاضبة ، لانها المؤهلة لكيفية التعبير عما تكنه من كراهية لاميركا : هي القادرة على الفعل . هي القادرة على التظاهر . هي القادرة على قلب الحسابات . وهي التي ستثبت للسيد الاميركي اننا لسنا ابناء انعم توم الفارق في حب اسياده المتعاقبين على استعباده . لسنا انعم توم ، فاميركا في قبضة ايدينا وبين اصابعنا : مصالح ومؤسسات ومعاهد .

آن لنا ان ننقل الغضب من الملعب الى الشارع - فماذا ننتظر ؟!

المحرر
٢١ تشرين الاول

عالم لنا

في دخان المعارك العظيمة ، تصير الرؤية اوضح .

وها نحن نرى : ليس العالم معنا ، وليس العالم ضدنا . لان العالم ليس واحدا . فماذا نعني ، ماذا نعني بهذا المصطلح الغامض « الرأي العام العالمي » ؟

ان شعوب الاتحاد السوفياتي قد أعطتنا الدليل على ان قضية الحرية والنهوض الانساني واحدة . كان بوسع هذه الشعوب الاصيلة ان تعمل ساعات أقل ، وان تتمتع بحياة اكثر ترفا ، ولكنها تقاسمنا نتاج عرقها من اجل ان تصير الحرية اكبر .
هذا العالم لنا .

وان الولايات المتحدة الاميركية تعطي الدليل على ان قضية العدوان واحدة ، وان قربى الدم بين الغزاة لا تنفصم . كان بوسع الولايات المتحدة ان تجعل الشعوب أقل عذابا ، ولكنها تفعل كل شيء ، حتى التضحية بالاميركيين ، من أجل أن تصير الحرية أصغر .

هذا العالم ضدنا .
وفي دخان المعارك العظيمة ، تصير الرؤية اوضح .

ها هي قارة بأكملها تقريبا تنفض يدها الضخمة من صداقة قديمة قامت على سوء فهم . ان افريقيا التي لم تكشف عن كل خصوبتها وطهارتها حتى الآن تجعل عالمنا أوسع .
وهذا عالم لنا ايضا .

وهؤلاء الكتاب والمثقفون والفنانون في الغرب ليسوا لونا واحدا . ليسوا كلهم معنا ، وليسوا كلهم ضدنا . لقد اعلن شرفاؤهم هويتهم الانسانية ولم يكونوا محايدين تجاه معركة الحرية الساطعة التي نخوضها . واعلن آخرون انتماءهم الى « شرعية » الغزو الاسرائيلي ، وكشفوا مخزون العنصرية التي يكنونها ضد الشرق . بعضهم مرتزق . وبعضهم بلا ضمير . وبعضهم يعاني من فقر قضية فتزوج الصهيونية التي كانت موديلا ادبيا شائعا بين بعض كتاب الغرب .

والبعض الآخر يحب الشفقة . يريدنا ان نكون مادة حزن ملهمة . انه من هواة جمع بكائيات الشعوب الشرقية . وحين تلجأ هذه الشعوب الى استخدام العنف لترد على « حضارة العنف » تصبح خارجة عن معادلة الانسجام البشري !

هؤلاء لن يفهمونا ، لانهم لا يريدون ان يفهمونا .

وها هو العالم يعلن هويته : أصدقاء الحرية اصدقاؤنا . واصدقاء العنصرية اصدقاء اعدائنا . ولعل الصراع العربي - الصهيوني كان محكا لاختبار المعادن في الغرب . حين يتطوع الكاتب لخدمة الجريمة الصهيونية يكون قد اعطى ضميره لذئب مدلل ، وخان . خان اشرف ما يعنيه الانسان ، وخان الكتابة ايضا ..

فلماذا نقلق منهم ، ولماذا نلعنهم طالما انهم خرجوا من عالم الانسانية ، لانه عالمنا .

المحرر
٢٢ تشرين الاول

ثلاث بطاقات من حيفا

- ١ -

مقهى صغير على الشاطىء :

اخيرا ، أقول لامي : وجدت الفرح .

أعيد اليها مناديلها لانني لن أضيع .. لن أضيع كثيرا في هذه الايام . فالامهات كثيرات .

تعال يا خريف ! فقد كنت أقول دائما لاصدقائي اني احبك . وكنت لا أعترف أمام حبيبتي ولا أطيعها الا في الخريف . كانت كآبتي تصغر فيك وتذبل ، لان اوراق الشجر تخفيها عني وعن عيون الحراس الذين كانوا يأتون من الامواج .

والموج ، الآن ، أمامي عصافير . والغروب البرتقالي يقف على حافة الزبد ويشرب . وأنا في المقهى أنتقي ذكرياتي كما أشاء . انها تجلس امامي مثل عنقود العنب . أختارها حبة حبة ، وألقي بالفاسد منها عبر النافذة المفتوحة .

كيف تتسع النافذة الصغيرة لكل هذا الافق الواسع ، ولعيون الشهداء الكثيرة ؟ ادخل أيها البحر .. ادخل صدري المثقوب بسهم الفرح القادم من أحذية الجنود المفاجئين . ادخل أيها البحر .. ادخل خيمة البدوي الذي يقف الآن على مئذنة النخيل ، ويدعو العالم الى غسل خطاياه في جراح الشهداء العرب .

تعالوا أيها الشهداء ، طوبى للتراب الذي تطاونه لانه يصير بحيرة . ويصير البحر بساطا حين تجيئون . تعالوا واستحموا في مياه فلسطين التي تتبعكم بجراحها وتقول : أغطيكم . ادخلوا أيها الشهداء نوافذ هذا الوطن حتى تطل على الجنة . مرروا اصابعكم على أشجاره لتصير الخضرة في لون النار الاسطورية .

وأخيرا ، أقول لامي : وجدت الفرح .

واتابع زيارتي لهذا المقهى الجالس على شاطىء يفصل الخريف عن سائر الفصول .

وبوسعي الآن .. بوسعي الآن ان اكتب على ورق الشجر المتناثر لان الريح لن تضيع رسائلي !..

— ٢ —

الزنزانة

يحدث هذا .. يحدث هذا احيانا . يحدث هذا الآن : ان تركب حصانا في زنزانة وتسافر .

يحدث ان : تسقط جدران الزنزانة ، وتصير آفاقا لا حدود لها :

— ماذا فعلت بالحائط ؟

□ اعدته الى الصخور .

— وماذا فعلت بالسقف ؟

□ حولته الى سرج .

— وماذا فعلت بالقيد ؟

□ حولته الى قلم .

غضب السجان . وضع حدا للمناقشة . قال انه لا يحب الشعر، ثم اغلق باب الزنزانة .

عاد اليّ في الصباح .. وصاح :

— من أين هذا الماء ؟

□ من النيل .

— من أين هذا الشجر ؟

□ من بساتين دمشق .

— ومن أين هذه الموسيقى ؟

□ من قلبي .

غضب الحارس . وضع حدا للمناقشة . قال انه لا يحب الشعر، ثم اغلق باب الزنزانة .

وعاد في المساء :

— من أين هذا القمر ؟

□ من ليالي بغداد .

— ومن أين هذه الكأس ؟

□ من كروم الجزائر .

— ومن أين هذه الحرية ؟

□ من القيد الذي وضعته امس .

صار السجان حزينا . ورجاني أن امنحه حريته .

— ٣ —

والشارع لي :

وغابات الصنوبر أيضا ، وحبيبتي لن تحزن .

ليست الحرب نزهة ولا احتفالا . ولكننا كنا نقتل بلا حرب ومن قلة الحرب .

لم تبتهج أم بولادة طفل ، كما تحتفل الارض الآن بميلاد الامة . عشرات السنين المكبوتة تستيقظ الآن من الحرمان ..

وهذا موسم الزيتون ، ولا نجمع الا شظايا القذائف وعيون الشهداء .

هذا مهر الارض التي تزف الى الرجال .

للصخرة شكل الكمثرى ومذاق الثدي .

الآن نحصي عدد الطائرات . وغدا نيأس من احصاء عدد البطولات ، وأمواج العصافير .

والآن نحصي عدد الخطوات الباقية . ان فلسطين تتشبث باقدام القاتلين . تعالوا .. تعالوا لان انتظاري طويل ، وما عاد في جسمي موضع لتلقي مزيد من سياط الشرطة .

الفتاة تنام معي في الليل ، وتحاربني في الصباح لانها تصير جندية .

والشاعرة الحسناء تبكي على قدميّ في الليل ، وتدل الشرطة على آثار قدميّ في الصباح .

لا تصدقوا اذاعة العدو .. لا تصدقوها ! ان الحراب تدور في شوارع قلبي وفي أوردتي منذ ربع قرن ، ولكن الشرطة تغطي الدخان المتصاعد من جلدي .

لا تصدقوا اذاعة العدو .. لا تصدقوها ! فالجنود يحرسون لساني ولكنهم لا يستطيعون حراسة قلبي . هل وصلتكم مشاعري ؟ هل وصلتكم ، أم ضلت الطريق ، واعتقلها حرس الحدود ؟

تعالوا .. تعالوا ! الارض تغلي من الشهوة ، والعاشق يرسف في الاغلال !

الدستور
٢٢ تشرين الاول

محمد القيسي

نبيذ من المتوسط

وقلت : أترحل ؟
قال : بلى ،
وكان بعينيه يحتضن الكرملا
ويكمل : أرحل أو أقتل
ــ ولكن الى أين ؟
اليها الوحيدة في البيت ، أمي
وهذا المساء الذي يقبل
ووجه التي في زمان الجراح ،
عرفــت ،
وسلمتها القلب ،
تسائلني اين ثانية ؟
للرياح وأغصانها ،
والطيور التي حلقت فوق كل الموانيء ،
واشتعلت بالحنين .
ــ وما بعد ؟ ،
في القلب حيفا
وأني أصعّد أحزانها بالغناء
وأرسم خارطة ،
وحدائق غناء ، أشيد دارا ،
وحانــه
تقدم للمتعبين والغرباء
نبيذا من المتوسط ،
أملأ قبعتي بالزهور الندية ،
أنثر فوق جباه الحزانى زهوري ،
أنادي على الراقصين :
تعالــوا ،
لقد بدأ العزف ،
والقاعة الآن جاهزة
البطاقــات ؟
لن تخسروا باهظا ،
أيها السادة المتعبون .
فكل الدروب تؤدي ،
الى فندق في المنافي
الى لقمة في الصحارى مفعمة بالمرار
الى خيمة أو قطار
الى طعنة في القرار
الى الموت ،
ان فاتكم حفلنا ،
أيها السادة المتعبون : حذار .

عمــان

معين بسيسو

علقوا ذلك الحذاء في سلسلة حول أعناقكم..

أول قدم عربية مصرية هبطت فوق الضفة الشرقية لقناة السويس هي ، ولا شك ، ذلك التوقيع الرائع في « اوتوغراف » العصر العربي ، اذ كان على الحذاء المصري ان يضع توقيعه فوق رمال سيناء . والامر نفسه بالنسبة الى القدم العربية السورية التي هبطت خلف خط وقف اطلاق النار ، حيث كان على الحذاء السوري ان يضع توقيعه فوق صخور المرتفعات السورية المحتلة . وهكذا اصبح ، الى جانب توقيع القدم الفلسطينية ، توقيع القدم المصرية ، وتوقيع القدم السورية .

ان الاثر الذي طبعته أول قدم مصرية فوق رمال الضفة الشرقية من القناة يجب المحافظة عليه ، ويجب ان لا تطمسه الريح . يجب ان تؤخذ صورة ذلك الاثر ، لتلك القدم ، ونطبع منها ملايين الصور ، ونقوم بتوزيعها في مختلف بلدان العالم . يجب ان يتحول ذلك الاثر ، لتلك القدم ، فوق رمال الضفة الشرقية للقناة ، الى طابع بريد .. لكل رسائلنا الى العالم ، العالم الذي شطب من خارطته اسم المنطقة التي نعيش فيها ، واصبح يعرفنا بمنطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » !

كم في ودي ان اقترح شيئا آخر ! كم في ودي ان اعرف اسم المقاتل الاول الذي وضع القدم الاولى فوق رمال الضفة الشرقية المحتلة من القناة ، عندئذ سوف اقترح عليه ان يقدم حذاءه لنا ، مقابل كل الاحذية العربية التي لم تشترك في القتال بعد ـ رغم انني اعرف تماما ان ذلك المقاتل سيرفض كل تلك الاحذية التي لم تقاتل ، ويفضل القتال بلا حذاء !

لو اصبح حذاء ذلك المقاتل في يدي لطالبت كل النحاتين ، في وطننا العربي ، بان يقوموا بنحت نموذج طبق الاصل لتلك القدم .. وساقترح على كل دور التوزيع في بلادنا ، دور التوزيع التي كانت توزع صورة حذاء « اللاحرب ـ اللاسلم » على غلاف كل الكتب التي كانت تصدرها ، ان تقوم بتوزيع ذلك النموذج . يجب ان يعرض ذلك الحذاء في الواجهات الزجاجية للمكتبات العربية ، لا كافضل كتاب لعام ١٩٧٣ ، بل كافضل كتاب منذ عام ١٩٤٨ . ويجب ان لا يقتصر الامر على المكتبات ، فلا بد من تعميم هذا النموذج ، الكبير او الصغير ، لقدم المقاتل العربي ، على كل مكاتب جامعة الدول العربية ، وعلى الملحقين الصحافيين للدول العربية ، فها هم ، اخيرا ، في استطاعتهم ان يقدموا للراي العالمي شيئا حقيقيا .

أنا بالطبع لا أطالب هواة تعليق السلاسل الفضية أو الذهبية حول أعناقهم ، بأن يعلقوا نموذجا صغيرا من ذلك الحذاء لذلك المقاتل العربي في سلسلة حول رقابهم ... ولا أطالب أيضا اصحاب السيارات الخاصة او العامة ، بتعليق نموذج من ذلك الحذاء خلف الواجهات الزجاجية لسياراتهم ... كما لا أطالب ، للمرة الثالثة ، هواة جمع الاحذية كديكورات لبيوتهم ان يجعلوا ذلك الحذاء جزءا من ديكور البيت ، ولكنني اطالب بشيء واحد ، ان لم يوافقوا على تعليق ذلك الحذاء في سلسلة حول رقابهم ، او تعليقه خلف الواجهات الزجاجية لسياراتهم ، وان لم يرتضوا به كجزء من ديكور بيوتهم .. فلا بد ان يتحول ذلك الحذاء الى آنية زهور ، يزين منازلهم .

أكتب هذا عن الحذاء العربي ، المصري والسوري والفلسطيني ، وأنا أعلم تماما ان الارض العربية المحتلة ، ان سيناء والمرتفعات السورية وفلسطين المحتلة كلها ، ليست أبدا هي تلك الكعكة التي يمكن ان تغوص فيها السكين العربية بسهولة ... ان الارض المحتلة ليست كعكة ، ولكن اذا لم تكن كعكة بالنسبة الينا فيجب ان لا تكون كعكة ابدا بالنسبة الى العدو ، يغرس فيها ست شمعات ، ويشعلها ، ثم يطفئها بمناسبة العيد السادس لميلاد الاحتلال للارض العربية ، ويواصل الاحتفال بعيد ميلاد الاحتلال على مر السنوات .

* * *

أنا أكتب هذا عن الحذاء العربي ، وخارطة جبهة القتال ليست امامي ـ وأنا لا أقوم بمسؤولية غرس الدبابيس فوق الخارطة ـ فعلى المائدة التي أكتب عليها لا توجد خارطة ، بل كومة من الجرائد العربية والاجنبية ، وراديو ترانزستور ، والملحق الاول لمجلة « فلسطين الثورة » ، وذلك التليفون ، ذو الرقم الخاص ، والمكرس للاتصالات التليفونية الخاصة للاخ أبو عمار ـ وهو في احد المواقع المتقدمة من خطوط المواجهة الامامية مع العدو ـ وفوق رأسي صورة علي أبو اياد ..

أكتب هذا في الوقت الذي قررنا فيه ، في الاعلام الفلسطيني الموحد ، تأجيل الاحتفال بذكرى مصرع الشاعر بابلو نيرودا . واعتقد بان بابلو نيرودا سيعطي صوته لقرار التأجيل ، فالرصاص الذي يثقب الآن الخوذة الفولاذية للفاشية العسكرية الاسرائيلية المحتلة ، ينطلق من تلك الخوذة ليضرب الخوذة الفاشية العسكرية الاخرى لقتلة سلفادور الليندي ، وبابلو نيرودا ، وألوف عمال المناجم في التشيلي .

* * *

بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، انطلقت بعض مكبرات الصوت تطالبنا بوضع أقدامنا العربية في لفائف القطن ، وانطلقت بعض مكبرات الصوت الاخرى تطالبنا بوضع اقدامنا في الجبس ، وتعليقها

الى أهلي ، ونحن نتمدد فوق سرير وقف اطلاق النار في مستشفى « اللاحرب ـ اللاسلم » . اما مكبرات الصوت الثالثة ، فلقد راحت تطالب ، على الدوام ، اما بدق المسامير في القدم الفلسطينية ومنعها من الحركة أو في حالة رفض القدم الفلسطينية لاستقبال المسامير في لحمها ، ان تكون هناك عملية قطع للساق الفلسطينية . ولقد واجهت القدم الفلسطينية ، عبر السنوات الثلاث الماضية ، كل مؤامرات وحملات الهجوم بالسكاكين مرة وبالمسامير مرة اخرى على الساق الفلسطينية ، وكانت المهمة الدموية اما دق المسامير في القدم الفلسطينية ، أو قطعها ..

* * *

كل هذا أمامي وأنا أكتب عن الحذاء العربي . ومن خط التليفون الساخن مع الاخ ابو عمار يأتي صوته خاطفا كومض البرق ، او كومض ضربات السكين وهي تغوص في اللحم :

ـ انهم يضعون صلبان الورق المصمغ فوق نوافذهم في الارض المحتلة ، ويضعون الصلبان ايضا على اخبار المعارك التي يخوضها مقاتلونا خلف خطوطهم ..

أجل ... فمع مرحلة التعتيم في الارض المحتلة ، يقومون بالتعتيم أيضا على أخبار المقاتلين الفلسطينيين ، في الوقت الذي تتساقط فيه صواريخ الثورة على مستوطنات الاحتلال في الجليل الاعلى والجولان وبيسان ، وفي الوقت الذي تتساقط فيه قنابل الثورة الفلسطينية فوق القاعدة البحرية في عتليت ، وتقوم بنسف خزانات الوقود في مطار تل ابيب .

اجل ، للمرة الثانية ، يقوم العدو بالتعتيم على المعارك الدموية التي تخوضها الثورة الفلسطينية خلف خطوطه الخلفية وفي خطوط المواجهة الامامية معه . فالعدو يعامل الثورة الفلسطينية كما يعامل مصابيح السيارة التي يفرض عليها ان تقوم بعملية التعتيم على أضوائها ، فتقوم بطلاء مصابيحها الامامية باللون الازرق .

غير أن عمليات التعتيم على اخبار الثورة الفلسطينية ليست بالامر المفاجيء ، وليست هي المفاجأة بالنسبة الى الثورة الفلسطينية . فلقد كانت المفاجأة الكبرى من جانب الدكتور كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية ... فلقد فوجيء الدكتور كيسنجر ـ على حد قوله ـ بالمعارك التي تدور في صحراء سيناء وفي المرتفعات السورية ، وفي قلب الارض المحتلة !

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه الآن ، هو لماذا فوجيء بالاحذية العربية وهي توقع في « اوتوغراف » أرضها المحتلة ؟!

هل كان الدكتور كسينجر يتوقع استمرار اغلاق أفواه المدافع ، وتحويل منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » ، أي تحويل الارض العربية المحتلة كلها ، الى حديقة خاصة او عامة ، الى حديقة اميركية ـ اسرائيلية .. او تحويل سيناء والمرتفعات السورية الى « كيبوتس » اسرائيلي ؟

غير ان الدكتور كيسنجر لم يفاجأ وحده باشتعال النيران ، بل فوجيء رئيسه نيكسون ايضا ، الذي أيقظه وزير خارجيته من نومه ، وأبلغه خبر استئناف الحرب في الجبهتين المصرية والسورية .

ان سرير « اللاحرب ـ اللاسلم » ، لم يعد هو السرير النموذجي أبدا لا للدكتور كيسنجر ، ولا للرئيس نيكسون ، ولا لكل الذين قاموا باستغلال مناجم الذهب والفضة والماس في حقول منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » .

* * *

ان مواسير المدافع لم تنتظر ان تخرج من قبعة الدكتور كيسنجر تلك المناديل الملونة لحلول التصفية ، فلقد خرجت من خوذة المحارب العربي ، بدل المناديل ، رايات عربية طمرتها ، لسنوات مضت ، الرمال التي كانت تتحرك من منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » .

في أعقاب كارثة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، أي في أعقاب الحرب الاسرائيلية الخاطفة ، أصبح الرباط الاسود فوق العين اليسرى هو صرعة أوروبية واميركية ... اصبح الرباط الاسود فوق العين اليسرى لموشى دايان ، هو رباط العيون الاوروبية والاميركية التي تريد ان ترى بعين واحدة فقط ... وترفض عينها الاخرى !

وعبثا حاولت كل أجهزة الاعلام العربية ، رغم كل الخبرات والتجارب الموسوعية للاعلاميين من الدكاترة والباحثين العرب ، ورغم كل محاولات تقديم العقل الالكتروني ـ كأحد ابطال المعركة ضد العدو ـ عبثا حاولت ان تنزع ذلك الرباط من فوق العين اليسرى !

وجاءت تلك القدم ... جاء ذلك الحذاء العسكري الثقيل ، الحذاء ذو الكعب الذي لا يبلغ ارتفاعه الثلاثة سنتيمترات ، فاذا بها تفعل فعلها الشديد ، اكثر بكثير مما فعلته الكعوب العالية جدا لكافة اجهزة الاعلام العربية .

لقد انتصر كعب المحارب العربي على كل الكعوب العالية ، التي كانت تسير في منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » ، تماما كما تسير الكعوب العالية في شارع الحمراء . وحين انطلقت تلك الاحذية المصرية ذات الكعوب المنخفضة فوق رمال سيناء .. وحين انطلقت أحذية سورية اخرى فوق المرتفعات السورية ، والى جانبها وفي مقدمتها تلك الاحذية الفلسطينية ، أصبح على العيون الاوروبية والاميركية ان ترى بعينين ، وليس بعين واحدة . لقد أوشك الحذاء العربي ان يتحول الى صرعة ، وأوشك مصممو الاحذية ان يحولوها الى صرعة حذاء ٧٣ ـ ٧٤ .

* * *

لقد ذاقت القدم العربية لذة طبع القبلة الاولى ـ بعد سنوات طويلة من الحرمان ـ على صدر الارض العربية المحتلة ... وأنا لا أراهن على تلك القدم كحصان في سباق الخيول ، ولكنني ألف شراييني كلها حولها ... فلا الشعر العظيم ، ولا الكتابة العظيمة التي تبقى ، هو ذلك الشعر او تلك الكتابة التي تحتكر الكتابة دائما عن الانتصارات ـ وعن الانتصارات وحدها ! فالشعر العظيم والكتابة العظيمة قد وقفت ، عبر مراحل التاريخ كلها ، مع اولئك الذين يقاتلون وليس في جيوب معاطفهم ـ بوليصة تامين الانتصار ، موقعة من أية شركة تامين !

لقد سقط سبارتاكوس العظيم قبل سبعين عاما من الميلاد وبقي اسمه ، وسقط اسم القائد الروماني الذي هزمه تحت حذاء التاريخ ـ من يذكر الآن اسمه ؟! ـ ولكن ليس قاعدة في التاريخ ابدا ان يسقط كل سبارتاكوس ، وينتصر كل روماني . واذا كان سقوط البربرية الاسرائيلية هو احتمال اليوم ، ففي غد وبعد غد سيصبح حتميـة ...

* * *

الى جانب المقاتلين المصريين والسوريين والفلسطينيين يقاتل الجنود المغاربة ... وفوق رؤوس المقاتلين مظلة جوية مصرية وسورية وعراقية وجزائرية ... وبئر النفط الليبية تقدم اوراق اعتمادها للمعركة ، وتونس تقدم المستشفى ، ولكن اين هو المقاتل العربي الجريح من كل أرجاء الوطن العربي ؟..

* * *

لا مشرحة في المعركة ، ولا ثلج يوضع فوق جثث القتلى ... فالمقاتلون ليسوا في حاجة الى ثلج ، فهم يسقطون تحت أشعة الشمس من أجل ان تتحول جلودهم الى حقول قمح وقطن وورد ... وعلى الذين لا يقدمون للمعركة غير الثلج ان يحتفظوا به لكؤوسهم

... الثلج لكؤوسهم ، وليس لأفواه القتلى !..

* * *

ان القدم العربية ، حين لامست الارض المحتلة ، قد ألقت ببذرتها في رحم تلك الارض ..

والبذرة تتحول الآن الى نطفة ، وستكبر النطفة ، وتحت جلد الارض المحتلة ، التي ذاقت طعم الدم العربي ، ستترعرع تلك النطفة ...

لقد حبلت الارض المحتلة حين لامستها تلك القدم العربية ، ولا بد ان تلد ... وستلد فوق أرض القتال ، في سيناء وفي المرتفعات السورية وفي الارض المحتلة ، فلقد حبلنا وولدنا ، لسنوات طويلة مضت ، في منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » .. وجاء كل اطفالنا مشوهين .. وغير شرعيين ايضا !

ان أعظم ما تقدمه أيام القتال لنا الآن ليس تحرير هذا الجزء المحتل من الارض العربية او ذاك ، ولكنها قامت بتحريرنا ـ نحن ـ من أولئك الذين في أعقاب هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ وضعوا الرباط الاسود لموشي دايان فوق عيونهم ، وانهالوا على ثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا ضربا بالعصي والكرابيج ، وقاموا بتسميم كافة الآبار التي كنا نستقي منها . لقد فعلوا هذا لانهم كانوا يعتقدون بأن هذه هي فرصتهم . لقد وجدوا في الحرب الصاعقة الاسرائيلية أسلوبا لحرب خاطفة في الشعر وفي كل مجالات الكتابة ايضا .. ومن هنا ظهروا في أعقاب الكارثة الماضية بكامل ثيابهم العسكرية الشعرية ، وبأعلى صور وأشكال العجرفة الشعرية .

ان أعظم ما قدمته أيام القتال لنا ان القدم العربية قد ألقت بالقطن الملطخ بالدم ، وبالجبس المتحجر ، وبالمسامير ، في وجوه كل اولئك الذين تحولوا الى ممرضين وأطباء في مستشفى « اللاحرب ـ اللاسلم » .

ان أعظم ما قدمته أيام القتال لنا انها أعادت الشرف للهواء العربي ، وللصوت العربي ، واصبح راديو الترانزستور ، ولاول مرة منذ سنوات طويلة ، مصدرا من مصادر الثقة .

وبعد ذلك ، فالانتصارات لا تقاس بالاميال ولا بالكيلومترات ، ولكنها في بعض مراحل التاريخ ، وفي هذه المرحلة التي نعيشها ، تقاس بمساحة تلك القدم ، بمساحة ذلك الحذاء ، لذلك المقاتل العربي .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

مع أبو عمار ...

فوق صخرة من صخور مرتفعات الرؤوس ، في سفوح جبل الشيخ الغربية ، والعلم الفلسطيني يتماوج في الهواء ويلقي بظله فوق الصخور ، أخرج أبو عمار دفتره الصغير ، الذي يرافقه دائما ، واقتطع منه ورقة وضعها فوق صخرة ملساء من صخور المرتفعات البيضاء التي تشبه الرخام ، وراح يكتب ..

كان هواء المرتفعات لا يزال مشبعا برائحة البارود ... وتحت هذه الصخرة او تلك ، كان هناك اكثر من بقعة من الدم ... تتوهج تحت اشعة الشمس وهي توشك على الغروب . ولقد ترك المقاتلون الفلسطينيون بقع دم شهدائهم وجرحاهم كما هي بعد ان استولوا على الرؤوس الثلاث في سفوح جبل الشيخ في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٧ ـ ١٠ ـ ٧٣ ، وبعد قتال دموي ومواجهة مباشرة بالرشاشات والقنابل اليدوية مع المفرزة الاسرائيلية التي كانت تحتل الرؤوس الثلاثة وتتحصن خلف صخورها ، وتحت غطاء من قنابل المدفعية والصواريخ الثقيلة ...

لقد ترك المقاتلون الفلسطينيون بقع دماء شهدائهم الخمسة الذين سقطوا فوق الصخور البيضاء ، وبقع دماء أحد عشر جريحا.. تركوها ، ولم تمتد يد احد منهم ، يطمرها بالتراب ، او يغطيها بالاعشاب .

ان الدم الفلسطيني المراق يجب ان لا يغطى ... فما أسرع ما تشربه الارض ، وتختزنه في شرايينها ، من أجل ان تستمر الدورة الدموية للخصب والعطاء بالنسبة الى الارض .

كان ابو عمار يكتب ومن حوله التفت مجموعة من المقاتلين . ومن الذي يستطيع ان يمنع عينيه من ان تمتدا من فوق كتفي القائد العام للثورة الفلسطينية ، الذي رفض الا أن يخوض المعارك بنفسه ؟ من الذي يستطيع ان يمنع عينيه من ان تمتدا من فوق كتفي القائد العام للثورة الفلسطينية ، وهو يضع الورقة الصغيرة البيضاء فوق الصخرة البيضاء ويكتب :

« الاخ الرئيس انور السادات ،

« الاخ الرئيس حافظ الاسد ،

« سيطرت قوات الثورة الفلسطينية ، بناء على الواجب المطلوب منها ، على مرتفعات الرؤوس الثلاث ، في الساعة الخامسة من بعد ظهر هذا اليوم . كما نفذت قوات الثورة عددا من العمليات في الجليل الاعلى وداخل الارض المحتلة ... » .

ويتوقف أبو عمار لحظة .. ينظر الى وجوه المقاتلين ، وينظر الى الصخور ، والى العلم الفلسطيني الذي يتماوج في هواء الجبل، وكأنه يستمد القوة ... فقط من لون واحد في العلم الفلسطيني هو اللون الاحمر ، لون الدم ، فيواصل الكتابة :

« اخوانكم الثوار يجددون العهد على المضي قدما للاستمرار في القتال حتى تحقق أمتنا العربية المجيدة انتصارها الكبير بتحرير كامل التراب .

« أطيب تمنياتنا للانتصارات الرائعة التي يحققها الابطال على جبهتي القتال في سيناء والجولان » .

ويقرأ ابو عمار تلك الكلمات الكبيرة ، فوق الورقة الصغيرة ، ويمد بها يده الى احد المقاتلين وهو يقول :

ـ معذرة .. فالخط غير واضح ..

غير ان المقاتلين اعتادوا على خط ابو عمار ، كما اعتادوا على رؤيته دائما بينهم .

وكدت أصرخ :

ـ لقد تركنا الآلة الكاتبة ، ذات الكلمات المطبوعة الواضحة ، للذين يكتبون وهم خلف مكاتبهم .

ويتناول المقاتل الورقة الصغيرة ، ويمضي داخل الموقع ... ليقوم بعملية ارسالها .

* * *

احد المقاتلين استند برأسه الى مدفعه الرشاش وراح ينظر الى الصخور البيضاء . كانت مستعمرات كريات اشمونا ، هونين مرجليوت ، مسكان عام .. الخ ، تحت قدميه مباشرة ..

كان ذلك المقاتل يستند برأسه الى مدفعه الرشاش ، اما عينيه فكانتا تقعان فوق المستوطنات الاسرائيلية .. ما أبشع عمليات التزوير فوق الخارطة ! وكأنه كان يجيب على سؤال ، ارتفع صوت ذلك المقاتل وعيناه لا تزالان ترفرفان فوق ذلك الجزء من ارض وطنه :

ـ هذه الرؤوس الثلاث ، التي حررناها اليوم في ٧ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ ، كان لها اسم آخر عام ١٩٦٩ ... حينما كنا خلف صخورها ،

وفوق صخورها ، كان اسمها « قاعدة التحدي » . ولقد احتفظنا بها ، رغم الدم الذي سكبناه فوق تلك الصخور ... احتفظنا بتلك الرؤوس الثلاث في سفوح جبل الشيخ ، رغم كل مؤامرت الحصار والمطاردة والغارات الجوية . ولظروف خارج اطار الكلام المباشر في هـــذه الظروف ، هبطنا من تلك المرتفعات ، هبطنا من تلك الصخور ولم نترك غير علمنا الفلسطيني ، وبالطبع فلقد أنزله الاسرائيليون ، الذيـن جاؤوا بعدنا . ولكن انظر . ها هوذا العلم الفلسطيني يرفرف للمرة الثانية ، وبعد غياب خمس سنوات ، يرفرف فوق « قاعدةالتحدي » بعد ان عاد لها اسمها .

ونظرت الى العلم الفلسطيني ، وخيل اليّ انني قد اصبت بعمى الالوان . لم اعد ارى من الوانه الاربعة غير لون واحد ، هـو اللون الاحمر . اما الالوان : الاسود والابيض والاخضر ، فلقـــد طمست تماما ، كانها لم تكن من قبل من ضمن الوان العلم الفلسطيني!

ولم اكن انا وحدي الذي كان ينظر الى العلم الاحمر . فلقد كان ابو عمار ، هو الآخر ، يسلط عينيه فوق ذلك اللون ، وكأنـه كان يريد ان يقول للمقاتلين :

ـ لقد شطبنا اللون الابيض من خارطة الواننا ـ وانتم تعرفون جيدا معنى هذا اللون ـ أما اللون الاسود ، فلقد عشناه طيلة ايـام الحصار والمطاردة . أنا لا أستطيع ان ارفض اللون الاخضر . فهـو لون وطني . لون شجرة الزيتون ذات الجذور العميقة في الارض .. فحافظوا على اللون الاحمر ، فهو لون دمنا ، كما تحافظون عـلى حدقة العين .

* * *

ونهض ابو عمار ، والتف حوله المقاتلون . ومضى الى حيث ارتكز العلم الفلسطيني فوق أعلى صخرة في الرؤوس الثـلاث ، في سفوح جبل الشيخ ، في الارض المحتلة ..

مضى ابو عمار الى العلم الفلسطيني ، وقـد غربت الشمس تماما ، ومضى اليه أحد المقاتلين ، كأنما كان يريد ان يذكره بـان الشمس قد غربت ، وان عليه ، وهو صائم ، ان يتناول طعـام فطوره الآن .

ووضع ابو عمار كفه فوق عينيه ، ليحجب الدموع التي راحت تترقرق من عينيه وهو يقول :

ـ لقد كانوا صائمين مثلي ، أولئك الذين حرروا الرؤوس الثلاث من سفوح جبل الشيخ ، وسقطوا فوق هذه الصخور .

* * *

ومضى أبور عمار الى العلم الفلسطيني وقبله ... قبله وبكى . وبكى المقاتلون من حوله . انها دموع الرجال .

في مثل هذه اللحظات ، فاما ان تصاب بالجنون . او تقدم حفنة من العشب ، يفطر بها القائد العام لثورتك !

* * *

... وغربت الشمس . ورغم ان الشمس قد صبغت مصابيحها ونوافذها باللون الازرق ، فلقد رأيت ابو عمار . رأيته وهو ينحني فوق الارض ، ويتناول حفنة من التراب مصبوغة بالدم ، يتنـاولها ويشمها كالوردة ، ويقبلها ، ويضعها في جيبه ويمضي ..

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

سقوط الوجه الآخر لخط بارليف

« في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر السبت ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، اجتاز الادب العربي خط وقف اطلاق النار ، وعبر قناة السويس ، وفي أقل من ست ساعات ، سقط خط بارليف آخر، في المسرح والشعر ، في القصة والرواية والمقالة » .

هذه البرقية لم يرسلها بعد اي مراسل ادبي عربي أو أجنبي لجريدته ، او لوكالة أنبائه . فاحدى المآسي الكبرى في حياتنا الادبية ان المراسلين الادبيين ، وان الذين يكتبون عموما في بلادنا يتقدمهم دائما المراسلون العسكريون . والمراسلون الادبيون ، كتابا وشعراء ، اما يستمدون ما يكتبون عنه من راديو الترانزستور ، أو من تقارير العسكريين المنشورة في الصحف .

غير ان هذه البرقية الهامة جدا ، والتي لم ترسل بعد ، والتي لم يدرك القراء العرب أهميتها بعد ـ في غمرة المكاسب العسكرية ـ لا بد وان تتركز عليها الاضواء في مرحلة قريبة مقبلة ، عندهـــا سيتناولها النقاد بالدراسة . وستكتب حولها الكتب ، وترص حولها القصائد .. كأكياس الرمل .

ففي لبنان أعلن اكثر من مسرحي واكثر من مسرح قراره بالغاء المسرحية التي كانت تجري لها البروفات . أنطوان كرباج ألغى مسرحية « المارسلييز العربي » وقال :

« لقد سقط عليها عقب سيجارة مشتعل واحرقها » .

اما نضال الاشقر فلقد صاحت :

« ان مرحلة باكملها من المسرح تسقط تحت الانقاض ، أقصد ـ أنقاض خط بارليف » .

وتتتابع أقوال المسرحيين في لبنان . ولا اعتقد بان الوضع فـي البلدان العربية الاخرى ، من حيث ارتباط المسرحية بهزيمة الانسان العربي ، وتكريسها لتلك الهزيمة ، هو افضل حالا من لبنان .

أما بعض الشعراء الذين كان يجب ان يكونوا اكثر جراة مـن الممثلين ، فلم يصرح أحد منهم بكلمة . لقد اكتفوا بسحب قصائدهم من الجرائد ، ومن الملاحق الادبية ، وفوجىء القراء العرب بتوقيعاتهم وهي تتصدر الواجهات الامامية للبرقيات والمذكرات المرسلة الى جبهة القتال . ويبدو ان مسألة النقد ، والنقد الذاتي ، هي مسـألة لا تشكل اية قيمة ادبية أو وجدانية بالنسبة اليهم . فمساحـة الذاكرة العربية ، كمساحة الارض العربية ، مساحة كبيرة وشاسعة، وفيها من الجبال والمرتفعات والغابات والرمال ، ما يكفي لكي يختفي خلفها هؤلاء .

غير ان القضية ، اقصـــد قضية الخط المسرحي والشعري والفكري ، والموازي لخط بارليف ، على الضفة الشرقية من القناة ـ اخطر كثيرا من قضية ذلك البعض من المسرحيين والشعراء والكتاب والمفكرين والنقاد والناشرين ... الخ . القضية ـ وبغض النظر عن ان الذين يحاولون الآن ان يظهروا كالغواصات من تحت سطح الماء ، فاذا بهم تحت لافتات القتال ، وتحت الاضواء ـ القضية اكبر مـن هذا بكثير ، فهي قضية أدب أمة باكمله ، قضية ادب أمة يبنى مـن جديد ، ولا بد من القول هنا انه لا يبنى فوق الهواء ، ولا بواسطة لمس مصباح علاء الدين ، فاذا بالادب العربي يرتفع شامخا على أعمدة ضخمة من الرخام . فهناك ، ولا شك ، قاعدة لادبنا الجديد . فليس كل الشعراء كانوا يدخنون نارجيلة هزيمة الخامس من يونيــو (حزيران) ١٩٦٧ ، ولا كل الكتاب والدارسين والمفكرين والمؤرخين تحول التاريخ العربي باكمله الى « نكتة » في افواههم ، ولا كلهم تحولت الحضارة العربية ، بالنسبة اليهم ، الى صالون حلاقـة يخرج منه صلاح الدين الايوبي وكأنه أحد « الهيبيين » ، ولا كلهـم تحول الادب العربي فوق اوراقهم رسوما كاريكاتورية بالفحم الاسود منقولة عن لوحات اجنبية بالالوان الزيتية !

فهناك ، ولا شك ، أولئك المفكرون والنقاد والكتاب والشعراء الذين لم يقصوا جلد وطنهم ، ويحولوه الى ما يشبه مناديل الورق في جيوبهم ، او فوق مكاتبهم ، بل حاولوا ان يلتقطوا من تحت انقاض الهزيمة حجر الماس الذي سقط من صدر الانسان العربي ـ والذي هو قلبه ـ ورغم سقوطه فلم يكفّ عن الخفق والومض .

القضية اذن اكبر من قضية الذين تحولوا الى مقاولي توريد المسرحيات والقصائد والكتب الى مستشفى اللاحرب ـ اللاسلم ، حيث تمدد الانسان العربي فوق سرير وساقه في الجبس وعنقه أيضا ..

فالقضية ، كما قلت ، هي قضية أدب بأكمله ... اذ كيف يمكن ان يتحالف ، على جرح وطـــن ، كل تلك الديدان ، رغم مختلف الجحور التي انحدرت منها ، تملأ بطنها ـ كالعلقة ـ بالدم ، ثم تعود الى قاعدتها .. وبالعكس ؟ والافظع من هذا ، كيف أقبلت قطاعات كبيرة من الذين يقرأون في هذه الامة على عملية نفخ تلك الديدان ، وتحويلها الى بالونات او مناطيد ، والبعض منها تحوله الى مراكب فضائية ؟!

لقد ضربتنا الهزيمة فوق الرأس وسقطنا ... سقطنا في دوامة من الغيبوبة ، وحينما قمنا بتحريك اطرافنا ، نتحسس نبضات الحياة الباقية في عروقنا ، رأيناهم فوق رؤوسنا . نطالب بالاربطة البيضاء ، فيلفون وجوهنا بقصائدهم . نطالب بزجاجة من الدم ، فيكسرون فوق رؤوسنا زجاجة من الحبر الاحمر .. وحينما كنا نحاول الرجوع ولو قليلا الى الوراء ، لكي نتزود وسط دياجير الهزيمة بحفنة صغيرة من الضياء ، من ايدي ابطالنا وتراثنا القومي ، كانوا يقومون بعملية استحضار ارواح اولئك الابطال ، فاذا بابطالنا يتكلمون لغة المهرجين والبهلوانات .

كانت أمة تحت الانقاض ، أمة في السرداب ، تبحث من طاقة صغيرة من الخور ، تندفع اليها ... كانت أمة تحس انها أعطت صوتها بلا تحفظ ، وضعت توقيعها في ذيل ورقة بيضاء وألقت بها في الصندوق الانتخابي ومضت ، وحينما أحست بفاجعة انهيار كل شيء ـ كانما احست بمسؤوليتها ـ اندفعت الى أدب نارجيلة الهزيمة ، تشم دخانها وتملأ رئتيها بالغاز السام ، وتسمع الـى « قرقرة » القصائد في داخل هذه النارجيلة او تلك ، وتتأوه ... فالجماهير ايضا ، في بعض مراحل التاريخ ، تستمتع بادب التعذيب للنفس . غير ان الاستمتاع بالعذاب لم يدم لفترة طويلة ، فما أسرع ما نهض من تحت الانقاض انسان جديد ، هو انسان المقاومة الفلسطينية . وحدث ان هذا الانسان قد تحول الى « صرعة » او ما يشبه الموضة الجديدة بالنسبة الى ركاب طائرات الهزيمة وركاب طائرات الانتصار معا ، فاستقلوا أول طائرة الى المقاومة الفلسطينية .

وتمر سنة العسل بين المقاومة وركاب طائرة المقاومة ، وما أن تبدأ مرحلة الحصار والمطاردة ، ومرحلة شارع فردان ، ومرحلة رسائل الديناميت ، حتى يقفز هؤلاء بالمظلة ، لا يهم أين يقفزون وأين يسقطون ... المهم ان يقفزوا ، قبل سقوط الطائرة . هكذا خيل اليهم . ولو كان القارىء العربي يتابع الخط البياني لتلك البطانة الشعرية والفكرية والادبية لوجد ان الخط البياني سيتوقف عند نقطة ، هي ان هؤلاء الذين وجدوا في انتصارات المقاومة ذلك التغيير لصوتهم الشعري الذي علاه الصدأ واحترق كحنجرة من المطاط من فرط ما زعق بادب الهزيمة ، هم أنفسهم ، أو غالبيتهم العظمى ، أولئك الذين اندفعوا في عملية تجريح وتلطيخ للمقاومة ، باسم النقد والنقد الذاتي .. هذا النقد والنقد الذاتي ، اللذان لم يعرفوهما طيلة حياتهم ، ولم يمارسوهما لا كتابة ولا سلوكا . وها هم الآن هم ، ركاب طائرة الهزيمة ، وركاب طائرة المقاومة ، ثم ركاب طائرة ضرب وجه المقاومة ، ها هم الآن ، ركاب طائرة جبهة القتال ، وركاب طائرة البرقيات والمذكرات !

أكتب هذا من منطلق واحد : هو ان أدب أية أمة ، أدبها وشعرها وفكرها ، يجب ان لا يعامل أبدا معاملة « الاوتوبيس » الذي يتنقل من محطة الى اخرى ، وان أدب الشعوب وفكرها ليس أبدا طائرة ركاب عابرة للقارات ، يمكن ان يأخذ مقعـــده فيها أي كاتب او شاعر بمجرد ان يشتري تذكرة السفر ، ويأخذ تأشيرة المرور وفي جيبه شهادة صحية .

ان ادب الامم وشعورها ، الذي هو روحها ونبضها ووجدانها ، يجب ان تكون له قداسته الى تلك التي يجب ان تصدّ فيها غارات اللصوص . فالادب العربي ليس كهفا من كهوف علي بابا والاربعين لصا ، ليس كهفا تخفى فيه السرقات المتواصلة وعمليات السطو المتواصلة على كنوز هذه الامة .

فالقواميس السياسية والادبية والاجتماعية ، بل على جميع المقاييس الحضارية ، هناك تلك القاعدة التي تحتم دائما مراجعة المواقف من عمليات التغيير الكبرى . واذا كان للشاعر او للكاتب ذلك الشرف العسكري للمقاتل ـ ويجب ان يكون له هــذا ـ فيجب ان لا يخجل ابدا من عملية المراجعة لموقفه ، ومن الخروج على القراء بكامل ثيابه المطرزة بكلمات الهزيمة وتكريس الانكسار .

هكذا يفعل كتاب وشعراء الامم الاخرى في مراحل التغيير ، يقومون أول ما يقومون بعملية النقد والنقد الذاتي لكل ما قدموه من أدب أسود ومن حبر شبيه بالسم ان لم يكن اكثر فتكا . يفعل هذا كتاب وشعراء الامم الاخرى ، لانهم يحترمون أنفسهم كشعراء وككتاب ، ويحترمون اممهم أولا وقبل كل شيء ..

أكتب هذا وانا أعرف مقدما ان مساحة الذاكرة العربية كمساحة الارض العربية ، وهي مساحة شاسعة تماما يمكن ان يختفي في جبالها ومغاورها وفي غاباتها ، كل الذين يرفضون مواجهة النفس ، ويتوهمون بانهم قد أفلتوا من المسؤولية ، ومن العقاب أيضا .

ولكنهم ينسون شيئا واحدا ، أو هم لا يحاولون ان يتذكروا ، وهذا الشيء هو بالتحديد انهم حينما يواجهون أنفسهم ، ويقلبون ملفات قصائدهم ودواوينهم ومسرحياتهم وكتبهم ، عليهم ان يسألوا أنفسهم هذا السؤال الواحد :

« كم بقي لنا الآن ؟.. كم قصيدة بقيت بعد الساعة الثانية من بعد ظهر السبت الموافق ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ؟ كم قصيدة بقيت ، وكم قصة وكم رواية وكم مسرحية ؟ » .

وأنا لا أتمنى ابدا ان يسقط عقب سيجارة مشتعل بصورة عفوية من يد أحد القراء ، ويضرم النيران في كل الذي كتبوه .

على عكس هذا تماما ، يجب ان تكون كل القصائد والمسرحيات والدراسات والكتب والقصص والروايات ، عن العدمية والموت ، بالمجان ، وكل صور وأشكال الانبطاحات العقلية ، مادة موضوعية للدراسة النقدية الجادة .

اذ ليس من المعقول ابدا أن يتم خروج ذلك المقاتل العربي من الهواء ، ليعبر القناة للضفة الاخرى من سيناء ، ويعبر خط اطـلاق النار الى الصخور والمرتفعات السورية ...

بالقطع ، فعمر ذلك المقاتل ليس اسبوعا ولا اسبـوعين ولا ثلاثة اسابيع . اي انه بالتحديد لم يولد ظهر السبت ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، فمتوسط اعمار جنودنا بين العشرين والثلاثين .

وهنا لا بد ان يطرح هذا السؤال الكبيـر نفسه : اين كنا اذن وسط كل عمليات التغيرات الكبرى في داخل الانسان العربي والمقاتل العربي ؟ لا بد وان تغيرات جذرية قد حدثت . وبالطبع فتلك التغيرات - واقصد بها التغيرات النفسية والوجدانية والروحية والعقلية - لم تتم تحت الارض وبشكل سري ، فاولئك المقاتلون لم يهبطوا علينا من القمر ، ولا من كواكب اخر ، انهم ابناء العمال والفلاحين فـي بلادنا ... وكل واحد منا ولا شك له اخ او ابن عم او صديق مـن هؤلاء المقاتلين . وبالطبع فالمسؤولية لا يتحملها كاملة أولئك الذين يكتبون ، بل يشاركهم ايضا في المسؤولية كل من اقام الحواجـز او قام بمد الاسلاك الشائكة للعزلة بين الكاتب وبين وطنه .

ومع ذلك فلقد فوجئنا بتلك التغيرات كلها ، ولو كنا على درجة او اخرى من الالتصاق بهؤلاء ، لعرفنا ببعض تلك التغيرات ، وكتبنا عنها ، ولكن المفاجاة التي ضربت راسنا بهراواتها كانت تعني شيئـا واحدا ، لا يمكن ابدا انكاره ، هو اننا كنا في عزلة تامة عن كـل تلك التغيرات - ومن اجل هذا كنا نكتب في الاتجـاه المضاد تماما وفي الاتجاه المعاكس . كان المقاتل العربي يكسر الجبس عن قدمه ، واقدامنا لا تزال في الجبس ، ونتوهم ان كل شيء قد اصبح فـي الجبس . وهكذا تحول ادبنا في خطوطه العريضة ، وتحـول شعرنـا في خطوطه العريضة ايضا ، الى ادب في الجبس ، والى شعر فـي الجبس ، الى كتاب وشعراء في الجبس ، من الرأس الى القدم .

هناك مفارقة غريبة في كل ما حدث ، وهو ان المتنبي - الـذي أوشك بعض الكاتبين والدارسين والشعراء ان يطالبوا بتعليق صورته فوق جدران مخافر البوليس ، ويطالبوا بالقاء القبض عليه حيا او ميتا لان قصائده قد كتبت بحد السيف ، ولانه كان شاعر مرحـلة مواجهة ، وشاعر معركة المفارقة الغريبة العجيبة ، ان المتنبي ، بكامل اسلحته وقصائده ، كان مع الدفعة الاولى التي اقتحمت خط وقف اطلاق النار في الجولان ، وان المتنبي كان احد المدافعين عن الجولان وربما كان يطلق « صاروخ سام ٦ » ، او ربما كان يقود دبابة ..

المتنبي لم يفاجأ وكان مع الدفعة الاولى من المقاتلين ، لانـه - ومنذ مئات السنين - كان يعرف ذلك الشيء البسيط الذي هـو الانسان العربي ، وكان ملتصقا به . ولم تكن معارك سيف الدولـة كلها بالمعارك المنتصرة ، فما اكثر ما هزم سيف الدولة ، ولكن حجر الماس ظل على خفقه وومضه في صدر المقاتل العربي .

* * *

انا أضع يدي على قلبي الآن ، فاذ ننتقل دفعة واحدة من خط الهزيمة المطلقة الى خط الانتصارات المطلقة ، اخشى ان تصبـح القصائد المنتصرة في مستوى « الساندويتش » ، وان تفتح أكشاك شعرية جديدة لبيع مثل هذا « الساندويتش » الذي سيقبل عليـه القراء ولا شك .

اخشى هذا الانتقال المطلق ، لان علينـا ان نعامل انتصارات وطننا لا كأوتوبيس ركاب ، ولا كطائرة ركاب ، ولا كعربة شحن ، ولا « كساندويتش » . فلقد تغير المقاتل العربي وتغير الانسان العربي ، وعلينا نحن ايضا ان نتغير .

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

جنديا .. كان الله وراء متاريس دمشق

(١)

أعطى الله عصاه لموسى ، ليشق البحر ويهرب
لم يعط الله عصاه لموسى ،
كي يضرب
حين « عصا موسى » صارت طائرة ،
كان الله
يحمل أكياس الرمل على ظهره
يرفع بيديه الاحجار ، ويعجن بيديه الاسمنت
ويقيم متاريس دمشق
جنديا كان الله وراء متاريس دمشق
ومآذنها الاموية تنطلق صواريخ ...

(٢)

« عصا موسى » ،
انكسرت فوق المرتفعات السورية
جندي سوري نحت عصا موسى المكسورة
غليونا ...
تبغك زهر الارض فدخن
اصنع لدمشق سماء أخرى
فدخانك قد صار سماء ...

(٣)

كان يموت بصمت
ما كان بيده كاميرا ، وعلى فمه
ما كان مكبر صوت ،
كان يموت وراء خطوط الضوء ،
وراء خطوط الصوت
قلبي قنبلة لدمشق ...
وأصابع كفي العشرة ...
عشر رصاصات لدمشق ...
كان يموت وراء خطوط الضوء ،
وراء خطوط الصوت
كان يموت بصمت
ما كان بيده كاميرا ، وعلى فمه ،
ما كان مكبر صوت

(٤)

«بردى» ، كان رباطا أبيض خصلة ماء فوق الجرح
بردى عربة اسعاف
تتنقل بين متاريس دمشق
بردى طائر ...
يحمل في المنقار ، زجاجة دم
وأنا صبغ الحبر يدي ، وصبغ الفم
ودمشق على مرمى قطرة دم ...

(٥)

حين الاربطة البيضاء
سقطت عن قدمك ، ومشيت على وجه الصخر
على وجه الماء ...
كان الله على شاطىء حيفا
يصطاد السمك لاطفال فلسطين ،
ويصرخ من هول العشق
ستجيء الآن دمشق ...

(٦)

الآن دمشق ...
لن أصبغ باللون الازرق عيني
لن أصبغ باللون الازرق كفي وقدمي ...
لن اصبغ باللون الازرق جلدي ...
يكفينا موتا ، بين اللون الابيض
واللون الازرق

(٧)

عيناي طابعا بريد
للعالم الجديد ...
على دمشق تسقط القنابل
ساعي البريد في دمشق لم يزل ،
يوزع الرسائل ...

(٨)

على سطوحك الاطفال ...
اقسموا على رغيف الخبز ،
أن يواصلوا القتال ...

معين بسيسو

البلاغ

٢٩ تشرين الاول

عبد الوهاب الكيالي

نصر تشرين بداية لا نهاية

منذ قرون والامة العربية تتحفز لاستئناف مسيرتها الحضارية واخذ مكانتها العالية في ركب التقدم الانساني .

امتنا الظمأى الى المجد تقرأ سيرة محمد وعمر وعلي وخالد على أساس انها رؤى المستقبل لا ذكريات الماضي . وترى في عبقرية المتنبي وأبي العلاء والكندي وابن خلدون والفارابي وابن رشد والخوارزمي وابن سينا صورة اجيالها القادمة وصفحات من طموح آت .

اما صلاح الدين فوعد وعبرة القادسية وحطين والقدس فموعد وصلاة .

منذ قرون وهذه الامة الخصبة الولود تعاني آلام المخاض ، وها هي قد وصلت مرحلة الولادة .

الولادة هي الارادة ، ارادة الحياة من خلال ارادة القتال والحياة . والولادة استحقاق ثمنه الالم والتضحية ، الالم الخلاق والتضحية المطهرة للنفس .

منذ قرون وأمتنا مسلوبة الارادة مستضعفة محكمة مشتتة مجزأة ومنهوبة تتكالب عليها القوى الامبريالية العالمية ويناصبها الغرب العداء التاريخي المرير خوفا من وحدتها ونهضتها . وعندما اخذت امتنا تستيقظ من سباتها العميق في مطلع القرن الماضي وتوجهت نحو الوحدة والقوة عقدت الدول الغربية المتنافسة فيما بينها حلفا وحركت الاساطيل وأنزلت الجيوش للحيلولة دون نهضة العرب . وكان بروز خطر اليقظة العربية وراء تبني الامبريالية والغرب للحركة الصهيونية ولفكرة الدويلات الدينية ولمعاهدة سايكس بيكو (أي التجزئة العربية) ولدولة اسرائيل .

ولقد تجلى نجاح الاعداء طيلة هذه الحقبة التاريخية كلها بابعاد الجماهير عن كل مشاركة في صنع حياتها ومستقبلها وفي تصليب جدران التجزئة العربية المصطنعة ... وفي حرمان العرب من القتال .

كان لا بد للجماهير العربية ان تنتصر في فرض ارادتها في الحياة وفي السيطرة على زمام أمرها وفوق ارض وطنها . ولقد جسد السادس من تشرين الاول بداية عهد الارادة العربية .

فلاول مرة منذ فترة بعيدة جداً تحمل الامة العربية السلاح وتقاتل في سبيل حقها ووجودها الحر .

ولاول مرة تنهار أساطير العجز والتخلف الابدي والتبعية المستمرة التي نسجها الاستعمار وأعوانه حول جماهيرنا وأمتنا .

ولقد حققت أمتنا بداية النصر وأصبحت تمشي على طريق الكرامة والنماء والمستقبل بخطى ثابتة . كان القتال تجسيدا لارادة الجماهير وكان النصر ثمرة وحدة الارادة ووحدة الجبهات وقومية المعركة وانطلاقة للجماهير . وهذا النصر بداية ، اما استكمال الطريق فهو تحرر الجماهير ومشاركتها الكاملة في صنع حياتها ومستقبلها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وهو انجاز وحدتها عن طريق توحيد كيانها القومي التقدمي .

ان جماهيرنا المضطهدة قد استطاعت ان تفرض تغييرات كثيرة وهامة على اثر هزيمة ١٩٤٨ ، واليوم من يستطيع ان يقف في طريقها ومن ذا الذي يستطيع الحيلولة دون اكمال مسيرتها وقد امتشقت السلاح ورأت ثمار الوحدة وذاقت طعم الكرامة والنصر .. والتحرير؟

الاحرار ٢١ تشرين الاول

من المعركة الى الثورة

عندما أخذت الحرب الدائرة بيننا وبين العدو الصهيوني تهدد بالتحول الى ثورة ، أيقنا بأن التآمر سوف يشتد ويتسارع لوقف القتال .

فلقد حمل بدء القتال في طياته انتصارات اولية وهامة على طريق المستقبل العربي .

كان نشوب القتال استجابة لنداء الجماهير ولنضالها المتواصل لتحرير الارض .

وكانت شجاعة المقاتلين العرب تحديا وخرقا للاساطير التي نسجها العدو حولنا كسجن كبير يأسر ارادتنا ويشل حركتنا وتطلعنا الى غد كريم .

وكان قتال العرب على جبهتين وبارادة موحدة وبمشاركة العراق الطليعية وبوزنه الكامل الفعال نصرا يهدد استراتيجية العدو ومستقبل وجوده ، كما كانت مساهمة بعض القوات العربية الاخرى مساهمة معنوية ذات دلالة هامة .

وسرعان ما أخذت ارادة القتال العربية تفعل فعلها وتعطي ثمارها ، فدفعت الاقطار النفطية الى مراجعة قراراتها المتخاذلة في مؤتمر الكويت بعد أقل من ٤٨ ساعة من صدورها ، وبدأت كل حكومة تدافع عن نفسها امام جماهيرها المطالبة ابدا بالمشاركة والمزيد من المشاركة في المعركة القومية الكبرى .

ولقد خشي الامبرياليون والصهيونيون وأعداء التقدم العربي من امتداد الحرب لانها كانت متجهة الى تعميق الاتجاه القتالي الثوري في الوطن العربي . فالجماهير بدأت تطالب بتسخير كل الطاقات العربية لصالح المعركة :

فالضغط على الاردن ليفتح جبهته الهامة والواسعة ضد العدو يتزايد .

والضغط على الاقطار العربية النفطية لسحب ارصدتها من بنوك اميركا والغرب يتعالى .

والمطالبة بتصفية القواعد العسكرية الاميركية في السعودية والمغرب والخليج العربي تشتد .

والحاجة الى تسليح الجماهير العربية وزجها في المعركة باتت ضرورة ملحة .

وأهم من ذلك كله وأخطر بروز ضرورة وامكانية تلبية المطلب الجماهيري الاول ، وهو قيام دولة موحدة متوجهة نحو التحرير من مصر وسوريا والعراق لكي تكون نواة الوحدة الشاملة وقاعدة انطلاق الامة العربية في وثبتها التي طال انتظارها .

أجل ، لقد أدرك الاعداء والخصوم ان المعركة قد أعطت الامة العربية فكرة (حافزة) عن قوتها وامكانياتها ، وان استمرارها سوف يدفع أمتنا على طريق ثورتها ووحدتها وتقدمها ، وليس أدل على ما نقول من تزايد الزخم العربي أيام القتال الاخيرة في حين ان الانهاك أخذ يؤثر على سير قتال العدو على الرغم من الدعم غير المحدود الذي تلقاه من الولايات المتحدة .

وأيا كانت خطط الاعداء فان ثورة عربية جديدة ولدت في المعركة لن تستطيع مؤامرات اميركا واسرائيل القضاء عليها . لقد وضعتنا المعركة في قلب المستقبل ولن يستطيع احد ان يجرنا الى الماضي او حتى يوقف تحركنا عند حدود الحاضر .

الاحرار ٢٣ تشرين الاول

يوسف الخطيب

الحرب هي الحرب

ان الحرب هي الحرب ..

ليست الحرب دعابة ، ولا دعاية .. ولكنها بتعريفها القاطع الصارخ ، بحر من الدماء ، وافق من النيران .

ولعل من حسن الحظ اننا نختلف مع العدو اختلافا بينا في فهم كل منا لطبيعة الحرب هذه :

فلقد تعود الغزاة الصهيونيون - خلال حروبهم التهريجية السابقة - ان يخوضوها فوق ساحات وثيرة من الزهور والحرير ، هيأتها لهم مسبقا حبائل المؤامرات الامبريالية الشريرة ، فوق ما لاءمتهم بعض ظروف الواقع العربي التي كانت سائدة بالامس ، والتي يبدو انها غدت بائدة اليوم .. وهكذا ، وعبر ربع القرن المنصرم من الزمن ، فلقد تكونت لدى الصهيونيين القناعة الساذجة التالية وهي : ان اية حرب اخرى سيخوضونها في المستقبل لن تكون الا مجرد نزهة سياحية ممتعة في مناطق اخرى من ربوع الوطن العربي . الا ان ما حدث ، يوم السبت الماضي ، قد كان بالنسبة للمقاتلين الصهيونيين أشد شبها برحلة دانتي في فيعان الجحيم !! ولعل هذه المفاجأة العكسية على طول الخط ، ستغدو ، في الغد القريب ، مثالا تطبيقيا حيا لطلاب العلوم العسكرية في شتى انحاء العالم ..

لقد تصوروا ايضا ان بأيديهم سيادة الجو المطلقة ، وان أعاجيب الفانتوم - خاصة في شارع السفارات بدمشق - ستجلب لهم الحظ ، وتدني منهم قطوف النصر .. الا ان ما حدث فعلا ، على ارض الواقع ، لا في سديم الخيال ، هو ان فرسان خيول الفانتوم قد أخذوا يهجرون صهوات طائراتهم المشتعلة في الجو ، او حتى قبل ان تنفجر على الاطلاق .. هذا على حين سجل مراسل أجنبي ان اطفالنا العرب كانوا ما يزالون يلعبون كراتهم القدمية الصغيرة في شوارع دمشق ، وان طفلة صغيرة كانت تقضم كعكتها بطمأنينة تحت السماء !!

لقد استقدموا ايضا ، الى الارض المحتلة ، عشرات الصحفيين من مختلف انحاء العالم ، بغية ان ينقلوا الى الرأي العام العالمي أساطير جديدة مسلية حول ما يوصف « بجيش الدفاع الاسرائيلي » - دون كيشوت القرن العشرين - وكيف سيختتم المعركة بضربةواحدة ذات اليمين ، وبضربة اخرى ذات الشمال !! الا ان ما حدث فعلا هو ان هؤلاء الصحفيين البؤساء قد حجر عليهم ما يشبه الحجر الصحي في كرنتينا وزارة الاعلام الصهيونية بسبيل حقنهم بما ترغب الوزارة ان تحقنهم به من معلومات صبيانية ، او قد لا تجوز احيانا حتى على الصبيان .

هذه المرة فقط ، بدأ العدو الصهيوني يستيقظ على الحقيقة المجردة التالية : وهي ان الحرب هي الحرب .. وانها ليست دعابة ، وانها ليست دعاية ، وانما هي بحر من النيران ، وافق من النيران .. وان على الغزاة المعتدين ان يسددوا بين ايدينا قائمة حسابشهدائنا الابرار .

البعث

١١ تشرين الاول

تحرير النفس أولا ثم يأتي تحرير الارض

في اعتقادي ان الهزيمة الكبرى التي حلت بأمتنا العربية في حرب حزيران الاسود ، لم تقع وطأتها على ساحة العمليات العسكرية ، قدر ما انعكست آثارها على النفس العربية بأسوأ الآثار .

لقد وقع يومئذ احتلال للارض .. ولقد كان احتلالا فادحا ، فاق في اتساع رقعته ثلاثة أضعاف الشريحة الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ ، والمعروفة بقوة الامر الواقع ، « باسرائيل » .

الا ان ذلك كله كان احتلالا قائما على السطح وحسب .. وهو لم يكن ذي بال مطلقا بالقياس الى ذلك الاحتلال الآخر الرهيب الذي أخذ ، على الفور ، يستهدف أعماق النفس العربية ، بضرب روحها المعنوية في الصميم ..

ان احتلال الارض ، في ذاته ، مسألة قديمة جدا قدم تاريخ النوع البشري .. بل لقد اغتصب اليهود انفسهم فلسطيننفسها قرابة أربعمئة سنة ، ما بين القرنين الحادي عشر والسابع قبل الميلاد . ولقد دونوا في اساطيرهم منذ ذلك الزمن السحيق انهم ذبحوا اهل « اريحا » عن بكرتهم ، باستثناء الزانية « راحاب » لانها اوت الى منزلها جواسيس « يشوع بن نون » . فمذبحة دير ياسين اذن ، او مذبحة قبية ، او مذبحة كفر قاسم ، لا تنهض وحدها في الفراغ ، وانما تستمد نسغها الدموي من مذبحة اريحا قبل ثلاثة آلاف سنة !

وحتى امسنا القريب جدا ، والذي ما يزال حيا فيالذاكرة بعد ، فان الجيوش الهتلرية قد اجتاحت ، كالجراد الجائع ، رقعة القارة الاوروبية كلها تقريبا ، من امواج المحيط الاطلسي حتى مداخل موسكو فيما يشبه تنفيذ بيان عملي عسكري ، ان جاز لنا اننستعير عبارة الفريق الشاذلي في مثل هذا السياق .

ان احتلال الارض اذن ، ليس هو المؤشر الحقيقي .. وانما نفع الهزيمة فعلا باحتلال الروح المعنوية للجماهير ، عن طريق ذلك الجيش الرهيب ، اللامرئي واللامحسوس في معظم الاحيان ، ألا وهو جيش القنوط ، واليأس ، وعدم الثقة بالنفس ، مقرونا في آن معا بالتهويل في قوة العدو ، وبالتقليل من شأن مقاومته ، ما دام هو الذي انتصر على أرض العمليات .

غير ان ما حدث ظهيرة يوم السبت الماضي ، قد صحح فيما لا يتجاوز ست ساعات خاطفة ، جميع الاوهام والقناعات الخاطئة التي ظلت تعشش في بعض الاذهان طيلة ست سنوات !!

وهكذا .. ففي اعتقادي الجازم الآن اننا نخوض معركة تحرير حقيقية وظافرة .. معركة تحرير لا تقاس ، ويجب ألا تقاس ، بعدد الكيلومترات من التراب العربي التي توغلناها في كل من الجولان وسيناء .. وانما تقاس ، ويجب ان تقاس ، بحقيقة التحرير الكامل الشامل للنفس العربية من ذلك الوهم العتيق الذي يطلق عليه « جيشالدفاع الاسرائيلي » .. فها هي صورة الغول الرهيب قبالتنا تماما .. ولقد تمزق عنها القناع دفعة واحدة والى الابد .. ولقد انطلقت النفس العربية ، حرة ، جريئة ، نقية كالشمس ، من ربقة الوهم الخادع ، ومن جوف ظلام اليأس ..

ومن تحرير النفس العربية اولا .. سيكون تحرير الارض .

البعث

١٢ تشرين الاول

راشد حسين

دمشق

الحب كله يا دمشق

هذا الصباح ، كل الحب كان في دمشق
مرّ على الاسواق واشترى وردا لكل طفلة .
زيتا لكل شمعة ، وبارك العزم الذي تعيشه دمشق.
وها هو المساء جاء
والحب ما زال هنا ، يسهر في دمشق
هنا ، هنا دمشق .
تنبت في السماء طائرات ،
تهوي من السماء طائرات،
فالنار كلها هنا . كخاتم في اصبع الحبيبة
التي سميتها ، دمشق
هنا جميع الحب
هنا جميع النار
هنا الجراح كلها ، كأنها صبايا ، كأنها ثوار
هنا ، هنا النيران
هنا ، هنا المحبة
هنا ، هنا دمشق ..

* * *

يا زارعي النجوم ، والجراح ، في سيناء والجولان
بدمكم ، وحبكم تجدد الانسان عندنا .
تجدد الانسان ..

البعث ٢١ تشرين الاول

أيام دمشق

في السادس من تشرين الاول
في قلب دمشق :
ولدت ــ ثانية ــ حطين .
في اليوم السابع من تشرين ،
قصفوا أطفال دمشق
لكن .. كبر الاطفال سنين .
حتى الاشجار ،
كبرت ،
حتى الاخبار ،
كبرت ،
كبر الضوء الراعف في قلب الفارات
خجلت درجات الدور ، من الجندي القائل :
يا ليت الدور بلا درجات
لكن ، ولدت ثانية
حطين ،
في قلب دمشق
ولدت ثانية حطين ..
في اليوم الثامن جاءت تعتذر الاشجار
واعتذرت ــ خجلي ــ كل محطات الاخبار
وانفجرت ، كل الموسيقى ، كل الاضواء
ودمشق على شفتيّ ، وسادة حب
يا خير محطة حب
أعرفت ، لماذا جاءت ، تعتذر الازهار ؟..
أعرفت لماذا انفجر الصمت
أعرفت لماذا ؟..
ــ من حبك أنت .
من حب دمشق

* * *

أين الشعر ؟..
لم أكتب شيئا ، كان المدفع يكتب افضل شعر في الدنيا
يحمي الاطفال
يحمي حبا ، أو يكتب برقيات ، للدنيا ،
والتوقيع : « دمشق »

البعث ٢٦ تشرين الاول

نشيد حب الى دمشق وبور سعيد

انشد لي .. عن حب دمشق
انشد لي .. عن غضب الحق
انشد اشعار فيتنام
لحنها بكفاح الشام
انشد لي .. انشد لي ..
عن حب دمشق
صوّر أحلى .. احلى حب يولد في الجولان
صوّر أروع .. أروع جرح افطر في رمضان
قبّل جبهة بور سعيد
بشّرها بحلول العيد
بشّرها .. بالنصر الصامد في الجولان

البعث ٣١ تشرين الاول

رشاد ابو شاور

المجد للذين يقاتلون

أيها الفدائي .. أيها الجندي العربي .. أيها الضابط العربي..
أيها الطيار العربي ..
يا قائد الدبابة ..
الوطن في الذل منذ اكثر من ست سنوات .
الوطن مهان منذ اكثر من ست سنوات .
رايات الامة منكسة منذ اكثر من ست سنوات .

ولكن قبل ذلك فان اسرائيل كانت قد استولت على غالبية ارض فلسطين .. اضطهدت ، طغت وبغت .. وحطمت كبرياء هذه الامة ..

والصراع بيننا وبين اسرائيل هو صراع التقدم ضد التخلف .. صراع الخير ضد الشر .. صراع أمة موجودة ذات حضارة ضد « كيان » فاشي مجرم هو امتداد للامبريالية العالمية ...

انت يا أخي لم تواجه العدو .. كان دائما ينتصر دون معركة .. وكان الجرح يكبر في صدر كل مواطن عربي .. وأنت عانيت ـ ربما ـ اكثر ، لانك الجبهة الامامية .. لانك أيها الجندي الطيب الفقير عانيت من هزيمة لم تكن سببها ..

الآن .. الآن ، هذه هي اللحظة الحاسمة : لقد تكشفت اسرائيل رغم كل ادعاءاتها ـ بأنها نمر من ورق ـ اذا نحن صمدنا وقاتلنا .. وامسكنا على الجهد ..

ان تغيير الواقع في وطننا العربي يمكن ان يتم ويتحقق اذا نحن حققنا الانتصار على صنيعة الامبريالية .. ورأس رمحها المغروس في قلب وطننا العربي ..

لا ايقاف للقتال . لاننا اذا توقفنا سنندم كثيرا ..

القتال سيتوقف عند الانتصار .. حين نحطم الآلة العسكرية الصهيونية المتغطرسة ..

فليتوقف القتال ، ولكن عند تحرير كل الارض ..

ان هزم اسرائيل على جبهات القتال سيعني انهيارها .. صحيح ان اميركا يمكن ان تتدخل .. ولكن ـ رغم كل شيء ـ فان اميركا ليست وحدها في هذا الكون .. ان لنا أصدقاء سيقفون معنا ..

ثم اننا سنعتمد على انفسنا أولا :

سنعتمد على رجولة وشجاعة ابناء هذه الامة .

سنعتمد على كبريائنا الوطني .

هذه هي اسرائيل ، انها الآن تصرخ وتتلوى .. انها قوية .. ولكن سم الافعى الذي في داخلها لن يصل هذه المرة الى جسد الامة ، فيشله ويوصله الى حافة الموت .

ضرب اسرائيل على رأسها المتغطرس ..

ضرب اسرائيل في القلب ..

تحطيم هذا الكيان هو واجبنا جميعا .

نحن أصحاب المصلحة في حرية الوطن وكرامته وشرفه ..

الفدائيون بأسلحة بسيطة واجهوا الجيش الصهيوني المدجج بالسلاح في معركة الكرامة .. ومرغوا عنجهية دايان في رمال الكرامة ..

الفدائيون تمكنوا من ابقاء حالة الحرب قائمة .

الآن ، أيها الجندي العربي في الجولان .. وسيناء .. وأنت تتقدم .. تذكر : الاطفال الذين أحرقوا في مدرسة بحر البقر . العمال الذين صهرت أجسادهم في معمل (ابو زعبل) .

تذكر المذابح في دير ياسين ، في كفر قاسم .. في (قبيه) ، في (نحالين) .. على أرض فلسطين ومصر وسورية ..

تذكر اهلك وهم يهربون امام النيران الصهيونية الهمجية ..

تذكر رفاقك في السلاح الذين ماتوا عطشا في سيناء .. الذين صوروهم والوحوش والطيور تأكل جثثهم الطاهرة ..

تذكر مدن السويس والجولان وفلسطين واضرب .. اضرب .. لانك تضرب أيضا تحدي اميركا لامتنا ..

اصنع راية امتك من لحم وشرايين ودم الشهداء ..

ارفع رايتك على صارية من عظام الشهداء ..

كحل رايتك بسواد عيون الابطال الذين اغمضوا عيونهم على صورة الوطن ثم تمددوا على التراب وقد نزف دمهم النبيل ..

اصنع انتصارك باسم كبرياء الامة العربية ..

باسم الفقراء .. ولا تتوقف .. فالتوقف في منتصف الطريق هو اعطاء الفرصة لاسرائيل لتعود وتضرب ..

باسم الاطفال والامهات .. باسم الاجيال الآتية حطم هذا (الكيان) العدواني المجرم .

وأنت أيها الفدائي الفلسطيني ،

يا من تحاربت منذ عام ١٩٦٥ .

لقد جاء رفاقك في السلاح .. هذا أوان تدمير امدادات العدو ومواصلاتـه ..

انتقم لشهداء فردان ..
انتقم لشهداء غزة ..
انتقم لشهداء جنوب لبنان ..

واتجه ـ كما كنت دائما ـ لتطهير أرضك من ألد أعـــداء الانسانية .. ومن اكثر خطر يواجهه شعبك ..

يا من تصنعون مصير أمتكم وسط تلال النار ..

يا من تحلقون في الجو وتطلون على يافا وحيفا وتعبرون سمـاء سيناء .. لكم المجد .

يا من تسعرون النار .. نار التحرير المقدسة في جنـــوبي لبنان .. انتم يا من تلفون كوفياتكم على رؤوسكم ..

انتم يا من نجمدت اطرافكم في شتاءات جنـــوب لبنان وجبل الشيخ .. أنتم يا من لم تتوقفوا منذ ١٩٦٥ وحتى الآن .. عـــن القتـــال ..

يا جنود هـــذه الامة .. يا من صنعتم ملحمة الكرامـــة .. لا تراجع .. لا توقف .. لا خوف من انذارات اميركا ..

لنكن مع أنفسنا ومع أمتنا ومع مصيرنا .. يكن العالم معنا .. المجد للذين يحملون السلاح لتحرير الوطن .

الى الامام
١٢ تشرين الاول

علينا أن نتعلم الحكمة من النار

النار حين تتوقف فانها تنتهي .
والحقيقة كالنار : تطهر ، وتضيء .
والوقوف في منتصف الطريق يعني الانكفاء .

علينا ان نتذكر تلك (الهدنة) التي حدثت في فلسطين .. والتي ندفع الآن ثمنها .

ان المواطن العربي في سورية ومصر وفلسطين لا يذهب الـى الحرب كي يثبت لنفسه انه انسان .. أو انه موجود في هــــذا العالم .. انه لا يمارس القتال للقتال ، كما يصور بعض السياسيين في العالم ، لا .

ان أمة تستيقظ .. فمنذ عصور الانحطاط وحتى اليوم السادس من هذا الشهر عام ١٩٧٣ ، والمواطن العربي يعيش التخلف والقهر .. والمواطن العربي يحيا حالة (عزلة) عن التاريخ والحضارة ..
والآن ، ماذا يحدث ؟

انهم يتدفقون الآن على تلال وهضاب الجولان .

انهم يحرقون رمال سيناء ، ويحيلون صخرتها الميتة بدمائهــم الى شفف يتفجر نورا .. انه فجر الفقراء . مئات الالوف مـــن الجنود البسطاء البواسل جاءوا من سورية ومصر والعراق وفلسطين والمغرب والجزائر .. فماذا يريدون يا ترى ؟

هل انهم حضروا الى النار كي يثبتوا لانفسهم وللعالم القـدرة على الاحتراق بتلك النار ؟

ان صورة الـــواقع العربي الراكدة قد بدأت ـ أقول بدأت ـ في الانقشاع ... ففي النار ، الواضحة الكاوية ، نظمت الجمـاهير طاقاتها ببسالة واصرار ووعي .. وهي ـ حتما ـ تعرف ما تريد .. والا فهل ما يحدث هو مجرد عملية عفوية اعتباطية ؟
الايام الآتية ستجيب .
الصمود وسط الحريق سيجيب .
عدم الوقوف في منتصف الدرب سيجيب .
مغادرة زمن اللاحرب واللاسلم ..
رفض الحلول الجزئية والوسط .. يجيب الآن ..

ما هو تفسيركم للبطولات المذهلة التي تحدث الآن على الجبهتين..
في الايام الاربعة الماضية ألقت اسرائيل بثقلها على الجبهة السورية لانهاكها .. اسرائيل ما زالت تفكر عسكريا .. فهل المعركة عسكريـة محضة .. أم ان ما يحدث على الجبهات هو اللحظة التاريخية الحادة التي تلتحم بها الامة العربية لمغادرة زمن الانحطاط .
عسكريا نستطيع ان نقاتل طويلا ما دمنا نؤمن بأنفسنا وبحقوقنـا الكاملة .. الكاملـة .. ما دمنا نؤمن بالجماهير ، بالبسطاء الذيـن يصمدون الآن في الجبهة .. وفي المدن .

الذي رأى دمشق الصامدة في الايام الماضية يفهم تماما ما أعني. الناس يصمدون لانهم على ثقة بأن هذه اللحظة التاريخية مؤاتية .. ويعرفون ان ثمنها كبير ، وهائل .. ولكنهم يعرفون ـ بالمقـابل ـ ان التقاعد يعني النهاية .. الكارثة لاستمرارية الامة .. وقفزها الى هذا العصر .
قلت : النار حين تتوقف تموت .
لا يجب ان تتوقف ..
لان التوقف لا يعني سوى أمر واحد .. العودة الى الوراء ..
والذين تضرب ـ الآن ـ أقـــدامهم الارض بقوة لن يعـــودوا الى الوراء ..

ان العودة الى الوراء : تعني التخلف .. التمزق .. تعنـي انتصار عصور الظلام الى أعوام طويلة ، وقد تكون طويلة جدا .. وستكلف مئات الالوف .. وربما ملايين البشر من ابناء أمتنـا .. في المستقبل البعيد ..

الآن تسقط سمعة اسرائيل العسكرية الاستعلائية النازيـة .. بفضل نار الثوار والجنود ، والآن تسقط الدبلوماسية الصهيونيـة في افريقيا . فأثناء القتال قطعت خمس دول افريقية جديدة علاقتهـا باسرائيل ـ بالاضافة للدول التسع التي قطعت علاقاتها سابقا .
الآن .. حتى أوروبا الغربية لا تلتزم تماما مع اسرائيل ..
واعلام العدو مهزوز .. وغير مقنع ..
الآن أعلن وزير خارجية فرنسا في تعليقه على الحرب الدائرة في بلادنا : أناس يريدون العودة الى بيوتهم .
الآن نحن امام اللحظة التاريخية النادرة ، فاما الى الامام .. حتى النصر .. حتى تدمير قوة اسرائيل وفرض (الحـل العربي) عليها .. واما القبول ـ في لحظة ما ـ بالحل الذي لا يعطينا سوى الوقوف في منتصف الطريق ..
وماذا بعد ؟
أمتنا امام اللحظة التاريخية الهائلة ، وعلى كل واحد ان يسهم بدوره .. من أجل تجاوز المنعطف المؤدي الى مستقبل عربـي .. عظيـم .
فلنلتحم بالنار .. ولنتعلم منها الحكمة .

٢٦ تشرين الاول
الى الامام

مشاعر صاخبة .. لحظة ان ساد الصمت

عندنا مثل فلسطيني يصف حالة الذهول الشديد والاندهاش ، لا أجد أنسب منه لوصف الوضع النفسي للناس . يقول المثل في وصف تلك الحالة : « وكأن الواحد منهم باخه عليه حية » . يعني كأن افعى بصقت سمها في وجوه الناس ففاجأتهم وشلت حواسهم .

بات الناس لم يفقدوا الامل في مواصلة القتال ، وهم يعلنون بأن جيوشنا ما زالت بخير .. وبأننا لم نبدأ الحرب فعلا وكما يجب .. وبأن مدننا لم تدمر .. وان روحنا المعنوية تزداد تألقا يوما اثر يوم .

فما الذي حدث ولماذا ؟!

ان الناس يعرفون ان الحرب هي الحرب . والحرب يعني سنأتي بالدمار والحرائق والموت والتقدم والتراجع .. ولكن الناس يدركون ويعرفون ان المستقبل العربي كله رهن بصلابتنا في هذه المرحلة ..

لقد سمعت اكثر من شخص يعلق : ولكننا نعرف منذ البداية ان اميركا مع « اسرائيل » .. وان الدعم سينهال عليها .. ولكن أمتنا بدأت تستيقظ مع ضربات أقدام الجيوش والثوار في سورية ومصر وفلسطين .. وكي لا أكتب مشاعري الفلسطينية درت في الشوارع فرأيت العيون حزينة .. رغم ان العيد آت . كان العيد الحقيقي هو سقوط عشرات الطائرات في سماء دمشق الصديقة الجليلة ..

صدقا لم أكن أشعر ان الصواريخ هي التي تسقط الفانتوم والميراج .. كنت أشعر وكأن يد (قاسيون) الهائلة تمتد ملتهبة فتحرق تلك الطيور الغريبة ..

والآن : كل شيء صامت وهادىء .. ان الناس يشعرون اننا وقفنا في منتصف الطريق .. انتصرنا على الخوف ! صحيح . ولكننا لم ننتصر الانتصار العربي المطلوب .. الناس لا يفهمون ما هذا الذي يحدث حولهم .

ان كل تبجحات العدو ومحاولة العربدة في التصريحات واذاعتها بعد ان كانت منهارة في الايام الاولى وحتى وقف القتال ، جعلت الناس يتحدثون عن (لعبة) « اسرائيل » واميركا للحصول على هدنة تمهيدا للانقضاض على الجيوش العربية ..

●

ماذا أكتب ؟

هل من السهل ان أصف لكم مشاعر انسان كان عطشا ثم ربط في حبل وأنزل الى بئر لينضح الماء فترك في منتصف الطريق .. لا هو خارج البئر ولا هو قد وصل الى الماء ؟..

العيد يأتي ميتا .

ولكن دمشق حية ومهيبة وصمتها وقود ، وقاسيون الجليل يرقب بحكمة وقسوة ما يحدث كأن الناس يقولون : ايها السادة ، لا تضعونا على تخوم حزيران .. الامة تستيقظ بطريقة لم تحدث من مئات السنين .. فأفسحوا امامها الطريق لكل يقظتها .. افتحوا لها الابواب ولا تغمضوا عينيها .

وعلى كل فعيد الامة الحقيقي لن يموت .. ولن يطفأ ..

صحيح ان الاطفال (بطلوا) اللعب في الحارات .. وكأنهم يضربون عن الفرح .. وصحيح ان السماء هادئة .. والسكون يبدو عميقا .. ولكن ـ الاحساس الشامل ـ هو ان الانفجار لا بد آت .. فالعدو .. العدو .. لا يريد السلام . بل يريد هدنة .

فلسطين الثورة
٣١ تشرين الاول

عصام ترشحاني

بوابة العودة

أتيناك ..
وفي أجفاننا صبوة
سقيناها ..
حريق الرفض ..
فأورق فرعها جذوة
عصرنا الضوء والبسمة
وأوغلنا ..
صحارانا بكت من شدة الفرحة
تلقتنا برمش القلب والاهداب
بكل حرارة المشتاق للاحباب
خضنا الرمل
قبَّلناه
فتح بعدنا وردة .
تسربنا
وعين الليل ترقبنا
بلا أصوات
ورغم قتامة الظلمات
زرعنا عمرنا طلقة
تخطينا انهدام الموت والنيران
وتحت سنابك الفرسان
حنت قاماتها اللعنة
تلاشت تحت ناب الوعد ..
وغيبها اصفرار الموت
بين أصابع النقمة
. . . . . .
وعند مزارع الاشواق
ما بين انسكاب النار كالامطار
تبوح الارض بالكلمات والاسرار
ويزهر موسم الاحزان
في أحضان رحلتنا
يمد لنا بساط النصر
تركبه أمانينا
الى بوابة العودة

الثورة
٢٩ تشرين الاول

الجزائر

عبد الله ركيبي

مسؤولية المثقف العربي .. ومعركة المصير

نظرا لما تتعرض له الامة العربية من عدوان لا مثيل له في التاريخ ، ونظرا لموقف مجلس الثورة المشرف تجاه الاحداث القائمة في المشرق العربي ، ونظرا للمسؤولية الجسيمة التي يتحملها ابناء الامة العربية وفي المقدمة المثقفون ، ونظرا للبطولة التي أبداها المكافحون منذ اندلاع هذه المعركة التي ستكون الفيصل الحقيقي بين تاريخين للامة العربية ، نظرا لهذا كله فان لجنة الثقافة والفكر التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني أصدرت البيان التالي :

في هذه المرحلة الحاسمة التي تمر بها الامة العربية ، وتخوض فيها الجيوش العربية معركة الشرف والكرامة على جبهات القتال وهي معركة مصيرية بالنسبة لمستقبل الشعب العربي كله ، في هذا الظرف الحرج من تاريخ امتنا العربية الذي تشن فيه اسرائيل حربا عدوانية استعمارية على أجزاء البلاد العربية تؤيدها في ذلك القوى الاستعمارية الامبريالية العالمية ، وفي هذه الايام التي يكافح فيها الفلسطينيون بشجاعة ، واستبسال ، ويضحون بالدم والروح من اجل الكرامة ، واسترداد الارض المغتصبة ..

في هذا الوقت يتحتم على المثقفين الجزائريين وعلى المفكرين العرب أينما كانوا وفي أية بقعة من الارض يوجدون عليها ، يتحتم عليهم ان ينهضوا بالدور الخطير الذي يمليه الواجب القومي وتفرضه مسؤولياتهم بوصفهم من القوى الحية في البلاد وذلك بتوعية الجماهير العربية ومساندة القادة المخلصين من الزعماء العرب والوقوف صفا واحدا امام التهديد الصهيوني ورفضه بشتى السبل وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لاولئك الذين يصطلون بنار الحرب ويسقطون شهداء على ارض الكفاح العربي في جبهات القتال وعلى خطوط النار ، وان يعلنوا عن ارادتهم وتصميمهم على تأييد امتهم في صراعها الشاق والمظفر ضد قوى العدوان والقهر وأعداء الانسان وان يضيئوا الطريق بالكلمة الشجاعة الصادقة المخلصة وان يحذروا الجماهير من التضليل والدعاية المغرضة التي تقصد الفت في مساعد الوحدة وتحاول بلبلة الافكار وتحطيم معنويات الافراد والجماعات وان يكونوا واعين لدورهم وواجبهم ، ولسموم الاعداء ويبرهنوا على نظرتهم الواسعة الواعية المدركة للواقع الذي نعيشه في هذه الآونة الراهنة التي تتطلب يقظة مستمرة وتفكيرا عاقلا وارادة صلبة شجاعة .

ونحن اعضاء لجنة الفكر والثقافة التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري نعلن مساندتنا القوية لمجلس الثورة والحكومة بقيادة الرئيس هواري بومدين في الموقف الصريح الواضح الفعال من اجل نصرة اخواننا العرب ، وهو موقف يتماشى مع التقاليد الوطنية لشعبنا ويجسد الاحساس العربي ، ويعبر عن مشاعر الشعب الجزائري وأعماقه الصادقة وارادته في مساندة الاحرار أينما كانوا ، فما بالك بالاحرار في وطننا العربي الذين يكافحون من اجل الكرامة العربية ومن اجل الحرية والعدالة الاجتماعية .

لقد كان قرار مجلس الثورة والحكومة هو قرار الشعب الجزائري وموقفه الراسخ ، تجاه الذين يريدون العيش في سلام وحرية ، وهو في هذا يستجيب لدواعي العزة العربية التي عرفبها شعبنا وجسمها في نضاله الطويل من اجل التحرر ورفض السيطرة الاستعمارية ، كما يبرز هذا الموقف خصال شعبنا التي رسختجذورها على مر التاريخ واتضحت من خلال تعلق شعبنا بالمثل العليا ، التي كافح من اجلها اجدادنا وناضلوا من اجل قيم الخير والجهاد في سبيل الحق .

ان اعضاء لجنة الفكر والثقافة يؤيدون قرار مجلس الثورة والحكومة وموقفه المشرف بقيادة الرئيس هواري بومدين ويقفون الى جانب المناضلين من ابناء الامة العربية ويطالبون المثقفين الجزائريين بالتجند وراء قيادتنا الثورية والاعلان عن الاستعداد للبذل والتضحية بالفعل لا بالقول ، والعمل على توحيد الرأي العام وراء ابطالنا الشجعان ، كما نطالب المثقفين العرب بتوحيد الصفوف وراء الجنود والضباط الفدائيين الذين رفعوا لواء الحرية والعروبة عاليا خفاقا.

ان اعضاء لجنة الفكر والثقافة يرفعون من هنا ، من ارض المليون شهيد ، تحية اعجاب واكبار للذين يستشهدون لنبقى ، ويموتون لنعيش كراما في أرضنا العربية ، ويحيون اولئك الذين يقاتلون من اجل مجد الانسان العربي وتاريخه الخالد العريق ، كما يحيون قوى التحرر من ابناء افريقيا الذين اظهروا تعاطفا معالقضية العربية وتأييدا للحق والعدل .

ويحيون ايضا مواقف الاصدقاء في العالم الذين رفضوا العدوان الصهيوني الظالم على البلاد العربية ، كما يدينون ويندّدون بتلك الاصوات التي ترسل على أمواج الهواء وتلك الاقلام المأجورة التي تغتال الكلمة الشريفة وتخدم الصهيونية وتصدر في ذلك عن نفوس فقدت الشعور بالانسانية ، ووضعت ضمائرها لخدمة الظلم والطغيان .

ان التاريخ يسجل ولن يرحم أولئك الذين تقاعسوا عن نصرة الحق والخير والحرية وأيدوا الشر والعنصرية ، ولكنه يسجل ايضا الخلود للذين أيدوا العدل وناصروا وضحوا من أجله وبرهنوا على ايمانهم بمستقبل الانسان وحقه في ان يعيش حرا كريما في ارضه في أية بقعة من العالم .

عن لجنة الفكر والثقافة بحزب
جبهة التحرير الوطني الجزائري
عبد الله ركيبي

الشعب
١٣ تشرين الاول

سعد زهران

حديث عن المقاتلين

في هذه الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة أخذت القيادة العربية زمام المبادرة لاول مرة .

ونحب هنا ان نؤكد ان العدو الصهيوني لم يكن يتوقع ، قياسا على ما سبق ، ان ترد القيادة العربية عدوانه يوم ٦ اكتوبر بضربات صاعقة . كان يتصور ان عدوانه في ذلك اليوم لن يعدو ان يكون حلقة في سلسلة حملاته الانتقامية التي تعود على شنها على البلاد العربية دون ان تواجه ـ في اقصى الاحتمالات ـ الا بردود دفاعية، جزئية ومؤقتة . كان العدو يتصور انه سيفرض ، مرة اخرى ، معركة خارج الارض التي يحتلها ، تستغلها ابواق الاستعمار لتأكيد خرافة المناعة الصهيونية التي لا تقهر .

وقد اغرى العدو الصيوني بالاستسلام لهذا الوهم ان الجبهة المصريةطال صمتها وصبرها . ما كان ليتصور ان مصر حين تخرج عن صمتها هذه المرة سترد بلغة مختلفة . ما كان ليصور ان القيادة المصرية قادرة على ان ترد على العدوان بانتزاع زمام المبادرة تماما . كان العدو قد وقع فريسة للحرب النفسيةالتي يشنها هو منذ سنوات طويلة ، والتي تصوره قادرا على العدوان دائما ، قادرا على تحقيق اهداف العدوان دائما .

ووقع العدو الصهيوني فريسة للحرب النفسية التي يشنها هو ايضا حين تصور ان التهديد والابتزاز الذي تمارسه قوى الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، قادر على ان يشل يد القوات المسلحة العربية عن خوض المعارك الفاصلة معوقات العدوان والاحتلال الصهيوني الى اجل غير مسمى .

كم من الاوهام التي انفق العدو وسادته السنوات في زرعها تبددت في الايام الاولى لهذه الحرب ؟

ـ لقد ثبت ان الجيوش العربية قادرة على ان تخوض ، بنجاح ، المعارك الفاصلة مع قوات الغزو والعدوان ، على الرغم من التهديد والابتزاز الاميركي

ـ وثبت ان مناعة العدو الصهيوني خرافة رخيصة .

وثبت ، وهذا هو الاهم ، ان القيادة العربية ليست قادرة فقط على الرد على العدوان بمواقف دفاعية وجزئية ، وانما بانتزاعزمام المبادرة ، والانتقال من الدفاع الى الهجوم ، والى نقل ميدان المعركة الى الارض التي يحتلها العدو والاجواء والمياه التي يعتبرها تحت سيطرته .

ونؤكد مرة اخرى ان انتزاع زمام المبادرة هو الميزة الكبرى في يد القيادة العربية للحرب الحالية ، تميزها عن الوضعية التي كانت عليها اية قيادة عربية في الحروب السابقة .. وهي ميزة نتمنى من كل قلوبنا ، وندعو الله ، ان تظل دائما بيد القيادة العربية .

فما هي اهم الميزات التي يتميز بها المقاتل العربي في هذه الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، والتي لم يكن يتميز بها في حرب عام ١٩٦٧ خاصة ؟

اولا : لقد اصبح المقاتل العربي اليوم متحررا من كثير من الاوهام التي كانت تحد منقدرتهالقتالية.كانتالدعايةالخاطفة تصور، قبلهجوان ١٩٦٧ ، ان المعركة مع العدو اقرب الى ان تكون نزهة عسكرية . اما اليوم ، فان المقاتل العربي يعي تماما معنى الحرب مع عدو غادر شرس ، مسمم بالتعصب العنصري ، مدرب كاداة للغزو والعدوان مدعم بمساندة اميركا ، مدجج باسلحتها . وكم بذل المقاتلون العرب من دم وتضحية ، وكم خاضوا من معارك مريرة ، ليحل الوعي الصعب بالحقيقة محل التعلق بالاوهام السهلة !

ومن مشيئة الاقدار ، ان تتسرب الاوهام الى نفسية الغزاة الصهيونيين ، الذين اعماهم الغرور من كثرة ما استخدموا فيحملات الغزو والاغتصاب . وفي حملات كان الدور الاساسيفيها للمؤامرات الدولية والقوى الامبريالية ، وليس للشجاعة او كفاءة مزعومة في مقاتلين جمعوا من شتات الارض ممن لفظتهم الامم الشعوب. وليس ادل على ان الاوهام قد اخذت ترسخ في وجدان الغزاة مما نقلته وكالات الانباء عن سكان تل ابيب ، وغيرها من مدن العدو ومستعمراته ، في اليوم الاول للقتال كانوا يتجمعون حول اجهزة الراديو التي تذيع نشرة خاصة كل نصف ساعة ، يستعجلون الزمن للاستماع الى ما كانت تمنيه بهم اكاذيب قيادتهم من العودة بسرعة الى ضفاف القناة مرة اخرى ـ ثم اجتيازها !!

الا فليختنقوا بغيظهم ، وليهلكوا بكمدهم .

وليحفظ الله على مقاتلينا سلامة وعيهم وصفاء اذهانهم وصلابة عودهم .

ثانيا : اصبح المقاتل العربي اليوم اكثر ادراكا للمسئولية ، اعني المسئولية القتالية .

وفي جبهة مشتعلة ، كثيرة المتغيرات ، ما احوج الوطن الى مثل هذا الادراك للمسئولية القتالية ، يعني ان كل مقاتل يشعر ان مصير الوطن كله متعلق بالطلقة التي يصوبها الى قلب هدف العدو . وتعني المسئولية القتالية ان المبدأ الاساسي حين يعزل المقاتل او يفقد الصلة بالقيادة في جبهة ملتهبة ، ان يظل يقاتل الى اخر طلقة ، والى اخر قطرة من دمه .

ان مقاتلينا اليوم ، بعد كل مرارة السنوات الست الماضية، مصممون على ان يقاتلوا دائما ووجههم دائما الى الامام .ولن تثنيهم عن روح الاستشهاد والاستماتة اية مفاجآت طارئة على ارض بجبهة ملتهبة كثيرة المتغيرات . ان الغزاة في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة يواجهون انسانا عربيا بعث من جديد بقوة من يعرف انه لن يفقد شيئا الا الاغلال .

ثالثا : اصبح المقاتل العربي ، في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، اكثر معرفة بالسلاح الحديث .

فاغلبية المقاتلين على خط النار سبق ان خاضوا مع العدو حربا او اكثر من حرب . أن كل انواع الاسلحة التي اخترعتها قوى الحرب والعدوان (باستثناء الاسلحة النووية فحسب) قد خبرها المقاتل العربي في سلسلة حروب العدوان التي يشنها علينا الاستعمار وكلابه كل بضع سنوات منذ ١٩٤٨ . وقد نمت اشكال من (الالفة) بين مقاتلينا وبين القنابل زنة الف رطل ، والنابالم ورصاص دمدم ، والالغام ، والصواريخ جو ـ ارض ، وارض ـ ارض ،وبحر ارض ـ ، والدبابات والمصفحات ، والمجنزرات وانصاف المجنزرات ـ وهذه الالفة بين المقاتل وانواع السلاح ضرورية لان يقتحم المقاتل ميدان الحرب بروح عالية ويد ثابتة .

وقد اصبح مقاتلونا يعرفون كيف يستخدمون كل انواع الاسلحة الا تلك التي يستبيح العدو استخدامها لانها محرمة دوليا ـ مثل رصاص دم دم ،بل واصبحوا يجيدون استخدام انواع لا يعرفهاالعدو، وهي اسلحة حصلنا عليها من اصدقائنا ولم يتوصل العدو الى اسرارها بعد ، مثل صواريخ (سام ٣) التي تساعد على تساقط طائرات العدو التي ملأوا الدنيا دعايات عن مناعتها ، كما تتساقط الفراشات في النيران . لقد تمت الفة من نوع اخر بين المقاتلين العرب وسلاحهم ، وهي الفة حميمة تكسب المقاتل روحا عالية وثقة من نوع خاص .

تحضرني قصة رواها لي احد المقاتلين اثناء حرب الاستنزاف على قناة السويس (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) تلخص هذه الالفة مع الخطر الذي تمثله اسلحة العدو ، وتلك الالفة بين المقاتل وسلاحه هو ، حدث ذلك في احدى الليالي التي عبرت فيها وحدات منقوات « الكوماندوس » المصرية الى الجانب الاخر ، حيث دمروا بعض منشآت العدو ونصبوا كمينا لبعض قواته . وقد استدعى العدو عشرات من اسراب « الفانتوم » لتمطر الجبهة بمئات من القنابل

زنة الف رطل . وفي تلك الليلة اوقعت قوات الكوماندوس خسائر معتبرة بقوات العدو ، وعادت الا اثنان فقط ، استشهدا بان القيا بجسميهما على لغمين ليمر عليهما زملاؤهما الى خطوط العدو . ولم تصب مئات القنابل اصابات مباشرة الا خمسة مقاتلين فحسب على الجانب المصري ، بينما طاشت كلها تقريبا بسبب تدرب المقاتلين المصريين على تلافي المواقع والاوضاع الخطرة ... في تلك الاثناء ، كانت بعض القنابل والقذائف تتساقط في مياه القناة ، فكانت تصيب اسماك القناة بالدوار فتطفو على السطح وهي في حال بين الحياة والموت .

وبعد ان هدأ تبادل اطلاق المدفعية من الجانبين ، وارتدت موجات الفانتوم ، وشعر كثير من المقاتلين المصريين انهم اصبحوا (بلا عمل) موقتا ، كانوا يزحفون الى القناة ليسحبوا بعض الاسماك الكبيرة (وقد كبرت اسماك القناة خلال هذه السنوات) لينعموا بعد ذلك باكلات شهية من الاسماك الطازجة .

وكم ضحك المقاتلون في اليوم التالي حين استمعوا الى اذاعة العدو التي ذكرت ان « المصريين ظلوا طوال الليل يسحبون جثث ضحاياهم الطافية على سطح مياه القناة بعد انتهاء الالتحام !! »

رابعا : اصبح المقاتل العربي اكثر ادراكا للدور الهمجي للغزو الصهيوني . فهؤلاء المقاتلون الذين شهدوا حربا او اكثر من حرب مع العدو ، رأوا عشرات القرى التي دمرها المعتدون ، والاف الابرياء الذين قتلوا ، وعشرات الالوف من مواطنيهم الذين انتزعوا من ارض الاباء والاجداد ليفسحوا المجال امام شراذم مأجورة مستجلبة من نفايات الامم . لقد عرف المقاتل العربي ، بعد تجارب دموية لاكثر من جيل ، معنى الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، معنى العنصرية الفاشية .. عرفها من ذكريات جثث رفاق له تناثرت اشلاؤهم حوله على رمال سيناء وعلى مرتفعات الجولان وفي بيارات غزة والجليل ... وعرفها من ذكريات قوافل المهاجرين المشردين يهيمون على وجوههم في البرية يحملون شيوخهم واطفالهم وطائرات العدو تنقض عليهم وتحصد منهم من تستطيع حصده بالقذائف والصواريخ .. وعرفها في مخيمات اللاجئين التي يلفها الجوع والبرد والظلام ـ الا شعلة من حقد وامل تضيء نفوسا وصلت الى حدود اليأس القادر على تفجير الارض والسماء .

خلال حرب او اكثر من حرب خاضها المقاتلون العرب ، بقدر ما تتزايد الفتهم مع الخطر واستهانتهم بالموت ، بقدر ما تتزايد الفتهم مع اسلحتهم ، يطلق طلقة او يطعن طعنة تطهر الارض الصهيونية ، بقدر ما يتوق كل واحد فيهم الى اليوم الذي يستطيع فيه ان يطلق طلقة او يطعن طعنة تطهر الارض العربية من الغزاة ... ان المقاتل العربي اصبح اكثر ادراكا لدوره في انزال القصاص العادل بالعنصريين الفاشيين المجرمين .

خامسا : اصبح المقاتل العربي اليوم ارفع في مستواه الثقافي العصري مما كان في اية حرب سابقة .

لقد دخل ذوو المؤهلات العالية والمتوسطة القوات المسلحة العربية ـ منذ ١٩٦٧ ـ بمئات الالوف . وعلى جبهات القتال ، في الخنادق والمخيمات ، وفي مواجهة الخطر في حرب الاستنزاف وبعدها ـ تنهار الفوارق الاجتماعية بين المقاتلين . ينشف عود المؤهلين من ابناء الطبقة المتوسطة ، بينما يرتفع المستوى التعليمي والثقافي العام لاخوانهم ابناء الفلاحين والعمال والطبقات الشعبية ، ويتخلق المقاتل العربي ، الذي يجمع بين صلابة العود واتساع الافاق ، القادر على استخدام السلاح الحديث مع الحياة الخشنة على الكفاف . هؤلاء هم شباب العرب الذين يسطرون اليوم صفحات مضيئة من تاريخنا بدمائهم الزكية ، وفيهم تتخلق سمات مواطن المستقبل ، الذي ينتزع مصيره متسلحا بالعلم ، وبالمثل الرفيعة لشعب اصيل .

سادسا : اصبح المقاتل العربي اليوم اكثر ادراكا لحقائق المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها بلاده ، واقدر على الربط بينها وبين قضية التحرر العربي .

فشعب مثل شعب مصر ، يعيش غالبية سكانه على الكفاف ، ويتطلع الى التخلص من التركة الاستعمارية التي هي الفقر والتخلف ، ويبذل جهودا مضنية دؤوبة لبناء اقتصاد عصري قادر على مواجهة التحديات ـ هذا الشعب يقتطع من قوته الضروري لكل عام مبالغ طائلة تقترب من مليار جنيه (اي ما يزيد على عشرة مليارات من الدينارات) لمواجهة اعباء النفقات العسكرية اللازمة للصمود امام كابوس العدوان الصهيوني الامبريالي الجاثم في اراضيه .

صحيح ان هذه الارقام الفلكية التي تقاس بالملايين والمليارات يصعب على المواطن العادي تصورها او تقديرها ، ولكنه يلمس اثرها المرهق في الغلاء المتصاعد ، وفي الازمات التي لا تنتهي في المواد التموينية ، وفي تعثر المشروعات العمرانية وتفاقم مشكلات السكنى والمواصلات في المدن وفي انكماش فرص التعليم والعمل .. وفي الف وجه من وجوه الحياة اليومية التي ينوء بها كاهل الناس ويشعرون بفداحتها ، ليس فقط في ادنى السلم الاجتماعي وانما ايضا بين المراتب الاجتماعية المتوسطة .

ان المقاتلين هم ابناء الشعب الذين اضيروا في قوتهم اليومي وهددوا في مستقبلهم بسبب الاستنزاف المستمر لمواردهم ، بفعل الضغوط الاقتصادية للامبريالية والضغط العسكري لكلب حراستهم الصهيوني . ولا توجد قوة قادرة على طمس مسؤولية الامبريالية والصهيونية فيما تدفع اليه الحياة الاقتصادية في دول المواجهة ، وما يترتب عليها من ضغوط اجتماعية . وبقدر ما يزداد احساس الشعب بفداحة اعباء الحياة ، بقدر ما تزداد كراهيته للامبريالية وتتراكم احقاده على كلاب حراستها الغزاة الصهيونيين . وليس مثل لحظات الالتحام في قتال مباشر مع العدو فرصة لطعن جسم الوحش الامبريالي الصهيوني المسؤول الاصلي عن كل ما تعانيه الشعوب من فاقة وتخلف ، فضلا عما تعانيه بلادنا من تعد على حرماتها ، واحتلال لاراضيها ، وامتهان لكرامتها .

ان الامبرياليين وكلاب حراستهم الصهيونيين يخطئون اذا تصوروا ان الامعان في افقار الشعوب واثقال كاهلها بأعباء الخبز اليومي يمكن ان يقتل معنويات هذه الشعوب او يحملها على الاستسلام . والصلابة والتصميم التي يقاتل بها الجنود العرب في جبهات القتال اليوم هي الدليل على صحة ما نقول ، وهي الدليل على ان حسابات الامبرياليين والصهيونيين خاطئة ، بقدر ما هي همجية ولا انسانية .

سابعا : اصبح المقاتل العربي اليوم اكثر ادراكا للحقائق السياسية ، واكثر ادراكا لدوره في تحديد مسارها .

واهم حقيقة سياسية ادركها المقاتلون العرب هي ان العدو الصهيوني ذو طبيعة عدوانية توسعية لا يرجى لها صلاح ، ولا خلاص من عدوانه الا بتدمير قوته . فالقوة هي اللغة الوحيدة التي يعرفها الغزاة الهمجيون .

وعلى الرغم من كثرة الحديث عن الحلول السلمية ، وعلى الرغم من استمرار حالة « اللاسلم واللاحرب » سنوات طويلة ، فان ذلك ـ بحمد الله ـ لم ينل من معنويات المقاتلين ، ولم يزحزحهم عن اقتناعهم الراسخ بان المعركة مع المعتدين الغزاة لا ريب فيها ، وان النتيجة النهائية لن تتوقف على براعة المفاوضين او مناورات السياسيين ، وانما هي قدرة المقاتلين على الصمود وخوض المعارك .

وفي هذا المقام ، لا يسعنا الا ان نشيد بالروح العالية للشعب العربي اينما كان ، ومن مختلف المراتب الاجتماعية . فطوال السنوات الست الماضية كان الصوت الاعلى هو صوت المعركة . وعزل دعاة الهزيمة وخفتت اصواتهم امام هدير طلاب الجامعات الذين لم يهدأوا يوما ، ومظاهرات الجماهير ، ودعوات القيادات الواعية الشجاعة ، واصرار الفدائيين ، ومؤلفات الكتاب والمفكرين ، وابداع الفنانين ، ودعوات الامهات لابنائهم على خط النار .. امام الف مظهر ومظاهرة من مظاهر ومظاهرات الاصرار على المقاومة والسعي الى لقاء العدو على ساحة القتال .

م . الطيب بلحاج

مدخل لفهم دور المثقفين في المعركة

دور المثقفين في المعركة التي لم تنته بانتهاء القتال الى ما انتهى اليه موضوع الساعة في عالمنا العربي ، ذلك ان الاحداث التي جدت منذ السادس من شهر اكتوبر على الساحة العربية قد طرحت بصورة جدية موضوع استخدام الطاقات العربية في المعركة وما نحسب طاقة المثقفين الا واحدة من الطاقات الهامة التي لم نحسن استخدامها حتى اليوم لاننا لم نخطط لاستخدامها ولم نوجهها توجيها يمكنها من ان تلعب دورها بفعالية وجدوى ، فما هو دور المثقفين في هذه الفترة التي تجتاز فيها القضية العربية ادق مراحلها ؟

لعل من المفيد قبل الاجابة على هذا السؤال ان نحدد من هو المثقف الذي نعنيه ، وما هي الابعاد الجديدة للمعرفة كما نراها ، فتحديدنا للمثقف ولصورة المعركة ضروري لفهم الدور الذي على العربي اليوم ان يلعبه .

الثقافة كما يعرفها لينتون هي « تنظيم للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك يشترك في مكوناتها الجزئية افراد مجتمع معين ، وتنتقل عن طريق هؤلاء الافراد » .

والمثقف بهذا المعنى هو من يتقبل النمط السلوكي المكتسب لمجتمعه ، ويساهم في تكوينه ويقوم بنقله الى خلفه ونحن لا يعنينا من هذا التعريف الا الجزء الخاص بمساهمة الافراد في تكوين النمط الثقافي للمجتمع فما نوع هذه المساهمة وكيفيتها ؟.. وهل يتقبل المجتمع بسهولة مساهمات الافراد في تكوين نمطه الثقافي ؟ وما هي المساهمات التي تستطيع فرض نفسها وما هي التي تعجز عن ذلك ؟.. ان الاجابة على هذه الاسئلة تتطلب منا ضرب امثلة توضيحية تخرجنا من التجريد الى التجسيد ، وتلقي الاضواء الكاشفة على الطريقة التي يساهم بها الافراد في تكوين ثقافة المجتمع والتأثير في اتجاهاته الفكرية والعملية .

هب انسانا عثر على طريقة لتربية ابنائه تربية حسنة فان تلك الطريقة تنتقل الى جيرانه بصورة تلقائية ومن جيرانه تنتقل الى الذين يجاورونهم في احياء اخرى ، وهكذا حتى تصبح هذه الطريقة ظاهرة اجتماعية تتصل بوظيفة حيوية هي تربية الابناء واعدادهم لحياة أسعد وارغد .

وهب مزارعا اكتشف آلة زراعية او طريقة في الزراعة تختزل المجهود وتضاعف المردود ، فان هذه الطريقة أو تلك الالة تنتشر بنفس الصورة التي انتشرت بها الطريقة التربوية لتصبح ظاهرة ثقافية تتصل بحاجة من حاجات المجتمع الحيوية هي الحاجة الى الحصول على غذاء وفير بمجهود قليل .

وهب قوما سادت بينهم شريعة الغاب وسيطرت عليهم الانانية واستفحلت بينهم العداوة والبغضاء واستعبد غنيهم فقيرهم ، فسالت دماؤهم فيما بينهم ثأرا وانتقاما وسلب قويهم ضعيفهم ما يملكه واذل السيد فيهم عبده وعامله معاملة السوائم ، فباتت العلاقات عداوة وبغضاء وبات المجتمع كله مفككا مهددا بالفناء والدمار فظهر فيهم نبي يدعوهم الى تحرير العبيد وحفظ الجوار والتعاون فيما بينهم على ما فيه خيرهم وصلاح امرهم ، فلا شك ان دعوة هذا النبي تنتشر وتنتصر وان لاقت عراقيل وعقبات في اول امرها بحكم ان البقاء للاصلح وان الزبد يذهب جفاء ولا يمكث في الارض الا ما ينفع الناس .

وهب شعبا استعمر من طرف شعب آخر وخضع له خضوعا تاما بفعل الخوف الذي سيطر على نفوس افراده والذي نسجه الوهم وضخمه فظهر اكثر مما هو عليه في الواقع فظهر من بين ابناء الشعب المغلوب طائفة ادركوا الحقيقة وتخلصوا من سيطرة الاوهام فدعوا شعبهم الى الثورة على العدو الكامن في نفسه ونعني به الخوف من المستعمرين لانهم بذلك يسيرون في الطريق الذي يحررهم من مستعمريهم فلا شك ان دعوة هذا الفريق تنتصر وان لاقت في اول امرها عراقيل وعقبات .

والحقيقة اننا لو استنطقنا التاريخ في مختلف مراحله وتقصينا الوقائع والاحداث بصورة علمية لوجدنا الكثير من الامثلة التي توضح

لنا كيفية مساهمة الافراد في تكوين الانماط الثقافية للمجتمع سواء قصدوا ذلك وارادوه او حدث صدفة دون ارادة وقصد .

ونحن انما يعنينا في حديثنا هذا المساهمات المرادة المقصودة لانها مساهمات المثقفين وحديثنا هذا عن المثقفين دن سواهم ، ونعني بالمثقفين العلماء والمصلحين الاجتماعيين ، فليس مثقفا من اختزن علمه في صدره ولم ينفعه في خدمة امته ومجتمعه ، كذلك لا يعتبر مثقفا من توفرت لديه النية الطيبة والقصد الحسن دون ان يكون له من علمه سلاح يقاوم به العراقيل ويبدد به ظلمات الجهل واليأس والقنوط .

المثقف هو من الم بالاسس الثقافية لامته وفرق بين الصالح منها والطالح ، وكان له بعصره معرفة تجعله قادرا على توجيه امته واكسابها المناعة والحصانة حتى لا تجرفها تيارات عصرها وتحطمها تحدياته .

والحقيقة ان دور المثقفين يتعاظم شأنه وينعقد كلما تقدمت الانسانية خطوة الى الامام ، ودور المثقف في عصر العلم والتكنولوجيا والذرة والاليكترونيات ليس هو دوره في عصر الحراب السيوف وقوافل الابل والبغال ، دور المثقف في عصرنا هذا اصعب تحملا واكثر حيوية ، وتحديده يتطلب تحديد طبيعة المعركة التي نخوضها والعدو الذي نواجهه ، ومدى ما نملكه من امكانيات وطاقات المواجهة سواء في بلادنا او خارجها .

الشعب
٣١ تشرين الاول

لن يعود عصر الانحطاط

في غمرة الدم العربي المسفوح هدرا في حرب الايام الستة الشهيرة ، وتحت تأثير الصدمة التي زعزعت ايمان الانسان العربي بنفسه وبقدرته على النهوض من كبوته ومواصلة قيامه بدوره في اثراء الحضارة الانسانية ، وبفعل الحرب النفسية المركزة التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيونية والامبريالية العالمية وساعدتها عليها دموع الضعفاء والانهزاميين من ابناء الامة العربية ، في غمرة ذلك كله خيم على سماء العرب ضباب من اليأس كثيف ، وراح الكثيرون يتساءلون : هل هي عودة الى عصور الانحطاط ؟.. وهل انتهت اليقظة العربية الحديثة الى حيث بدأت ؟.. وهل هي لعنة السماء حلت بالانسان العربي فلا امل له في الخلاص منها لانها لعنة السماء ؟.. ومن بين اشلاء الضحايا ومن خلال دموع الارامل واليتامى ومن وراء الضباب الكثيف بدأ بصيص من نور ولاحت بقية من امل وايمان عبرت عنها القيادة الثورية على لسان الاخ الرئيس هواري بومدين حين صرخ في وجوه اليائسين « اذا خسرنا معركة فاننا لم نخسر الحرب » نعم !..

اذا خسرنا معركة فان ذلك لا يعني اننا خسرنا الحرب ، وليست معركة الايام الستة غير معركة من حرب طويلة كان لا بد ان يخوضها الضعفاء للتخلص من قبضة الاقوياء ، حرب طويلة النفس متعددة الجوانب فهي حرب اقتصادية للتخلص من الاستغلال ، وهي حرب سياسية لاثبات الوجود وجمع الصف وتحديد الهدف ، وهي حرب عسكرية لتحرير الاجزاء التي ما زالت تخضع للسيطرة المباشرة الاستعمارية والعنصرية ..

نعم ليست معركة الايام الستة حربا وليست الهزيمة التي حلت بالعرب فيها توقفا عن المسير او عودة الى الوراء الى عصر الانحطاط بل هي في حقيقتها هزيمة لاسرائيل لانها فتحت اعين ضعفاء العالم على حقيقتها باعتبارها كيانا عنصريا قائما على العدوان ووجها قبيحا للاستعمار الاستيطاني في ابشع صوره واقبح اشكاله ، ورأس جسر للاستعمار الحديث تبشر بمعالمه وقناعا يخفي به وجهه حتى لا ينكشف امره وتتضاءل فرص نجاحه ، هكذا بدت اسرائيل للافارقة وغيرهم من الاحرار في العالم خصوصا بعد هجوماتها السافرة على البلدان العربية وقتلها للابرياء لا تميز في ذلك بين الصغير والكبير والمرأة والرجل والطفل الرضيع والشيخ الواهن القوي الطاعن في السن ، ولم تكتف اسرائيل بهذا بل انها دأبت على مواجهة دعوات السلام العربية بقنابل الدمار والقتل والخراب ، ولم يكن بالوسع ان يستمر هذا الوضع طويلا بدون رد فعل يردع المعتدي ويوقف تيار العدوان ، فالعدوان وضع غير طبيعي والمعتدي عضو شاذ غريب في جسم العالم يستحيل تقبله في الحظيرة الانسانية ، وهكذا رأينا العالم الحر بعد ما رأى من طغيان الصهاينة وصلفهم وغرورهم وتماديهم في تحدي حقوق الانسان ، وبعدما عرف من طبيعتهم العدوانية ، يجنح الى عزلهم عن الحظيرة الانسانية ، فأخذت الدول الافريقية تستغني عن معوناتهم المسمومة وتقطع معهم علاقاتها مكبدة اياهم بذلك خسائر معنوية لم يتكبدوها منذ وجودهم .

وهكذا ادركت اسرائيل ومن ورائها الامبريالية الامريكية ان الوجود الاسرائيلي هو بطبيعته وجود عسكري ، ومن ثم وضعت امريكا اصابعها في آذانها ، فلم تعد تسمع دعوات الاستسلام العربي التي تصاعدت في وقت من الاوقات تبارك الامر الواقع وتساوم على الاراضي العربية المحتلة وعلى حقوق شعب فلسطين في استعادة حقوقه المشروعة في الحرية والحياة .

وصمتت صمتا طويلا فلم تتقدم بمشاريع سلام ومدت بينها وبين اسرائيل جسورا تمدها من خلالها بأحدث اسلحة التدمير ، ووصل اليأس العربي حده الاقصى وفقد الانسان العربي ثقته بنفسه وبقدرته على الحرب والقتال الا انه ظل من خلال المقاومة الفلسطينية وتصميم بعض الدول العربية وفي مقدمتها الجزائر على القتال باعتباره اللغة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل وحلفاؤها من الامبرياليين ، قلت ظل الانسان العربي من خلال هذين العاملين يحتفظ ببقية من امل ويحافظ على بقية من حياة تدفقت في شرايينه قوية هادرة عندما عبرت قوات جمهورية مصر العربية قناة السويس لتبدأ مسيرة الكفاح واضعة نصب أعينها حقيقة واحدة هي النصر او الاستشهاد ، لقد عبرنا قناة اليأس ونحن نعبر قناة السويس ، وتجاوزنا واقعنا الانهزامي اليائس ونحن نتجاوز خطوط العدو وتحصيناته ، ودمرنا بقايا عصور الانحطاط في انفسنا وعقولنا ونحن ندمر خط بارليف ، ومنذ اليوم فلا هزيمة ولا تراجع بل تقدم وانتصار ، تقدم سنصنعه بقوة انفسنا ، ونصر سنحرزه بحبنا للاستشهاد ورفضنا للاستعباد .

واذا كانت الامبريالية الامريكية قد ادركت هذه الحقيقة فاعدت عدتها الديبلوماسية والمادية لتقاتلنا دفاعا عن مصالحها وراحت قنابل اسطولها السادس وطائراته تقتل الابرياء في المدن والقرى فان ذلك كله لن يوقف الزحف العربي ولن يحول بينه وبين تحقيق اهدافه .

لقد تجاوز الانسان العربي هزيمته فلن يعود عصر الانحطاط .

الشعب
١٦ تشرين الاول

م٠ دين

انطباعات عن حرب سبت الكيبور

كان الافطار متواضعا اذا قيس بموائد افطارنا الدسمة المتعددة الاصناف والالوان .

ولكنني - وخلافا لعادتي في هذا الشهر المتعب اكلت بشهيـة منقطعة النظير .

كنت في القاعدة الجوية التي ينطلق منها نسورنا للقيام بواجبهم في المعركة المصيرية ، وهي القاعدة التي كانت يوما ما نقطة انطلاق القوات البريطانية لقمع الشعب العربي الشقيق .

قبل لحظات كنت على مدرج الطائرات اتابع طائرات الميغ الجزائرية وهي تصطف امام حظائرها لتتزود بالوقود ، وطائرات الانتونوف وهـي تنقل من الجزائر الاسلحة والذخائر والادوية والمعدات ...

كنت اتناول طعام الافطار وعيناي تمسحان وجوه اشبالنا وهم يأكلون ويتبادلون الاحاديث وكأنهم ما زالوا في الجزائر ، دونمـا احساس بغربة او وجل .

على العكس كانوا ينتظرون اللحظة التي تعطى لهم فيها الاوامر ليلتحموا بالعدو .

صباح اليوم كنت اسير في شوارع القاهرة واحاول قراءة اسارير المواطنين لكي انفذ الى مشاعرهم الحقيقية ، تجاه الحرب الرابعـة التي اصبح اسمها حرب الكيبور او حرب السبت .

هدوء يندهش منه الذين عاشوا ايام جوان ٦٧ في القاهرة ...

حديث الحرب كان على الافواه منذ اكثر من اسبوع ولهذا لم يفاجأ احد في القاهرة ولكن الغريب ان اسرائيل هي التي فوجئت .

بالامس تابعت في التلفزة المصرية لقطات مصورة لعبور القـوات المصرية لقناة السويس ولولا اكثر من دليل ودليل لظننت بأن اللقطات اخذت قبل ٦٧ .

كان الجنود المصريون يعبرون الجسر بهدوء وثقة بل وبكثير مـن المرح لدرجة ادهشت المتفرج المصري نفسه .

ثم ماذا ؟

يبدو من النظرة الاولى ان هناك عدة نقاط ايجابية يعترف بهـا العدو نفسه .

منهـا :

ان المخابرات الاسرائيلية اثبتت انها ليست ذلك الوحش الاسطوري ذو المائة عين والذي يعرف كل شيء عن الامة العربية .

لقد كانت القاهرة كلها تتوقع الحرب من لحظة لاخرى ... وقال لي مناضل صديق يوم الثلاثاء الاسبق في القاهرة بان حربا ستندلع بعد ٤٨ ساعة على اكثر تقدير ، ورغم كل هذا فلم يبد على العـدو الصهيوني انه كان متيقظا .

النقطة الايجابية الثانية هي ان اسرائيل كشفت عن ضعف لا يتناسب والمظهر الذي قدمته للعالم في ١٩٦٧ واثبتت بذلك ان قوتها الحقيقية هي في ضعف جيرانها .

النقطة الايجابية الثالثة :

ان عبور اصعب حاجز مائي قد تم بخسائر طفيفة وان القـوات المصرية قد رسخت اقدامها في الضفة الشرقية للقنال باسرع مما كان متوقعا وبطريقة اختراقية مكثفة ومتزنة .

النقطة الايجابية الرابعة :

هي ان التغطية الاعلامية للمعركة تتم بطريقة هادئة بعيدة عـن التشنج والانفعال والاثارة والافتعال ، لدرجة ان صديقا مصريا علـق على البيانات الصادرة بأن اجهزة الاعلام المصرية تصوغ بياناتها بعـد استماعها الى الاخبار التي تذيعها اجهزة الاعلام المعادية !

وايجابية هذه النقطة هي احترام العالم للبيانات العربية وتشككه في البيانات الاسرائيلية .

نقطة ايجابية اخرى لعلها حصيلة العمل العربي طوال الفتـرة الماضية ولكنها بالتأكيد نتيجة التصلب الاسرائيلي المغرور .

هذه النقطة هي الموقف اللامبالي الذي يقفه العالم ... كبيرا وصغيـرا ...

بل يخيل الى المرء بأن قوى كبرى صديقة لاسرائيل لا تمانع في تلقي الصهاينة درسا يجعلهم اطوع للتوجيه والين للضغط !

ولكـن ...

ما هو الهدف الاستراتيجي للمعركة ...

هل هو استعادة ما فقد بعد الاسبوع الاسود ؟

ام ان الهدف ابعد من ذلك ؟

بيان مجلس الثورة في الجزائر يحدد بان المعارك يجب ان تتواصل حتى النصر النهائي .

والنصر النهائي ليس هو مجرد انتزاع بعض الاراضي التي احتلت في حرب جوان ... انه في استمرار المعركة لتكون بوتقة يتحول فيها الشتات العربي الى وحدة حقيقية ...

المجاهـد
١٣ تشرين الاول

محمد علي الهواري

الفكر والفـن في معركة التحرير

منذ ايام ـ وبعد ان انطلقت معركة التحرير في السادس من هذا الشهر ـ جاء خبر صغير يقول : ان الممثلة السينمائية اليزابيث تايلور البريطانية الجنسية ، قد قررت ان تقوم ـ مع مجموعة من الفنانين الغربيين ـ بحملة لجمع التبرعات لدويلة اسرائيل !

وبعدها كذلك ، جاء خبر آخر يقول ، ان الكاتب العربي المعروف توفيق الحكيم قد قرر ان يتطوع للحرب ، ولو كان الامر ان يكون عاملا في احد المعامل !

خبران جاءا متتابعين كل واحد منهما يخص ميدانا ما .. ولكنهما معا يمثلان موقفا ، معينا ، نحو حدث معين .. الخبر الاول يبين الى اي مدى يمضي فنانو الغرب في دعم الوجود الاسرائيلي ، وكأنهم المسؤولون الاولون والاخيرون عن دوام وجود هذه الدويلة واستمرار عدوانها ..

والخبر الثاني ، له دلالة اخرى ..

ان توفيق الحكيم ـ وهو الكاتب العربي المسن الذي قد يصل عمره الى ٧٥ سنة ، يتخطى كل الحدود التي يفرضها السن ، الى ما تتطلبه المعركة الحالية ، ودور الاديب والكاتب والفنان فيها ..

فمسؤولية المثقف ـ والاديب المنتج ـ تتحدد على مستويين ، الاول هو مسؤوليته كمواطن ضمن المواطنين عامة .. والثاني مسؤوليته كمثقف واديب مطالب بأن يكون في طليعة المعركة ...

الفنانون الغربيون ، والفنانون الاسرائيليون يساهمون في دعم العدوان .. وبكل الوسائل .

و .. فنانونا وكتابنا العرب ، كم فردا منهم ، حاول ان يفعل شيئا ، مثل توفيق الحكيم ؟

في الجزائر ، كانت لجنة الثقافة والفكر في الحزب سباقة الى دعوة المثقفين والمفكرين الى دعم المعركة ماديا ومعنويا ..

وفي القاهرة وبيروت ، صدر بيان مشترك بين مجموعة الكتاب في مصر ولبنان وسوريا ضد العدوان ، ودعوة المفكرين في العالم لمساندة الحق العربي ، وادانة العدوان الاسرائيلي ..

وماذا غير ذلك ؟

كم فنانا في الوطن العربي ، قرر أن يتطوع للقيام بجولات فنية غنائية مثلا ، يكون مدخولها لصالح معركة التحرير ؟

وقريبا منا فقط ..

هناك فرقة المغرب ، واخرى من تونس ، للمنوعات الغنائية تقومان بجولة عبر الجزائر .. الم تفكرا في ان يكون مدخول بعض هذه الحفلات لمعركة التحرير ؟

أم أن فناننا العربي يريد فقط ان يصفق له الجمهور ، و «يؤلهه» .. وكفى !

اني لا اريد ان اكون قاسيا ، او انسانا « يحكم » على الاخرين من فوق ، او من وراء مكتب وكرسي مريح !

ان الفنان العربي والاديب العربي ـ وبالمناسبة أتساءل اين اتحاد الكتاب العرب ؟ ـ مطالب في هذه المرحلة الحاسمة ، ان يتحمل مسؤولياته التاريخية ..

لا اريد ان اترك الامور ، عمومية ، وسأحدد اكثر ..

ـ أليس من المفروض ـ وهذه احدى مهام اتحاد الكتاب العرب ـ ان تتم اتصالات مباشرة بينه وبين الكتاب والادباء في العالم ؟

انها فرصة لهذا الاتحاد ـ وقد لا تعوض ـ لان يضع نفسه في مكانه الصحيح .. في المعركة !

الم يعقد مؤتمرات ، ومؤتمرات ، كلها تتحدث عن الادب والمعركة، والادب والتحرير الخ ..؟

ـ أليس من المفروض ان يتطوع امثال العماري ، وبلخياط ، ودرياسة ، وسلوى ، ونادية ، والكرابي ، والدوكالي ، وعبد الحليم، ووردة ، وأم كلثوم .. بحفلات عمومية يكون مدخولها لصالح معركة التحرير ؟

لا يكفي فقط ان يملأ الكاتب او الاديب او الشاعر صفحات وصفحات عن المعركة ..

ولا يكفي ، أن يغني فنان للثورة ، والجماهير ، ويصعد الحماس .. فقط !

بل ان يفعل ذلك .. ويساهم عمليا من جهة أخرى !

انها مجموعة افكار تجمعت في ذهني ، وأنا اتابع اخبار المعركة ، ككل المواطنين ..

و .. لا اسمع شيئا عن الادباء والكتاب والفنانين !

و .. اكثر من هذا ، هذا الخبر الذي هزني اكثر من اي شيء آخر يوم الاحد الماضي .

لقد كان مدخول ملاعب كرة القدم ، في الجزائر كلها لصالح معركة التحرير ..

نعم .. كرة القدم ، هذا الفن الذي قال عنه المثقفون العرب والفنانون والادباء ، انه داء خطير في مجتمعنا العربي ..

هذا « الداء الخطير » ساهم بدوره في المعركة ، فاين مساهمة « الـدواء » ؟.

الشعب

٢٥ تشرين الاول

السعودية

حمود البــدر

سبحان مغير الاحوال

(۱)

قوة جبارة لا تقهر ، فقهرت . وقوة ضعيفة لا تعرف ان تحارب ، قويت وتعلمت فنون الهجوم والكر والفر . هذا اذا اعترفنا بأن هذين الادعائين صحيحان . مهما يكن فلم تحن الفرصة من قبل لاختبار صحتهما الا يوم السبت ۱۰ رمضان حينمـا ثبت لاسرائيــل اولا ، لانها هي التي تدعي ، والعرب ثانيا الذيـن صدقوا او كادوا يصدقون ذلك الادعاء ، وللعالم ثالثا الذي لم يجد او ير ما يدحض ذلك الادعاء .

كنا في الحروب السابقة نهوش ولا نقدم بينما كان الاسرائيليون يدعون الوداعة ويهجمون لحماية تلك الوداعة . يهجمون فقط لانهـــم يريدون ـ حسب ادعائهم ـ وقاية انفسهم من تهويش العرب ومـــن هجومهم الذي يوشك ان يقع ، ولم يقع ابدا على مدى خمس وعشرين سنة .

لا زلت اذكر سذاجتي في سنة ۱۹٦۷ وكنت يومها في الولايات المتحدة اتمنى لو قامت اسرائيل بالضربة الاولى حتى يتسنى لنا ـ كمبرر امام العالم ـ بالضربة الثانية ثم نبدأ بهجوم مضاد . وكانت فرحتي لا توصف حينما حصل ذلك .

بل ان سذاجتي امتدت الى ما هو ابعد من ذلك . كنت ارى المعلقين السياسيين والخبراء العسكريين على شاشة التلفزيون وعلى صفحات الجرائد يصفون ويسهبون في شرح الهزيمة الساحقة التي لحقـــت بالعرب . وكنت اضحك في نفسي واقول سوف يرون : انه تكتيـــك عسكري لا بـد منه لكي يجر العرب الجيوش الى المصيدة ومن‌ثم‌ابادتها.

كنا نتجمع حول المذياع العربي ونسمع البلاغات المتناثرة حـــول انتصارات القوات العربية . ونتهكم بما يقوله المعلقون الامريكان سواء منهم السياسيون او العسكريون . ولم نعلم بالهزيمة بدافع من التشبث بالنصر الموهوم ـ الا عندما فتحنا المذياع يوم ۸ يونيو وكانت نجـــاة الصغيرة تغني اغنية « الله » .

عندئذ بدأت الصدمة التي لم نفق منها الا بعد ان اتضح كل شيء . انقلب الفال الى ياس . والشعور بالثقة الى شعور بالخيبة وبـــدأت الحرب النفسية الشرسة الصادرة عن طواويس اسرائيل واعوانهم . وهل لهم ان يجدوا فرصة لتطويق الكبرياء العربية والمعنويات الجريحة افضل من تلك الفرصـــة ؟

تحولت ايام ما بعد ۸ يونيو الى فترة شعرنا فيها كعرب باننـــا وصلنا الى مرحلة من الضياع ومرحلة من الياس بحيث لن تقوم لنا قائمة واصبحنا نشك في كل كلمة تصدر عن القادة العرب ونكاد نصدق كل كذبة تدعيها اسرائيل . تحولت برامج التسلية في التلفزيون الامريكي الى مرتع خصب للتندر بالعرب وبجبنهم وغبائهم يتسابق اليها كـــل واحد من اولئك الذين غسل مخهم بالدعاية الاسرائيلية .

ولكن كل ذلك لم يمنع الفئة المسيطرة على وسائل الاعلام الامريكية من الصهاينة من ان يسحبوا الكرسي من تحت صنائعهم من اولئـــك المتندرين والذين كان من اصلفهم مقدم البرامج الشهير « ادسوليفان » والذي اقتلعوه من برنامجه الذي ظل يقدمه طوال خمس وعشرين سنة كان يدعي خلالها انه انجح برنامج منوع . ثم تبعه في السقـوط لاعـق الاحذية الصهيونية الثاني جاكي جايسون . ثم تبعهما اخرون قدمـوا للصهيونية من الخدمة من خلال برامجهم التلفزيونية ما لا يستطيـــع تقديمه اي صهيوني من اسرائيل .

تداعت هذه الذكريات ولا زالت تتداعى حينما تحطمت الاسطـورة وتغير الحال من بعد ظهر يوم السبت ۱۰ رمضان الموافق ٦ اكتوبر .

الجزيرة
۱۸ تشرين الاول

(٢)

... ثم قهر الجيش الذي لا يقهر وكسرت كبرياؤه . وتحــول الجيش الذي لا يعرف فنون الحرب الى قوة محاربة تماثل او تضاهي ذلك الجيش الذي كان لا يقهر .

لقد كان يوم السبت العاشر من رمضان هو نقطة التحول او المحك الذي جلا الصدأ عن الجواهر واثبت قيمتها وفعاليتها .

لقد تحولت القوة العربية المبعثرة الى قوة متضامنة يشد بعضها ازر بعض وهذا هو الشيء الطبيعي . وتعلمنا الدرس ، ولا يلدغ المرء من جحر مرتين على الرغم من اننا لدغنا ثلاث مرات من نفس الجحر .

لقد كان بعيدا هو الرأي العام العالمي والقوى الكبرى والتي دائما تنصر المنتصر وتهزأ من المهزوم . بالضبط كما يفعل الصبية فـــي الشوارع عندما يجدون طفلا ضعيفا فيجعلون منه محل سخريتهم ومحط تجارب لاختبار عضلاتهم .

عندما تحللنا من هذه النقطة ، نقطة ضعفنا امام الرأي العـــام العالمي استطعنا ان نثبت اننا قوة محاربة لا تقل في كفاءتها كما عهد في اجدادها من شجاعة واقدام .

وكم من مرة تمنيت فيها ان اكون في الولايات المتحدة ولو لفترة وجيزة لارى ماذا يفعل هناك تجاه هزائم تلك القوة التي لا تقهر . وتجاه صلابة وثبات تلك القوة التي لا تتقن فنون الحرب .

لا شك ان الدنيا قد اقيمت واقعدت امام هزائم « شعب اللـه المختار ! » ولا شك ان اصوات التباكي على مصير حمائم اليهود قد تعالت ، ونشطت حناجر بعض الموالين لها تطالب بحماية تلك الحمائم!!

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . ولقد غيـــر العرب فعلا انفسهم بل انهم انقلبوا على انفسهم . حتى ان العالـــم بدأ يحس بهذا التغيير وبدا جزء كبير من الرأي العام العالمي يبارك هذا التغيير ويشجعه .

ولله في خلقه شئون . ولينصرن الله من ينصره ورسله . ومـا السموم التي تبثها ابواق الدعاية الغربية المتصلة باسرائيل الا محاولة لقلب الحقائق كجزء من محاولة لتغيير الواقع الذي بدأ يتضح وهو ان العرب غيروا انفسهم فغيرهم الله . تحولوا من قوة ذليلة الى قـــوة شجاعة تبادر وتكسب وتقول وتفعل بل الاكثر من هذا هو سر تحولهـم وتغير حالهم .

لقد بداوا يشعرون بانهم يدافعون عن حق وان الحق لا يعطي وانما يؤخذ . وبهذا اثبتوا لانفسهم اولا ولاعدائهم ثانيا ولاصدقاء وصنائع اعدائهم ثالثا انهم قوم عرفوا الله فعرفهم ونصروه فنصرهم .

ان الايام الثلاثة عشرة الماضية اثبتت ذلك وايدته ضراوتهم فـي الدفاع ومعرفتهم بالاسلحة الحديثة الذي كان يشاع ان استعمالهـــا مقصور على اولئك الشرذمة القادمون من الغرب .
« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

الجزيرة
١٩ تشرين الاول

الامير عبدالرحمن بن سعـــــود

عرس القوافي

ايـن الروائع ممـا خطـه القلـم
وحيـا تدفق منهـا الخاطـر العرم
اين اللآلـىء من شعـر ومـن ادب
عقد تنظـم فيـه اسحر والحكم
اليـوم عرس القوافي فـي تألقهـا
زهــوا تتيـه علـى الدنيـا وتبتسم
تختال فـي حلل البشرى اذا خطرت
جـذلا يطيب لها في بشرها النعم
لما هتفـت بـأي الشعـر انظمهـا
عقـدا ترنح في اعطافـه القلـم
وانهـل مزنـا على القرطاس كوتـره
عذبـا تدافـع في مدراره الكلـم
تسمـو القوافي علـى در يضارعها
شأنـا اذا في بـلاد العرب تنتظـم
شم الانـوف إبـاة الضيـم عزمهـم
عند الصدام عليـه الطـود ينحطـم
مـا غيرنـا في لظى الهيجاء أن حميت
يوم وفيهـا مـع الصهيـون ملتحـم
نحمي الحمى بأسـود الغـاب ظـافرة
فوق الثريـا لهـا في نصرهـا علـم
هذي فلسطيـن تـروي عنهـم عجبا
باليأس جن اذا جالـوا او اقتحمـوا
كم جلجلوهـا بسمـع الدهر داويـة
للحـق تعلو وفيهـا للوفـا ذمـم
كم اشعلوها ضروسـا في بواترهم
لمـا غـدا الحـق للبتار يحتكـم
كم مـن شهيد ثوى من فوق تربتهـا
يـوم الفداء وكم منـا اريـق دم
نحـن الابـاة وللاسـلام منعتـه
منـا الهداة وفينـا تقتـدي الامـم
نصلـي العدا من شواظ العزم نرسله
ما ليس في هوله البركان والحمـم
من تحته راسيـات الارض نخسفها
حتى تميـد بـه القيعان والقمـم

الريـاض
١٧ تشرين الاول

عبدالمنعم الرفاعـــي

زحف الجند

أيها السّاري الى مسرى النبي
ونجـيّ الوطـن المغتصب
هل على الصحراء من اعلامنـا
مطلع الشمس ومهوى الكوكب
قـد كبونـا رُبّ مهر جامحٍ
ردّه في العدو مكر الثعلبِ

* * *

زحف الجند وحان الموعد
والمجال الرّحب امس وغـد
والمدى قلـب وعيـن ويـد
والشذا عبـق الفداء الطيّب

* * *

ودوت في افقها المضطرب
وافلسطين علـى كـل فـم
يلتقيها في المدى رجع الصَّدى
ويؤدّيهـا لأفق اعظـم
فانطلقنـا خلف ابعاد المنى
في المجـال الصّاخب المحتدم
حولنا كـل كريـم المنتمي
حمل العهد وهـزّ العلم
نفتدي عزك ارضا وسمـا
والعلا تحت ظـلال الموكـب

البـلاد
١٥ تشرين الاول

حسن كتبي

مكاسبنا من الحرب

يتحدث الناس عن هذه الحرب الدائرة بيننا وبين اعداء الله واعداء الانسانية التي وقفت حركتها ولم تزل يشتعل اوارها ، وتتجمع طاقاتها اما لتنفجر اسوأ مما مضى او لتحقق الغايات التي نشبت من اجلها .

يتحدثون عن هذه الحرب ماذا صنعت بنا ماذا صنعنا فيها وما هي مكاسبنا ومخاسرنا حتى الان .. وماذا سيترتب على ذلك فيما بعد .

يتحدث العسكريون عن فنون الحرب واستراتيجيتها وكرها وفرها وانواع الاسلحة المستخدمة فيها والقدرة والمهارة فياستعمالها .. ويتحدث السياسيون ـ وهم الفريق الذي ـ يغلب بينهم الغاوون الذين هم في كل واد يهيمون ومن زوايا اهوائهم ينظرون ... ويصورون كل شيء بما يدينون ثم يخرجونه للناس كما يشتهون ... وقل فيهم من يقوم الامور تقويما سليما ينطبق مع الحق والصدق والعدل .

ويردد عامة الناس اخر ما تنقله الجرائد او تتحدث بهالاذاعات، وهي في كل يوم تنقل جزءا من الصورة قد يكون موالفا ، وقد يكون مخالفا لاجزاء سبقته ، والعامة من قرائها لا يحاولون ان يجمعوا بين تلك الاجزاء لتتضح لهم الصورة بكاملها ولو فعلوا ذلكلتبين لهم انه لا يوجد في كل ما جمعوا ما يستحق ان يشكل شيئا يصلح للاخذ به ..

ويأتي دور من يجمع وقائع الحرب التي تتساقط كالشظايا في وهج الحمم ، وهي في اشد غليانها فيتركها حتى ينطفىءوهجها ويخمد اوراها ثم يقلبها بين يديه في اناة ورفق ليعرف ما فيها من خير او شر ونفع او ضر ، ايجابية او سلبية ، وهي لصالح اي جانب من الفرق المتطاحنة ثم يسلسل نسبها الى التاريخ والماضي ويزنها بموازين يحرص على سلامتها وسلامة معطياتها.

فحكم الاديب على نتائج المعركة لا يتأثر بقوة الاسلحة او ضعفها وما حققته في ميدان القتال من نصر او هزيمة كما لا يندفع مع العواطف الصاخبة من افراح واتراح ـ وانما يبني حكمه علىالجوانب الاصيلة التي تتحقق من ورائها اهداف نبيلة .

وفي هذا الاطار نحاول ان ننظر الى ما صنعناه في هذه الحرب وما صنعت بنا ..

لقد خلفت لنا الهزائم المتكررة في حربنا مع اعدائنا هذا التراث المزري وهو :

اولا ـ ان العرب متفرقون حتى لقد كان اعداؤهم يتطوعون احيانا بالنصح لهم بالتآلف ونسيان اسباب الفرقة ..

ثانيا ـ وانهم في عزلة عن بعضهم فلا يلبي كل فريق منهم احتياجات الاخر ، فالغني يضن بغناه على من سواه والقوي لايستعمل قوته الا فيما يحقق رضاه وان نظرتهم الى الامر الواحد تختلف من الضد الى الضد ..

ثالثا ـ وان الخلافات العقائدية قضت على وحدتهم وفرقت شملهم واشعلت نار الحقد بينهم ونشبت بينهم الضغائن حتى انهم لا تقوم لم قائمة .

رابعا ـ ان العرب امةمتخلفة عن الحضارة التقنية ، ولذلكفهم لا يجيدون استعمال اسلحة الحرب المتطورة .

خامسا ـ ان اليهود شعب متفوق عسكريا وتقنيا وعلميا وهو لذلك صاحب الغلبة المطلقة في المنطقة .

سادسا ـ ان الحرب بين العرب واليهود قد حدده زمنبقائها اذا وجدت ، فهي مهما اندلعت وفي اي وقت لا تلبث ان تنتهيبهزيمة العرب في اقصر وقت ثم يحرز اليهود مزيدا من النصر .

سابعا ـ ولقد اوجدت قضية العرب مع اليهود مبادىء عالمية تنكرها الانسانية والديانات السماوية والاخلاق الفاضلة ويعترف بها الواقع الدلي وهي ـ اللامبالاة ـ بالنقائص بكل انواعها من غمط الحقوق وظلم الاخرين ودعم الباطل علانية وحجب الحق علانية ايضا .. وتبرير تصرف القوة والاقوياء مهما كانت مدمرة للقيم الانسانية والعودة بحياة الانسان الى قانون الغاب الذي يقضي بجعل السيطرة المطلقة للقوة .

وقد نتج عن مجموع تلك المبادىء حالة ـ التجمد ـ لقضية العرب مع اليهود فاصبح الحق العربي لا يجد مجالا يتحرك فيه .. واذا ما اريد له ان يتحرك يصطدم بشيء من تلك المبادىء التي اوجدتها الصهيونية العالمية واشاعتها في الاجواء السياسية العالمية فيفضل البقاء مجمدا على حركة تنقله من خسارة حربها الى خسارة لا يعرف ابعادها ..

وكانت نهاية المطاف ان صدق الناس جميعا ـ اصدقاء العرب واعداؤهم ـ ان الطوق قد استحكم في رقبة العرب ـ وان فكه لن يأتي الا احسانا من اعدائهم او اشفاقا من اصدقائهم بعد ان يدفعوا الثمن غاليا .

ولقد جهل الجميع ونسوا ان هناك حقائق كامنة في الفطرة العربية وانها اقوى من كل قوة وانفذ من كل سلاح.

وان هذه القوة مستمدة من دينهم .. واصالتهم .. وان تلك

الفطرة وما فيها من قوة كامنة رفضت كل حل لقضيتهم مع اعدائهم لا يكون على اساس من العزة والكرامة ومحو اسطورة التفوق الصهيوني على الكفاءات العربية الحربية .

وفي الوقت الذي ترسخت فيه تلك الصورة الكالحة التي سحرت بها الصهيونية العالمية اعين الناس برز المارد العربي فجأة وباسلوب خارق ليحطم كل تفوق مزعوم للصهاينة في اسلحتهم وخططهم الحربية وباطلهم الذي غزوا به عقول العالم فكانت نتيجة الجولة الاولى من الحرب ، ان تحولت اسلحة اليهود الى اكوام محترقة من الحديد ، وظهرت ذلتهم التي طبعوا عليها ، واصبحوا يتعلقون باسباب من الدعاية اوهى من بيت العنكبوت .. وقد ادت هزيمتهم الى انكشاف حقيقة كانت غارقة في امواج باطلهم ، وهي ان العالم اجمع يحتقر اليهود ويمقت عدوانهم ويحيطهم بكراهية خانقة تسد في وجوههم جميع الطرق ـ فهم ملعونون اينما ثقفوا ..

بعكس ذلك فان العالم اجمع يحترم العرب ويتعاطف معهم ويفتخر بانتصارهم على اعدائهم ويؤيد موقفهم بكل امكانياته ويبالغ في اعلان مقته لاعدائهم ليعبر بذلك عن محبته وتأييده للعرب .

ثم برزت الحقائق التالية عن تلك الحرب المباركة ـ وهي :

ـ ان العرب يحتفظون بشجاعتهم التقليدية المتوارثة .

ـ وانهم يتقنون استعمال الاسلحة المتطورة كافضل ما يمكن استعمالها .

ـ وانهم جميعا امة واحدة تتحكم فيهم النخوة والكرم والتعاون والتآزر ونصرة الاخ لاخيه بكل ما يملك ..

ـ وانهم يلتزمون في قتالهم مبادىء سامية فلا يقتلون آمنا ولا يفتكون بالارواح البريئة ولا يدمرون البيوت على ساكنيها ولا يخربون المدن التي لم تكن ساحة قتال ولو استطاعوا ذلك .

ـ ولقد برهنوا على اهليتهم ليباهي بهم اصدقاؤهم ويرهبوا اعداءهم ـ وكانت عفتهم في مخاطبتهم لاعدائهم التي لا يعدلها الا عفتهم في اسلوب محاربتهم لهم ، قد رفعت من شأنهم واحلتهم المحل اللائق بهم من بين جميع شعوب العالم .

كل ذلك تم في ايام معدودات ـ وتم معه انقسام جميع شعوب الارض الى قسمين ـ اليهود وحدهم سواء كانوا في اميركا او تل ابيب او في اي بقعة من بقاع العالم معزولون بالسخط والكراهية والمقت بينما تقف جميع شعوب العالم مع العرب بالنصر والتأييد والتقدير والاحترام .

ولقد كانت هذه الحرب وسيلة فعالة للكشف عن خطر الصهيونية على العالم ـ ذلك الخطر الذي كانت تخفيه حتى حركت قواها المدمرة التي كانت تدسها عن الانظار وتدخرها للوقت الذي تفرض فيه نفسها ـ الدولة الوحيدة ـ التي تحكم العالم .

لقد تحركت الصهيونية العالمية بطيش ليس له حدود ـ ولم يكن الذي تحرك هو دولة اسرائيل التي تحتل ارض العرب وتحاربهم ويحاربونها ، وانما هي ـ خطة حكماء صهيون ـ التي اختطوها لتدمير العالم ـ واحاطوها ـ بسرية تامة وعملوا وما يزالون يعملون من اجل تحقيقها بجهد متصل .

لقد تحركت تلك القوة الطائشة لتنقل الحرب من اطارها الذي اعد له العرب عدتهم وواجهوه ببسالة منقطعة النظير حتى قضوا على اسطورته التي حيكت في نحو ربع قرن من الزمن ـ قضوا عليها في ايام معدودات ـ وقضوا على معظم اسلحتهم واستعداداتهم وقضوا على جميع دعاياتهم .

لقد تحركت القوة الصهيونية المجهزة لحرب العالم ـ لتواجه العرب وحدهم وعند هذا الحد تغيرت الصورة بكاملها ـ وكان للعرب فضل ان فتحوا عيون جميع شعوب الارض على ما تكنه الصهيونية من خطر يهددهم .

وكان من الحكمة ان يسكت العرب مدافعهم بعد ان حققوا بطلقاتها الموفقة ما هو اعظم من استرجاع ارضهم المغصوبة وهو:

ـ انهم كشفوا عن قناع الصهيونية العالمية التي تهدد جميع القوى الخيرة في الارض وتسعى لتدميرها ـ واثبتوا ان نصيب العرب من هذا الخطر ليس اكبر من نصيب غيرهم بل لعل نصيب الذين احتضنوا اليهود في بلادهم ادهى وامر من نصيبهم .

ـ واثبت العرب للعالم عن اصالتهم وتفوقهم وشجاعتهم وتمسكهم بالاخلاق الفاضلة والمبادىء الانسانية الكريمة .

ـ وان العرب لو تركوا وحدهم مع اعدائهم بدون عون لاي جانب منهم لما قامت لليهود قائمة على ارض العرب الطاهرة .

ـ واخيرا اثبت العرب انهم اهل لصداقة اصدقائهم واحترامهم وانهم بدينهم ومبادئهم السامية وتصرفاتهم الشجاعة الحكيمة خير امة اخرجت للناس .

تلك هي مكاسبنا من هذه الحرب ـ وهي مكاسب كشفت عن باطل اليهود وردتهم الى تاريخهم المخزي ـ كما كشفت عن حق العرب وردتهم الى تاريخهم المشرف .

فاما الباطل فيذهب جفاء ... واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

وقد اصبحت قضية العرب واليهود تحت نظر العالم اجمع ..

وفي هيئة الامم المتحدة تشكل محكمة من المفروض ان تتوفر النزاهة في قضاتها ـ فاذا حكمت المحكمة بالحق كان أحق ان يتبع ، واذا حكمت بالباطل فان العرب سيرتبون صفوفهم من جديد ويعيدون النظر في امورهم بتقييم ادق وتخطيط اشمل ، وعندئذ سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

المدينة المنورة
٣٠ تشرين الاول

حسن عبدالله القرشي

دمشق

« دمشق » انا على العهد الذي كانا
ورزؤك اليوم بعض من رزايانا
حاشاك ان تهني للخطب ان بدرت
بوادر البغي او عانيت عدوانا
ياصخرة ما وهت يوما لمجترم
وما ارتضت في سبيل الحق بهتانا
بني امية هذا اليوم يومكمو
فصافحوا فيه عدنانا وغسانا
ان امطرتكم فلول الغدر نيرانا
فامطروها بطولات وايمانا
لا تألموا من ضراوات العدا فلها
حد وردوا الاذى يرتد خزيانا
كل العروبة تهفو نحوكم ولكم
في الله عون وما اقواه معوانا !

المدينة ـ
١٩ تشرين الاول

عبدالله الماجـــــد

عن الاصل والصورة

الطريقة التي وافقت بهـا اسرائيل على قرار مجلس الامـن الاخير تثير تساؤلا مريبا ، فبعـد دقائق من صدور القرار اعلنت اسرائيـل عـن موافقة وزارة العدو على هذا القرار والتزامها به . واحد قوانين التاريخ ، كـان يكفينا مؤونة التساؤل المريب هذا ، على اعتبار ان هذا القانـون التاريخي يقول ان ما يحدث اليوم ليس بالضرورة منقطـع الصلة بمـا قبله . احداث اليوم هي وليدة احداث الامس ، امـا تطويرا لها ، او استمرارا لاحداثها .. ونحن العرب ما كنا بحاجـة الى مراجعـة حساباتنا ، فتاريخنـا مع اليهود ، كـان يكفـي لكـي يغذيمواقفنـا المعاصرة بدفق من حرارة التجربة التي تشتعلاليوم. وها هي شواهـد التاريـخ .

« كعب بن اسعـد القرظي » سيد بني قريظة ، القبيلة اليهودية التي نعمت بحسن جوار الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه في المدينة . بعـد ان عقدوا عهدا مع الرسول على العيش فيظلالسلام..

« كعب » هذا المهادن في ستار الجريمة ، له اكثر من صورةتحرك داخل اسوار اعدائنـا اليـوم . كـان هـو الذي ابرم العهـد ، وهو نفسه الذي نقضه . يد تعمل في النهار واخرى تقتنصفي الظلام.

« ابو لبابة » ذلـك الاوسي حليف بني فريظـة ، ومستشارهم في حكم الرسول عليهم بعـد ان حاصرهم ولم يعـد امامهم الا الاستسلام، ابو لبابة ، هو الذي قال لليهودبعد ان استشاروه في حكـم الرسول « انزلوا عند الحكم » وفي الخفاء اشار اليهم بان الحكم هو القتل .. وكانت دعوته صريحـة تدعوهم للاعتصام ومحاولة الفرار من هـذا الحكـم او مواجهـة الرسول واصحابه (وهـو يعلم قدرتهم علـى خوض تلـك الحرب) .

« ابو لبابة » كنت ارى فيه صورة اخرى من الصور الكثيـرة في طوابير العدو . نفس المواقف ، ونفس الحركات ، نفس المراوغـة، نفس المهادنة ، يد تعمل في النهار ، واخرى تلعب في الظلام بسكين مسمومة ، لولا ان الله تـاب عليه .

ولكن كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع هؤلاءالاوغاد؟ (وهذا هـو المهـم) :

« لما رجع عليه السلام باصحابه واراد ان يخلع لباس الحرب امره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر ارضه مـن قـوم لـم تعـد تنفـع معهم العهـود ولا تربطهم المواثيق ولا يامن المسلمون جانبهم في شدة ، فقال لاصحابه : لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة ، فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام ، وكان عدد المسلمين ثلاثة الاف. ولما رأى بنـو قريظة المسلميـن القى الله الرعب في قلوبهم وارادوا التنصل من فعلتهم القبيحـة وهي الغدر بمن عاهدهم وقت الشغـل بعدو اخر . فلمـا رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمـون خمسا وعشريـن ليلة ، فلمـا رأوا ان لا مناص من الحرب ، وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعـا طلبوا مـن المسلميـن ان ينزلـوا على مـا ينزل عليه بنـو النضيـر من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول ، فطلبوا ان يجلوا بانفسهم من غير سلاح فلـم يرض أيضا ، بل قال لا بد من النزول والرضا بمـا يحكم عليهم خيرا كـان او شرا » . (شرح نور اليقين ص ١٤٩)

« سعد بن معاذ » ذلك القائد الانصاري ، الذي مـات ودمـه يضـخ مما اصيب به في غزوة الخندق ، دفاعا عن العقيدة والشرف، كـان هو الحكـم ، جاء بجراحه ليصدر حكمه :

« اني احكم ان تقتلوا الرجال وتسبوا النساء والذرية »

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لقد حكمت فيهم حكم الله يا سعد »

وبتمام هذه الغزوة اراح الله المسلميـن من شر مجاورة اليهود الذيـن تعودوا الغدر والخيانـة » .

(شرح نور اليقين ص ١٥١)

اليست شواهد الامس تدل على احداث اليوم ؟!

- حاشيـة
- في غزوة خيبر ، اعطت احدى نساء اليهـود الرسول صلـى الله عليه وسلم ، قطعة لحم مسمومة ، فأخذ منها مضغة ثم لفظها، واكل منهـا احد اصحابه فمات .
- قال عمر بن الخطاب :« لا يجتمع في بلاد العرب دينـان » يعنـيّ اليهـود والاسلام .
- تهليلة حـزن

هـل ابكيـك يا امتـي وجـدا على ضيـاع مجـدك بالامس ، وهل اكتفي بنبش اطلال ذلك المجـد ؟ ان فعلت ذلـك ، فمـن المؤكـد انني لن اجـد سيف « علي بن ابي طالب » او « خالـد بن الوليد » او فرس « صلاح الدين » لاحارب به . ولكنني انبش اطلال ذلك المجد لابحث عن صورة مماثلة لابطال ذلك المجد .

الجزيـرة
٢٤ تشرين الاول

احمد قنديل — يوم الرجال

خطّ اليراع اليوم اسطره .. دماء
ودعا الرجال الى النداء .. الى الفداءِ
والله ناصرهم وناصرنا سواء
سارت مواكبنا .. رجال
تسعى الى شرف النضالِ
والله ناصرنا سواء
والنصر تكتبه الدماءُ
يزهــو بها يوم النّدا
يــوم الفدا
يوم الرجال
وتعانقت راياتنا صوب العلا فوق السماء
وسعى الرجال .. مع الرجال
لليوم يرعاه الالــه
ولهم بعزته جــلال
ولكل بند في مسيرته يــد
عربيّة الآيات خافقة اللواء
وتلاحقت للزّحف .. راكضة الخطى
تيّاهة القسمات .. باسمة العطاء
احلامنا. .احلامهم،ايماننا. .ايمانهمُ،ودماؤناودماؤهم
للنّصر .. مشرقة الجباه

وتوحّدت وسط الرجال صفوفهم
وتواترت بين الدروب زحوفهم
وهُمُو الرجال .. ويومهم
يوم الرجــال
للنصر .. تكتبه الدماء
يزهو بها يــوم الندا
يوم الفداء
يوم الرجال
تعلو بــــه .. تعلو بهم ..
هاماتنا فوق الذّرى
فوق التلال وبالرِمــالِ
وبقلب اجواز الفضا وعلى الجبال .. ذرى الجبال
فاليوم هذا .. يومنا ، يوم الرجال
يوم الشهادة والنضال
للنصر .. تكتبه الــدماء
يزهو بها
يــومُ النــدا
يــوم الفــدا
يــوم الرجال !!

البلاد ١٩ تشرين الاول

محمد احمد حساني — ارض المعركة

من هنـــا يا اصدقاء
من جــوار اللــه
تمضي كلمــاتي
نحوكم تحمل صدق الاوفياء
من هنا يا اصدقاء
يا احبائي على خط الفداء
يا ثمار الجرح ..
يا صوت الرجاء
يحمل المذياع يوميا الينا
كل انباء المعارك
وتدوي في كياني
كل اشواق كفاحي
وباصراري اشارك !
انتصار .. انتصار
فاحيي
رعشة الشعر
واعصار الدماء
واشارك ..
يا احبائي على خط الفداء
دافق صوتي وكل الكلمات

في عروقــي
غضبة كبرى تدوي .. تستحيل
في دروب النصر فجرا
مشرقا كالصدق
وضاح الجبين
من هنا يا اصدقاء
كل شبر من ترابــي
كــل ذرة
بات يدعوني اليه
موعد الفجر كتبناه بعزم لا يلين
آن للتاريخ ان يرسم سطره
آن للدنيا بأن تصغي لنا
صوتنا صار قوي غاضب
كل من في الارض
لن يصمت جهره
اقوياء .. اقوياء
في طريق النصر نمضي
اقويــاء ...!!
اليوم بدر فأذكروا
يا اصدقائي يوم بدر
وترجل النصر التليد

وعانق النصر الجديد
بشرى واشرفت الوجوه
واينع الجرح المناضل
يا يوم بدر ها هنا
صوت الكفـــاح
الى الكفـــاح
الله اكبر فوق رايات الفداء
هذا هــو الفجر القريب
يطــل
يسألني ــ : ــ تعال
انا قادم : يا ارضنا الخضراء
قـــادم
الشوق يحملني اليــك
ويستحيل هنا ضراما
من ذا يرد الزحف ..؟
ويــل لليفــاه
من غضبة الزحف المقاتل
فتذكروا يا اخوتي : اليوم بدر
الله اكبر واصنعوا
من هذه الايــام بدر

الندوة ١٣ تشرين الاول

ضياء الدين رجب

لا تقلبوا الجد هزلا

لا تقبلوا الجِدّ هزلاً . انها الشُعلُ
صحا الضمير بها واستيقظ الامل
وصفّق المجد في اعماقِ محتَده
شذىً من الخلد : ريّان الصبّا ثمل
رفت سواكبه .. شعت مواكبه
واومض البرق لما استيأس الرسل
فاليوم يوم الهدى غاض الهوى وجفت
مضاجع اللّهوِ أكباد بها ذحِلُ
مو ّاره في جحيم الثأر تطلبه
مهما تطاول في آفاقه الاجلُ
أمانة الحق ّ في الاعناق واثبة
تَطل ّ كالقَدر العاتي وتشتعِل
هي السوانح أعيا الفلب رِ قبتَها
والسّانحات اذا ما لحن : تهتَبلُ
اليوم يوم الهدى في سرّه وهج
من نَفح بدر : وبدر ٌ يومنا البطل
تعانقت في الثرى انفاس من شهدوا
نِضالَها والصدى من زأرهم زَجلُ
قد انتخوا تحت اطباق الثرى وهموا
في معمَعان الوغى اسيافنا : الاوَلُ
فيا بقية اسياف معطشة
خفّوا الى الورد طاب العل ّ والنهل
لا تقلبوا الجد ّ هزلا فالمُنى رِحَم ٌ
موصولة بالمنايا حيث تنتقل
صونوا البوادر جد ّت غير كاذبة
لما تكانَفها : حاف ومنتعل
ليست كأمس مضى والنهج مختلف
فيومنا اتّحدت في نهجه السبُلُ
مبارك ٌ شع ّ في آفاقه قبس
من مهبط الوحي : يلقى صوبَه الثقل
تندق ّ من دونه الاعناق واجفة
فلم يُحو ّمَ في ارباضها الوجل

وانها الازر يحفى دون قيمتها
عسف اللفات وتخشى بأسها الاسل
وانها المعقل الاسمى اذا انحرفت
أعنّة ٌ : فالحِمى للشّر يعتقل
هذي البوادرَ : صونوها فقد جفلت
خيل أعدى اللد ّبل واستنوق الجمل
حطمتموها اساطيرا مجسدة
من الفرور فأوهى خيطه الشلل
تقد ّموا لن تُراعى اليوم ألوية
ظهيرها الله لا نوء ٌ ولا دجل
تقد ّموا فالسماوات العُلا بسطَت
ظلالها الخُضر والاملاك تحتفل
تقدموا في رحاب اليُمن طالعها
سعد ٌ ونجم العِدا قد لفَّه زحَل
تقدموا لا يَرعكُم طيش زعنفةٍ
همو البغاة ولو ماروا ولو ختلوا
فحسبكم في الوغى صيد ٌ يضج ّ بهم
لظى يؤج ّ فما شاخوا ولا اكتهلوا
اسرابهم لا ترَعكم انها خِدع ٌ
سرابها خُلَّب ٌ ايماضه : زغلُ
نسوركم عبرَ عَونِ الله سابحة
تمدها ظُلَل ٌ من فوقها ظلل
فاستمطروا الخير نصرا دافقا غدقا
فلن يَبُل ّ صدانا منكمو الوشل
حتى تعودوا لاسرائيل : تقدمها
أسرى ، سبايا على اعتابكم « خول »
ويستَرِد ّ نداء الحق بهجته
في القدس يضرع شكرانا ويبتهل
فليس من جولة أخرى ولا خطر ٌ
نَخشاه بعد « يهودٍ » حين تنخذلُ

البلاد
١٤ تشرين الاول

علي خالد الغامدي　　الله اكبر

● صوت المدفع في اذني
يصرخ .. خذني للحرب معك
اسمعني صوت المدفع
هذ المدفع صدري
هذا المدفع دمي
خذني استشهد
افرح بالجنة ...
يا طيب الجنة
يا وعد الشهداء
● ابعد عن عيني الليل
هذا الفجر يناديني
يصرخ .. يصرخ
هذا المدفع صدري
خذني استشهد
افرح بالجنة
يا طيب الجنة
يا وعد الشهداء

عكاظ
٨ تشرين الاول

صدري صار شعلة نار

اشعل نـارك
لن يهزمني الباطل
لن يهزمني الشر
مهما كـان
في عيني القدس الان
في عيني حيفا
في عيني يافا
في عيني يرسم هذا الجندي تاريخ
النصر
من عهد صلاح الدين
لم تعرف كتب التاريخ بطولاتي ..
لم تعرف ..
ما زالت رايات النصر
عطشانة ..
ما زالت رايات النصر
ظمآنة .
● اشعل نارك في صدري
صدري اصبح نارا .. ولهيبا ..
وجحيمـا ..
صدري صار .. شعلة نار ..
يحرق ليل الظلمة . والعتمة .. والكفار
اشعل نارك في صدري
ما احلى النار
تحرق اعدائي
صدري صار ..
شعلـة نـار ...!!

عكاظ
١٠ تشرين الاول

هذي ارضي

● دعني اجتاز البحر ..
اجتاز الوادي .. والسهل ..
الاخطار .. وهذي النار ..
هذي ارضي .. من يمنعني عنها ..
هذا الغاصب فيها .. اطرده منها ..
اجعلها مقبرة له ..
ان مت اكون شهيدا .. ان عشت
بيدي هذي احمل رايات النصر .
● كذبوا والله .. لا اخشى الحرب انا
مهما طالت .. مهما كانت .. مهما كلفني
يوم النصر .
بدمي اكتب تاريخ النصر .
الحرب أنا ...
والنار انـا ...
والموت أنا ...
ووسام الفخر على صدري .. قنبلة ..
ورصاصة ..

عكاظ
١٤ تشرين الاول

الليلة عرسي

● ما زلت اواصل اطلاق النار
ما زلت احارب
ما زلت اسجل بالدم
تاريخا لا ينسى

● الليلة هذي عرسي
مرسوم فيها يوم النصر
مكتوب فيها بحروف من نور
بحروف من نـار
صوت المدفع فيها اغنيتي

● وشقيقي في الجبهة يمضي
اقسم بالله على صدري
ان الليلة هذي عرسي
يرسم فيها يوم النصر

● اقسم ان لا يرجع الا بالنصر ...
اقسم ان يهديني في ليلة عرسي ..
مصحف ...
وخطابا مكتوبا بالدم

عكاظ
٢١ تشرين الاول

المغرب

عبد الكريم غلاب

التاريخ لا يعود الى وراء

يخوض الوطن العربي معركة جديدة لتحرير الانسان العربي والارض العربية من الاحتلال .

والحرب الجديدة التي شنتها اسرائيل لا تعتبر ضمن « نزاع عربي اسرائيلي » ولا ضمن « مشكلة الشرق الاوسط » كما يريد الملاحظون ـ وخاصة الاجانب منهم ـ وبعض الملاحظين العرب والمسلمين مع الاسف ، ولكنها حرب تحريرية ، فليس بين العرب واليهود نزاع وليس بين العرب والاسرائيليين ـ مهما تكن الصبغة العنصرية .. والطائفية للصهيونية التي تنتحل اسم اسرائيل ـ نزاع . بل ان العرب منذ ارتبط تاريخهم بتاريخ الاقوام والاجناس وهم يعاملون الاجناس والديانات معاملة كريمة لا يفرضون دينهم بالقوة ـ وقد كانوا اهل قوة في كثير من عصور التاريخ ولا يعتبرون لجنسهم فضلا على اي جنس اخر ، كان التفتح الفكري شيمة العقلية العربية والاسلامية ، في التاريخ وفي الماضي القريب الذي كان فيه بعض اليهود جزءا من الامة العربية يتحدثون لغتها ويعملون في اطار الوطن المشترك والدولة المشتركة والاقتصاد المشترك .

ليس هناك اذن نزاع بين العرب واليهود ولا بين العرب والاسرائيليين وانما هناك عدوان استعماري تبنته طائفة من اليهود انطلاقا من الفكر الصهيوني العنصري باسم شيء اسمه اسرائيل ، ودفعت به الى الوجود الدول الاستعمارية كجزء من تخطيط لاقامة حرب دائمة في وسط الوطن العربي من جهة ، ولتقسيم هذه البلاد حتى لا ترتبط اقاليمها الاسيوية باقاليمها الافريقية لان اسفينا دق وسط هذا الوطن يهدد الارض والمواطن فيه ويشعل الحرب بقوة السلاح الذي ياتيه من الغرب ، كلما احس هذا الغرب بان هذه البلاد العربية اتجهت لتبني نفسها وتنهض بالانسان فيها .

نزاع العرب اذن ليس مع الاسرائيليين ولا مع اليهود ولا حتى مع الصهيونيين لو ظلوا بعيدين عن الوطن العربي ولكنه نزاع مع الاستعمار والعدوان وتهديد الامن والسلام .

عصابة من هؤلاء الصهيونيين قدمت من خارج فلسطين ، فيهم البولوني والتشيكي والاميركي والانجليزي والفرنسي والسوفياتي وفرضت افكارها الاجرامية حتى على اليهود الذين كانوا يتعايشون مع العرب مسلمين ومسيحيين في فلسطين ، وكان هؤلاء ايضا عربا يدينون باليهودية كما يدين زملاؤهم في الوطن والعروبة بالاسلام او المسيحية وقامت هذه العصابة بأعمال اجرامية استهدفت طرد الشعب العربي من ارض فلسطين وتحويلها الى دولة عنصرية صهيونية تدين بالعداء لا لعرب فلسطين فحسب ، ولكن للعرب اينما سكنوا : في مصر او سوريا او العراق او لبنان او الاردن الخ .

هذا هو العنصر الاول في النزاع . وقد افضى هذا النزاع الى طرد شعب فلسطين بالفعل بوسائل اجرامية ومذابح لم يعرف التاريخ الا امثلة قليلة منها . واحتلت ارضه وغيرت معالم المقدسات الاسلامية التي تؤويها هذه الارض واحرق اعظم مسجد يقدسه المسلمون بعد الكعبة .

وبدأ الاجرام يسير في خطته لتصفية الوجود الفلسطيني .

من هنا بدأ النزاع .

ولم يكن هذا النزاع الا من اجل العدوان الذي حدث .

والعدوان لم يعرف له حدا : فقد تحول الى حروب تشنها اسرائيل بمساعدة دول اجنبية او لمصلحة دول اجنبية ضد الجيران العرب : كانت اكبرها واحفلها بالضحايا والخسائر المادية حروب ٥٦ و٦٧ و ٧٣ وتخللتها اعتداءات وحروب جزئية كانت اسرائيل دائما هي التي تشنها ضد العرب لتحقيق الهدف الذي من اجله افيمت .

ومن الطبيعي ان ينهض الشعب العربي للدفاع عن نفسه ولاسترجاع الاراضي التي اغتصبت منه ، ويكفي ان تكون اسرائيل قد توسعت حتى اصبحت في مصر على ضفة القناة وفي الاردن على ضفة الاردن الغربية وفي سوريا مشرفة على سهل دمشق من الجولان كما اصبح جنوب لبنان وعاصمته ومطاره مرتعا خصبا لاعتداءاتها ، يكفي فلسطين بكاملها والعبث بقدسها ـ لتعتبر اسرائيل استعمارا خطيرا يهدد قلب العالم العربي والاسلامي واخطر منطقة حساسة في العالم هي المنطقة التي تنتج البترول .

والوطن العربي الذي ناضل نضال البطولة والتضحية والشجاعة ضد الاستعمار الغربي لا يمكن ـ وفي نفس الجيل ـ ان يخضع لاستعمار جديد لا يختلف عن الاستعمار القديم الا انه اشد منه بطشا واخطر مذهبا : هو استعمار استيطاني عدواني ابادي حاول القضاء على شعب بكامله ، ثم اخذ يتوسع للقضاء على الشعوب المجاورة واحتلال ارضها واستغلال خيراتها (البترول في سيناء مثلا) واذلال شعوبها وفرض الحرب والدماء عليهم في كل وقت وحين .

العرب يشعرون بانهم اجتازوا مرحلة الاستعمار ، انهم طووا

هذه المرحلة مع التاريخ بنضال طويل ، وتضحيات جسيمة ، وشعور جديد بدورهم في بناء مستقبل وطنهم .

وهم على غير استعداد بالطبع ليعودوا بالتاريخ الى وراء فتحتل بلادهم ويذل المواطنون فيها ، ويصرفون كل جهودهم وطاقاتهم لصد الاعتداءات المتوالية وللاستعداد والخوف من العدوان .

رسالة العرب هي غير هذه :رسالة المستقبل للخرج بالانسانالعربي من عهد التخلف وتطوير الفكر العربي ليكون في مستوى الفكر الانساني ، وتنمية موارد البلاد وخدمتها حتى تستجيب للدور الحضاري الجديد كما استجابت في الماضي للدور الذي كان منقدرها ان تقوم به عن استحقاق ووعي واقتدار وتبصر .

لقد شارك الانسان العربي في الحضارة الانسانية ابتداء منالعهد الفرعوني حتى العهد الاسلامي ، وشارك الفكر العربي في تنمية الحضارة البشرية التي حفل بها حوض البحر الابيض المتوسط : حضارة الاديان والفلسفات والفنون والاداب والبناء والانتاج . ومعنى ذلك انهم على استعداد ليساهموا في الحضارة الحديثة بكل قواهم وممكناتهم في جو من السلام والتعايش السلميمعجميع دول العالم .

ولكن حينما تسلط عليهم اسرائيل لتشغلهم بهذه الحروب المتكررة ولتستنزف قواهم بالعدوان والاحتلال فانما تريد بذلك ان توقف سير التاريخ ، وتعود به الى عهد الاستعمار الذي قضى العرب فترة طويلة من حياتهم للتخلص منه .

ومن غير الطبيعي ان يحتمل العرب اكثر مما احتملوا ،ومن غير الطبيعي ان يعود التاريخ الى وراء ليجعل منهم شعوبا مستعمرة تحتل ارضها وتذل المواطنين فيها عصابة تجمعت من مختلف اطراف الارض . الحرب الجديدة التي فرضتها اسرائيل مرة اخرى يجب انتكون النهاية لعهد الاستعمار ، فان لم تكن فستتبعها حروب وحروب الى ان تتخلص بلاد العرب من الاحتلال والاستعمار ولن تكون هذه الحروب صورة للنزاع بين العرب واسرائيل ، ولا بين العرب واليهود ، ولكنها صورة للنزاع بين العرب والاستعمار .

ذلك حقهم . بل هو واجبهم اذا ارادوا ان يكون لهم وجود كريم على وجه الارض ، وليس لاحد ان يمنع عنهم هذا الوجود الكريم .

العلم
١٠ تشرين الاول

منطق العقل والفكر في المعركة

لا احب ان يطغى الجانب العاطفي على الجانب الفكري في المعركة المصيرية التي تخوضها الشعوب العربية ضد اسرائيل ، ومعنى ذلك ان الفرحة بالنصر او الالم للهزيمة لا ينبغي ان يكون كلالمردود الذيتتركه المعركةفينفوسنا. اننانفرحتلقائياحينما ينتصرالمجاهدونمنجنودنا وضباطنا والتقنيون والفنيون الذين يديرون المعركة،لان الانتصار في معركة يقرب الى نفوسنا النصر النهائي على العدو . ونحن نحزن تلقائيا حينما تغير طائرات العدو – مثلا – على المدن والديار الاهلة بالسكان وعلى المراكز الاقتصادية لان في ذلك صورة من انتصار يحققه العدو ، اي هزيمة لقواتنا التي تركت الطائرات المعتدية تصل الى اهدافها .

الفرحة التلقائية والحزن التلقائي لا يحلان المشكلة ، ولا يقربان الينا نصرا ولا يبعدان عنا هزيمة ، ولذلك يجب ان يطغى الجانب الفكري على الجانب العاطفي في المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد العدوان الصهيوني .

والجانب الفكري يتطلب ان نعتبرها معركة مريرة طويلة الامد عميقة الخسائر لن تقف عند حدود الايام او الشهور او السنوات، ولو توقفت الى حين .

ذلك لانها معركة من اجل الوجود والكيان والعقيدة ، ولانها معركة لا تخوضها القوات الاسرائيلية ، ولكن تخوضها قوة اعتى من اسرائيل تعني بوضوح : ابادة شعب له ارض لاحلال شعب لا ارض له لا ينفذ راده لا تدفع فيه اسرائيل ثمنا ، وربما لا تحتاجفيهالى تكوين الخبراء لاستعماله .

هي معركة من اجل الوجود لان الفكرة الصهيونية التي تقوم عليها اسرائيل تعني بوضوح : ابادة شعب له ارض لاحلال شعب لا ارض له محله . وتعني بوضوح : خلق مجال حيوي للتوسع لاقامة مملكة اسرائيل بين الفرات والنيل .

ومركز هذا الوجود والتوسع هو قلب العالم العربي والاسلامي : فلسطين ، التي اصبحت منذ ازيد من ربع قرن تسمى اسرائيل، مصر وسوريا والعراق وحولها يتبلور هذا العالم ومنها جميعا يستمد قوته واستمراره .

اذا استهدفت هذه المراكز للاحتلال الاسرائيلي استهدف الكيان والعقيدة . كيان العرب والمسلمين لا يمكن ان يبقى اذا فقدوا الارض ، وقد فقدوا بالفعل جزءا مهما منها منذ ربع قرن ، وفقدوا جزءا اخر مهما منها منذ ازيد من ست سنوات . والوقوف سلبيا ازاء اسرائيل يطمعها ، ويطمع حماتها في استمراراستلاب الارض – اعني الكيان العربي الى ان تحقق اسرائيل مملكة داود الوهمية . وبذلك نفقد الكيان الذي عليه نبني وجودنا .
وذلك هو النصر لاسرائيل والهزيمة للعرب .

والاستعمار الصهيوني – كالاستعمار الاوروبي والاميركي الذي جربناه – ليس من البلاهة بحيث يعتقد انه سيبيد الانسان العربي جميعه جسديا . بمعنى ان مملكة داود – ما بين النيل والفرات – لن يسكنها الا اليهود ، والعرب المسلمون والمسيحيون ستطويهم الارض . ولكنه يعتقد انه سيفقد العرب الذين يحتملون البقاء تحت ظل النجمة السداسية ما به يكونون عربا وهو العقيدة .

بعض الاستعماريين في الماضي – وفي الحاضر كذلك – كانوا يحاولون استلاب الشعوب المستعمرة عن طريق تغيير العقيدة الدينية مثلا ، فيفكرون في تمسيح المسلمين او غير المسلمين كما حاولت – ونفذت – البعثات التبشيرية في المغرب العربي وافريقيا ، وكانت دائما في خدمة الاستعمار .

تلك نظرية لا نعتقد ان اسرائيل ستطبقها لسلب العرب عقيدتهم ، لان اسرائيل اليهودية مقفلة بمقدار ما هي عنصرية . فهم – من حسن الحظ – لا يبشرون باليهودية وما نظنهم سيحاولون تهويد الشعب العربي اذا تمكنوا منه . وما نعتقد انهم ينجحون اذا هم حاولوا كما لم ينجح اخوة لهم من قبل . ولكنهم سيحاولون اذابته بحيث يصبح شعبا بدون عقيدة ولو ظل يعتبر نفسه مسلما ، وسيزيحون عنه قوميته بحيث يصبح مع الزمن اسرائيليا لا عربيا،

حسن الطريبق

في مباركة الزحف

واكب النصر وثبة الابطال
فانتشى العزم في نفوس غوال
وانطوى الليل بعدما افتر في الاروا
ح فخر يشع بالامال
يتعالى صوت العروبة في « سيناء »
عذب النداء يوم النزال
يزأر الثأر في اشتياق الى المجد
ويهفو الى طلاب الكمال
يرتمي في مدى الكرامة كالبحر
عتي الامواج والاهوال
يحمل المجد غضبة ليس في ك
ل مداها سوى دماء الرجال
أين يمضي بها الهيام وقد أوغ
ل فيها السؤال بعد السؤال ؟
بين سفي من الصاص يدوي
في الصحاري وبين سفي الرمال
يكتب العرب بالشهامة مجدا
سامق الصرح في سماء المعالي
ركزوا في المدى البعيد رجاء
يتخطى كل الذي في الخيال
ويضيء الذي تجاوز ما في الظ
ن من خاطر أننا واحتمال
وحدة اومضت تؤازر اصرار
يمين بشعبنا وشمال !
يتوالى زحف العروبة في الجو
وفي البحر والربى والجبال
ألفت مجدها ودب بها الشوق
وأحيا بها شعور النضال
عرفت نهجها وسارت على الدرب
تخط الخلود للاجيال
في مدار النضال يخضر ليل
ران في ستة من الاحوال !
ويعود الشباب من بعد جدب
يانع الحب سرمدي الجمال

العلم
١٢ تشرين الاول

وسيغيرون معالم كيانه الثقافي ، والثقافة احدى مقومات القومية.

معنى هذا ان الوجود الاسرائيلي يستهدف ابادة الوجود العربي داخليا . فهو ليس من نوع الاستعمار الغربي الذي كان يستغل او يستوطن فحسب ، ولكنه استعمار من نوع اخر يستهدف الابادة من الداخل بالاضافة الى احتلال الارض حتى يصبح الانسان العربي المستعبد متحللا من كل القيم التي تجعل منه شعبا ذا ارض وقومية ولغة ودين .

من هنا كانت الحرب التي تخوضها جيوشنا ذات اهداف وابعاد ليس من السهل تحقيقها بالسرعة الكافية ، ومن الخطأ الاندفاع عاطفيا عند اول انتصار ، او الاعتقاد باننا سنطوي اسرائيل بحرب واحدة . ذلك لان اسرائيل تلتقي في اهدافها مع كثير من الدول التي تريد استنزاف الوطن العربي واذلاله عن طريق اسرائيل ، وعن طريق الحرب التي تفرض عليه من حين لاخر فيظل دائما في الحرب العملية او في الاستعداد للحرب . وبذلك يحققون ـ بواسطة اسرائيل عدة اهداف ـ كبت الوطن العربي حتى لا يصبح وحدة وبالتالي قوة تتحكم في منطقة استراتيجية مهمة ، وتحتل جزءا كبيرا من المحيط الى الخليج .

ـ استنزاف الثروة العربية عن طريقين : طريق وضع البترول دائما في خدمة الامبريالية والاستعمار سواء بالتزويد او بكنز الاموال في بنوك الدول الاستعمارية ، وطريق صرف اموال البترول في التأهب للحرب وشراء السلاح من الدول التي توجد في بنوكها اموال البترول .

ـ صرف العرب عن كل عمل بناء حتى تبقى بلادهم في عداد الدول المتخلفة ثقافيا واقتصاديا . وبذلك يبقى الشعب العربي ـ ولو نجا جزء منه من الاحتلال الاسرائيلي ـ تحت رحمة التخلف وذلك يعني انه تحت رحمة الاستعمار .

هذه هي المشاكل التي نواجهها في حربنا مع اسرائيل . وهي تتطلب العمل الفكري اكثر من الاندفاع العاطفي . واذا كانت دولتنا المواجهة قد اتسمتا في هذه الحرب بأعمال الفكر وضبط الاعصاب والاستعداد الطيب والاستفادة من اخطاء الماضي والاعتماد على التقنية الحديثة وتقوية الروح المعنوية في الضباط والجنود وحشد الطاقة العربية عمليا بمساهمة الدول العربية من المحيط الى الخليج في المعركة ، فاننا لنعتبر ان هذه بداية طيبة لمواجهة المعركة بالفكر لا بالعاطفة .

وعلى الشعوب العربية ان تكون في هذا المستوى فتقدم التضحية حينما يتطلب منها الموقف وتستعد للمعركة الطويلة التي تفرضها ظروف الاستعمار التي اوجدت اسرائيل وتحمي اسرائيل ، وتستعد للهزيمة كما تستعد للنصر ، وتكون في عون المجاهدين في الصفوف الامامية بروحها المعنوية حتى لا تخذلهم .

هذا هو منطق العقل والفكر .

وهو المنطق الذي يجب ان يسود ظروف الحرب التي يخوضها الوطن العربي من اجل ارضه وكيانه وعقيدته .

العلم
١٧ تشرين الاول

عبد الجبار السحيمي

من يخسر أخيراً ..

كنت لا التفت كثيرا الى هذا المركز الثقافي الاميركي الذي يوجد على رأس الشارع . كنت امر عابرا بمركز سفارة اميركا بالرباط ! كانت لافتة ((كتائب السلام)) المعلقة فوق ((الفيلا)) المغلقة لا تثير كثيرا من فضولي .. الان ، بعد العدوان الاسرائيلي ، وسلاح اميركا الذي يتدفق على اسرائيل بشكل مهول ، بدأت اخطو امام هذا المركز الاميركي بكثير من الحذر ! بدأت اخمن حقيقة ما يمكن ان يكون حمائم السلام يصنعون !

لست وحدي من يفعل ذلك ، ففي خلال اسبوع واحد فقط ، وصلت من القراء عديد من الرسائل ، كلها تقول ، بصيغ مختلفة ،ان الذي يقتل ابناءنا ، جنود المغرب في سوريا وفي مصر ، هو السلاح الاميركي ، وليس اسرائيل فقط .. ولا احد يعرف من هو الاصبع الذي يضغط على الزناد ، اذ ان كثيرا من رجال عصابات العدو ((يتخفون)) وراء الجنسية المزدوجة . وهناك بعض القراء الذين كتبوا رسائل غاضبة ، الى حد يصعب نشرها ، أو حتى الاشارة الى محتواها ..

بالنسبة لي ، فان المرور امام السفارة الاميركية اصبح بمثابة التقاء ، مع خط النار . وماذا يكون غير ذلك ، واميركا الرسمية، لا تتورع ان تمطر اسرائيل بادوات القتل ، وهي تعرف لا شك ، هذه الاميركا الرسمية ، أن النار التي تقتل الناس في دمشق ومصر ، لا تفعل ذلك دفاعا عن حق ، فالعالم كله - مهما كان تصرفه - يعرف جيدا ان السوريين يدافعون عن حرية كل شبر من الارض السورية التي يحتلها هذا الطرف الاخر المعتدي ، الذي يطلق الرصاص الاميركي ! كما يعرف العالم ، ان المصريين يدافعون عن الارض المصرية التي يحتلها المعتدي ، وهو يحتلها بهذا الرصاص الذي تمطر به اميركا الرسمية اسرائيل ..

ليس هو الغيظ ما احس به ،وانا امر هذه الايام بالمركز في رأس الشارع ، او بمقر السفارة ،فقد كنت اعرف دائما ان اميركا الرسمية ، قلبها مع اسرائيل ، حتى وهي معتدية ، لكنني لم اكن اظن ان الامر يصل الى هذا الحد الغريب من عدم التقدير ، فبدلا من ان تقوم اميركا الرسمية ، بمجرد اجراء منطقي لتفرض على المعتدي موقفا يحفظ لاميركا نفسها بعض العطف الذي تلقاه في هذا البلد او ذاك ، مع هذا النظام او ذاك ، بدل ذلك ، فان اميركا الرسمية ، تعلن صراحة عن تدفق اسلحتها على اسرائيل ،حتى من غير اشتراط في ان يكون هذا السلاح اداة للدفاع لا للعدوان او لاحتلال اوطان الاخرين ، ومن غير اشتراط ان لا يستعمل هذا السلاح ضد الاطفال الصغار والنساء والمستشفيات في دمشق ! لا شيء من ذلك ، وانما قوافل جوية وبحرية لا تعرف التوقف ، تملأ خزائن اسرائيل بادوات القتل ، وادوات الاعتداء على اوطان الاخرين .

ما الذي اقول لابني ، لو سالني مرة عن معنى المركز الثقافي الامريكي ؟ ما الذي اقول له ، لو اشار الى البناء الغامض لمقر سفارة امريكا ؟ بل ما الذي اقول له ، لو سال سؤالا ابعد من ذلك ، استوحاه من هذه الاخبار التي يتهجاها في الصحف ، او يستمع اليها من الاذاعات عن موقف امريكا من الانسان العربي : مغربيا ومصريا وسوريا وعراقيا وسعوديا و ...

اعرف ان مثل هذه الاعتبارات ، لا تخطر ببال سياسة امريكا الرسمية ! لست ساذجا حتى افترض العكس ، لكنني اعرف يقينا ان عالم الغد ، عالم القرن الواحد والعشرين ، هو عالم سوف يكون قادته ورجالاته ومفكروه اطفال اليوم في مصر وفي سوريا وفي المغرب وفي المملكة العربية السعودية وفي تونس وفي الاردن وفي كل هذا الوطن العربي من المحيط الى الخليج .. فما الذي يمكن ان تتوقعه امريكا الرسمية من قادة ، عرفت طفولتهم كثيرا من المرارة وكثيرا من الحزن ، وارتبطت هذه المرارة وهذا الحزن باسم امريكا التي تعطي بلا حساب النار والرصاص لاسرائيل ؟

سؤال لا اجيب عليه ! أطفال اليوم هم الذين يملكون ان يجيبوا عليه مع اطلالة القرن الواحد والعشرين ، حين يكون كثير منهم في مراكز المسؤولية ، وحين تكون الامة العربية اكبر بكثير مما هي عليه الان ، في الناس وفي كفاءة الناس وقدراتهم وامكانياتهم التي تتطور باستمرار ..

ومن يخسر اخيرا ، سيكون الخاسر الاكبر !

مصر التي في الخاطر

نحبها كثيرا ، من اجل هذا الحب الكبير لها ، نغضب احيانا منها.

انني اتحدث عن مصر : مصر الماضي ومصر الحاضر ، مصر التي في خاطر الناس جميعا ، وفي دمهم !

لم اعرف متى ولا كيف بدأت ارتبط بها ، لكنني أكاد أعتقد أن ذلك بدأ منذ الصبا الباكر ، حتى قبل ان اعرف الكثير عنها ، وقبل ان أقرأ مجلة الاطفال ((سندباد)) ، وقبل ان أميز لهجتها الحلوة عن باقي اللهجات المحلية ، وقبل أن احدد بعض الاسماء التي تدل عليها ، بل وقبل ان اكون قد رأيت حارة من حاراتها في فيلم سينمائي ..

والذي يحب مصر ، لا يحب جزءا منها ويستثني جزءا آخر .. الذي يحب مصر ، يحبها كلها ، النيل ، أم كلثوم ، المنفلوطي ، رسالة الزيات ، الازهر ، احمد فؤاد نجم ، الدراويش ، جامعو السبارس ، المنصورة ، بور سعيد ، الاسكندرية ، الشعر ، والفول المدمس .

هكذا تعلمنا ان نحب مصر ..

أذكر ، في سنواتي الاولى بالمدرسة ، ان زائرا غريبا دخل زقاقنا ذات يوم ، كنا نلعب الكرة وقتها فلم نتوقف حتى يعبر الزائر الغريب ، لكننا عرفنا في نفس اليوم انه مغربي كان يدرس في مصر ، وعاش بعض الوقت هناك ، كان ذلك الغريب هو الشاعر الاستاذ محمد بن عبد الله ، ومنذ عرفنا ذلك ، بدأنا ، لا نوقف فقط لعبة كرة القدم حين يمر بنا ، بل اصبحنا نتحلق حوله ، نقتفي خطواته حتى يدخل بيت اسرته في آخر الزقاق ، كان يكفينا ان نعرف انه ات من مصر ، لنسحب عليه الحب الذي نختزنه على البعد لمصر ..

وكبرنا وكبر معنا هذا الحب . كانت مصر هي التي تحتضن كثيرا من ابنائنا ، تفتح لهم القاهرة دارا حين يطاردهم الاستعمار هنا ، تفتح لهم باب جامعاتها لان الاستعمار هنا كان يكره مجرد ان يوجد جامعي مغربي .. باللغة العربية .

مصر التي نحبها كثيرا ، هي مصر دائما ، في الماضي وفي الحاضر نفرح معها ، نشقى معها ، وتتعلق قلوبنا بكل اخبارها ، بكل اخبار شعبها الطيب العريق .

يا مصر ، ليس طارئا ان دم الجندي المغربي قد سال فوق ترابك،

محمد العربي الشاوش — الى المجاهدين

ما بعد غدر الفدره … بني صهيون الفجره
سوى الوقوف كتلة … جبارة مستنفره
وجبهة مرصوصة … وعصبة مشمره
تحمي البلاد والعبا … د من طغاة كفره
من الذئاب الخبثا … ء المعتدين المكره
أبناء صهيون اللئا … م العابثين الحقره
قد ظلموا وشردوا الـ … عرب الكرام البرره
وهتكوا حرمتهم … بأيد كانت قذره
واختلسوا ارضا بها … مآثر مطهره
ارض « فلسطين » التي … هي بحق جوهره
وامتلكوها بالخدا … ع والخطى المزوره
وسلبوا أمجادها … فأصبحت مستعمره
واغتصبوا واستعبدوا … بحيلة مدبره
ثم تمادوا في العنا … د والفساد والشره
وهددوا وأرهبوا … وأمعنوا في الثرثره
وارتكبوا فظائعا … مزرية مؤثره
وتركوا أنفسنا … مكلومة مكدره
فكان لا بد لنا … من رد كيد الفدره
وقذفهم في البحر أو … في النار مثوى الكفره

من يزرع شرا في الورى … يحصده حقا ويره
هم الذين بدأوا … بالغدر فانظر اثره
وأوقدوا نار الوغى … محرقة مدمره
وبرزوا كأنهم … وحوش غاب خطره
وهجموا غدرا على … أوطاننا المحرره
ويتموا ، ورملوا … بخسة وبربره
فليس بعد غدرهم … الا الحروب المشهره
نذود عن أوطاننا … كخالد أو عنتره
وما رهبنا قوة … وعدة مدخره
وما يئسنا لحظة … ولا رجعنا القهقره
قالوا انهزمنا ، كذبة … من ثلة مستهتره
لم ننهزم قط ، ولكـ … ن قد قبلنا المشوره
من «مجلس الامن» الذي … دعا لوقف المجزره
و « هيئة الامم » مع … وفودها الموقره
فان وفت وأنصفت … فذاك منها مفخره
او بخست ، عدنا الى … حملتنا المظفره
والنصر والفوز لنا … ومن يعش قطعا يره

العلم

٢٣ تشرين الاول

ليس طارئا ولا جديدا ، فترابك هو تراب هذا الجندي المغربي ، وهو حين يقف في سيناء او على مدخل الاسماعيلية ، فكأنه يقف على مشارف تطوان ..

ما أعجز الكلمات ، كلها كلها لا تساوي قطرة صغيرة من جرح جندي مغربي يقف جنبا الى جنب مع الجندي المصري ، يترجم الحب باللغة التي لا اعرفها ولا استطيعها ..

معك دائما يا مصر ، وكلنا حب .

العلم

اول تشرين التاني

العسكرة

ما الذي يقرأ الناس الان ؟ ولنحدد اكثر فنتساءل : ما الذي يقرأ الانسان العربي الان في الرباط وبيروت والقاهرة ودمشق وبغداد والبحرين وتونس والجزائر ؟

بعد حزيران ، نبت في الحقل العربي ما سمي ادب حزيران ، وكتب حزيران .

كل شيء اصبح مصبوغا بحزيران ، ابتداء من قصائد نزار قباني الذي تخلى عن المرأة ليكتب عن « منشورات فدائية » ، وحتى الدكتور العظم الذي تحول من « نقد الفكر الديني » الى نقد الفكر الفدائي ، مرورا بالعشرات من الكتاب ..

هذا الادب الحزيراني الذي نبت في الحقل العربي ، كاد يصبح نبتة اصيلة في الحقل لا طارئة ولا طفيلية ، فالهزيمة فتحت الشهية للكثيرين ، واعطت الشجاعة للكثيرين ، واسهمت السوق في ذلك ، فقد وقع اقبال كبير من القراء على كل كتابات حزيران ، الصحيح منها والخاطىء ، سليم النية منها وسيء النية . وانطلقت التفسيرات والتحليلات تضرب في الحقل المفتوح وتغرس فيه بلا رقيب ، فهناك من علل كل شيء بالتخلي عن الدين ، وهناك من علل كل شيء بالتشبث بالفكر الديني ، وهناك من طرح غرس « التكنولوجيا » ، ومن اعلن غياب الجماهير وغياب الديمقراطية اساسا لكل ما حصل وكل ما يحصل ... وكاد حزيران يصبح حائط مبكى ، لولا ان جاء سادس اكتوبر ١٩٧٣ لتمحو ضربة « يوم كيبور » نبتة حزيران ولتطرح امام النقد منهجا جديدا لرؤيته .

الان ، بعد سادس اكتوبر ، يصبح الانسان العربي « معسكرا » . فقد « تعسكرت » العقلية العربية القارئة بشكل لا تخفيه واجهات المكتبات حتى في هذا الظرف القصير ... فأكثر الكتب المعروضة والمطلوبة هي كتب عسكرية ، تتحدث عن الاستراتيجية العسكرية في القديم او الحديث . كما عادت مذكرات كبار رجالات الحرب لتحتل الصدارة ، وليس مستبعدا ان مطابع بيروت في هذه اللحظة ، تدور باستعجال لتعطى مزيدا من الكتب العسكرية الموضوعة والمترجمة ...

هل يعني ذلك ، ان الانسان العربي يكتشف متأخرا ، ان اللغة الوحيدة التي يسمعها العالم هي لغة الرصاص ؟.

اذا كان هذا بالفعل ، فما اكبر خسارة اسرائيل ومن يدعم اسرائيل، لان الانسان الذي يكتشف ان لغة الرصاص وحدها هي التي اسمعت صوته ، فانه حتما سيعرف كيف يطور هذه اللغة من اجل ان لا تضيع حقوقه كما ضاعت من قبل .

ان اكتوبر ١٩٧٣ ، كان ضروريا لنتعلم الكثير ، وكان اكثر ضرورة ليدخل حزيران في مدار جديد .. ولينظر اليه من منظار جديد !

العلم — ٢٤ تشرين الاول

تحية

محمد العلوي

الله اكبر ان النصر يقترب ... وجيش صهيون من سيناء ينسحب
قد زلزل البغي وانهارت قواعده ... والارض من تحته احشاؤها لهب
من بعد ما شمخت في ارضنا زمنا ... قلاعه طأطأت هاماتها النوب
كأنها لم تكن يوما ولا رصدت ... قنالنا تتحدانا وترتقب
من بعد غطرسة الباغي ونخوته ... سكران يختال في كبر ويغتصب
من بعدما أمنت صهيون ثورتنا ... وآمنت انما الدنيا لمن غلبوا
قمنا نذكر صهيونا وقد نسيت ... ان الذين غزوا أوطانهم عرب !
لا يركعون لباغ جاء يرغمهم ... وليس يرهبهم شيء اذا غضبوا
ثرنا فدارت عليهم شر دائرة ... لم يشهدوا مثلها فيما به نكبوا
فوق القنال وفي الجولان ملحمة ... لم تروِ أهوالها الاحقاب والكتب
كم خيم الصمت في ساحاتنا وبكت ... سيوفنا وهي في الاغماد تضطرب
وكم دعونا لهذا اليوم قادتنا ... وكم أقمنا على الاطلال ننتحب !
حتى استجابوا لاهداف مقدسة ... فحققوا معجزات شأنها عجب !

***

لله أبطال مصر في تدفقهم ... عبر القنال وبحر الموت يصطخب !
مدوا اليهم جسور الموت فاغرة ... أفواهها حية في زحفها العطب
دبت عليها جبال وهي ثابتة ... لم يثنها سبب واه ولا طنب
مادت وقد سمعت : الله أكبر في ... عرض القنال كما لو مسها طرب !
وكالقضاء وكالطوفان مندفعا ... تدفق الجند في سينائه يثب !
يعانق الموت في صبر ويكتب في ... لوح الخلود سطورا حبرها ذهب !
فجرعوهم كؤوسا غير سائغة ... لم يجرعوا مثلها كأسا ولا شربوا
وصوبوا النار للاجواء حامية ... كأنها وهي تسعى نحوهم شهب
صواعق من تلامسه شرارتها ... يهوي ، ومن هربت لم ينجها الهرب
كأن في جوعها سرا لقوته ... كل الحوائم في الاجواء تنجذب !
بالامس كانوا يجوبون الفضاء ولا ... ينالهم رهق منا ولا نصب
واليوم لا يركب الاجواء طائرهم ... الا تلاحق منا خلفه الطلب !
واندك كالرمل (بارليف) وكان له ... درعا به يحتمي منا ويحتجب
كم من جهود ومن مال ومن زمن ... انهار في هجمة ـ قد شنها العرب !
لسنا نقاتل حبا في مقاتلة ... ولا نسالم من في سلمه ريب
وان نكن قد رزئنا بعض اخوتنا ... فانهم في بنيهم مثلنا نكبوا
اوطاننا تلك نفديها بما ملكت ... ايماننا ولها أرواحنا قرب
والمسجد الاعظم الاقصى وقبلتنا ... الاولى وصخرته الشماء والعتب
يحز في النفس ان تبقى مدنسة ... رحابها بين أيدي المعتدي سلب

* * *

وغضبة العرب في الجولان ملحمة ... تنهد من هولها الكثبان والهضب
لم يبق فيه مكان غير مشتعل ... ولا معاقل الا وهي تلتهب
كأنما الليل صبح من تأججها ... وجند صهيون في بركانها حطب
يا من رأى الاسد في الجولان رابضة ... بلغ سلامي اليهم كلما وثبوا
كأن عيني تراهم في مرابضهم ... يصلون صهيون نارا وهي تنقلب
ويا كتائب فتح لا عدمتكم ... لقد قهرتم أعادينا كما يجب
حسب العروبة نصرا انها انتفضت ... وشملها اليوم شمل ليس ينشعب
ان فاتني ان أرى بالعين معركة ... ولم يتح لي الى جناتها سبب !
فقد رأيت بقلبي وهو يصدقني ... مواكب النصر والاسعاد تقترب
ان يدرك النصر قومي فهو عادتهم ... وان تكن للعدى فالدهر ينقلب !

العلم الثقافي
١٩ تشرين الاول

ادريس الخوري

هل انتهى ادب حزيران ؟

الآن ، وبعد ان دخل العرب حربا حقيقية مع اسرائيل لاسترداد اراضيهم وكرامتهم ، نجد انفسنا ، مضطرين الى طرح هذا السؤال: بعد الحرب ، كيف سيكون واقع الادب العربي الحديث ؟ هل سيتغير وجهه الحالي كليا ام سيبقى محافظا على نفسه القديم ؟ نفس ما بعد ٦٧ الى الان ؟ مبدئيا ، لا يمكن الجزم ، نهائيا ، بحالة التغيير التي ستشمل الادب العربي الحديث دون معرفة اسباب المعطيات التي ستطرحها حالة الحرب الدائرة (رغم لعبة وقف اطلاق النار) . وكذلك انعكاساتها الكثيرة (والخطيرة معا) التي ستترك بصماتها عليه : فالامر كله موكول الى عامل واحد : نهاية الحرب ، حيث ستتنفس الاحاسيس من جديد ويبدأ البحث عن شكل « ملائم » للادب ، اي ان الحالة التي ستنتهي اليها الحرب العربية الاسرائيلية (العربية التحريرية من جهة ، والصهيونية المضادة من جهة اخرى) هي التي بامكانها ان تعطي جوابا نهائيا لواقع الادب العربي ما بعد « تشرين ٧٣ » ...

بعد هزيمة حزيران الخاطفة ، وما خلفته من نكسة عميقة في نفسية الانسان العربي ، خصوصا المثقف ، انبهر المثقفون العرب (وكذلك النقد من جهته) بما سمي آنذاك بأدب المقاومة (محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سليم جبران ، وغيرهم ...) لكن « اكتشافهم » له جاء جد متأخر . وحيث ان ادب المقاومة كان اساسا ، يعكس نضال العرب داخل الارض المحتلة ، وحيث انه ، من جهة اخرى ، كان فجيعة مستمرة تصر على ابراز الهوية العربية الفلسطينية ، رغم محاولات الاذابة فقد وجد ادب المقاومة نفسه ، والشعر منه بالخصوص ، يلتقي مع خروج الهزيمة مباشرة الى الساحة العربية لتظل كابوسا يؤرق كل عربي ، ولتظل حلوى مستهلكة كل يوم ، وهكذا بدأت المراجعة في كل شيء ، في السياسة ، في الشعر ، في الرواية ، في الفكر العربي ، في سبر اغوار الوجدان العربي الذي ظل متخلفا عن غول « التكنولوجية » كما تلوح بها اسرائيل ومن ورائها الغرب ، وباختصار نشطت حملة « النقد الذاتي بعد الهزيمة » التي انشطرت الى شطرين : ايجابي وسلبي ، ووسط هذا الشتات من نبذ الماضي والتطلع الى المستقبل ، بروح علمية جديدة ، استمر ادب المقاومة وحده في الساحة ومن ورائه الاصوات العربية الاخرى غير الخاضعة للاضطهاد (الا اضطهاد الحرية) .

لماذا اذن لقي ادب المقاومة ، بعد هزيمة حزيران مباشرة ، كل ذلك الاقبال المنفعل احيانا والساذج احيانا ؟ هل جاء كخلاص ؟ لان « الجماهير الخارجة من هزيمة حزيران عادت لتكشف ، وعبر المقاومة الفلسطينية ، احساسها القومي « الصافي » . ورأت في المقاومة طريقا الى القتال الذي حرمت منه طويلا ، فجاء الشعر الفلسطيني ليعبىء فراغا احدثه ضمور الحركة الشعرية الحديثة وتراجعها في عملية بحث عن الذات ، فكان الشعر الفلسطيني هو شعر الواقع الجديد وهو صوت المرحلة الثورية الرومانسية الوئيدة ، غير ان الاندفاعية الجماهيرية سرعان ما تصطدم بعقبات جدية ، وسرعان ما بدا ان الواقع الذي اعتقدناه واضحا عشية حزيران هو اكثر تعقيدا مما تصورنا ، هو ان ثورة الشعب الفلسطيني لا بد لها من تفهم العلاقات التي تعيش وسطها كي تستطيع تجاوز حقول الالغام المزروعة امامها : هكذا كان الشعر الفلسطيني مواجها مصيره الفني » (١) وبدلا من ان يفهم النقد العربي هذه الخلفية التي حملها ويحملها معه الشعر الفلسطيني ، انحصر اهتمامه به في اطار السطح (البكاء والعويل انطلاقا من الارض المحتلة ، واستشراف العودة الى الارض في يوم ما) .

وسط هذا المناخ الفاسد ، هذا المناخ المتكالب ، تعامل المثقفون العرب ، وكذلك النقد ، مع ادب المقاومة تعاملا عاطفيا ، اي تعاملا خارجيا ، صحيح ان آثار الهزيمة كانت لا تزال تبدو جديدة ، لكن لا احد اراد ان يتجاوز الهزيمة كعقدة نفسية تاريخية عقدت الانسان العربي ، لذلك « ازدهر » ادب المقاومة لانه وجد نفسه وحده في ساحة الاستهلاك ، كتعويض عن ضمور الشعر العربي (من جهة) وضمور الذهنية العربية ، وكتعويض عن وصول الشعر العربي الى حافة الركود والتكرار (من جهة اخرى) .

ان توفير المناخ الطبيعي ، لكي يزدهر ادب ما بعد حزيران لم يكن طبيعيا . ففي حملة المراجعة والنقد الذاتي وطئت اقدام الادب الرديء على صدور الادب الجيد باسم المراجعة والنقد الذاتي ايضا ، بينما اخذت دور النشر تتاجر في الادب الفلسطيني كما لو كان افلام « كاوبوي » ! وبدأنا نقرأ شعرا فلسطينيا مماثلا في كثير من الكتب وبهذا الاعلان (آخر ما كتبه شاعر المقاومة مثلا) .

من الصعب جدا احصاء الكتب التي صدرت بعد هزيمة ٦٧ مباشرة : دواوين شعر ، مجموعات قصص ، روايات ، كتب سياسية ، مذكرات الخ ... ففي خضم الاحساس بكابوس حزيران ، كانت الكتب تصدر ولا مبرر لها الا الهزيمة . ان غربلة نقدية واعية ، تستطيع ان

---

(١) مقال الياس خوري في شؤون فلسطينية العدد ٢٦ .

تترك اشياء وتلغي كثيرا من الاشياء ، وحتى الان ، لايزال النقد العربي يدور في فلك حزيران (استطاع فكر المقاومة السياسي، خصوصا منه الجانب الثوري ، ان يضع يديه على الجرح العميق الذي تعاني منه الجماهير العربيـة في ظل انظمة غائبة) .

وعلى الصعيد السياسي ، كانت الانظمة العربية التي مستهـا الهزيمة العسكرية مسا مباشرا ، تبحث عن نفسها وسط كثير مـن الشعارات التي طرحتها للاستهلاك المحلي ، بينما اقتصرت اسرائيـل على التلذذ بانتصارها العسكري الخاطف ، وكانت الجماهير العربية غير مصدقة ان هناك فعلا حربا وقعت ، وان هناك هزيمة فعلا وقعت ، وكانت الانظمة العربية تمني نفسها بالانتصار المعنوي (مشاريع السلام ، قرار مجلس الامن ، مشروع روجرز ، الخ ..) لكن اسرائيل كانت ولا تزال تتلذذ بالانتصار وتبني نفسها من الداخل والخارج ، وفي المقابل ، كانت المقاومة الفلسطينية هي وحدها في الساحة ، سواء على مستوى ادبي او على مستوى عسكري .

هل كانت هزيمة حزيران ٦٧ ايجابية ؟ من جهة نعم ، فشعـر المقاومة اخذ الغربة وحده واستمـر في السير يولول ويبشر بالعـودة وكان المثقفون العرب وراءه يبكون بمختلف الاصوات الحزينة : في مصر كتب جمال الغيطاني « حكاية شاب عاش منذ الف عام » ، وفي سوريا كتب سعد الله ونوس مسرحية « حفلة سمر من اجل خمسة حزيران ». وفي الاردن كتب تيسير سبول « انت منذ اليـوم » واميـن شنـار « الكابوس » ، بينما في لبنان كتب حليم بركات « عودة الطائر الـى البحر » ، وكان هناك حوار شعري قائم بين الشاعرة ناديا تويني (بالفرنسية) والشاعر انسي الحاج حول الهزيمة ، وبمرور سنين على النكسة ، وعى المثقفـون اللبنانيون مسؤوليتهـم واخـذوا يدينـون الانظمة المسؤولة عن النكسة : جلال خوري قدم مسرحية « جحا في القرى الامامية » وعصام محفوظ « لماذا رفض سرحان مـا قالـه الزعيم عن فرج الله الحلو » في تشرين ٧١ ، ومحتـرف بيـروت قـدم « مجدلون » ، بالاضافة الى مسرحيات اخرى وروايات اخرى واشعار اخرى (لا ننسى الاصطدامات التي كان يواجهها رجال المسرح اللبنانيون من طرف السلطة) ، وبصفة عامة ، ازدهرت ثقافة ما بعد حزيـران بجميع انواعها وتوضحت الرؤية النقدية عند الجيل العربي الذي اطلقته الهزيمة من قيوده وكبته .

لقد استمر الادب العربي ، بعد حزيران ، يسير في ثلاثة اتجاهات رئيسية : دعم الثورة الفلسطينية بشكل مطلق ، ادانة الواقع العربي الفاسد المسؤول عن النكسة ، التطلع الى المستقبل بروح جديـدة ونفس جديد ، حتى اللغـة قد تبدلت ، فـي هذا الاطار تدخل كل الكتابات الجديدة للجيل العربي ، بدءا من مصر ، الى سوريا ولبنان ، الـى العراق والاردن . ان جيل ٦٨ لم يكن ليظهر هكذا اعتباطا ، بل ان الظروف السياسية ، وما تحمله من تناقضات سوريالية ، كانت عاملا اساسيا في غرس وعي نقدي حاد ، وهكذا تجاوزت الاحداث والتجارب ، وكذلك تطور الوعي عند المثقف العربي ، تجاوزت كلها « احلام الفارس القديم » الذي ظل يجتر « مذكرات بشر الصوفي الماضي » (٢) .

تاريخيا ، لا يمكن ان يعطي ادب ما بعد حزيران ، الى الان ، اكثر مما اعطاه : لقد صفى الحسابات مع جيل ضامر لـم يرد ان يتحرك منذ حركة التجديد في الشعر العربي . ذلك الجيل الذي انزوى قانعـا بالانجازات الثقافية التي حققها في ظروف غياب الوعي الجماهيري وقبل انطلاقة حركة المقاومة عام ٦٥ ، والان ، حين نتساءل عن ملامح الادب العربي ، بعد حزيران الى حرب تشرين (اكتوبر) ، انمـا نفعل ذلك انطلاقا من عدة عوامل بارزة : اهمها ان ادب ما بعد حزيران قـد استنفد ، هو الاخر ، طاقته واخذ يبحث عن بديل حتى ولو كان غامضا (تجربة شعراء « مواقف » الجيدة رغم سورياليتها) ، انحسار المقاومة

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور .

برقيــة

تلقينا من وزير الشؤون الثقافية في تونس البرقية التالية نثبتها عملا بحرية النشر :

الى السيد مدير مجلة « الآداب » البيرونية ـ بيروت .

طالعت في عدد اكتوبر (تشرين الاول) من مجلة « الآداب » (ص ٩) نص برقية موجهة من اتحاد الكتاب اللبنانيين الى وزير الثقافة التونسي فحواها ان الشاعرة التـونسية فضيلة الشابي كانت في المدة الاخيرة عرضة لاجراء تعسفي من السلطات التونسية تجسم في ما عبرتم عنه بحجز حريتها في الالتحاق بزوجها فـي الخارج الخ .. وقد أجريت بحثا في الموضوع فتبين ان السيـدة فضيلة الشابي هي فعلا على أهبة الالتحاق بزوجها في الخـارج ولديها جواز سفرها الذي يخولها ذلك خلافا لما جاء في برقيـة الاتحاد ، فالرجاء اشعار الاتحاد بهذه الحقيقة ونشر برقيتي هذه في نفس المكان الذي نشرت به البرقية المشار اليها أعلاه ، وتقبلوا عبارات التقدير والشكر .

وزير الشؤون الثقافية

الفلسطينية نتيجة الضربات من كل جهة خصوصا « ايلول الاسود » عام ٧٠ في الاردن ، تهافت الانظمة العربية على الحلول السلمية وما تبع ذلك من انعكاسات على الوضع العربي العام والمثقف العربي بوجه خاص حيث بدأ اليأس يدب ، حالة لا حرب ولا سلم ، « غياب » الجماهير العربية عن مسؤولياتها حيث لا زالت الى الان تحت الوصاية ، واخيرا تكالب الصهيونية والامبريالية (بتواطؤ مع الرجعية المحلية) عـلى الشعوب العربية قصد تشكيكها في مقدرتها الذاتية على النضال . هذه العوامل ، وغيرها ، احدى المعطيات الاساسية ، جعلت الادب العربي ، بعد النصف الثاني من فترة الهزيمة ، موجودا لكنه غير فاعل .

ان الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، التي لم ينتصر فيهـا العرب كليا ولم ينهزموا كما حدث في يونيو ٦٧ ، ستكون ولا شك ذات منعطف آخر في مسيرة الادب العربي الحديث والفكر العربي الحديث ، كذلك ستكون منعطفا هاما في عقلية الانسان العربي الذي احس ، هذه المرة ، بنوع من التفاؤل ، ودون الاهتمام بلعبة وقف اطلاق النـار ستظل هذه الحرب عاملا اساسيا من عوامل التحول في النفسيـات والعقول ، وحتى لو استمرت او اوقفت ، فانها كانت تبدو ضرورية : لقد استمر عار ٦٧ جاثما علينا ست سنوات الى سادس اكتوبر ، من اجل ذلك تبقى المقاومة الفلسطينية هي المنطلق وهي المنتهى ، ان الاستمرار في النضال يعني الاستمرار في تأكيد الهوية العربية التي توضحت نسبيا في حرب سادس اكتوبر لتظل المقاومة وحدها ، ومـن ورائها الادب بصفة عامة ، في الساحة . فهل ستكون هذه الحـرب الحقيقية عاملا حاسما في نهاية ادب ما بعد حزيران ٦٧ وظهور ادب ما بعد اكتوبر ٧٣ ؟ مرة اخرى ليس هناك جواب نهائي ، وحتى اذا وجد فليس بالضخامة التي وضع بها ادب ما بعد حزيران ..

العلـم
٢٦ تشرين الاول

تونس

ادباؤنا والمعركة

صالح الحاجـة

عندما سقطت فرنسا تحت الاحتلال الالماني خرجت كجندي شجاع واحد لصد العدوان ، واتحد شعبها وحدة رائعة في وجه العدوان ، وكانت المدافع تطلق النار لتحرق الظلم والاستبداد ورغبة التوسع ، وكانت الاقلام الى جانبها تطلق هي ايضا طلقاتها في وجه العدو الالماني.

كانت الاقلام تطلق الكلمات الهادئة الرصينة .. كلمات الامـل والتفاؤل والنصر والحرية والكرامة .. وتوجهها الى الشعب الفرنسي لتساعده على القتال والنضال وتفرش طريق الموت من اجل الحياة بزهور الشجاعة والفتوة ..

واشهر قصيدة قيلت في هذا المجال قالها بول ايلوار وكان عنوانها (هناك كلمـات تحيي) ..لقد عوضت هذه القصيدة كلمات صباح الخير وتصبح على الخير وحلت محل جميع كلمات التحايا واصبح النـاس يرددونها كما يرددون اي اغنية شعبية ..

وكانت الاقلام ايضا تطلق كلمات اخرى .. ولكنها موجهة الـى العدو .. كلمات قاسية .. مؤلمة .. قاتلة تبعث في العدو الشعـور بالخزي والعار والفضيحة وتحثه على العودة الى بلاده والتوقف عـن تقتيل الابرياء والاطفال والنساء .. وتهديم البيوت الامنة ..

ومن بين الاقلام التي لفتت الانظار اليها بمقالاتها في تلك الفترة الشجاعة من تاريـخ فرنسا .. قلم البير كامو كان ينشر مقـالاتـه على الصفحة الاولى من جريدة ـ كومبا ـ .. لقد ذاع صيت البير كامو عن طريق مقالاته السياسية قبل ان يلمع بواسطة كتابه ـ الغريب ـ .. وكان الناس يقبلون على قراءة مقالاته بنفس اللهفة التي يقرأون بهـا اخبار المعارك ..

لقد كانت مقالاته في تلك الفترة الخبز اليومي الذي يحيا به الناس .. انه خبز التلويح بالنصر وبعث الثقة في قوتهم وارادتهم .. وانهم شعب لا يقهر ولا يهزم .

والتاريخ حافل بالاشارات الى دور الكلمة في الحرب والشواهد التي تشهد ببطولتها في القتال .. ومن اراد ان يتأكد من دورها وبطولتها عليه ان يعود الى كتب التاريخ ففيها ما يشفي الغليل وسيجد في مـا سيجد ان الكلمة اخذت مكانها في المعارك التي خاضها الاسلام ضـد اعدائه وانها لعبت دورا عظيما في مساعدة المؤمنين على الصمـود والاستمرار في القتال وبلوغ النصر .

ان للادباء والكتاب مهمة خطيرة في السلام والحرب يؤدونهـا بامانة .. ولهم مسؤولية يتحملونها في اوقات العسر واليسر بشجاعة . دورهم زرع الامل في دروب المقاتلين وتزيين الموت من اجل الحياة .. ومسؤوليتهم هجمات العدو الكلامية التي تستهدف تخريب الجبهـة الداخلية وتشكيك الشعب في قدراته وامكانياته لينسحب من ميـدان القتال ويهزم نفسه بنفسه ..

وفي هذه الايام التي نعيش فيها معركة من اشرف معاركنـا .. ونترقب فيها النصر وندعو فيها بالانتصار لجيوشنا العربية على طغمة الظلام والعنصرية ..

في هذه الايام يتابع ادباؤنا تطورات القتال باهتمام ويعيشون اخبار المعركة ويترقبون النصر بلهفة شديدة وفي نفوسهم امل قوي .. وفي قلوبهم فرحة عارمة .. وفي اقلامهم خير سيتحول الى انتاج ادبي جيد يزيد في اضاءة الطريق امام الاجيال العربية المؤمنة بوجودها والتي ستمضي في بناء المستقبل بلا عقد .

ومع بعض ادبائنا كانت لي لقاءات .. عبروا لي خلالهاعن عواطفهم ومشاعرهم وانفعالاتهم وردود فعلهم تجاه معركة رمضان واماينهـــم وتوقعاتهم .. لقد اخترت من اخترت من الادباء بعفوية مطلقة ..

ولاول مرة اقابل بترحيب جماعي شديد من طرف الادباء واستعداد فوري للاجابة على اسئلتي .. ولم اجد من بين من اتصلت بهم مـن رفض الاجابة او طلب مني ان اعطيه فرصة للتامل كلهم وافقوا وقالوا كلمتهم بسرعة ..

وهناك عدد اخر من الادباء اتصلت بهم ولكني لم اجدهم (بشير ابن سلامة ، مصطفى الفارسي ، المنجـي الكعبي ، نورالديـن صمود، محمد مصمولي ، احمد القديدي) .

واعرف ان هناك عددا كبيرا من ادبائنا لم اتصل بهم ، ولكـن ليعذروني فان الوقت لم يسمح والظروف لم تمكنني الا من هؤلاء :

أحمد النعماني :

انا لست سياسيا ولا افهم الاستراتيجية العسكرية ولكن مـع ذلك انا مهتم بهذه الحرب اهتماما كبيرا لانني اعتبرها اسلوبا شريفا يمكن العرب من استعادة حقوقهم .

انني اعيش مع هذه الحرب عاطفيا منذ ان بدأت وادعو للعـرب بالانتصار على عدوهم الذي شوه سمعتهم واعطى للعالم صورة مشوهة عنهـم ..

ان هذه الحرب التي يخوضها العرب ستثبت للعالم ان الانسان العربي يحسن الدفاع عن ارضه وشرفه وانه ليس ذلك الانسان العاجز الذي لا يملك شجاعة الموت .

واهم ما سينتج عن انتصار العرب هو التغيير الذي سيطرا على نظرة الرأي العام الغربي للانسان العربي .. سيصبح الرأي العام ينظر الى العرب نظرة تقدير واعجاب .

العروسي المطوي :

شعوري هو شعور بالوجود بعد التيه والضلال .. لقد رفعنا في هذه الايام رؤوسنا بعد الانتكاس .. وكل ذلك دليل على ان العربي يطلب الموت من اجل الحياة .

ان هذه الحرب كذبت اسطورة ان عصا موسى انتقلت الى موشي ديـان .

واتوقع ان العالم ـ بعد الانتصار الذي حققه العرب ـ سيغير نظرته تجاه العرب واسرائيل وسيصبح ينظر الى العرب نظرة فيها جد واحتـرام .

اما اسرائيل فانها ستفكر مستقبلا في كيفية عيشها لان وجودها متوقف على ارادتهم لها في العيش القائم على العنصرية والتمييز بين الاجنـاس .

ونتيجة لكل ذلك اقول ان مصير الشرق الاوسط هو بيد ابنائـه لا بأيدي الدخلاء مهما طال الزمن ومهما تكاثرت المحن .

ابو القاسم كرو :

شعوري هو شعور اي انسان كان سجينا في زنزانة وليس لـه بصيص امل في ان يفرج عنه يوما وهو اسير في ايدي اعـداء الـداء اشداء ، وفجأة وجدت نفسي حرا طليقا بل اكثر من ذلك قويا قادرا على ان اضعهم هم في نفس الزنزانة وفي نفس الوضع الذي جعلوني فيه .. وبذلك شعرت بالحرية والكرامة والاعتزاز .. اكثر من ذلـك شعرت باننا نملك حرية الارادة وحرية العمل ونملك القدرة الكاملة على الدفاع عن النفس والحاق اقصى ما يمكن من الخسائر بالعدو .

ان هذه الصورة تحدد معالم الانقلاب الهائل الرائع العظيم الذي حدث في خلال ساعات معدودات من يوم ٦ اكتوبر فعكس لا في ذهني فقط بل في ذهن كل الشرفاء في العالم صورة ٥ جوان ١٩٦٧ اذ اصبح وضع العرب في ذلك اليوم المشؤوم هو وضع الصهاينة اليوم ووضعهم

يوم ذاك هو وضعنا اليوم ومهما تكن تطورات القتال ونتائجه في المدى القريب والبعيد فان الذي حققه العرب في هذه الايام لن يخسروه ابدا وهو اثباتهم انهم يستطيعون ان يفرضوا ارادتهم وان يحطموا ارادة العدو .

وهناك معنى اخر كان غير واضح في ذهني ولم استطع تعليله او تبريره طيلة السنوات الست الماضية وفهمته وادركت ابعاده في هذه الايام واعني لماذا كان العرب المحيطين بالصهاينة يرفضون المفاوضات وهم قد هزموا وفقدوا كل امكانياتهم العسكرية ، فما حققه الجيشان المصري والسوري في هذه الايام اعطى الجواب وقدم ما يقنع من اعمال لا شك انها ستكون نقطة تحول في تاريخنا وفي تاريخ اعدائنا ايضا .

جعفر ماجد :

لهذه الحرب في رأيي معنيان مختلفان .. اولا : على الصعيد القومي والشخصي هي انتفاضة الانسان العربي وانتصاره على اليأس ومخلفات عدوان ١٩٦٧ الذي عقدنا كثيرا حتى جعل منا ضحايا لحرب نفسية كادت تحقق للصهاينة من الانتصارات ما هو اخطر من تحطيم الطائرات ، اعني بذلك تدمير وتحطيم النفوس والتشكيك في الحضارة العربية والقدرات الثورية في اجيال النهضة التي سميت - بتسرع - اجيال الهزيمة .وقد قرأت في بعض الصحف ان يهود العالم يشعرون بانفسهم مدينين لاسرائيل لانها خلصتهم من العقد القديمة التي غرستها في نفوسهم الاوضاع العنصرية على مر الحقب ، فاقول بدوري ان كل عربي مدين منذ اليوم للمقاتلين على الجبهة بتحريره من آثار العدوان النفسية مهما تكن نتيجة الحرب لان ضربة السيف أشرف من ضربة الصوت .

ثانيا : على الصعيد العالمي ، أخذت هذه الحرب شكل صراع بين العالم الثالث والامبريالية خاصة بعد انتصار القارة الافريقية للقضية العربية ، ومن هذه الزاوية نستطيع ان ندرك خطورتها لانه يعد أمر يصدق تخوفات اسرائيل من القاء اليهود في البحر ، فاذا اكتست المعركة الحدة التي نراها اليوم فلأن الرهان ليس بالهين وعلى كل حال فان انتفاضة السادس من اكتوبر التي يسميها الغربيون معركة (الكيبور) ونسميها نحن معركة رمضان غيرت كل المعطيات السياسية في الشرق الاوسط .

واذا كان من الصعب ان نتكهن بالتطورات من الآن فمما لا شك فيه ان النتائج ستكون خطيرة جدا سواء كان ذلك على الصعيد السياسي والاقتصادي او حتى الثقافي والادبي بصفة خاصة .

عبد الواحد ابراهيم :

الحرب الدائرة اليوم حرب حضارية : حرب اثبات ذات .. واثبات وجود ..

هي حرب تحرير فرضت على العرب في هذه المرحلة العصيبة من تاريخهم ، تحرير أنفسهم من العقد والمركبات والاحكام المسبقة التي تركت على جباههم بصمات قذرة يدمغها بكل تنكر من عرفهم ومن لم يعرف .

(انه لا يقتل الرجل مثل الهم) . هذه قولة معروفة جرب العرب مدلولها في هذه السنوات ، وقد اختاروا اليوم الموت بالنار على الموت كمدا .

هذه اذن حرب تحرير نفسي قبل ان تكون حرب تحرير لكيلومترات الارض البور .. فلنتدبر ذلك أولا لانعكاساتها المنتظرة والهامة جدا بالنسبة لحضارة الامة العربية - بل لوجودها اساسا فيما يستقبل من الزمان .

يحق لنا ان نعتز لاننا قد انتصرنا بعد ان انتصرنا حتى في حالة الهزيمة ، اذ ما نخاف ان نخسر اكثر مما خسرنا ، بل ماذا عسى ان نفعل وحالة السلم غدت موبوءة لا تمنح أمنا ولا شرفا ولا استقرارا.. فما بالك بالتقدم .

وأختم قولي ببيت شعري قاله الشاعر الجزائري الاخضر السائحي ويعجبني ترديده :

فاما العمارات في الله شامخة
واما الخيام جميعا حول لبنان

عروسية النالوتي :

منذ قرون والانسان العربي يعاني مركبات وعقدا تزيد في تقهقره كلما اراد القفز واجتياز مرحلة ما من المراحل التي تحول دون وصوله الى تحقيق منجزات يحاور بمقتضاها العالم الغربي .

الانسان العربي كان وما يزال يعتقد بأن الايام أدارت له الظهر وانه لن تقوم له قائمة ما دامت العثرات متعلقة بخطواته البطيئة .

كان يكفي أن يكون هناك حدث ايجابي حتى يسترجع العربي ثقته في نفسه ، سواء أكان هذا عن طريق ثورة فكرية او عن تحول ايديولوجي او عن قفزة اقتصادية .

اما عن التورات الفكرية فان العالم العربي ما زال يخوض غمارها ، فتارة يطفو وأطوارا يغيب في لجة التناقضات والمعميات .

واما عن التحولات الذهنية والعقائدية فما زالت التناحرات في منازعها الاولى ولكن وجودها في حد ذاته دليل مادي على ارادة التحول وتجاوز الاوضاع الراهنة بكل ما فيها من جمود ومشاعر فردية لا مقر لها الا حدمه مصالحها .

لقد آن الاوان لان نلغى اعتبارات الحدود الجغرافية والسياسية.

طبعا نحن لا ندعي ان نبعث امبراطورية عربية ، فقد لا نكون نرغب فيها ، بل المهم هو ان يتحد اقتصادنا ، وتربط شعوبنا العربية مصالح مشتركة فلا نكون مدينين للعالم الاول او الثاني او العاشر ، وبدلت نرضى بالدون امام المساومات التي يمارسونها علينا .

ان محور تقدمنا وتحررنا هو اكتفاؤنا الذاتي واكتساب شخصيتنا على ما عندنا من موارد طبيعية يمكن لنا استغلالها استغلالا اقتصاديا يرفعنا عن منطقة الصفر ويجعل العالم ينتظرنا لان لنا كلمة في كل موقف نقولها .

فمادة البترول مثلا تشكل اكبر مورد يمكن ان يقف عنده العربي ويعيد النظر في كيفية استغلاله بطريقة حرة غير عميلة .

واني أعتقد شخصيا ان الحرب في حد ذاتها لا تشكل انتصارا قائما بذاته الا متى كانت الكهارب التي تدور حولها مشحونة بكل الطاقات المولدة للحركية والخلق الدائم .

فكسب الحرب هي خطوة اولى نحو تحول نرجو ان يكون في خدمة القوى التحررية ويخلق من حوله مناخا ملائما لبعث جيل مفكر جديد يكون له شرف انقاذ عامة من ضغوط الهيمنة الفردية .

هذه بعض الخواطر التي تدور في ذهني .. كتبتها بصورة مشوشة توحي بمدى الفوضى والحيرة التي نعيشها هذه الاسابيع الاخيرة أمام الحدث النزاعي بين العرب والقوى الاستعمارية التوسعية ، وكل ما ارجوه هو ان تتضح الرؤية في الايام القادمة وتكون في خدمة الحرية العربية .

فاطمة سليم :

هذه الحرب رائعة .. هذه الحرب أعادت لنا احساسنا بالقوة والمقدرة والاتحاد واننا - خير أمة أخرجت للناس - .. هذه الحرب فتحت أبواب الامل عريضة كبيرة في وجوهنا ومزقنا بها شبح الهزيمة الاسود وألقينا بثوبه الوسخ عرض البحر بل حرقناه وأذرينا رماده في السباخ .

الايام الاولى من الحرب شعرت فيها بالرهبة والحرج . تذكرت حزيران ١٩٦٧ . لكن بمرور الوقت وورود انباء الانتصارات المقوية للعزائم والباعثة على الامل بدأت أشعر وكأني كنت مريضة وشفيت فجأة ، بل وكأني أسترجع قواي بصورة غريبة ، وأنا أعيش في كل لحظة من لحظات يومي مع الانباء القومية والعالمية وأتتبع تفاصيل الحرب وأتناقش فيها مع كل الناس . توقعاتي للمستقبل القريب والبعيد هي ان لا نهزم ابدا ، فمعنوياتنا ارتفعت ومادياتنا في تصاعد ونحن مستعدون للنضال حتى النصر النهائي .. النضال على جميع الجبهات ، أعني بذلك اننا سنتحول الى مناضلين ، كل في ميدانه ، لتحقيق الغاية الكبرى وأن نكون دائما - خير أمة أخرجت للناس - .

الصباح
٢١ تشرين الاول

محمد الهادي بو فرة

صفحة من كتاب الجرح :

مذكرات شهيد

٥ – ٦ – ٦٧
هوى الشهيد .. جسمه مدينه
وكل جرح شارع طويل
على رصيفيه قناديل الدم الثخينه
تضـــيء
تضـــيء
والف بيت .. بقيت تسهر فيه بعدنا
ظلالنا الدفينه
ظلالنا الغريبه
من يوم أن حنطها الغبار والرطوبه
قرب المواقد الحزينه .
هوى الشهيد .. جسمه مدينه
وكل جرح شارع طويل
.. وددت الا أذكر ..
على رصيفيه تهافت الغبار الاحمـر
من الفوانيس ، الشبابيك ، اشارات المرور ...
على رصيفية نهرأت ظلالنا اللعينة
وغاصت الضوضاء في السكينه
والارض .. كالعادة .. كانت يومها تدور ...

* * *

٦ – ١٠ – ٧٣
واليوم في دمشق
اكتسب المـوت
موهبة العشق
جاء افتداهــا ..
وباسما مثلي على ضفيرة الشنق
جاء وأعطاها ..
ضريبة الشوق
واليوم في القدس
اكتسب الموت
غريزة الجنس
ضاجعته في بيتنا الطيني.. في الحقل. وفي الحبس
صنعنا نطفة الشمس
عانقته .. وصاح
« اليوم يولد المقاتل الشجاع والمقاتله
فأين .. أين القابله
لتفتح الجراح .. »
وانفجر اللغم ..
فتتني شظيـــة .. شظية
انفجر اللغـــم ..
فمن كل خليّة
أمد ألف ساعد .. والف بندقيه ..

لا تغلقوا الابواب
اليوم يأتي الموت كالاحباب
يحمل للاطفال في المدينة المأسوره
يحمل في الحقيبة الحريه
واللعب المكسوره
وبذلة عسكريه
في جيبها التراب .. والاعشاب
لا تغلقوا الابواب
لا تغلقوا الابواب

تونس
محمد الهادي بوفرة

فاضل خلف

اسلمي يا مصر

سيري بعـــون الله سيـــري
سعيا الـــى النصر الكبيـــر
سيـــري ولا تتـــوقفي
فالعز في هـــذا المسيـــر
يا مصر يا أمـــل العروبـــة
يا ربى المجـــد النضيـــر
يا مصر حققـــت المنـــى
فأتـــاك ملتهبا شعـــوري
حـــلم تحقق يا ابنـــة الامج
ـــــاد يا أرض النســور
حققتـــــه بعزيمـــــة ،
هزئت بشر مستطيـــــر
لم تستكـــن يوما ومـــــا
خارت على مر الدهـــــور
مصر لها في القلـــب منـــ
ـــزلة وأعمـــاق الضمير
فســلوا الصحـــائف واقرؤوا
ما سجلت بين السطـــور
فصحـــائف التاريخ تنطـــق
فـــي بيـــان مستنيـــر
وتمجـــد الشعـــب الابـــي
بمقـــول حـــر قـــدير
مـــاذا تحدثنـــا الصحـــائف
عن منى الشعب الهصـــور
مـــاذا تحدثنـــا الوقـــائع
فـــي الاصائـــل والبكـــور
ان الحـــديـــث معطـــر
طـــاف العوالم فـــي حبور
قـــد فـــاض من آلائـــه
بالفضـــل والخير الفزيـــر
تفنـــى العصـــور ومصر باقيـ
ـــة علـــى العهـــد الطهـــور

... وانـــت يا دمشق

سجلت مجد الاغاريب ذراها
منذ ان عزت على الدهر خطـــاها
وعلالـــي المجـــد فـــي ساحاتهـــا
أهدت الدنيا معينا من سناهـــا
ففدا التاريخ يملي صفحـــــة
بلغت فيها المعـــالي منتهـــاها

جلق لم تكـــن الا مرتعـــــا
لاسود حرة تحمـــي حماهـــا
ومضت شماء في وجه العـــدا
لم تهن يوما وما خـــارت قواهـــا
واستردت حقها مـــن خصمهـــا
بالدمـــاء الحمر فاخضرت رباهـــا
يا دمشق المجـــد هذي باقـــة
من شغاف القلب قد صيغ رداها
تتهـــادى فاقبليهـــا انهـــا
من رفيف النصر قد فاح شذاها

الصباح
١٣ تشرين الاول

اليمن الديمقراطية

محمود الحاج

حتى النصر

ببالغ الاهتمام والاستنفار تتابع جماهير الامة العربية أحداث الشرق الاوسط الدائرة بين القوات المسلحة المصرية والسورية وبين قوات العدو الصهيوني والتي بدأت يوم امس الاول .

ولقد استيقظت مشاعر الامة العربية من سباتها الذي نتج عن المعاناة الطويلة والصبر المرير الذي كاد يصل بالانسان العربي الى مهاوي اليأس والانحسار على اثر الهزائم المتوالية والعدوان المستمر من قبل العدو الصهيوني الذي ظل يتمادى في أساليبه العدوانية المختلفة ويستقطع أراضي عربية مضافة الى الاراضي المحتلة .. ولا يتورع عن ضرب القرى الآمنة وتدمير الاهداف المدنية ويقتل الابرياء دونما رادع عربي حاسم او مبالاة منه لما يصدر من الامم المتحدة وسواها من المحافل الدولية .

والمعارك التي ما تزال جارية ضد قوات العدو في الجبهة المصرية والسورية قد أحيت وبدون شك كوامن الفخر والاعتزاز تؤجج أوار الارادة العربية وتلهب روح الحماس في اعماقها ، لانها قد طفقت تعيد الاعتبار العربي وتحرر الكرامة التي أصابتها حراب العدو الاسرائيلي المدعوم من الامبريالية العالمية .. ولان هذه المعارك ايضا قد أحرزت تقدما عربيا بدأ يغسل عار الاحتلال ويطمس بعض آثاره .

وهذا الصمود الهائل من القوات العربية في الجبهة ، وذلك الانتصار الذي أحرزته من خلال دحر قوات العدو والاستيلاء على المواقع التي ظل العدو الصهيوني يتمركز فيها ويعيق بواسطتها زحف القوات العربية في كل من الجولان وجبهة السويس .. هذان المكسبان نعتبرهما ملمحا بارزا في المعركة لصالح القوات العربية المقاتلة ، وضوءا أخضر في الطريق الى تحقيق تقدم أشمل وأعرض لتحرير الاراضي العربية المحتلة قبل وبعد ٥ حزيران ٦٧ .

وان الامة العربية وهي تعيش مع المعركة بكل جوارحها وتطلعاتها وتستشف ملامح النصر وتتفاعل ببشائره لاجتراح الامل يتحتم وقوفها الايجابي بصلابة لدعم المعركة بكل امكانيات التأثير والحسم ، حتى يمكن ان تتعزز وتتعاظم ارادة المقاتلين في كافة المواقع وترتفع عاليا معنوياتهم وثقتهم بالنصر الشامل المؤزر .

لقد أضحت الظروف اكثر ملاءمة والحاحا لضرورة اتخاذ موقف عربي جريء لانهاء المصالح والاحتكارات الاجنبية التي تؤازر اسرائيل وتدعمها في الحرب ضد الشعوب العربية ، وتوجيه البترول العربي سلاحا في المعركة لضرب الامبريالية الاميركية التي ظل بترول العرب تحت هيمنتها وحكرا عليها .

وقد كانت للخطوة الجريئة التي أقدمت عليها الحكومة العراقية يوم امس بتأميمها لشركتي بترول اميركيتين اثرها وجدواها لصالح المعركة العربية والقضية الفلسطينية ، ومن شأنها – وهي تجيء في مثل هذه اللحظات الحاسمة ضربة لازب – ان تجسد الصلابة والجدية وان تصير مثلا يحتذى به سريعا لدى الحكومات التي تقام في بلدانها مصالح اميركية ، لا سيما وان الموقف الراهن لم يعد يستدعي أقل من ذلك .. وبالتالي لان وجه اميركا لم يعد بحاجة الى مزيد من الوضوح في مواجهة طموحاتنا وقضايانا المصيرية .

تحية للقوات المصرية والسورية في زحفها وصمودها العظيمين.. وتحية لابطال المقاومة الفلسطينية في دورهم الفعال في المعركة الطويلة .

والنصر للامة العربية .

١٤ اكتوبر
٨ تشرين الاول

انا اقاوم ... اذن أناموجـود

ليس من شك في ان مرارة الهزيمة الحزيرانية التي ذاقتهـا الملايين العربية قد وجدت طريقها السريع الى وجدان الادباء والمثقفين العرب وصبغتحروف انتاجهم الادبي والفكري بلونها الفاحم المأساوي فظهرت اعمال الكثيرين رافضة أوزار الهزيمة وصارخة ضد اعبائهـا واثقالها . وبرزت اجتهادات الفكر ، على اختلاف انتمائه ، فـي استجلاء واستبطان اسبابها واخطائها والظروف السالبة التي اكتنفت وقوعها بصورتها تلك وفداحتها .

ولقد صدرت مجموعه من الكتب لاولئك الذين أمضتهم الهزيمة من المثقفين الكتاب بمختلف مساربهم ، وشحذت طاقاتهم في المعالجة والتحليل ووضع الحلول . وحتى العدو الاسرائيلي وهو يعربد فـي نشوة انتصاره ، دفع بعملائه وأجهزة استخباراته الى تأليف كتب حول أسرار وعوامل انتصاره مكرسا حربه النفسية التي وجدت في النكسة او الهزيمة العربية مناخا ملائما للانتشار والاصداء والتغلغل فضلا عن اخبلائه لاقاصيص ربما كان معظمها – ان لم تكن كلهـا – باطلا وزائفا تجافيا للحقائق التي لم تجد مسمعا او صحيا للخـروج من دائرة الغموض والصمت لتدحض دعاوى وافتراءات العدو التي وجدت من يروج لها في كثير من أجهزة الغرب الدعائية والاعلامية !

ومن البديهي ان تزرع النكسة جراحاتها في صدور حمـلـة الاقلام من الادباء والمثقفين .. وان يستفيق اولئك الذين ظلوا بمعزل عن الالتزام بقضايا شعوبهم وأمسهم الحياتية والمصيريـة .. وان يجسدوا تأثرهم ومعاناتهم لآلام النكسة في ما يكتبونه وينتفضوا على مواقفهم ويغيروا مواقعهم من الجوانب الباهتة والسلبية الىالمواقع الامامية من معركة دحر الهزيمه ومقاومة الاوضاع المهزومة .

وقد رأينا كيف صفعت النكسة وجه الشاعر نزار قباني الذي ظل يشاطر المرأة غرفة نومها ويشرح جسدها فترة طويلة من تجربته الشعريه .. ولعشرين عاما وهو ما يزال أضمومة في كتاب الحب .

« عشرون عاما يا كتـاب الهـوى
ولم أزل فـي الصفحـة الاولـى »

ثم يجد نفسه فجأة في مواجهة الواقع حيال هذه النكسة التـي يقول انها قد حولته رغم أنفه من « شاعر يكتب شعر الحب والحنين لشاعر يكتب بالسكين » !

واليوم ...

والمعركة اليوم التي تخوضها مصر وسوريا بكل صورها البطولية الرائعة من اجل استعادة الوجه الحقيقي للانسان العربي الرافض للهوان والعار والمقاوم للاحتلال لا شك وانها سوف تعيد للاقـلام المناضلة نضارتها وحيويتها وتقفز بها الى ساحة الخطوط الاماميـة في مواكبة لهذه المعركة بمعانيها البديعة كلها وابعادها الشاملة .

وانا « أقاوم » اذن أنا موجود !

ولا حياة لامة بغير « مقاومة » وبدون « ثورة » ضد ظـروف وأوضاع كهذه التي تألب الاعداء وتكالبوا فيها ضد ارادة الامـة العربية وتلويث تاريخها .

ولا وجود لادب وفكر لا يقاومان اكثر من البندقية والمدفع !

١٤ اكتوبر
٢٣ تشرين الاول

محمد عبده غانم

لغـة النـار والحديد

هكذا فلتكن طريق النضال في تلالالجولان او فيالقنال
افتدوا الارض بالرجال فلا كانت بلاد لا تفتدى بالرجال
علموا المعتدين درسا بليغا في قتال أعظم به من قتال
لقنوهم فليس ينفع فيهم غير ضرب لا ينثني في انهيال
حاربوهم في البر والبحر والجو وفي كل مسرح ومجال
قد كفانا الكلام في لغة السلم معالغادرين رهط الضلال
ومتى هذب الكلام لئيما بكلام الرجال غير مبـالي
قد كفانا الحديثعن خطةالسلم فهاتوا حديثخوضالقتال
خاطبوهم بالنار يقذفها المدفع فوجا من الحديد المسال
لغة النار والحديد هي الحاسم للداء في النزاع العضال
علموهم بأننا ما نزال العرب شعب الجلّى وقوم النزال
وبأن الاعراق لما تزل تنبض بالبـذل في مجال السؤال
ان خسرنا المليون منا فلم نخسر سوى حفنة من الابطال
مئة نحن في الملايين فلنفـد بعتر أرض الفداء الغـالي
افتدوا الارضبالرجالاذا شئتممكانا فيالارضغير مذال
لا تقولوا وراءهم شعب امريكا وما يملكونه من مـال
نحن أقوى شعبا اذا أذن الله بنصر من عنده ذو الجلال
نحن أغنى مالا فقد ملأ الله بطون الصحـراء بالامـوال
ليس عـذر لنا اذا اعتذر الاقـوام من قلة ومن اقلال
انما يقدر العدو علينا حين نرضى بالهون والاذلال
انما يقدر العدو علينا حين نرضى بالخلف في الآمال
ان رمانا في الوحل يوم حزيران فتشرين غاسلالاوحال
بعد ست من السنين قضيناها أسارى الاوهام والاغلال
ليسندري مصيرنا بعد ان تهنا وتاهت أيامنا في الجدال
ناكسي الرأس في الشعوب وقدكنانقود الشعوب نحو المعالي
يا بني النيل في القنال الذي عاد وأبناء جلق في التلال
قد محوتم أسطورة أنشبت فينا بأن العدو فوق المنال
وبأن القتال في الجو مرهون بأسطوله العظيم الصيال
فرأينا العدو يجلي عن الضفة في المعقل الحصين العالي
ورأينا أسطوله هدف النيران يهوي او ينثني في خيال
ورأيناه يفقد الجيش ما بين أسير او هامد في الرمال
ورأيناه ينقل الجند جرحى في محفاته العراض الطوال
لم يعد يفقد القتيل أو الاثنين بل بالآلوف صرعى القتال
فاستمروا في ضربه دونما وهن وشدوا عليه دون كلال
أو تعود الديار للعرب من بعد اغتراب قدسامها واحتلال
ويعود الحمى لشعب فلسطين وتنهار دولة الانـذال

١٤ اكتوبر

٤ تشرين الثاني

الكويت

احمد السقاف

بعض ما أعتقـد ...

● الأصوات التي ارتفعت في مجلس العموم البريطاني مطالبة الحكومة البريطانية بتغيير موقفها لصالح اسرائيل هي أصوات صهيونية معروفة ، ومثل هذه الاصوات قد ارتفعت بالامس في الجمعية الوطنية الفرنسية تطالب الحكومة الفرنسية بتغيير موقفها لصالح العدو ، ونحن واثقون من ان موقفنا هنا في أرضنا العربية هو المهم في الامر ، فلسنا على استعداد لاستجداء المواقف من أحد . لقد سمع من لم يسمع وفهم من لم يفهم واقتنع من لم يقتنع من قبل بأن الامة العربية قد حل بها ظلم ما بعده ظلم حين زرعت قوى الطغيان جسما غريبا في قلب الوطن العربي ، وان هذا الجسم الغريب بحكم تكوينه الشاذ قد بات يهدد الوجود العربي تهديدا خطيرا ، واصبح الامر بعد ذلك أما أن يكون العرب أو لا يكونوا .

واذا كانت مواقف الحكومات مهمة في مثل هذه الامور فانمواقف المأجورين والحاقدين غير مهمة ، ان العرب بكفاحهم الانساني البطولي الفريد يقدمون للانسانية في كل مكان خدمة عظيمة سيعرفها جميع شعوب العالم في المستقبل ، فالخطر الصهيـوني ان كان قد خطط لابتلاع الوطن العربي وابادة الشعب العربي فهو قد خطط فعلا لاذلال شعوب العالم والتحكم في شؤونها ومصائرها ، وسيكتب التاريخ - ان شاء الله - ان العرب وحدهم قد استأصلوا خطرا رهيبا كان يهدد الانسانيـة .

● لا عجب ولا غرابة في الموقف الاميركي ، فلقد وقفت الولايات المتحدة الى جانب الصهيونية منذ سنوات طويلة ، والذين يتحدثون عن الجسر الجوي الممتد من الولايات المتحدة الاميركية الى مطارات العدو في فلسطين المحتلة ينسون ان اسرائيل ما قامت بعدوانها سنة ١٩٦٧ لو لم تخطط لها المخابرات الاميركية وتشجعها على القيام بتلك العملية الغادرة . ان الامة العربية امة الحرب وامة النضال وامة الكفاح وامة الثبات على المكاره والشدائد ، واذا كان الشعب الفيتنامي الشمالي وهو شعب صغير فقير قد استطاع ان يلحق الهزيمة بالولايات المتحدة الاميركية وبحلفاء الولايات المتحدة الاميركية فالشعب العربي الغني القوي ذو الوطن الشاسع الواسع يستطيع ان يتحدى هـذا الصلف وهذا العدوان ، وما على هذه الامة الا ان تكون كما كانت في كل العصور امة المجد والبطولة والتضحيات .

● النداء الذي وجهه هواري بومدين الى انور السادات واعلن فيه وضع كافة امكانات الجزائر تحت تصرف جمهورية مصر العربيـة يجب ان ينفذ حالا . ان هذا الوقت لا يحتمل ان نقول للذين يبذلون ارواحهم رخيصة في سبيل الامة العربية انا على استعداد فهل تريدون أو لا تريدون ؟

ان ابناء الجزائر وهم من الطلائع الصلبة في كفاحنا الوطنـي يعرفون ان المعركة ليست معركة مصر وحدها ولا معركة سورية وحدها ولكن المعركة كما يعرف العرب وغير العرب معركة الامة العربية .

ان المسؤولين في كل بقعة من الارض العربية يجب عليهم ان يكونوا في مستوى المسؤولية في حرب يتقرر على نتائجها مصير الشعب العربي . ان الجزائريين وهم الذين ضحوا في سبيل استقلال الجزائر بمليون شهيد يستطيعون ان يزحفوا الى ساحات القتال كما زحفوا الى جبال اوراس وان يروعوا العدو كما روعوا الاستعماريين هناك ببطولات عربية تضرب بها الامثال . ولا شك ان الزعيم الجزائري قد كان من الحانقين على وقف اطلاق النار سنة ١٩٦٧ وكان يرى ان يستمر العرب في حربهم وأن فقدوا الكثير من المدن الكبيرة لان النصر سيكون حليفهم فيما بعد ، فيجب والحالة هذه ان تكون القوات الجزائرية اليـوم قد اخذت مواقعها في سيناء ، وأرجو أن لا يؤخرها الروتيـن او الاستعـداد .

● مشهد رائع ذلك الذي عرضه تلفزيون الكويت مساء امس الاول حين اشاد الرئيس انور السادات بوزير الحربية بوصفه المخطط لعملية عبور قناة السويس واحتلال خط بارليف فنهض ذلك الاسد بتواضع جم يؤدي التحية العسكرية تعبيرا عن شكره لتقدير الرئيس السادات لقد انتعشت النفوس في تلك اللحظة واحسسنا اننا ان وأتتنا الفرص فلسوف نكون في كل مجال كما يكون غيرنا من المتفوقين .

الرأي العام ١٩ تشرين الاول

* * *

● هذا هو اليوم الخامس عشر منذ اندلاع الحرب وكل يوم يمر لا يزيد هذه الامة الا صلابة وتعايشا مع ظروف الحرب ، والامم الحية هي التي تتجلى خصائصها ومميزاتها في الحروب ونحن على علم ويقين تامين أن المعركة مع العدو ليست سهلة وانما هي معركة تفوق جميع المعارك التي خاضتها هذه الامة منذ عصور وعصور ، والاسباب كثيرة ومتنوعة ولعل من ابرزها أن هذا الكيان العدواني المدجج باحـدث الاسلحة تقف وراءه الصهيونية العالمية في كل مكان من المعمـورة ، والصهيونية العالمية تملك المال وتسيطر على وسائل الاعلام في كثير من دول العالم ومع هذا الكيان الصهيوني الشرس تقف اقوى دول الغرب دون خجل او حياء جهارا نهارا تزوده باحدث ما توصل اليه الاختراع في عالم السلاح والتسليح ، وقبل هذا وبعد هذا فان هذا الكيـان الصهيوني قد نشأ على ارض عربية في غفلة من الزمن حين كان العرب عبارة عن مستعمرة كبيرة تمتد من العراق الى المغرب واستطاع هـذا الكيان العدواني منذ ذلك الحين ان يقوى نفسه بالاموال الصهيونيـة والدعم الامبريالي استعدادا لمثل هذا اليوم . ومعنى هذا الكلام باختصار شديد ان الحرب ستطول وان التضحيات ستكون جسيمة ولكننا ولله الحمد قد برهنا على اننا لا ننام على ضيم واننا رجال تضحيات ، واننا مهما اختلفنا لا يمكن ان نختلف في الذود عن بلادنا والجهاد في سبيل مقدساتنا وفي استرداد كرامتنا والثار لشرفنا ، ونحن فوق هذا كلـه ارباب حق تناصرنا دول كثيرة ويقف الى جانبنا اصدقاء اقوياء وتؤيـد كفاحنا شعوب الارض المحبة للحرية . والعدالة والسلام . اننا بثباتنا في هذه المعركة ، وبتضحياتنا وباصرارنا على بلوغ النصر سنجبـر

المعتدين على الركوع والاستسلام .

● التسلل الذي قام به العدو في البحيرات المرة على قناة السويس كان متوقعا منذ بداية المعارك ، فاليهود في حروبهم يلجأون الى مثل هذه الاستعراضات لجذب الانظار ، ولادخال الطمأنينة الى القلوب الخائفة في الارض المحتلة ، ولذلك فلا يجوز ان نلتفت لمثل هذه الحركات البهلوانية . ان جيشنا العربي في مصر يستطيع ان يؤدب هؤلاء الحواة ويبطل الاعيبهم ، والانظار اليوم تتجه الى سير المعارك في سيناء والجولان ، فهذه المعارك وحدها ستقرر لنا النصر باذن الله ، ونحن لا ننسى ولا يجوز ان ننسى اننا امة عظيمة ـ عظيمة جدا دون مبالغة ـ تمتلك وطنا لا يمكن ان نقارنه بوطن اي شعب من شعوب الارض تستطيع ان تحارب سنوات وسنوات ، فالطاقات البشرية عندنا لا تنضب ، والثروات الهائلة لدينا لا تتأثر ، والمساحات الشاسعة في وطننا فيها الف مجال ومجال للحركة وحرية التصرف . ولسنا محتاجين لصداقة من لا يقدر صداقتنا ، ولا مكترثين بعداوة من يجهل تأثيرنا عليه .

● السلام العالمي في خطر ، هكذا تنادى اولئك المرضى بداء الصهيونية ! اين كان السلام العالمي حين كانت اسرائيل تضرب في كل مكان من الارض العربية ؟ اين كان السلام العالمي حين تسلل الجنود والضباط الاسرائيليون الى شوارع بيروت وصعدوا العمارات ودخلوا الى منازل الاحرار،والاحرار في ملابس النوم دون سلاح،ليفتكوا بالصفوة الكريمة من رجال فلسطين ؟ اين كان السلام العالمي حين ضربت اسرائيل مدرسة بحر البقر في مصر فقتلت مئات الاطفال الابرياء بطائرات الفانتوم الاميركية ؟ اين كان السلام العالمي حين ضربت اسرائيل مصنع الاواني المنزلية في مصر وقتلت مئات العمال ؟ اين كان السلام العالمي حين كانت اسرائيل تشن حملاتها على مخيمات اللاجئين في لبنان فتفتك بالنساء والاطفال والعجزة امام سمع وبصر الرأي العام العالمي ؟ الان تعرض السلام العالمي للخطر ؟ يا لها من مهزلة ويا لها من اصوات ! ويا له من نفاق يتردد صداه في كل مدينة يسيطر عليها الاعلام الصهيوني ! ايها العرب احذروا ان تكرروا مأساة عام ١٩٤٨ حين وافقتم على الهدنة ، واحذروا مأساة عام ١٩٦٧ حين وافقتم على وقف اطلاق النار والانسحاب دون مبرر . لكم حق يعترف به العالم المعافى، ولا ينكره عليكم غير المرضى بداء الصهيونية ، واذا كان العالم الذي لم يصب بداء الصهيونية قد وقف الى جانبكم ، واذا كنتم قد عرفتم طريقكم وهو طريق الشرف والكرامة والخلود فلا تلتفتوا الى هذه الاصوات التي تتردد في بعض معاقل الصهيونية تبكي على السلام العالمي كذبا ونفاقا وتحيزا لاسرائيل ، والله اكبر والنصر لنا باذن الله .

● الولايات المتحدة الاميركية تريد النفط من البلاد العربية وتريد مواصلة الفتك بابناء البلاد العربية ، فهي مستمرة بشكل جنوني في تزويد العصابات الصهيونية باحدث الاسلحة بغية التأثير على الجيوش العربية ، وفي هذه الجيوش فرق وكتائب والوية من الكويتيين والسعوديين والعراقيين والليبيين ومن ابناء الخليج ايضا وهؤلاء جميعهم من مناطق النفط الذي تريده الولايات المتحدة الاميركية ، فهل يستطيع عاقل واحد مسؤول في الولايات المتحدة الاميركية ان يفسر لنا هذا التصرف ؟!

ان العصابات الصهيونية الملفقة من شتى انحاء المعمورة لا تمت الى فلسطين بأية صلة ، وليس لهذه العصابات المجرمة ان تقيم على ارض فلسطين . ان هذه العصابات تستطيع العودة الى الاقطار التي جاءت منها ، اما فلسطين فهي جزء من الوطن العربي ، وهي بعد ذلك ـ دون ادنى شك ـ وطن الفلسطينيين المشردين . ولقد آن الاوان للولايات المتحدة الاميركية ان تقرر بمنطق وبعقل اين يجب ان تقف .

الرأي العام
٢٠ تشرين الاول

علي السبتي

فجروا البيد ..

خلّني ...
فاضت بعينيّ الرؤى
نامت مصابيح الطريق
لا أرى حين أرى غير مضيق ...
حلت النير به
ينثر الدود حواليه يشيع الرعب
في الدرب العتيق
لست بالحاوي لكي أعبره هذا المضيق
ما سلاحي ؟ غير اشعار
وحب .. وابتهالات طريد !
لعنته الارض لا يعرف أيان يرود .
متعب يأكله الشوق الى اللقيا ...
الى يوم .. يعود
يغسل الارض ببئر السبع من عار اليهود
خلني ...
لا تثر الجرح بأعماقي
فجرحي لا يزال
ينزف السم يروّي الارض من حقد الرجال
حقد جيل
وطئته الارجل السود بأيل الصاعقة
لطمته الريح اذا هبت سموما جارحة
أطفأت في عينه النور فما ضلّ الطريق
عربيا يصنع الاقدار
أيان .. يريد
موته كان حياة وانبثاقا من جديد
خلني أسترجع الماضي
ففي الماضي .. حياة
في شراييني يدب الحب للعرب الاباة
حطموا الاصنام في الدنيا أذلوا الطاغية
نشروا الحب على الارض أشاعوا العافية
علموا العالم معنى ان يكون
الناس كالناس سواء
هاشم مثل بلال لا عبيد .. لا اماء
فجروا البيد ينابيع ففصت بالعطاء
فتلاقت قيم الارض وأخلاق السماء !

السياسة
١٦ تشرين الاول

المعتدين على الركوع والاستسلام .

● التسلل الذي قام به العدو في البحيرات المرة على قناة السويس كان متوقعا منذ بداية المعارك ، فاليهود في حروبهم يلجأون الى مثل هذه الاستعراضات لجذب الانظار ، ولادخال الطمأنينة الى القلوب الخائفة في الارض المحتلة ، ولذلك فلا يجوز ان نلتفت لمثل هذه الحركات البهلوانية . ان جيشنا العربي في مصر يستطيع ان يؤدب هؤلاء الحواة ويبطل الاعيبهم ، والانظار اليوم تتجه الى سير المعارك في سيناء والجولان ، فهذه المعارك وحدها ستقرر لنا النصر باذن الله ، ونحن لا ننسى ولا يجوز ان ننسى اننا امة عظيمة ـ عظيمة جدا دون مبالغة ـ تمتلك وطنا لا يمكن ان نقارنه بوطن اي شعب من شعوب الارض تستطيع ان تحارب سنوات وسنوات ، فالطاقات البشرية عندنا لا تنضب ، والثروات الهائلة لدينا لا تتأثر ، والمساحات الشاسعة في وطننا فيها الف مجال ومجال للحركة وحرية التصرف . ولسنا محتاجين لصداقة من لا يقدر صداقتنا ، ولا مكترثين بعداوة من يجهل تأثيرنا عليه .

● السلام العالمي في خطر ، هكذا تنادى اولئك المرضى بداء الصهيونية ! اين كان السلام العالمي حين كانت اسرائيل تضرب في كل مكان من الارض العربية ؟ اين كان السلام العالمي حين تسلل الجنود والضباط الاسرائيليون الى شوارع بيروت وصعدوا العمارات ودخلوا الى منازل الاحرار، والاحرار في ملابس النوم دون سلاح، ليفتكوا بالصفوة الكريمة من رجال فلسطين ؟ اين كان السلام العالمي حين ضربت اسرائيل مدرسة بحر البقر في مصر فقتلت مئات الاطفال الابرياء بطائرات الفانتوم الاميركية ؟ اين كان السلام العالمي حين ضربت اسرائيل مصنع الاواني المنزلية في مصر وقتلت مئات العمال ؟ اين كان السلام العالمي حين كانت اسرائيل تشن حملاتها على مخيمات اللاجئين في لبنان فتفتك بالنساء والاطفال والعجزة امام سمع وبصر الرأي العام العالمي ؟ الان تعرض السلام العالمي للخطر ؟ يا لها من مهزلة ويا لها من اصوات ! ويا له من نفاق يتردد صداه في كل مدينة يسيطر عليها الاعلام الصهيوني ! ايها العرب احذروا ان تكرروا مأساة عام ١٩٤٨ حين وافقتم على الهدنة ، واحذروا مأساة عام ١٩٦٧ حين وافقتم على وقف اطلاق النار والانسحاب دون مبرر . لكم حق يعترف به العالم المعافى، ولا ينكره عليكم غير المرضى بداء الصهيونية ، واذا كان العالم الذي لم يصب بداء الصهيونية قد وقف الى جانبكم ، واذا كنتم قد عرفتم طريقكم وهو طريق الشرف والكرامة والخلود فلا تلتفتوا الى هذه الاصوات التي تتردد في بعض معاقل الصهيونية تبكي على السلام العالمي كذبا ونفاقا وتحيزا لاسرائيل ، والله اكبر والنصر لنا باذن الله .

● الولايات المتحدة الاميركية تريد النفط من البلاد العربية وتريد مواصلة الفتك بابناء البلاد العربية ، فهي مستمرة بشكل جنوني في تزويد العصابات الصهيونية باحدث الاسلحة بغية التأثير على الجيوش العربية ، وفي هذه الجيوش فرق وكتائب والوية من الكويتيين والسعوديين والعراقيين والليبيين ومن ابناء الخليج ايضا وهؤلاء جميعهم من مناطق النفط الذي تريده الولايات المتحدة الاميركية ، فهل يستطيع عاقل واحد مسؤول في الولايات المتحدة الاميركية ان يفسر لنا هذا التصرف ؟!

ان العصابات الصهيونية الملفقة من شتى انحاء المعمورة لا تمت الى فلسطين بأية صلة ، وليس لهذه العصابات المجرمة ان تقيم على ارض فلسطين . ان هذه العصابات تستطيع العودة الى الاقطار التي جاءت منها ، اما فلسطين فهي جزء من الوطن العربي ، وهي بعد ذلك ـ دون ادنى شك ـ وطن الفلسطينيين المشردين . ولقد آن الاوان للولايات المتحدة الاميركية ان تقرر بمنطق وبعقل اين يجب ان تقف .

الرأي العام
٢٠ تشرين الاول

علي السبتي

فجروا البيد ..

خلني ...
فاضت بعيني الرؤى
نامت مصابيح الطريق
لا أرى حين أرى غير مضيق ...
حلت النير به
ينشر الدود حواليه يشيع الرعب
في الدرب العتيق
لست بالحاوي لكي أعبره هذا المضيق
ما سلاحي ؟ غير اشعار
وحب .. وابتهالات طريد !
لعنته الارض لا يعرف أيان يرود .
متعب يأكله الشوق الى اللقيا ...
الى يوم .. يعود
يغسل الارض ببئر السبع من عار اليهود
خلني ...
لا تثر الجرح بأعماقي
فجرحي لا يزال
ينزف السم يروّي الارض من حقد الرجال
حقد جيل
وطئته الارجل السود بأيل الصاعقة
لطمته الريح اذا هبت سموما جارحة
أطفأت في عينه النور فما ضل الطريق
عربيا يصنع الاقدار
أيان .. يريد
موته كان حياة وانبثاقا من جديد
خلني أسترجع الماضي
ففي الماضي .. حياة
في شراييني يدب الحب للعرب الاباة
حطموا الاصنام في الدنيا أذلوا الطاغية
نشروا الحب على الارض أشاعوا العافية
علموا العالم معنى ان يكون
الناس كالناس سواء
هاشم مثل بلال لا عبيد .. لا اماء
فجروا البيد ينابيع ففصت بالعطاء
فتلاقت قيم الارض وأخلاق السماء !

السياسة
١٦ تشرين الاول

خالد سعود الزيد

كلمة في المعركة

سأظل متفائلا ابدا رغم كل المفاجآت التي تلت ، وأقول باصرار انه صعب جدا ان ترسم الكلمات صورة المشاعر الفرحة باللحظة الحاسمة . فعبور القناة ، واجتياز خط بارليف ، واقتحام تحصينات العدو في الجولان ليس بالسهل ولا الهين اليسير . فلقد كان معجزة اكبر من ان يحيط بها لفظ ظل منهك القوى مهزوزا طيلة خمسة وعشرين عاما .

فالحمد لله الذي نصر جنده فاذاب من نفوسنا جليد اليأس . فلئن افقدت اعداءنا نشوة الفرحة بهزيمتنا في حزيران احساسهم بالتاريخ والاعتبار من احداثه فراحوا ينهشون واقعنا وتراثنا نهشا مجنونا فلقد اثبت السادس من اكتوبر اننا الامة الرائدة والمرادة معا .

ولقد آن للعالم ان يستفيد من تجارب منطقتنا مع العدو متعلما .

وها هو العالم يحني من هامته سجودا لبطولات شعبنا ، اما امريكا فليس الاعتبار من احداث التاريخ شانها فما لمسنا من تاريخها غير خزي وعار .

فأمريكا تتحدى بجنون وحمق ، واسرائيل المتورطة في المصيدة تتباهى بزيف على الحق وصلف بالباطل . وكلا الدولتين صنيعة شيطان . فلا فرق بين قادة اسرائيل وقادة امريكا . فالجميع احفاد قتلة ومصاصي دماء . وما كان منحدرا من باطل فهو باطل والى باطل يعود . والمرتجي سلاما يقوم على العدل تساعد في صنعه امريكا كمن يحاول ان يمسك الماء باصابعه فليس في تاريخ أمريكا ما يشهد لها بذلك فهي دولة اعتادت ان تغمس يدها في دماء الابرياء . وان تبطش بالحق في كل مكان وأينما كان . وما اظن الحق قد ابتلى بدولة بغي في التاريخ كما ابتلي بهذه الدولة الباغية . وما اجمل قول خالد الفرج وما اجدره بالترديد فحين هزته جريمة أمريكا في كوريا انشد هذه الابيات :

قالوا اعتدى الكوري لما شاء ان يتوحدا
منعوا الشقيق شقيقه من ان يمد له يدا
ولذاك ارغى تروما ن (النزيه) وازبدا
فأثارها حمراء ترمي باللهيب وبالردى
حمراء تاريخ الامارك صار منها اسودا
كالثور ثار من الهياج فهدأوه وما هدا
فاعاده للرشد قوم بالخناجر والمدى
فهم الغرور بارضها لغة المدافع فاهتدى

فأمريكا كما يقول خالد الفرج كالثور لا يعود اليه الصواب الا بالحراب .

اما اسرائيل فستفنى بذاتها حين يدرس اليهود واقعهم المشين وسيدرسونه جيدا بعد هذه المعركة الحاسمة التي يلتقي فيها العيدان عيد النصر وعيد الفطر ان شاء الله .

البيان
عدد تشرين الثاني ١٩٧٣

عبد الرزاق البصير

مع بعض المثقفين في رابطة الادباء

كانت احاديثنا تدور حول معركة المصير التي نخوضها امتنا هذه الايام المجيدة ، وكيف اننا في اشد الحاجة اليها لاننا كنا قبل اشتعالها لا نجد طعما للحياه ، فلقد كانت المهانه والذلة تملآن حياتنا حتـــى ضعفت ثقتنا بانفسنا ضعفا شديدا الى درجة اخذ اليأس يمـلأ نفوس كثير من مفكرينا بحيث قال الكثير منهم ان هذا الجيل ليس اهــلا لحياة العزة والكرامة ، فقد ماتت كل القيم الانسانية في النفــوس وتعودت على الهزيمة ، ومن كانت نفسه مهزومة فانه لا يمكن ان يشعـر بألم الهوان ، لان الاحساس بالالم من اكبر علامات الحياة ، واتهمنـا كل شيء يصدر عنا . اتهمنا مفكرينا ومفنينا وممثلينا ، وارجعنا اليهم بعض اسباب هزيمتنا واعتقدنا اننا متخلفون حضاريا ، حتى اصبحنا غير صالحين لعصرنا ، فكل الامور تجري عندنا على غير ما ينبغي ان تجري عليه ، وان عدونا متقدم حضاريا . فلا بد لنا من ان نتجرع هذه الغصص الى ان يأتي الجيل الذي يرفض كل هذه النظم ويعتنق نظما صالحة لهذا العصر ، واصبح الكثير منا يعتقد ان اي معركة تقوم بيننا وبين عدونا سيكون مصيرها كارثة علينا ، فمن الافضل لنا ان نخضع لهذا الواقع السيء الذي نعيشه .

وكان الكثير منا يضحك من قول بعض شعرائنا المعاصرين :

أمة العرب لن تموتي واني   اتحداك باسمها يـا فنـاء

لانهم يعتقدون بان ذلك من الامور الخطابية التي لا نعتمد على عقل او منطق ، وهذا كله ان دل على شيء فانما يدل على نجاح عدونا ، لان الهزيمة في المعركة لا تعد شيئا بالنسبة الى ضعف ثقة الامة بنفسها . اذا فنحن في اشد الحاجة الى حدث يعيد ثقتنا بانفسنا وهذا ما حصل بعد مرور ايام على المعركة ، وهذا يعد من اعظم المكاسب ، أضف الـى ذلك ان الغرب كان لا يحسب للعرب اي حساب لان كل احداث العالـم العربي كانت تقول له باننا متمزقون متفرقون لا يمكننا ان نتفق على شيء او ان نقوم بامر له خطره ، فلما قامت هذه المعركة احدثت تغييرا كبيرا في نظرة العالم لنا ، اذ انها اثبتت باننا امة لا تصبر على الذل والمهانة، واننا نفضل الموت بشرف على الحياة الذليلة .

تطرقنا الى هذا كله ثم آل بنا الحديث الى الصهيونية وكيـــف انهم مكروهون عند كل شعوب العالم وان من الغرابة بمكان ان الثقافة العصرية لم تصنع في نفوسهم شيئا ، فما زالت نفوسهم مليئة بالحقد على كل شعوب الدنيا ، فمن المعروف ان الديانات السماوية الثلاث : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام منتشرة في كل اقطار العالم . الا اننا نلاحظ بأن المسيحيين والمسلمين يندمجون في مجتمعاتهم بحيث يشاركون المجتمعات التي يعيشون فيها في كل ما تكون فيه ، يؤدون ما عليهم من واجبات نحو مجتمعهم ويأخذون ما لهم من حقوق ، وقد لا يكون البعض منهم من اصل تلك الشعوب ، اذ كثيرا ما يهاجر العربي او اليوناني او الفارسي او التركي الى كندا او استراليا او فرنسا او ايطاليا او اي قطر من الاقطار ، فاذا ما لبث في ذلك القطر مدة كافية لا يلبث ذلك المهاجر ان يكون جزءا من المجتمع الذي يعيش فيه ، وقد تكـــون عواطفه نحن الى امته التي نبت منها فيمدها بالعون الا ان ذلك لا يرتفع به الى حالة تجعله مستعدا لتدمير مجتمعه الذي يعيش فيه واستعداده الى السير مع امته بدون ان يفرق بين الحق والباطل واستعداده لترك مهجره وان كان يحيا سعيدا فيه او ان ينفصل عن مجتمعه ويحيا مـع جماعته حياة خاصة كما هو الحال في اليهود في جميع انحاء العالم ، فلا بد من سبب يفسر هذه الظاهرة الغريبة ، وقد قال بعض الاخـوان ، ان سبب ذلك يعود الى ان الفرد اليهودي يعرف بانه محتقر عند الناس اجمع فهو يلقن ذلك ابناءه وقد كان ذلك منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر مما جعل اليهودي ينهج هذا النهج الغريب . فقلت ليس من شك ان في اليهود فلاسفة ومثقفين وعلماء في كل ميادين المعرفة ، ألم يفكر احد منهم في كره شعوب العالم لهم ؟ الم يدرسوا ذلك دراسة دقيقة شاملة لكي يتوصلوا الى اسبابها ويجتنبوها ليريحوا ويستريحوا من هذا العناء الذي ما زال يسبب للبشرية شقاء لا حد له . فاجـاب بعض الاخوان لقد وجد الاستعمار في هذه النزعة نقطة التقاء مـــع مصالحه ، ولم يجد منطقة افضل من هذه المنطقة يزرع فيها هذا المرض الخطير ، ولسنا في حاجة الى تفصيل ما في هذه المنطقة من ثـروات بشرية وطبيعية تجعل المستعمرين يخافون اشد الخوف من هذه الامة اذا تفرغت لشأنها ، فانها لو فعلت ذلك لاصبحت من الامم القوية التــي يخشى بأسها في جميع ميادين الحياة من اقتصاد وسياسة واجتماع واختراعات وعلوم ، فهي امة متكاملة لا تكاد تحتاج الى شيء لو انتفعت بكل ما تملكه من ثروات . اضف الى ذلك ان لها تراثا عظيما وحضارة عريقة يجعلها من الامم التي تندفع لمنافسة الامم القوية ، فلا بد مـــن اضعافها بكل وسيلة ممكنة ، لهذا نجد اعداءها يغذون كل النزعـــات الضارة الهدامة التي يميل اليها بعض الفئات من العرب من طائفيـــة واقليمية ورجعية ، ولكنهم وجدوا ان هذا غير كاف لتعويق مسيرتها لان

الوعي اخذ ينتشر بين افراد هذه الامة بصورة سريعة ، بفضل انتشار الثقافة والاتصال القوي بتيارات الحضارة العصرية .

فلا بد اذن من وسيلة قوية تشغل هذه الامة اشغالا قوية الى درجة تجعلها مضطرة لتبديد كل طاقاتها وثرواتها ، فكانت الصهيونية هـذه الوسيلة التي تحتوي على كل ما يريده اعداء هذه الامة ، فكان ما نرى من تتابع هذه الاحداث وزرع هذا الداء الخبيث في جسم هذه الامة .

ونحن نعلم جميعا ان اميركا هي الممثلة القوية للاستعمار ، فهي ترضى ان تجد بين الامم النامية مثل الامة العربية التي يكمن فيهـا الخطر كله على نفوذها ومصالحها . لهذا نرى الصهيونية تعتمد كـل الاعتماد على هذه الدولة الغنية القوية في جميع شؤونها المادية والمعنوية ونجد اميركا محتضنة للصهيونية مناصرة لها في كل الميادين . ولا حاجة بنا الى تفصيل ذلك فانه معروف لدى الجميع .

فأجبت ارجو ان يسمح لي الاخوان بابداء استغرابي من هـذه القضية ، فان من الواضح بان لاميركا حكومتين قويتين فاما احداهما فهي الحكومة الظاهرة التي نشبه حكومات سائر العالم والتي تتألـف من هيئة تشريعية وهيئة تنفيذية ، ومن الغريب ان هذه الحكومة تبدو وكأنها معقل من معاقل الحرية ، فالذين يأتون الى الحكم انما يأتـون عن طريق الانتخاب ، ولهم قوانين كثيرة تجعل سلطة المسؤولين محدودة لان لا يجوروا عن الطريق السوي .

اما الحكومة الاخرى فانها حكومة خفية اطلق عليها اسم وكالـة الاستخبارات الاميركية ، وفي الواقع ان هذه الحكومة الاخرى هـي صاحبة النفوذ الحقيقي اذ ان شبكتها ممتدة في جميع انحاء العالـم واعظم مهام عملها احداث الانقلابات والثورات لكي تكون تلك الحكومات التي تحدث فيها الانقلابات مناطق للنفوذ ، ولها مهمة اخرى لا تقل عن هذه المهمة وهي الدراسات المستفيضة الدقيقة لجميع الامم والشعوب لكي تكون تلك القلاقل ملائمة لما تحتاج اليه تلك الامم فتكون معبرة عن حاجتها الى التغيير، غير اننا نلاحظ بان ما قامت به وكالة الاستخبارات الاميركية في المنطقة العربية بل في مناطق العالم كله ليس في مصلحة اميركا فنحن نعلم جميعا ان النفوذ الاميركي بدأ ينكمش منذ قيـام اسرائيل لان المنطقة كلها عرفت ما يعنيه قيام هذه الدولة من اخطار لا حدود لها على شعوب هذه المنطقة ولم يترك المسؤولون طريقة مـن الطرق ولا وسيلة من الوسائل لتفهيم الولايات المتحدة الاميركية ان هذا الانحياز لاسرائيل لا بد وان يؤدي الى محو النفوذ الاميركي كلية من هذه المنطقة ، وكانت كل الدلائل والمؤشرات تؤيد ذلك ، لكن المسؤولين في اميركا لم يشاءوا ان يهتموا او يستمعوا الى كل ما حذرهم منـه اصدقاؤهم ومضوا في غيهم بالرغم من انهم يرون بأن النفوذ الاميركي قد اخذ بالضعف شيئا فشيئا حتى آل الامر الى ما نراه ، اما ما يقال عن النفوذ الصهيوني وتأثيره في اميركا فانه يزيد الامر استغرابا ، لان المفروض في المسؤولين ان يكونوا اميركيين قبل كل شيء بمعنى ان يلاحظوا مصلحة امتهم على كل اعتبار .

وطال بنا الحوار حول هذه الامور ، وكانت خاتمته بان الحاضرين قد اجمعوا على ان هذه المعركة التي تعيشها امتنا هي فاتحة التغيير في تاريخ العرب الحديث ، وان الفرد منا اصبح يشعر بالحياة وان كبرياءنا الوطنية قد عادت الى نفوسنا واننا بدأنا في استرداد امجادنا . وان العالم المتحضر وغير المتحضر اخذ ينظر الينا نظرة الاحترام بعدما كان ينظر الينا نظرة الاحتقار . فان العالم لا يفهم الا لغة القوة ، اما زخرفة القول والبلاغة في الكلام والدعوة الى تحكيم العقل والعـدل والتنبيه الى ما يرتكبه الصهاينة من انتهاك الحرمات وخرق القوانين وتجاهل قرارات هيئة الامم ، اما الدعوة الى هذا كله بدون استعمال القوة فذلك شيء لا يفهمه العالم ، فان ما احدثته ايام هذه المعركـة من اثر دولي اشد مما احدثته الاحتجاجات والشكاوي لدى هيئة الامم مدة ٢٥ سنة ، ولقد صنعت هذه المعركة امرا آخر نحن فـي امس الحاجة اليه ونعني به توثيق الروابط ما بين العرب . ولسنا نبالغ ابدا اذا قلنا ان امة العرب لم تقترب من الوحدة كما هو حالها في هـذه الايـام .

الرأي العام
١٩ تشرين الاول

الحسيني المهدي

الى حبيبي

كتبت رسـالتي لك يا حبيبي
تفضّ عليك حبي واشتياقـي
وتحمل ما بقلبي من وجيب
وتسمح للاماني بانطـلاق
أهدهد قلبي المشتاق حينا
بآمال الى قـرب التلاقـي
وحينا أستعير النور شوقا
ليحملني سريعـا كالبراق
ولست أريد ان ادعوك عد لي
وان احسست في البعد احتراقي
فقد أحببت فيك مضاء عزم
يلوح عليك في وسط الرفـاق
عرفتك تستهين بكل صعب
وتهزأ بالمخـاطر والمشـاق
وقد عاهدتني يوم التقينا
وكفك فوق كفي باتفـاق
بأنك لن تعود بغير نصر
ونصرك سوف تجعله صداقي
فعد لي يا حبيب مع انتصـار
يريح القلب من الم الفـراق
فنلبس بانتصارك ثوب عز
ونشرب كأسنا حلو المذاق
وترتجف المشاعر حين أعدو
الى صدر البطولة بالعناق

اخبار الكويت
٢٥ تشرين الاول

السودان

محمد الفيتوري

قصيدتان

البطل يعبر الى المعشوقة !

كان محفورا على مرآة عينيه اللتين امتدتا
جسرا من الفولاذ والنار أمامه
انها الساعة ..
ـ لا أملك الا وردة الروح
فيا سيدتي الارض اقبليني
حارسا في ظل عينيك ..
ومسَّت شفتاه
فم معشوقته الارض ..
وأحنى فوقها رأس اله
وأطلت من زوايا وجهه القاسي
ابتسامه !

ـ ٢ ـ

زمن مرّ علينا
ساعة من زمن ، مرّت على غربتنا
أم سنوات ؟
طالما زرتك في الحلم ..
خلعت الحزن ، والخوف الجحيميّ ..
وأسوار الهزيمه
وتفجرت لدى ارجوحة النهر
رصاصا وقنابل
وتجسدت رعودا وزلازل
وجيوشا تعبر البوابة الكبرى
وتاريخا من المأساة والصمت يقاتل ..
ويقاتل ..
ويقاتل ..
كنت يا عطر الحضارات ونيران القبائل
كلما أضحكني الباكون في المأتم ..
أبكتني الجريمه !
كنت ـ في حلمي ـ لا أرجع الا ..
ونجوم الوطن المحتل في صدري ..
وأحجار السموات القديمه ..

ـ ٣ ـ

زمن مرّ ثقيلا .. يا بلادي ..
كنت أعرف
انه عصر الخيانات التي تنبت
تحت الجلد والعظم ..
وأعرف
انه عصر النبوات الشهيدة
يولد الثائر في مستنقع القهر ..
كما تولد في الغيم الاعاصير ..
كما تولد في مستنقع الموت ..
المخاضات الجديده

ـ ٤ ـ

كنت أعرف
وأنا أزحف، تحت المطر الغربي ..
تحت المطر الشرقي
تحت الشرفات الصدئة
وأنا أزحف فوق الدم .. أستبطىء
اطلالة أجفانك .. أشتاق .. أغني
للبساتين التي تزهر في ذاكرتي الآن ..
أخوض الساحل الصخري .. أستنشق
موج العبق الآتي من الغيب ..
اسألي ما شئت ..
بعضي أمة تنزف ماضيها .. وبعضي يتغنى ..

* * *

كنت أعرف
وأنا أصرخ في القافلة النائحة
المنكفئة

انني أحمل أجيالا من الافراح في حزني
واني ان تساقطت ..
فلن أسقط الا في ذراعيك ..
وفي مجدك أمتد .. وأفنى !

ـ ٥ ـ

كنت أعرف
وأنا أحتضن الراية من منفى لمنفى
انهم ان قتلوني ، مرة واحدة ..
أولد في عينيك ألفا

ـ ٦ ـ

البسي زينتك الآن .. فقد جئت .
وها اني أقاتل
وأغني .. وأقاتل
وأغني .. وأقاتل

الديار
١٧ تشرين الاول

ايقاعات قبل مارش النصر ..

ممتدة زوارق الشمس ...
هم الآن ، على مشارف الافق ...
يضيئون دجى سيناء والجـولان ...
يا رايات
يا قامات
يا جباه
لن تنطفىء ثانية ... توهجي ... توهجي
حتى تضيء المدن الخرساء ...
والاعشـاب .. والصخور والمياه

ـ ٢ ـ

أصرخ فيهم .. باكيا .. مضطربا ، من فرحي ...
تأخذني الدهشة ، وارتعاشة اليقين
ما أروع الآية .. يا من يركض التاريخ في غباركم..
يا أيها الرجال .. أيها المقاتلون
الله في آفاق هذه العيون المشمسة
الله في أجنحة الحرائق المقدسة
في عزة الصدور ، والسواعد القوية
الله في كرامة الارض ، وفي عدالة الثأر .
وفي الحرية !

ـ ٣ ـ

من قبل ان تشتعل الحياة في عظامكم ..
سبية كانت صباياكم .. حزينة وجوه الامهات
وكانت العتمة والثلوج ، فوق الزهر والنبات
والعقم في النواة
مباحة كانت عذاراكم ..
وأنتم تغسلون عارهن الآن.. تكسرون قيد الارض..
لا .. لا تقفوا ..
الا على أبواب اسرائيل
لا .. لا تقفوا ..
الا على مقبرة المحتل والدخيل
تباركت ارادة الارادة المقاتلة
وكبرياء الامة المقاتلة
والراية المقاتلة
والثورة المقاتلة

ـ ٤ ـ

أتذكرون ؟
كان حزيران .. وكانت أعين الموتى ..
أتذكرون ؟
كان المرابون ، يعلقون الاوسمة
فوق صدورهم ..
وكان الهمجيون ، وحفارو القبور ..
وانطمرت مصاحف العزة ، تحت الدم والوحل ..
أتذكرون ؟
يوم هوى الفارس .. يوم احترق
التاريخ بالنار .. وغاص البيرق الكبير !
أتذكرون ؟
قهقهة المومس ، والقاتل ، والقواد
وخيمة الجراد
حينئذ تقاسموا الغنيمه
وكانت الهزيمه
جلجلة الناقوس في صبيحة المزاد !

ـ ٥ ـ

تذكروا ..
ان الذين ذبحوا أطفال دير ياسين
وأكلوا أكباد أمهاتهم ..
وسرقوا أرض صلاح الدين
او قدروا ، فسوف يرجعون
ليذبحوا ثانية أطفال دير ياسين
ويبقروا ثانية بطون أمهاتهم ..
ويهدموا قبر صلاح الدين !

ـ ٦ ـ

تذكروا ... وقاتلوا
وانتصروا ... وقاتلوا
وقاتلوا ...
لا تقفوا الا على أبواب اسرائيل

الديار
٢٠ تشرين الاول

عبدالله حامد الامين

روح التضامن .. والوحدة

القتال الدائر مع العدو الصهيوني اكد حقيقة عظيمة وهي ان التضامن الاخوي العربي في معركة المصير نابع عن اصالة روح الوحدة الكامنة في ضمير كل شعوب الامة العربية .

لقد ارتفعنا في ساعة الشدة وفي اللحظة الحاسمة عن كل خلافاتنا العائلية الصغيرة ، وسمونا الى مستوى المسئولية امة واحدة تمتد ايادي ابنائها مشرقا ومغربا ، وشمالا وجنوبا لتلتقي في قبضة قوية توجه اللطمة تلو اللطمة للعدو الصهيوني المسنود بقوى الامبريالية الامريكية الشرسة .

انها معركتنا القومية التي اكثرنا من الجدال حولها فترة من الزمن، وظن العدو ـ وهو غافل عن حقيقة امتنا ـ اننا تفرقنا ايدي سبأ ، وانه يستطيع ـ ودون عناء ان يلتهمنا الواحد بعد الاخر . ومن هنا بدأ استفزازه في الجبهتين السورية والمصرية ، مطمئنا الى قوته المسنودة وتحصيناته القوية وعناده الكثير وكانت النتيجة التي لم يكن يتوقعها وكان الهجوم العربي الكاسح والذي وقف فيه المقاتل المصري والمقاتل السوري وقفة البطولة العربية الخالدة ووقفت الامة من ورائهما وعلى كل ميدان وقفة رجل واحد .

لقد ضاع اذن حساب الامبريالية والصهيونية واختلف حساب الحقل عن حساب البيدر ، واثبتت الامة العربية وجودها وفرضت ارادتها واكدت حقيقة وحدتها الكامنة في ضمير كل شعب وكل فرد فيها .

لقد حرم العدو ـ من حيث لم يرد ـ قضية الوحدة العربية وقضية التضامن الاسيوي الافريقي وتضامن الدول غير المنحازة وكل قوى التحرر والسلام في العالم . وبهذا يزداد انتصار قواتنا المقاتلة رحابة افق وعمق مضمون ، وتكتسب قضية تحرير الارض العربية المحتلة محتوى عالميا وانسانيا فوق ما تكتسب من مدلول قومي وروحي عميق .

تحية الى المقاتل العربي في كل الجبهات ، ومزيدا من النصر لامتنا، ومزيدا من الهزيمة لاعدائنا اعداء الحرية والانسانية في كل مكان .

والنصر بعون الله وبتضامننا ووحدتنا قريب ان شاء الله .

الجمهورية (المصرية)

٢٢ تشرين الاول

ليبيا

احمد الفقيه

حــرب الكبريــاء

كان ذلك في السادس من اكتوبر عندما استيقظ شيخ صالح من نومه في الصباح الباكر وبقايا الرؤيا التي شاهدها ما زالت تملأ عينيه ، فقد رأى اعلاما زاهية الالوان تخفق عاليا بمحاذاة النجوم ورأى جيادا من اكرم وانبل واجمل انواع الخيول وهي تسد منافذ الدنيا وتملأ المكان ضجيجا بصهيلها ووقع خطاها عندما تعدو ، وشاهد اعراسا تقام في السماء واستمع الى الغناء والزغاريد والموسيقى تتصاعد من كل مكان !

ملأت البهجة قلب الشيخ وهو يستعيد في ذهنه ما شاهده البارحة في المنام .

لكن صحيفة الصباح تجاهلت تماما الحلم الذي رآه الشيــخ تلك الليلة وخرجت صفحاتها خالية من اي اشارة او ذكر لذلك الحلم !

ولم يكن مذيع الاخبار في المذياع بافضل من الصحيفة فقد تــلا على الناس نشرة اخبار الصباح دون ان ياتي ولو من بعيد على ذكــر الرؤيا التي شاهدها الشيخ الصالح في المنام !

حتى الناس في الشارع وهم يبدأون نهارهم الجديد منطلقين في طريقهم الى المدارس والمعامل والمكاتب والحقول ومختلف ميادين العمل ومجالاته لم يكن يبدو ان احدا منهم يقيم اي اعتبار لما رآه الشيخ في الليلة السابقة !

كان ذلك يوم السبت السادس من اكتوبر عام الف وتسعمائــة وثلاثة وسبعين ميلادية !

كان الصباح ذلك اليوم صباحا عاديا بكل المقاييس لا يعد بشيء جديد على الاطلاق !

وكان الشيخ قد طوى الحلم في قلبه ومضى في طريقه لا يكلــم احــدا ..

لعله لم ينظر اليوم حتى الى التقويم ليعرف ان ذلك هو يــوم السادس من اكتوبر ولعله لم يكن يخطر على باله ايضا ان عمر الهزيمة بلغ اليوم الفين وثلاثمائة وعشرة ايام بالتمام والكمال فلا شك انه قد توقف عن احصاء ايام الهزيمة منذ ان مرت الالف يوم الاولى دون ان يحدث شيء ، لقد فقد بعدها الامل في يوم نصر قريب ، اسلم امره الى الله واتجه اليه يطلب حسن الختام وترك الامر لاجيال تأتي من بعــده .

الفان وثلاثمائة وعشرة ايام ولعل الافضل ان نحسبها ساعة بساعة او دقيقة بدقيقة ، فقد كان وقع الحياة في زمن الهزيمة بطيئا بطئا قاتلا ، كل دقيقة لها عذاب ، ان شيئا في نفوسنا كان على طول المدى يئن ويتوجع كان قدما خرافية تسحقه بلا هوادة ، وطالت ايام الانسحاق والهزيمة وامتدت حتى اوصلتنا الى مرحلة كنا خلالها قد فقدنا كــل عافية نفسية وعقلية وتحول كل شيء في حياتنا ونفوسنا الى هلوســة ومرض وحمى انعكست في ادابنا وفنوننا ، فاذا باشهر اغنياتنا هــي (السح ، الدح ، امبو) واشهر ملاحمنا المسرحية هي (عكاشة عماشة) واشهر كتابنا واوسعهم نفوذا وانتشارا هم كتاب الدروشه وتحضير الارواح ، واعظم اشرطتنا السينمائية هو (خلي بالك من زوزو) . وتوقفت منابع الفن الجميل وانتهى الابداع والابتكار وانتشرت موجة من ايذاء الذات وقهرها وجلدها بالسياط وتمزقها بالاظافر حتى الموت، وتخصص في ذلك شعراء كبار وسياسيون معتزلون صاروا يحترفون الكتابــة ويسجلون ارقاما قياسية في التوزيع !

وتفرغت مدينة كاملة في العالم العربي هي (بيروت) لبيع الهزيمة وتجفيفها وتعليبها وتعبئتها في صناديق وزجاجات وسلال واستعمال افخر انواع الورق في لفها وتغليفها .. وبيعها لنا بالقطاعي !

الفان وثلاثمائة يوم وفوقها عشرة بالتمام والكمال ونحن نتجرع (خروع) الهزيمة ، زيتا لزجا ليس لمذاقه امر حدود ، نحس به في حلوقنا ونتناوله مع اطباق الطعام على موائدنا ، ونشربه عند الصباح في فنجان قهوتنا ، ونلتقي بطعمه مرا لزجا في احاديثنا وحكاياتنا وسهراتنا واسمارنا . والنكسة صارت لافتة فوق جباهنا مكتوبة بكل اللغات بدليل اننا نذهب احيانا الى الخارج ومهما كانت لغة القوم فهم سرعان ما يكتشفون امرنا ، ويقرأون حروف لافتة العار على جباهنا ويقومون من فورهم يضعون لنا زيت (الخروع) في طعامنا وقهوتنا !

الفان وثلاثمائة وعشرة ايام منذ الخامس من حزيران ، جاءت بعده ستة حزيرانات عجاف شمطاء ، كئيبة ، قبيحة النظر محنية الظهر ، تقوست انوفها كمناقير الغربان ، وفي كل مرة تأتي كان حجم المأساة في قلوبنا يزداد اتساعا ، ورقعة الامل تزداد ضيقا واظلاما ، ولا ادري كيف كنا خلال هذه السنوات العجاف نقيم حفلات الزواج وننجب الاطفال وننجز الاعمال ونحن غرقى في بحيرة الرماد ، بل انني لا ادري حتى الان كيف اننا خلالها ، جميعا عشنا ، وكيف اننا في يوم من ايامها لم نكتشف انفسنا وقد سقطنا جميعا على ارصفة الشوارع ... موتى !

فقد كان حجم الهزيمة بما لم تتعود عليه نفس جبلت على العزة والكبرياء طوال تاريخها ، ان تهزمها شرذمة هي بلا شك سقاطة شعوب الارض كلها وتفرض عليها هزيمة ، قاسية ، مرعبة اوسع من صحراء سيناء واثقل من جبال الجولان !

الى ان جاءت ليلة السادس من اكتوبر وشاهد الشيخ الصالح في المنام حلما ، وفي ايام الساعة الثانية ظهرا تحول حلم الشيخ الصالح الى حقيقة فاجأت العالم كله وعبرت يد الحلم مياه القناة فوق قارب من المطاط وهناك رفعت قبضتها لتقضي وبضربة واحدة على كل الحزيرانات الحزينة في قلوبنا وتشعل نارا تضيء الكون كله ، وتمزق الظلام كله ، وتعيد الروح الى البدن الذي دهسته العربات الصدئة لقطار طوله الفان وثلاثمائة وعشرة ايام .

ليس مهما ما تحققه الحرب من نتائج بعد اليوم ..
فلقد ادت هذه الحرب نتيجتها منذ اول يوم !!

لقد كانت حربا من اجل الكبرياء .. وليست مجرد حرب لاسترداد الارض او ردع العدوان او الدفاع عن حق مغتصب .. فهل كان عار الهزيمة يزول لو اخذنا حتى نصف الكرة الارضية .. سلميا !!

الاسبوع الثقافي
١٩ تشرين الاول

امطار تشرين ..!

وقف معلق الصحيفة الغربية مندهشا .
كانت النار تسقط من السماء ، وطلقات المدافع والصواريخ كالشهب تملأ الافق ، وطائرات العدو تتساقط محترقة كاوراق الخريف ، وصفارات الانذار تولول في الجو ، والبراكين التي استيقظت تملأ الدنيا عودا ولهبا ، وكان الناس في دمشق والمنصورة يخرجون الى الشوارع والشرفات واسطح المنازل فرحين مهللين يستمتعون بمراقبة القنابل والطائرات التي تسقط من السماء !!

وقف معلق الصحيفة المسكين ، مندهشا ومستغربا وحائرا لما يرى .. فهذا مشهد لم يقرأ او يسمع او يشاهد له مثيلا .

وكتب الى صحيفته يعبر عن اندهاشه لهؤلاء الناس الذين لا يهرولون الى المخابىء مذعورين عندما تشتعل الارض والسماء باهيب المعارك وانما يخرجون لملاقاة اللهب مبتهجين فرحين .. وذكر في تعليقه انه غير قادر على تفسير ما رأته عيناه !.

من اين للمعلق المسكين ان يعرف ؟.

من اين له ان يدرك ان ما ظنه لهبا وقنابل وطائرات مشتعلة ، هو لم يكن كذلك في اعين المواطنين العرب ، فلم يكن ما ذهب الناس الى ملاقاته هو اللهب والشظايا واجنحة الطائرات المحترقة .. وانما هو موسم الامطار الذي انتظروه طويلا ، انه الغيث الذي يهبط من السماء يحمل الخصب والخير والنماء !

فهذه هي امطار تشرين التي عشنا طويلا نحلم بها ونصلي لها صلاة ((الاستسقاء)) وننتظر قدومها منذ ربع قرن مضى !

ولذلك ، فانه عندما هرول المعلق المسكين الى المخبأ ، وجد المخبأ فارغا لم يذهب اليه الا هو ، وظن في نفسه انه قد اخطأ الطريق ، فكيف لم يتزاحم الرجال والنساء والاطفال والشيوخ للاحتماء به مثله ، وعندما تسلل الى كوة صغيرة يرى من خلالها ما يحدث بالخارج شاهدهم جميعا يملأون الشوارع والشرفات واسطح البيوت والعمارات يصفقون ويهتفون ويهللون لكل طائرة تسقط من طائرات العدو ، كأن الذي يحدث ليس حربا وانما هو عرس ... نعم ايها المحرر الذي أرسلوه يغطي اخبار الحرب .. فرأى قوما يجعلون الحرب عرسا .. نعم ان هذا هو العيد والعرس والمهرجان الذي انتظرناه فكان ان خرجنا نساء ورجالا واطفالا نشارك في صنعه ، نهتف له ، نقف تحت شآبيب امطاره نغتسل بها ونغني قائلين لها في نفس واحد .. وصوت واحد ..

اهطلي يا امطار معارك تشرين :

اهطلي .. اهطلي ..

اغسلي ادران العار التي علقت بارديتي وثيابي !!

ازيلي الغبار والاتربة التي غطت رأسي ومنكبي وملامح وجهي ..

اكنسي بسيولك اكداس الهزيمة التي تملأ الاحياء والشوارع والبيوت في بلدي !!

اهطلي يا امطار معارك تشرين وطهري بمياه امطارك الضعف الذي زرعوه في قلبي ، واعيديني من جديد قويا ، شامخا ، منتصرا !

اهطلي .. اهطلي يا امطار تشرين ولا تتوقفي ابدا عن الهطول فانت وحدك سوف تزرعين الخصب في احشاء هذه الارض التي كاد يقتلها العقم ، وتروين جذور السنديان التي اماتها العطش ، انت وحدك ستعيدين للارض خضرتها ، وللسواقي المغنية حناجرها ، وللعصافير اجنحتها التي فقدتها !

فلن تنبت فوق ارضنا الاعشاب والسنابل والزهور الا بك !
ولن نولد في اشجارنا الثمار الا بك !

ولن تغني الجداول وتدور السواقي وتبني الطيور اعشابها وتهب على وجوهنا النسمات المحملة بعطر الارض وعبر اشجارها الا بغيثك !!

امطري يا معارك تشرين .. امطري !
فقد جفت المياه في انهارنا منذ الهزيمة الاولى ..

وامحلت من يومها ينابيع الماء ، واقفرت مخازن الغلال .. وماتت حبات البذار تحت الارض وانتشر فوق ارضنا القحط والجفاف والعطش وصار وجه الارض كالحا كالصوان ، واصاب حياتنا عقم السنـــوات العجاف وهاجرت عصافيرنا واقسمت الا تعود الا يوم ان يأتي المطر ..

وها انت تجيئين الان ..
اهطلي اذا ولا تتوقفي عن الهطول ..

افرغي من احشاء غيومك وسحابك كل ما اختزنته من ماء خـلال ربع قرن من الزمان ، ارعدي وابرقي وافتحي قرب الماء واغمري الدنيا لهبا وسيلا وغديرا وطائرات محترقة !

هكذا خرج الناس يغنون للمعركة في حين هرول محرر الصحيفة الغربية الى المخبأ يكتب بيد مرتعشة مقالا عن هؤلاء القوم الذين يجعلون من الحرب عرسا !!

ثم فجأة توقف المطر ..
رغم النشيد الذي خرجنا جميعا نغنيه توقفت امطار المعارك عـن الهطول !

حتى انت يا تشرين !

يا من عهدناه دائما شهر الغيث والخصب والرياح وهطول الامطار!
ولكن لا يهم .. فالشوق للمطر ولد فينا منذ ان وجدت هـــذه الارض ، وهذا ما لا يعرفه محرر الصحيفة الغربية ، انه لا يعلم ان كل قرية عربية تحتفظ باجمل احتفالاتها للمطر ..
وتصلي صلاتها لكي يهطل المطر .
وتغني احلى اغانيها للمطر !
ولسوف ننتظر موسم الامطار القادم ..
فلا بد ان تولد فوق سمائنا سحب حبلى بالمطر ..
لا بد ان تهطل الامطار من جديد !
كذب كل ما قالوه لنا ..

كذب ان نحن انتظرنا من السحب الداكنة فوق ابراج لندن ، او سحب ناطحات السحاب في امريكا ، او تلك التي تصنع الجليد في سيبيريا .. ان تأتي لكي تمطر فوق ارضنا !!

لن تأتي السحب من بلاد الاخرين لتصنع اعياد المطر في بلادنا .

ولن تسافر الغيوم من سمائهم لتفرغ غيثها فوق ارضنا !!
لا بد ان يولد السحاب من جديد في سمائنا ..

لا بد ان تتصاعد الابخرة من اراضينا وتصنع لنا سحابنا لكـي تعود للارض من جديد امطار تزرع الخير والامل والسلام !!

ومنذ ان توقفت امطار المعارك في تشرين .. والمواطن العربي في بلادنا يجلس الى بيته يلصق اذنه بالمذياع يتسقط اخبار النشرات الجوية ، لعلهم يوما يقولون :

« سماء ملبدة بالغيوم .. تنذر بهطول امطار شديدة » .

لكي يخرج بعد ذلك الى الشارع من جديد ، ويعود الى الغناء ، ويتطهر بمياه الامطار ..

الاسبوع الثقافي
٢ نوفمبر

محمد حسين سباق

الى جيوش النور

((الى الابطال المغاوير الذين يكتبون صفحـــات خالدة يضيفونها الى التاريخ العربي الخالد .. بأشرف مداد في أشرف شهر)) .

أسعدوا الكون ، كـل آن ، بنصر
والطموا الليل ، كل يوم ، يفجـر
وارفعـوا فـوق كل ذرة تـرب
راية العـرب ، واركزوها بنحـر
طال شوق الديـار للاهل حتـى
لم تعد تستطيع حمـلا لصبـر
أسمعوهـا ((الله أكبـر)) تروى
أذنـا شاقهـا ، ولهفــة صـدر
فلقـــد عـاف أفقهـا وثراهـــا
ان يـرى الذل في انتفاشة كبر
روجـوا بيننـا الاساطيـر حتى
اصبحت في الدماء كالسم يسرى
من دعـاوى قد احكمت وترامت
عـن طغام لن يعرفـوا اي دحر
قـد أرادوا ان يكسرونا قلوبـا
ان كسر القلـوب أفـدح كسر
اين موشى ديـــان ، وهو عليـم
مثلمـــا يدعـى ، بأمنــع سر
كان يدري من قبـل كل صغيـر
وكبيـر ، فما لـه أيس يـدري
ام ترى الرعب ألجم النطق منه
ثم أبدى ما كان أحـرى بستـر
قد طلعتم عليهـم جيش نـور
فتراءوا كالبـوم شلت بذعـر
وتهـاووا أمامكـم في هـــوان
بعـــد أن شتتـوا أباديـــد ذر
وتولـوا اشـلاء جيش مجيـد
حرفـة الفـر .. لا صناعة كـر
يسبقون الريـاح عـدوا فمرحى
بالصناديد .. اتقنت كيف تجرى
فأذلـــوا العـــدو لا ترحمـــوه
واجعلـوه يفيـق من بعـد سكر
واهبطوا فوقهم .. شواظ نحاس
واحيطـوا بهم .. براكيـن جمر
وطأوهـم بالنعل ، فـوق أنـوف
لتذوق الخزيـان من بعـد فخـر
مزقوهم بقسوة .. كـم شبـاب
مزّقوا هم ، لم يرحموا زهر عمر
مزقوهـم بقسـوة .. كـم نساء
ثلمـوا عرضهـا بفحش وفجـر
مزقوهـم بقسوة .. كم شيـوخ
تخـذوا منهـم أضاحيـك سخر
مزقوهم بقســوة .. كـم رضيع
ذبحــوه إطفـــاء شهـوة شر
مزقوهم بقســوة .. كـم مقيـم
تركـوه يهيـم .. ما من مقـر
مزقوهم بقســوة .. كـم اساءوا
للبرايـا .. وأنزلـوه مــن ضر
مزقوهم .. وطهروا الارض منهم
يشكـر الكـون فعلكم ألف شكر
لا تبالـوا بمــن وراء الاعـادي
فليكـن ما يكون .. مأمن ضيـر
امـة العرب خلفكم .. كل فـرد
مـدد زاخـر .. وشـد لأزر
وسـلاح يفـل كـل سـلاح
ويـذل العـدا ، ويأتـي بنصر
فصلـوا الليـل بالنهـار ودكـوا
مـا تبقـى مـن عصبـة لغـدر
يا جنـود الرحمـن انتم جيـوش
كتـب اللـه ان تفوزوا بخيـر
سجلوا وقعـة ، كحطين ، أخرى
واعيـدوا للكـون مشهـد بـدر
ستكونون ، في القلوب ، لحونـا
لـم يصـغ مثلهـا بنثـر وشعـر

الجهـاد
١٦ تشرين الاول

الفهرس العام لسنة « الآداب » الحادية والعشرين ١٩٧٣

راجع بريد الآدب تحت مادة « بريد ». والقصائد تحت مادة « شعر » . والقصص تحت مادة « قصة » . والنتاج الجديد تحت مادة « كتاب » . والمناقشات تحت مـــادة « مناقشة » . والنشاط الثقافي تحت مـادة « نشاط » .

والجدير بالملاحظة ان حرف (ض) الذي لحق احيانا بالرقم (٤) انما يفيد (العـــدد الرابع ـ اضافي) .

اما العددان الخامس والسادس فقـــد اقتصرنا فيهمـا على الرقم (٥) ، والعددان الحادي عشر والثاني عشر فقد اقتصرنا فيهما على الرقم (١٢) .

١ ـ فهرس الموضوعات

٢ ـ فهرست الكتاب